



ديوان الوقف السني

كلية الإمام الأعظم (رحمة الله) الجامعة

قسم أصول الدين

الدراسات العليا

الألفية في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

رسالة قدمتها

إلى مجلس كلية الإمام الأعظم (رحمة الله) الجامعة، وهي جزء

من متطلبات نيل درجة الماجستير في أصول الدين

تخصص (علوم القرآن)

الطالبة

سرور رحاب توفيق

بإشراف

أ. د. محيي هلال سرحان

٢٠١٧م

١٤٣٨هـ

وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا

من وحي القرآن

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ
قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ وَعَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

من وحي السنن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا
يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ» ﴿٢﴾.

(١) سورة الأنفال: الآيتان ٦٢، ٦٣.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، أبو عبد الله محمد هلال أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)،

المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ

- ٢٠٠١م، ٢/٤٠٠، (٩١٨٧)، (حسنه المحقق).

الإهداء

أولاً أهدي بحثي إلى حضرة النبي ﷺ.

ثم إلى من زرع في حب العلم والدعوة إليه وغرس الفضيلة في نفسي ...
والدي حفظه الله تعالى.

إلى نبع الحنان ... أمي حفظها الله تعالى.
ولن أستطيع أن أبلغ مكافأتهما إلا بما تيسر من دعاء الخير فإنهما سماء
آمالي وأرض طموحي.

إلى أخي وأختي حبيبي قلبي.

إلى كل طالب علم يسعى لخدمة الإسلام والمسلمين.

أهدي باكورة جهدٍ وليد سهر وتعب ونصب أرجو أن أنال به القبول من
لدى المشرف الكريم على هذه الرسالة، ثم المناقشين فهم الظهير
لطلبة العلم وأهل الاختصاص.

الباحثة

الشكر والعرفان

امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(١)، ثم الاقتداء بهدى النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»^(٢)، فأشكر الله أولاً على ما منَّ به عليَّ من النعم، وأحمده سبحانه على توفيقِي لدراسة موضوع (الألفة في القرآن الكريم)، وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى المشرف الدكتور محيي هلال سرحان الذي له الفضل في توجيهاته وقراءة جميع المطالب، ولا أقول كلمة كلمة فحسب، بل حتى الفواصل والنقاط، وظهرت لمساته العلمية في جميع الرسالة، فكان مثلاً صادقاً للمشرف الناصح، وأنا مدينةٌ له بالدعاء والتوفيق والبركة في علمه وعمله ويجعله ذخراً للإسلام والمسلمين، وأتقدم بالشكر لخالي العزيز ليث كمال الذي رغبني في إختيار عنوان الرسالة، كما أتوجه بالشكر لوالدتي الحنونة التي كانت الساعد الأيمن في عموم حياتي، وأخيراً في طبع الرسالة بالكامل، كما وأشكر الوالد الرحيم حيث كان له قصب السبق في تقديم ما أحтаجه من مستلزمات البحث. وأخص بالشكر أيضاً المشايخ الفضلاء الذين كرسوا جهودهم، وبذلوا أوقاتهم لما قاموا به من جهود مباركة في الإجابة على الاستفسارات المتعلقة بالبحث. وأشكر العم الحاج قاسم كسار، الذي جهزني بكثير من المصادر والمراجع، فأسأل الله أن يجزيهم جميعاً خير الجزاء. وآخر المطاف أقدم وافر الشكر والتقدير لكل من يُنبهني ويرشدني إلى الصواب لتصحيح الأخطاء، وأخص بالذكر لجنة المناقشة.

(١) سورة لقمان: الآية ١٢.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، (باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك)، ٥٠٥ / ٣ (صححه المؤلف).

المحتويات

المقدمة	٢
الفصل الاول الالفه في حياة الإنسان في ضوء الشريعة الإسلامية أسبابها وآثارها	
في الحياة الاجتماعية	٧
التمهيد حُرُصُ الشريعة الإسلامية على توحيد الأمة ونبذ الاختلاف والتفرق	٨
المبحث الأول تعريف الألفة لغةً واصطلاحًا و الألفاظ ذات الصلة وآثار الالفه في	
الحياة الاجتماعية	١٤
المطلب الاول تعريف الألفة لغةً واصطلاحًا	١٤
المطلب الثاني الألفاظ ذات الصلة بالألفة	٣١
المطلب الثالث الألفاظ المضادة للألفة في القرآن الكريم	٥١
المطلب الرابع آثار الألفة في الحياة الاجتماعية	٦٩
المبحث الثاني أسباب الألفة	٨٨
المطلب الأول الدين	٩٠
المطلب الثاني النسب والرّضاة	٩٧
المطلب الثالث المصاهرة	١٠٤
المطلب الرابع المودة	١١٢
الفصل الثاني الآيات الواردة في الألفة بلفظها ومضمونها	١٢٤
المبحث الأول توفيق الله ﷻ بالألفة	١٢٥
المطلب الأول الإعتصام بحبل الله ﷻ سبب الألفة	١٢٥
المطلب الثاني الألفة بين الصحابة ﷺ	١٤٩
المطلب الثالث الألفة بين الناس بنظام الإسلام	١٧٣
المبحث الثاني السنن الالهية وارتباط الإيمان والعمل الصالح بموضوع الألفة	١٩٤
المطلب الأول إلفة قريش للتجارة بسبب الأمان الإلهي	١٩٤
المطلب الثاني الألفة بين السحاب	٢١٧

المطلب الثالث إفة الإيمان والعمل الصالح	٢١٧
الفصل الثالث الآيات الواردة في الألفة بالمعنى وتفسيرها	٢٣٤
المبحث الأول الألفاظ الواردة في معنى الالفة الخاصة بالمسلمين	٢٥٤
المطلب الأول الآيات الواردة في الاجتماع	٢٥٤
المطلب الثاني الآيات الواردة في الذلة والمحبة والسكينة	٢٨٠
المطلب الثالث الآيات الواردة في البرِّ والمؤاخاةِ وخفضِ الجناحِ	٣٠٣
المبحث الثاني الألفاظ الواردة في معنى الألفة الخاصة بالناس	٣٢٩
المطلب الأول الآيات الواردة في الرأفة والرحمة	٣٢٩
المطلب الثاني الآيات الواردة في العشرة	٣٥٣
المطلب الثالث الآيات الواردة في اللينِ	٣٧٨
الخاتمة	٣٩٦
الفهارس	٣٩٩
فهرست الآيات	٣٩٩
فهرست الأحاديث	٤٢٢
فهرست الآثار	٤٢٧
فهرست الأعلام	٤٣٠
فهرست الأشعار	٤٣٤
المصادر والمراجع	٤٣٦

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنُسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يَضَلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مَرشِدًا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَا بَعْدُ:
فإنَّ موضوع الألفة كان يشغلني منذ مدة طويلة، وكنت أكثر البحث فيه والقراءة حوله، وأسأل بعض أهل العلم عما توصلت إليه.

وقد ثبت للأمة الإسلامية خلال تاريخها الطويل أنها تحتاج دائمًا إلى الرجوع إلى قرآنها المجيد وسنة نبيها الكريم محمد ﷺ، باعتبارهما المنبع الصافي والمنهل العذب والنور الذي تسترشد به في تسيير أمور حياتها كلها وخصوصًا الأمور التي تتصل بالتربية والتعليم وتزكية النفس البشرية، لتكوين شخصية إسلامية صالحة للإستخلاف لتوافق ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّذِينَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١).

فالله ﷻ أمرنا بجملة من مكارم الأخلاق، في آيات من القرآن الكريم، وأحاديث رسوله ﷺ، وتضمن هذان الأصلان (الكتاب والسنة) التكاليف الشرعية التي أمر بها المسلم، وألزم على تنفيذها. ولذلك أرسل الله تعالى الرسل، وأنزل الكتب، لتبليغ شرع الله إلى خلقه، من أجل أن يقوم الإنسان بالمهمة الجليلة.

وكانت بعثة الرسل صلوات الله عليهم جميعًا إلى خلقه دعوة واحدة، أصولها الاعتقاد: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وشرع شرائع أساسها: الطهارة والعفاف في الأخلاق، والاستقامة والقصد في السلوك.

واقترنت حكمة الله تعالى أن يختلف الناس في صغير الأمور وكبيرها، سواء في أمور الدين أو الدنيا، واختلاف الأفهام والآراء ليس بمستغرب في الحياة، لكن كل ذلك لا ينبغي أن يؤدي إلى اختلاف القلوب.

(١) سورة الروم: جزء من الآية ٣٠.



وسأحاول بإذن الله تعالى في هذا البحث أن أتناول موضوع " الألفة في القرآن الكريم" بدراسة موضوعية شاملة تناولت فيها بيان معناها وتفسير الآيات التي وردت فيها مع الآيات التي لها صلة بها تدفعني الى ذلك دوافع واسباب.

أسباب اختيار البحث

إنَّ الغاية من أسباب البحث للوصول إلى أهدافه بنتائج واضحة ودقيقة. وإذا أراد الله شيئاً هياً أسبابه، فمن الأسباب والدوافع الرئيسية التي جعلتني أقوم بهذا البحث أمورٌ منها:

- ١- قلة البحوث في موضوع الألفة.
- ٢- إهتمامي بالآيات والأحاديث والآثار المتعلقة بالألفة.
- ٣- الرغبة في فهم مصطلح الألفة.
- ٤- الابتعاد عن الألفة، سواء بين الأفراد أو الجماعات أو الأمم.
- ٥- نعيش في زمن صار الناس فيه متفرقين بعد ما كانوا إخوة متحابين.

أهمية البحث

إنَّ قيمة البحث العلمي تكمن في أهميته، وتتناسب أهمية البحث طردًا مع كمية الجهد المنفق في إنتاجه، وتزداد أهمية البحث عندما يهتم الباحث عن حلول لمشاكل الناس، وتكمن أهمية البحث في أمور عديدة من أهمها:

- ١- مكانة الألفة في الحياة الخاصة والعامة للناس.
- ٢- ورود لفظ الألفة في الكتاب والسنة والآثار.
- ٣- حاجة الألفة في مجال التعليم.
- ٤- حصول الخيرية لأمة الإسلام في الألفة.

أهداف البحث

- يهدف البحث من خلال فقراته إلى تحقيق أمور كثيرة وأهمها:
- ١- جمع آيات الألفة الكونية والتشريعية المتناسبة في الألفاظ أو المعاني.
 - ٢- إيضاح آثار تعليم الألفة في حياة الفرد في عمله اليومي مرارًا.
 - ٣- إنقاذ النفس من الانحراف في أصداد الألفة. ورفع مستوى الإنسان.
 - ٤- رفد المكتبة الإسلامية بمثل هذه البحوث الجامعة.

الدراسات السابقة

وجود الدراسات السابقة في أي بحث مظهر صحيح، ويدل على أهمية الموضوع وتشعبه عند من سبقه. وذكّر الدراسات السابقة تدل على الأمانة والقدرة على الإبداع والابتكار والتجديد في الموضوع. وهناك فرق بين الاستفادة من الدراسات السابقة وبين التقليد دون رجوع ولا تأكد من تلك الدراسات ونتائجها.

ولم أقف على دراسة مستقلة بهذا العنوان، ولكنني وقفت في داخل بعض الكتب على مطالب أو دراسات فرعية ساعدتني في بعض المطالب في بحثي، منها:

- ١- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد: عدد من المختصين، بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع - جدة، ط ٤، (د ت).
- ذَكَرَ في المجلد الثاني من الصفات المستحبة الالفة ومايتعلق بها (١٢) صفحة.
- ٢- موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

كتب بابًا في أسباب الألفة، وذكر بعض الألفاظ ذات الصلة بالألفة.

- ٣- كتاب الألفة في الكلام، للشيخ أبي علي محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي (ت ٣٨١هـ)، عده النجاشي من كتبه الكلامية.

الكتاب مذكور في هوامش بعض الباحثين، ولم أقف عليه، واستفدت من العنوان.

- ٣- طوق الحمامة في الألفة والألاف، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.

تناول في كتابه عن المحبة التي هي من الألفاظ ذات الصلة بالألفة، ولم يذكر الألفة إلا في عبارة واحدة وهي: (ومحبة الألفة في الاشتراك في المطالب). ونقل هذه العبارة كثير ممن يهتم بالدراسات التربوية.

٤- فضيلة الألفة والأخوة، مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (١٦٠٥) فيلم (٦ / ٥٥٦) المؤلف غير معروف، يعتقد أنها كتبت في القرن التاسع الهجري، الورقة (٥٧)^(١).

منهج البحث

البحث تشعب في العديد من الميادين العلمية التي تتطلب استخدام أكثر من منهج لمعالجة مشكلة البحث، واعتمدت الباحثة على منهجية عامة في الرسالة تتلخص بما يأتي:

١- استخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي الموضوعي، الذي يعد أهم المناهج المستخدمة في البحوث القرآنية، وذلك لمعالجة النواحي الشرعية، وما يتعلق بها من النصوص والنقول الشرعية المختلفة. ومعالجة المبرر الأخلاقي، والفطري.

٢- استخدمت الباحثة المنهج التحليلي في بعض الآيات المتعلقة بالألفة لفظاً.

٣- الأحاديث التي وردت في البحث قليلة وما جاءت إلا تأكيد وتعزيد لمعاني آيات الألفة.

٤- الحكم على الحديث من قبل المحقق، عدا الصحيحين.

٥- الإعتماد على النقول المحققة الصحيحة قدر المستطاع.

٦- الإكتفاء بالمعنى اللغوي إذا لم يستعمل للمفردة المعنى الاصطلاحي.

٧- عدم الترجمة للأشخاص والأماكن المعروفة.

(١) ينظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، الجلود، محماس بن عبد الله بن محمد، دار

اليقين - المنصورة، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص ١٦٧.

٨- الألفة سجية بالإنسان، فلا يمنع من نقل معلومات من غير المسلمين بشرط أمانة صحة النقول من مصادرها ومطابقتها.

٩- أستدلُّ أما بجزء من الآية أو أكثر لاتمام المعنى.

خطة البحث:

أما خطة البحث فتقع في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

المقدمة: تتناول بيان أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهدافه، والدراسات

السابقة، ثم منهج البحث وتقسيماته.

الفصل الأول: الألفة في حياة الإنسان في ضوء الشريعة الإسلامية، أسبابها

وآثارها في الحياة الاجتماعية. وفيه توطئة وتمهيد ومبحثان:

التمهيد: في بيان حرص الشريعة الإسلامية على توحيد الأمة، ونبذ الاختلاف والتفرق.

المبحث الأول: تعريف الألفة لغةً واصطلاحًا والألفاظ ذات الصلة والمضادة

وآثار الألفة في الحياة الاجتماعية.

المبحث الثاني: أسباب الألفة.

الفصل الثاني: الآيات الواردة في الألفة بلفظها ومضمونها ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: توفيق الله تعالى بالألفة.

المبحث الثاني: السنن الإلهية وارتباط الإيمان والعمل الصالح بموضوع الألفة.

الفصل الثالث: الآيات الواردة في الألفة بالمعنى وتفسيرها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الألفاظ الواردة في معنى الألفة الخاصة بالمسلمين.

المبحث الثاني: الألفاظ الواردة في معنى الألفة الخاصة بالناس.

الخاتمة: تناولت أهم ما جاء به البحث والتوصيات.

الفهارس.

المصادر والمراجع.

ومن الله تعالى التوفيق والسداد.

الفصل الاول

الألفة في حياة الإنسان في ضوء الشريعة الإسلامية أسبابها

وآثارها في الحياة الاجتماعية

وفيه توطئة وتمهيد ومبحثان:

التمهيد: في بيان حرص الشريعة الإسلامية على توحيد الأمة

ونبذ الاختلاف والتفرق.

المبحث الأول: تعريف الألفة لغةً واصطلاحاً والألفاظ ذات

الصلة والمضادة وآثار الألفة في الحياة الاجتماعية.

المبحث الثاني: أسباب الألفة.

التوطئة والتمهيد

ورد في القرآن الكريم جذر الألفه ومشتقاتها في بعض الآيات، ومعلوم أنّ سياق الآيات هو الذي يحدد المعنى، فجاءت بالمعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، والغالب جاء بالمعنى اللغوي.

آيات الألفه:

أولاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١).

ثانياً: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

ثالثاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٣).

رابعاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ وَثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الانفال: الآيتان ٦٢، ٦٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ٦٠.

(٤) سورة النور: الآية ٤٣.

خامسًا: قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٍ * إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ * فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١).

خمس آيات يأخذ بعضها برقاب بعض بين اعتصام وبين تأليف، منها ما يدخل في مقدور الإنسان ومنها ما لا يكون إلا معجزة إلهية يصب في مصب واحد عنوانه الألفة التي انتقت عليها الشرائع في سائر الأمم من قبل ومن بعد.

**حُرْصُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى تَوْحِيدِ الْأُمَّةِ وَنَبْذِ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّفْرِيقِ
النُّوْحَةِ:** "تَغْنِي الارتباط والانصهار وَجَمْعُ الْأَجْزَاءِ"^(٢).

والباحثة تقول إن هذه المعاني السوامي تترجم معنى الألفة في واقع المجتمعات. فمن سنن الله ﷺ في خلقه أن جعل البشر أممًا ينتشرون في الأرض، ولا تجتمع أي أمة من الأمم إلا بالألفة بين أعيانها ثم بين أغلب أفرادها، والقصاص القرآني لحياة الأمم لدليل قطعي على وجود الأمم في التاريخ.

وقد جاء الإسلام إمتدادًا لموكب الرسل الكرام في مسيرة واحدة، لأن دين الله واحدٌ يأمر بالوحدة، قَالَ ﷺ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٣).

وكانَّ هذه الآية تقرر وحدة الدين، ووصل الحاضر بالماضي، ورسَل الله جميعًا حملوا ذات الدعوة، كما جاء في قوله ﷺ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٤)، وكانهم رسول واحد، على اختلاف زمانهم ومكانهم ولغتهم.

(١) سورة قريش كاملة.

(٢) درة الغواص في أوهام الخواص، الحريري، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري (ت ٥١٦هـ)، المحقق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٢٩١.

(٣) سورة الشورى: جزء من الآية ١٣.

(٤) سورة الاعراف: جزء من الآيات: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، سورة هود: جزء من الآيات: ٥٠، ٦١، ٨٤، سورة المؤمنون: جزء من الآيات: ٢٣، ٣٢.

ومن أعظم غايات الشريعة إجتماع الكلمة وألفة القلوب بين المسلمين؛ لأنها تحقق مصالح الدين والدنيا وتحقق التناصر والتعاون والتعاقد، قَالَ ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وَقَالَ ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ* وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (١).

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً» (٢).

وتعد وحدة الأمة الإسلامية، وتكافل أفرادها، وتعاونهم فيما بينهم من الغايات الكبرى التي سعت الشريعة إلى تحقيقها، والعمل على استمرارها وبقائها. فقد جاءت الشريعة بأوامرها، ونواهيها، ومقاصدها بجملة من الأحكام من شأنها أن تجعل قوله ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. وقوله ﷺ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٣). واقعا متحققا فضلا عن كونها آيات تقرأ. ومن ثم، فكل ما يقوي وحدة الأمة، ويشد وثاقها أمر به الشارع، ورغب في إتيانه، وبالمقابل فكل ما يخل بالوحدة، ويوهن رابطتها نهى عنه الشارع، ورهب من فعله. والألفة بين أكثر أفراد الأمة تعني على العموم وليس فردا فردا، لكن يتفقون ضمنا على نظام حياة يسيرون على منهاجه.

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ٥١، ٥٢.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة- بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، (كِتَابُ الْأَحْكَامِ)، (باب كَيْفَ يُبَايِعُ الْإِمَامُ النَّاسَ)، ٧٧ / ٩، (٧١٩٩).

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

وحرصت الشريعة الإسلامية على وحدة المسلمين وتميزت بخصائص كثيرة منها:
أولاً: الحرص على تنمية العلاقة الإيمانية قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ
أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

ثانياً: نبذ المنازعات بين أفراد الأمة قال ﷺ: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا
فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(٢).

ثالثاً: رفض اللدد من الخصومات كما جاء في الحديث "عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَدُّ الْخَصِيمُ»^(٣).

رابعاً: وما تأكيد القرآن على حفظ العهود والمواثيق بين المسلمين وغيرهم إلا دليل
على إنسانية هذا الدين الذي يجمع ولا يفرق ويبني ولا يهدم.

خامساً: الإسلام تناول الجانب العملي في الوحدة. والإيمان يتعاهد بها. وكلمة التوحيد
تتحقق بها وحدة الرسل والأمم.

والعلم وسيلة إلى معرفة الأخلاق الشرعية الحسنة منها: التواضع، والألفة، والعفة،
وغيرها، والسيئة منها: الأسراف، والتقتير، والكبر، والجبن، والبخل، وغيرها، ولا يمكن
التحرز عنها إلا بعلمها، وعلم ما يضادها. والقاعدة الفقهية: "الأمرُ بالشئِ نهيٌ عن
ضدِّهِ"^(٤).

وقد نهانا ربنا عن كل لفظة مضادة للألفة: قال ﷺ: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا
وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(٥).

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٢) سورة الأنفال: جزء من الآية ٤٦.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْمَظَالِمِ وَالْعَضْبِ)، (بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ
الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤])، ٣/ ١٣١، (٢٤٥٧).

(٤) الأشباه والنظائر، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ)، دار الكتب
العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٢/ ١١٥.

(٥) سورة الأنفال: جزء من الآية ٤٦.

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(١). وغيرها من الآيات.

وعدَّ الشارع الهجر والقطيعة من الصفات الذميمة وأمر ﷻ بالصلح عند ظهور حظوظ النفس لتعود الألفة كما قال ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾^(٢). ورغب في الإصلاح بقوله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ جُبُونِهِمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

ولأجل الألفة، حث الله ﷻ على أن يتصف عباده بالعفو والصفح بقوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

وردت في القرآن الكريم أربع آيات ذكر الله ﷻ فيها الألفة بين الناس. والألفة من الأخلاق الحميدة، يتحلى بها الكافر والمسلم على السواء، لكن المسلم يعتبرها أوامر ونواهي من الوحي، والكافر يعدها سجية جميلة يتحلى بها الإنسان. ولقد جاء الإسلام ليساوي بين جميع الناس أمام القضاء والقانون. في الوقت الذي كانت البشرية تفرق الناس طبقات، وتجعل لكل طبقة قانونًا. بل تجعل إرادة السيد هي القانون في عهد الرق والإقطاع.

(١) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٥.

(٢) سورة الأنفال، جزء من الآية ١.

(٣) سورة النساء: الآية ١١٤.

(٤) سورة النور: الآية ٢٢.

ولم يزل المسلمون ومنذ قرون، غرضًا لأهداف المستعمرين، وهم يبذلون جهودهم في تفريقهم وتشتيتهم إلى فرق وأمم متباعدة، كأنهم ما كانوا أمة واحدة، كل ذلك ليكونوا فريسة سائغة لهم لكي ينهبون ثرواتهم ويقضون على عقيدتهم وثقافتهم الإسلامية بشتى الوسائل.

المبحث الأول

تعريف الألفظة لغتاً واصطلاحاً و الألفاظ ذات الصلة وآثار الألفظة في الحياة الاجتماعية

المطلب الأول

تعريف الألفظة لغتاً واصطلاحاً

الألفة في اللغة: الألفة اسم من الفعل أَلَفَهُ يَأْلِفُهُ (من باب علم) إِفْلًا بالكسر ويفتح، وإفانًا: أنس به ولزمه^(١) وأحبه^(٢).
قال أبو زيد^(٣): "أَلَفْتُ الشَّيْءَ، وَأَلَفْتُ فَلَانًا، إِذَا أَنْسَتْ بِهِ"^(٤).

- (١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، أبو منصور محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: ابراهيم الابياري، دار الكاتب العربي- القاهرة، ١٩٦٧م، ١٥ / ٢٧٢، (مادة ألف).
- (٢) ينظر: المعجم العربي الاساسي، اعداد جماعة من كبار اللغويين بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تقديم محي الدين صابر، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص ٤١، (مادة ألف)، معجم النفائس الوسيط، اعداد جماعة من المختصين، باشراف احمد ابى حاقة، دار النفائس- بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ١٠١، (ماده ألف).
- (٣) ابو زيد: هو سعيد بن اوس بن ثابت الانصاري أحد علماء اللغة الكبار المشهورين له كثير من الكتب في اللغة والادب والقراءات، روى له ابو داود والترمذي، توفي سنة ٢١٥هـ، ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: بيراند رانكة، نشر المعهد الالمانى للابحاث الشرقية، ٢٠٠٩م، ١٥ / ٢٠٠، الترجمة (٢٨٠)، غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، المحقق: برجستراسر، نشرة مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م، ١ / ٣٠٥، الترجمة (١٣٣٩)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، الحافظ جلال الدين (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ١ / ٥٨٢، الترجمة (١٢٢٢).
- (٤) تهذيب اللغة، الأزهري، ٣٧٨ / ١٥، لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، (طبعه مرتبة على اوائل الكلمات)، دار المعارف- القاهرة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ١ / ١٠٨، (مادة ألف).

وتقول: ألفت فلانًا إذا سكنت إليه نفسك وآثرته على غيره^(١).
والإلفُ بكسر الهمزة: اجتماع مع التثام^(٢).
وألفَ المكان اعتاده^(٣)، واستأنس به^(٤)، تقول: فلان قد أَلِفَ بالكسر هذا الموضوع
يَأْلُفُهُ إلفًا، وآلَفَهُ إِيَّاهُ غيرُهُ^(٥).
"والإلف بالكسر الأليف"^(٦).

- (١) ينظر: عطف الإلف المألوف على اللام المعطوف، الديلمي، ابو الحسن علي بن محمد (ت حوالي ٣٨٥هـ)، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف الشافعي وجوزيف توريت بل، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ، ص ٤٤.
- (٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٢٠، (مادة أَلِف).
- (٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ٤ / ١٣٣٢، (مادة أَلِف).
- (٤) ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن البصري (ت ٣٢١هـ)، مطبعة مجلس ادارة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن- الهند، ط ١، ١٣٤٥هـ، ٣ / ٢٧٤، (مادة أَلِف)، معجم النفايس الوسيط، اعداد جماعة من المختصين، ص ٤١، (ماده أَلِف).
- (٥) ينظر: ديوان الادب، الفارابي، أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم (ت ٣٥٠هـ)، المحقق: أحمد مختار عمر، مطابع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة، ط ١، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، الجزء الرابع القسم الاول، ٤ / ٢١٤ - ٢٢١، (الفاء)، الصحاح، الجوهري، ٤ / ١٣٣٢، (فصل أَلِف)، مختار الصحاح، زين الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت بعد ٦٦٦هـ)، ص ٢١، (مادة أَلِف)، لسان العرب، ابن منظور، ١ / ١٠٨، (فصل الهمزة).
- (٦) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني، الحسن بن محمد بن محمد بن الحسن (ت ٦٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية، سلسلة المعاجم رقم ٤١، دار الرشيد، دار الطليعة - بيروت، ١٩٨١م، ص ٣٦٩ (لأن الأجزاء لم ترقم)، الجزء الخاص بحرف (الفاء).

قال الأزهري^(١): "يقال: أَلِيفِي وَأَلِيفِي وَهَمُ أَلِيفِي"^(٢).
ويقال: "حَنَّتِ الْإِلْفُ إِلَى الْإِلْفِ"^(٣)، وهو العشير المُوَانِس^(٤).
وَالْإِلْفَةُ بِكسْرِ الهمزةِ المرأَةُ تَأَلْفُهَا وَتَأَلْفُكَ^(٥).

(١) الأزهري: الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الشافعي، ولد في بهرة وطلب العلم فعني بالفقه ولما ورد بغداد غلب عليه التخصص بالعربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل فوقع في أسر القرامطة، فكان مع هوازن الذين كانوا يتكلمون البدوية ولا يكاد يوجد في منطقتهم لحن فاستفاد منهم كثيراً، له "التهذيب"، "التقريب في التفسير"، "علل القراءات"، "تفسير شواهد غريب الحديث"، (ت ٣٧٠هـ)، ينظر: معجم الادباء، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، طبعة احمد فريد الرفاعي، دار المأمون- مصر، ١٩٣٦م، ١٧ / ١٦٤، الترجمة (٥٥)، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر- لبنان، ١٩٦٨م، ٤ / ٣٣٤، الترجمة (٦٣٩)، الوافي بالوفيات، الصفدي، ٢ / ٤٥، الترجمة (٣١٩)، بغية الوعاة، السيوطي، ١ / ١٩، الترجمة (٢٩).

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري، ١٥ / ٣٨٠، (اللام والفاء)، لسان العرب، ابن منظور، ١ / ١٠٩، (مادة ألف).

(٣) الصحاح، الجوهري، ٤ / ١٣٣٢، (مادة ألف)، ومختاره، زين الدين الرازي، ص ٢١، (أ ل ف)، العباب الزاخر، الصغاني، ص ٣٢، (الفاء).

(٤) ينظر: معجم متن اللغة، الشيخ أحمد رضا (ت ١٣٧٢هـ)، دار مكتبة الحياة- بيروت، (د ط)، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، ١ / ١٩٦، (الألف)، معجم النفايس، اعداد جماعة من المختصين، ص ٤٢، (ماده ألف)، وفيه أنه الصديق المُوَانِس.

(٥) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة، ط ٢، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، ٣ / ١٢٢، (مادة ألف)، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ابو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي محب الدين (ت ١٢٠٥هـ)، المحقق: علي شيري، دار الفكر- بيروت، (د ط)، ١٤١٤هـ، ١٢ / ٨٨، (أ ل ف).

قال الخليل^(١): "والألْفان مصدر أَلْفَت الشيء فأنا أَلَفُهُ، من الأُلْفَة، والأُلْفَة مصدر الائتلاف"^(٢).

وتعني الائتِثام والاجتماع^(٣) والمحبة والايناس^(٤) وهي ضد الفُرْقَة^(٥). وعند بعضهم هي الصداقة والأنس^(٦) وهي مأخوذة من ألفت الشيء الى الشيء إذا جمعت بينهما وألفت الخرز اذا نظمته وألفت الكلام اذا جمعت بين الكلمة والكلمة ووصلت المعنى

(١) الخليل: هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أول مبتكر للمعاجم في العربية، ومستتبط اوزان الشعر اللغوي المشهور كان زاهدًا متقللاً من الدنيا، منقطعاً الى العلم نكياً شاعراً مقللاً، درس على يده سيبويه امام النحو، له من الكتب: "كتاب العين"، "معاني الحروف"، "النقط والشكل"، توفي سنة ١٧٥هـ، ينظر: معجم الادباء، ياقوت الحموي، ١١ / ٧٢، الترجمة (١٧)، وفيات الاعيان، ابن خلكان، ٢ / ٢٤٤، الترجمة (٢٢٠)، الوافي بالوفيات، الصفي، ١٣ / ٣٨٥، الترجمة (٤٨٨)، بغية الوعاة، السيوطي، ١ / ٥٥٧، الترجمة (١١٧٢).

(٢) العين، الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ)، منشورات وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية سلسلة المعاجم والفهارس رقم ٥٦، دار الحرية للطباعة- بغداد، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ٨ / ٣٣٦، (اللام والفاء)، ترتيب كتاب العين، أسعد الطيب، مطبعة باقري- قم، ط ١، ١٤١٤هـ، ١ / ٩٥.

(٣) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٣/١٢٢، (مادة أَلَف)، تاج العروس، الزبيدي، ٢٣٦/٣، (عنكث)، معجم النفايس، اعداد جماعة من المختصين، ص ٤٢، (ماده أَلَف).

(٤) ينظر: معجم متن اللغة، أحمد رضا، ١ / ١٩٦، (مادة أَلَف).

(٥) ينظر: ديوان الادب، الفارابي، ٤ / ١٥٤، (فُعْلَة- ف)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، القاضي نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ)، أشرف على طبعه وتصحيحه القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، عالم الكتب- بيروت، مصوراً على طبعة دار أحياء الكتب العربية- القاهرة، ١٩٥١م، ١ / ٩٦، (فُعْلَة- ف)، وجاءت العبارة فيه بلفظ (وهي نقيض الفرقة).

(٦) ينظر: محيط المحيط، بطرس البستاني (ت ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م)، مكتبة لبنان، (د ط)، ١٩٨٧م، ص ١٤، (مادة أَلَف).

بالمعنى والباب بالباب الذي من جنسه فالألفة على هذا من مقاربة القلب بالقلب واتصال الحب بالقلب^(١).

قال الأصمعي^(٢): "يقال: أَلِفْتُ الشيءَ أَلْفُهُ إلفًا وأنا أَلِفْتُ وألَفْتُه"^(٣).
وقال أبو زيد: "أهل الحجاز يقولون: أَلَفْتُ المَكَانَ والقَوْمَ. وألَفْتُ غَيْرِي أيضًا حَمَلْتُهُ على أن يَأْلَفَ"^(٤).

وألفه إلفًا وإيلافًا ومؤالفة أنسه وعاشره^(٥).
والإلف الله أمانه وقيل منزلة من الله^(٦).

- (١) عطف الالف المألوف على اللام المعطوف، الديلمي، ص ٤١.
- (٢) الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب كان من أهل البصرة وقدم بغداد أيام هارون الرشيد فحظي عنده بمنزلة ومكانة عالية وهو أحد أئمة العلم باللغة والشعر والنحو والانساب والخبار وكان ذا حفظ غزير وذكاء مع لطف، له مصنفات عديدة منها: (خلق الانسان)، (الانواء)، و(غريب الحديث)، و(الاشتقاق) وغير ذلك، توفي سنة ٢١٦هـ، ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، علي بن احمد (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي- بيروت، ١٥٧/١٢، الترجمة (٥٥٢٩)، وفيات الاعيان، ابن خلكان، ١٧٠/٣، الترجمة (٣٧٩)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، ١٧٥/١٠، الترجمة (٣٢)، بغية الوعاة، السيوطي، ١١٢/٢، الترجمة (١٥٧٣).
- (٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ابو الحسين احمد بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، ١/ ١٣١، (مادة ألف).
- (٤) المصدر نفسه، ١/ ١٣١.
- (٥) معجم النفايس، اعداد جماعة من المختصين، ص ٤١، (ماده ألف)، محيط المحيط، البستاني، ص ١٤.
- (٦) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/ ١٠٩، (مادة ألف).

والإيلاف: العَهْدُ وَالذِّمَامُ^(١) وَشِبْهُ الْإِجَارَةِ بِالْحُفَارَةِ^(٢)، لِأَنَّ فِي الْعَهْدِ أَلْفَةً وَاجْتِمَاعَ كَلِمَةٍ^(٣)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ﴾^(٤) الَّذِي سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

وَتَأْلَفُ الْقَوْمَ وَائْتَلَفُوا مِنَ الْإِلْفَةِ^(٥): اجْتَمَعُوا وَتَأْلَفُوا تَأْلَفًا^(٦)، تَجْمَعُوا وَأَنْسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ^(٧) وَتَأْلَفُوا عَلَى الْإِسْلَامِ^(٨)، وَأَلَّفَ (بِالتَّشْدِيدِ) بَيْنَ الْقَوْمِ جَمْعَهُمْ وَأَوْقَعَ بَيْنَهُمُ الْأَلْفَةَ بَعْدَ التَّفْرِيقِ^(٩) فَأَحْلَ الْوِثَامَ مَحَلَّ الْخِصَامِ بَيْنَهُمْ^(١٠)، وَمِنْهُ أَلَّفَ الْكِتَابَ: جَمَعَ مَسَائِلَهُ وَرَتَّبَهَا تَرْتِيبًا^(١١).

(١) ينظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية لعيسى الحلبي - مصر، ط ٢، ١٩٦٩-١٩٧١م، ٥٣/١، (مادة ألف)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، المحقق: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر، ط ١، ١٣٨٣هـ، ٦٠ / ١، العباب الزاخر، الصغاني، ص ٣٠، (حرف الفاء)، لسان العرب، ابن منظور، ١ / ١٠٨، (مادة أَلَّفَ)، القاموس، الفيروزآبادي، ٣ / ١٢٢، (مادة ألف)، تاج العروس، الزبيدي، ١٢ / ٨٩، (أَلَّفَ).

(٢) ينظر: العباب، الصغاني، ص ٢٩، (مادة الف)، القاموس، الفيروزآبادي، ٣ / ١٢٢، تاج العروس، الزبيدي، ١٢ / ٨٩، (أَلَّفَ)، محيط المحيط، البستاني، ١ / ١٤، (مادة الف).

(٣) الفائق، الزمخشري، ١ / ٥٣، (الهمزة مع اللام).

(٤) سورة قريش: الآية الأولى.

(٥) ينظر: ديوان الأدب، الفارابي، ٤ / ٢٣٣ (الفاء).

(٦) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ١٥ / ٣٨١، (اللام والفاء)، العباب، الصغاني، ١ / ٣٧٠، (الف)، لسان العرب، ابن منظور، ١ / ١٠٩، (مادة الألف).

(٧) ينظر: معجم متن اللغة، أحمد رضا، ١ / ١٩٦، (الف).

(٨) ينظر: ديوان الادب، الفارابي، ٤ / ٢٤٠، (الفاء)، العباب، الصغاني، ١ / ٣١، (قرأ).

(٩) ينظر: الجمهرة، ابن دريد، ٣ / ٢٧٤، (مادة ألف)، معجم متن اللغة، أحمد رضا، ١ / ١٩٦، (الف)، معجم النفايس، اعداد جماعة من المختصين، ص ٤١، (ماده أَلَّفَ).

(١٠) ينظر: المعجم العربي الاساسي، ص ١٠١، (مادة أَلَّفَ).

(١١) ينظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٨١، (أَلَّفَ).

وَأَلْفُ الشَّيْءِ تَأْلِيْفًا إِذَا وَصَلَتْ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ^(١)، وَكُلُّ شَيْءٍ صَمَمَتْ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فَقَدْ أَلْفَتْهُ تَأْلِيْفًا^(٢).

وتألف فلاناً: داراه، وقاربه، ووصله حتى يستميلة إليه^(٣) أو تكلف معه الإلف^(٤).
والتألف: المُدَاراةُ وَالْإِيْناسُ^(٥)، ومنه الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ^(٦): المستمالة قلوبهم وهم قوم من سادة العرب وشرافها أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بتألفهم وإعطائهم من الصدقات ليثبتوا على الإسلام أو ليرغبوا هم من وراءهم في الإسلام^(٧) وسيأتي تفصيل القول فيهم.
وأولف الطير تلك التي قد ألفت مكة والحرم^(٨)، وهن مؤلفات لأنها لا تبرح^(٩).

(١) ينظر: اللسان، ابن منظور، ١٠ / ٩، (فصل الهمزة).

(٢) ينظر: العين، الفراهيدي، ٨ / ٣٣٦، (الف)، ترتيب العين، الفراهيدي، ١ / ٩٥.

(٣) ينظر: العباب، الصغاني، ص ٣١، جزء (الفاء)، القاموس، الفيروزآبادي، ٣ / ١٢٣، (الف)، التاج، الزبيدي ١٢ / ٩٢، (ألف).

(٤) ينظر: المغرب في ترتيب المغرب، المطرزي، ابو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي (ت ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، (د ط)، (د ت)، ص ٢٧، (الهمزة مع اللام).

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ١ / ٦٠، (ألف).

(٦) وردت في الآية ٦٠ من سورة التوبة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ١٥ / ٣٨٠، (اللام والفاء)، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ١ / ٦٠، (ألف)، المغرب في ترتيب المغرب، المطرزي، ص ٢٧، (الهمزة مع اللام)، العباب، الصغاني، ص ٣١، جزء (الفاء)، لسان العرب، ابن منظور، ١ / ١٠٨، (فصل الهمزة)، القاموس، الفيروزآبادي، ٣ / ١٢٢، (الف)، تاج العروس، الزبيدي، ١٢ / ٩٠، (ألف).

(٨) ينظر: العين، ٨ / ٣٣٦، (الف)، وترتيبه، ١ / ٩٥، تهذيب اللغة، الأزهرى، ١٥ / ٣٨١، (اللام والفاء)، اللسان، ابن منظور، ٩ / ١٢، (فصل الهمزة)، التاج، الزبيدي، ١٢ / ٩٢، (ألف).

(٩) ينظر: العين، ٨ / ٣٣٦، (اللام والفاء)، وترتيبه، ١ / ٩٥، معجم مقاييس اللغة، ١ / ١٣١، (ألف).

وأولف الحَمَام: دَوَجِنُهَا الَّتِي تَأْلَفُ النُّبُوتَ^(١).
وتأتي (ألفه إيلافاً) بمعنى هيأه وجَهَّزَه، وأن (يتألفون) قد تأتي بمعنى
(يستَجِرون)^(٢).
وآلف الرجل مؤالفة: تَجَرَ^(٣).
"وبرق إلاف بالكسر متتابع اللَمعان"^(٤).
والألف بفتح الهمزة وسكون اللام في العدد معروف وجمعه في القلة آلاف، وفي
الكثرة ألوف.
وأخذوا من الألف العددي قولهم: آلفه يَأْلِفُهُ بالكسر من باب (ضرب) بمعنى
أعطاه ألفاً من المال أو الإبل^(٥).
قال الخليل: "ألف في العدد عشر مئات، والجمع آلاف وَقَدْ آلَفَتِ الإِبِلُ، مَمْدُودَةٌ،
أَي: صَارَتْ أَلْفًا"^(٦).
ومنه يقال: آلَفْتُ القوم إيلافاً أي كَمَلْتُهُم ألفاً وكذلك آلفت الدراهم^(٧).

-
- (١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ٣٨١/١٥، اللسان، ابن منظور، ١ / ١٠٩، التاج، الزبيدي،
١٢ / ٨٨، (ألف).
- (٢) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ٣٧٩/١٥، ٣٨٠، (اللام والفاء)، اللسان، ابن منظور، ١ / ١٠٨،
(فصل الهمزة)، التاج، الزبيدي، ١٢ / ٩٢، (ألف).
- (٣) ينظر: التاج، الزبيدي ١٢ / ٩٢، (ألف).
- (٤) التاج، الزبيدي ١٢ / ٩٣، (ألف).
- (٥) ينظر: التاج، الزبيدي، ٧ / ٢٧٣، (ألف).
- (٦) العين، ٨ / ٣٣٦، (اللام والفاء)، وترتيبه، ١ / ٩٥.
- (٧) ديوان الادب، الفارابي، ٤ / ٢٢٨، (الفاء)، الصحاح، الجوهري، ٤ / ١٣٣٢، (ألف)، مفردات
القرآن، الراغب الاصفهاني، ص ٢١، العباب، الصغاني، ص ٢٩، التاج، الزبيدي، ١٢ / ٨٩،
(ألف).

ومنه: أَلْفٌ مُؤَلَّفَةٌ، أي مُكَمَّلَةٌ^(١).

والأَلِفُ - بفتح الهمزة وبكسر اللام - أول حرف من حروف الهجاء، وقد يسمى أيضًا (الأليف)^(٢)، وقد أخذوا من لفظها قولهم: أَلَّفَ أَلْفًا أي خطها، كما يقال: جِيَمَ جِيَمًا، أي كتبها^(٣).

ويأتي الألفُ بكسر اللام أيضًا يقصدون به عِرْقٌ مُسْتَبِطٌ العَضْدُ إلى الذراعِ، وهما الألفان^(٤) في كل يد منهما واحد، وقد يأتي الألفُ بكسر اللام أيضًا بمعنى الرَّجُلِ العَرَبِ^(٥).

وبهذا يظهر لنا أنَّ مستعملات المادة اللغوية للجر (أ. ل. ف) والمشتقات منها كثيرة، ولكن الذي يهمنا منها في بحثنا مما ذكرناه لفظة (الألُفَّة) بضم الهمزة وسكون اللام.

(١) ديوان الادب، الفارابي، ٢٢٨ / ٤، الصحاح، الجوهري، ١٣٣٢ / ٤، العباب الزاخر، الصغاني، ص ٣١، (حرف الفاء).

(٢) العين، ٣٣٦ / ٨، ترتيبيه، ٩٥ / ١، التهذيب، ٣٨٠ / ١٥، ٦٦٢، اللسان، ابن منظور، ١٠٦ / ١، التاج، الزبيدي، ٨٩ / ١٢، (أَلِفَ).

(٣) العباب، الصغاني، ص ٣١، (حرف الفاء)، محيط المحيط، البستاني، ص ١٤.

(٤) القاموس، الفيروزآبادي، ١٢٢ / ٣، التاج، الزبيدي، ٨٨ / ١٢، (أَلِفَ)، محيط المحيط، البستاني، ص ١٤.

(٥) المصادر السابقة.

الألفة في الاصطلاح:

جاءت للألفة في الاصطلاح تعريفات كثيرة عند العلماء منها:

- ١- تعريف السيد الشريف الجرجاني^(١): بأنها "اتِّقاق الآراء في المعاونة على تَدْبِير المعاش"^(٢)، وقد نقل هذا التعريف عن الجرجاني بلفظه جماعة منهم السيوطي^(٣)،

(١) السيد الشريف الجرجاني: هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي عالم الشرق ويعرف بالسيد الشريف الجرجاني ولد سنة ٧٤٠هـ بجرجان وأخذ في بلاده عن علماء عصره وقدم القاهرة فأخذ عن علمائها، ثم خرج الى بلاد الروم ثم لحق ببلاد العجم فرأس هناك حتى تقرد علماً وخلقاً وتواضعاً مع الفقهاء، وكانت بينه وبين التفتازاني مباحثات في مجلس تيمورلنك، وقد تصدى للاقراء والتصنيف والفتيا، وتخرج به أئمة كبار، وكثرت طلبته واتباعه توفي بشيراز سنة ٨١٦هـ ومن مؤلفاته: (شرح على الهداية)، و(شرح للمواقف) في علم الكلام، و(التعريفات) وغيرها، ينظر: الضوء اللامع، السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ)، طبعة القدسي - القاهرة، ١٣٥٣هـ، ٥/ ٣٢٨، الترجمة (١٠٨٧)، البدر الطالع، الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، السعادة - مصر، ١٣٤٨هـ، ١/ ٤٨٨، الترجمة (٢٣٧)، هدية العارفين، اسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، مطبعة وكالة المعارف - استانبول، ١٩٥١هـ، ١/ ٧٢٨.

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت ٨١٦هـ)، المحقق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية - لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ، ص ٣٤، (باب الألف).

(٣) السيوطي: هو جلال الدين عبدالرحمن بن محمد بن سابق الدين الخضير الشافعي الإمام المشهور ولد سنة ٨٤٩هـ وبعد ولادته بخمس سنوات توفي أبوه فنشأ يتيمًا، فعهد بالوصاية عليه جماعة منهم الكمال بن الهمام شارح الهداية، فلحظه بنظره وعنايته، واخذ السيوطي عنه وعن أئمة العلم آنذاك، ودأب في الطلب، وتقدم وبرع، ورزق التبحر في علوم عديدة فكانت له تأليف كثيرة فائقة، وشغل المناصب العديدة منها الافتاء والقضاء والتدريس ومن مؤلفاته: (الإتقان في علوم القرآن)، و(المزهر في اللغة والأدب)، و(بغية الوعاة)، (الدرر المنثور) وغير ذلك وكلها نافعة، توفي سنة ٩١١هـ، ينظر: ما دونه عن نفسه في حسن المحاضرة، المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ١/ ٣٣٥، بدائع الزهور، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ)، المحقق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ٤/ ٨٣، النور السافر، العيدروسي، محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت ١٠٣٨هـ)، مطبعة الفرات - بغداد، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م، ص ٥٤، الكواكب السائرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ)، المحقق: جبرائيل جبور، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط ٢، ١٩٧٩م، ١/ ٢٢٦، البدر الطالع، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليميني، ١/ ٣٢٨، الترجمة (٢٢٨)، مقدمة تحقيق كتاب (أدب الفتيا)، د. محيي هلال سرحان، مطبعة الوقف السني - بغداد، (د ط)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ١-٦٤، وقد ذكر تعريفه هذا في كتابة التعريفات، ص ٣٤.

والمناوي^(١)، والقاضي عبد النبي بن عبدالرسول الأحمد نكري^(٢)،

(١) المناوي: هو زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي الشافعي ولد عام ٩٥٢هـ ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن قبل بلوغه كما حفظ غيره من المتون وعرض ذلك على مشايخ عصره وكان أكثر اختصاصه بشيخه شمس الدين الرملي، إتجه الى التصوف فأخذ ذلك عن شيخه عبد الوهاب الشعراني، له تأليف عديدة منها: (شرح التحري) في فروع الفقه الشافعي، و(الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) - مطبوع، (الاتحافات السننية في الاحاديث القدسية) - مطبوع، (شرح الجامع الصغير للسيوطي) - مطبوع، (التوقيف على مهمات التعاريف) - مطبوع، توفي سنة ١٠٣١هـ بالقاهرة، ينظر: خلاصة الاثر، المحبي، محمد امين بن فضل الله (ت ١١١١هـ)، دار صادر - بيروت، ١٩٦٦، ٤١٢/٢، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ)، طبعة قاسم الرجب - بغداد، تصويراً على طبعة دار الطباعة الكبرى - بولاق، ١٣٠١هـ، ٨٦ / ٤، وقد ذكر المناوي تعريف (الالفه) في كتابه التوقيف على مهمات التعاريف، المحقق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر - بيروت، ودار الفكر - دمشق، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٨٨.

(٢) القاضي عبدالنبي بن عبد الرسول الاحمد نكري العثماني الاحمد آبادي كان تلميذاً و مريداً لوجيه الدين العلوي الكجراتي توفي بعد سنة ١١٧٣هـ وقيل انه توفي بعد سنة ١١٤٤هـ، له: (حاشية على شرح التهذيب) لليزدي، و(حاشية على الفرائض السراجية)، و(جامع العلوم) (دستور العلماء) - مطبوع، ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر في رجال الهند، الشريف عبدالحي بن فخر الدين الحسيني (ت ١٣٤٧هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ١٧٤ / ٦، الترجمة (٣٢٨)، كتاب الاداب العربية في شبة القارة الهندية، د. زيد أحمد، ترجمه عن الانجليزية عبد المقصود محمد شلقامي، منشورات وزارة الثقافة والفنون - الجمهورية العراقية، دار الحرية - بغداد، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٣٢٠، ٣٨٥، ٤٣٢، تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان، الترجمة العربية، اشراف محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٩٥م، ٢٨٧ / ٩، ورأي القاضي نجده في كتابه: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الملقب بدستور العلماء، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، تصويراً على طبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد، ١٣٢٩هـ، ١ / ١٦٣.

والبركتي^(١).

وعرفها التهانوي^(٢): "بأنها عند السالكين هي من مراتب المحبة، وهي ميلان القلب الى المؤلف"^(٣).

ويقترّب من هذا التعريف قول بعضهم: إنّ الألفة هي "الصدّاقة والأنس والدالة والاجتماع عند السالكين في ميلان القلب الى المؤلف"^(٤).

وجعل الديلمي التآلف والألفة نوعاً من أنواع المحبة في كونها تحت جناح

(١) البركتي: هو السيد محمد عميم الإحسان المجددي البركتي الشهير بالمفتي، أحد كبار فقهاء المذهب الحنفي المعاصرين في الهند ويشغل رئيس الاساتذة بالمدرسة العالية بدكة، له عدة كتب منها: (قواعد الفقه)، (ادب المفتي) وغير ذلك، ينظر: مقدمة كتابه معجم قواعد الفقه المطبوع في باكستان الشرقية ١٤٠٧هـ بقلم ولايت حسين، وينظر تعريفه للألفة في كتابه التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ٣٤.

(٢) التهانوي: هو محمد أعلى بن علي بن محمد حامد التهانوي الفاروقي الحنفي أحد علماء الهند المتأخرين له كتاب: (كشاف اصطلاحات الفنون)- مطبوع، و(أحكام الاراضي)، و(سبق الغايات في نسق الآيات)- مطبوع، وكان إماماً عالمياً بارعاً في العلوم شغل منصب القضاء في قرية تهانة في عهد عالمكير وغيره توفي بعد سنة ١١٥٨هـ وهي سنة فراغه من تصنيفه لكتابه (كشاف اصطلاحات الفنون)، ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبد الحي الحسني، ٦/ ٢٧٨، الترجمة (٥١٨)، دائرة المعارف، المعلم بطرس البستاني، دار المعرفة- بيروت، (د ط)، (د ت)، ٦/ ٢٤٦، تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان، ٩/ ٢٨٧، معجم المطبوعات، يوسف إيلان سركيس، (ت ١٩٣٢م)، نشر مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، مصورة على طبعة سركيس، ١٩٢٨م، ص ٦٤٥.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، نشرة أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ١/ ١٠٦، (مادة الف)، وينظر هذا المعنى عند الديلمي في كتابه: عطف الألف المؤلف، الديلمي، ص ٤٠- ٤١، ٤٤- ٤٥، وطوق الحمامة في الألفة والإلاف، ابن حزم، علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ)، المحقق: حسن كامل الصيرفي، مطبعة الاستقامة- القاهرة، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م، ص ٧، فإنهما وإن لم يصرحا بذلك تصريحاً، فقد جعلها إحدى صور المحبة ودرجاتها.

(٤) محيط المحيط، البستاني، ص ١٤.

المساكنة^(١) ويرد لذي النون المصري^(٢) توضيح للألفة اذ يقول: "أصل المحبة الألفة، وأصل البغض الخلاف، وأصل العشق المعرفة، وأصل الألفة الموافقة، وأصل الموافقة الانبساط الى الألف"، قيل: فما الانبساط الى الألف؟ قال: "اسقاط الوحشة مع وجود الهيبة في مؤانسته"^(٣).

ولأبي سعيد احمد بن محمد بن زياد الأعرابي^(٤) قول في درجات المحبة، فذكر من هذه الدرجات (التألف)^(٥) فشرح معنى (التألف) بقوله:

(١) ينظر: عطف الألف المؤلف، الديلمي، ص ٤٠.

(٢) ذو النون المصري: هو أبو الفيض ذو النون بن ابراهيم المصري من أكابر الصوفية المتقدمين، كان مصرياً نوبياً تروى عنه أعاجيب كثيرة وبعض شطحات، وله في المحبة كلام، ينظر: كشف المحجوب، الهجويري، علي بن عثمان الجلاي (ت ٤٦٥هـ)، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية- القاهرة، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، ١ / ٣١١، صفة الصفوة، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد- الدكن- الهند، ط ٢، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م، ٤ / ٢٨٦، وحلية الاولياء، الاصبهاني، أبو نعيم احمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، ٩ / ٣٣١، الترجمة (٤٥٦)، تتمة الترجمة في: ١٠ / ٣، ٤.

(٣) عطف الألف المؤلف على اللام المعطوف، الديلمي، ص ٦٥.

(٤) الاعرابي: ابو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بصري نزل مكة وتوفي بها سنة ٣٤١هـ صحب الجنيد، واشتغل بالحديث وغيره وله تصانيف ومنها (رسالة في المحبة)، ينظر: حلية الاولياء، أبو نعيم الاصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ)، ١٠ / ٣٧٥، الترجمة (٦٤٧)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ٢، ١٤٠٤هـ، ١٥ / ٤٠٧، الترجمة (٢٢٩)، وهو فيه (شيخ الحرم) الإمام المحدث القدوة الصدوق الحافظ شيخ الإسلام وفي هامش ترجمته مصادر أخرى.

(٥) عطف الألف المؤلف، الديلمي، ص ٤٠.

"ركون النفس تحت جناح المساكنة"^(١).

قال الغزالي^(٢): "إِعْلَمَنَّ الْأُلْفَةَ ثَمَرَةَ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَالتَّفَرُّقَ ثَمَرَةَ سُوءِ الْخُلُقِ، فَحُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ التَّحَابَّ وَالتَّأَلَّفَ وَالتَّوَافُقَ وَسُوءُ الْخُلُقِ يَثْمُرُ التَّبَاغُضَ وَالتَّحَاسِدَ وَالتَّدَابِرَ"^(٣).

(١) اذ جعل الالفه والتألف تاسع مرتبة من أصل عشرين من مراتب المحبة عند الصوفية؛ إذ يقول : (إنَّ لهذه القصة (أي المحبة) درجات ورتبًا و معاني وحدودًا، ولكل درجة منها اسم وعلى كل مقام منها رسم فأولها: التعرف، ثم التأمل، والتعجب، والتولع، والتشرف، والتطلع، والتعلق، والتتبع، والتألف، والود، والحب، والغرام، والصبابة، والاستهتار، والكلف، والعشق، والشجن، والتنميم، والتولُّه، والتهالك)، ينظر: عطف الألف المألوف على اللام المعطوف، الديلمي، ص ٤٠ .

(٢) الغزالي: حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ، وعهد به أبوه الى أحد الرجال الصالحين ثم دخل هو وأخوه أحمد مدرسة واشتغلا بطلب العلم ثم ارتحل الى جرجان ونيسابور مختلفًا الى درس امام الحرمين الجويني، وتقدم بالعلم ثم صار الى مجلس الوزير نظام الملك الذي لمس فيه المقدره وعلو الدرجة وحسن المناظرة فولاه التدريس بمدرسته(النظامية) في بغداد ثم بعد ذلك عزف الغزالي عن الدنيا فانقل الى دمشق وأخذ في تصنيف كتبه المشهورة ومنها (احياء علوم الدين) وغيره، ثم إنَّه بعد أن ملأ الدنيا بعلمه ومجاهدته وزهده عاد الى طوس ولازم بيته مشتغلًا بالتفكير، ثم أعيد الى التدريس في المدرسة النظامية في نيسابور، ثم ترك التدريس بعدها وعاد الى موطنه واتخذ في جواره مدرسة لطلبة العلم وخانقاه (رباطًا) للصوفية حتى مات ٥٠٥هـ، ينظر: وفيات الاعيان، ابن خلكان، ٤ / ٢١٦ الترجمة: (٥٨٨)، سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، ١٩ / ٣٢٢، الترجمة (٢٠٤)، الوافي بالوفيات، للصفدي، حقق هذا الجزء هلموت ريتز، وطبع سنة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ١ / ٢٧٤، الترجمة (١٧٦)، طبقات الشافعية، تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، المحقق: الطناحي والحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي- مصر، ط ١، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، ٦ / ١٩٦، الترجمة (٦٩٤).

(٣) إحياء علوم الدين، الامام الغزالي، دار المنهاج- بيروت، ط ٢، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ١١/٤، كتاب ادب الصحبة والمعاشرة، الغزالي ايضًا (وهو جزء من الاحياء)، المحقق: محمد سعود المعيني، مطبعة العاني- بغداد، ١٩٨٤م، ص ١٤٩.

ومن التعريفات قولهم: إنَّ الألفة: اجْتِمَاع مع التَّام ومحبَّة^(١).
ومنهم من عرفها: بأنَّها "معرفة شخصية بشئ أو عمل تنتهي بالسرعة والسهولة
في التعرف على الشيء والقيام بالعمل"^(٢)، وهو تعريف قاصر لانه غير جامع.
وعرفت أيضًا: بأنَّها "وشيجة بين شَخْصَيْنِ أو أكثر"^(٣) وهو تعريف قاصر أيضًا.
وأعطى بعضهم للألفة ثلاثة تعريفات:
الأول: أنها رابطة بين شَخْصَيْنِ أو أكثر؛ كصلة الصداقة ولحمة القرابة.
والثاني: في علم النَّفس خَاصَّة: تجاذب الظَّواهر النفسية بتداعي الافكار وترابطها.
والثالث: أنَّها انسجام^(٤).

ولما كان تركيب الهمزة مع اللام والفاء أصلًا يدل على انضمام الشيء إلى
الشيء والأشياء الكثيرة مع الألتئام والانسجام والمودة والأنس؛ كما في معانيها
المذكورة عند علماء اللغة، ولم نجد لها في الاستعمال معنى يبتعد عن هذه المعاني
حقيقة أو مجازًا كان يمكن ان نرشح لها تعريفًا لمعناها الاصطلاحي مطولًا بعض
الشيء قد يكون وافيًا بهذه المعاني مجتمعة فنقول وبالله التوفيق:
"الألفة في مصطلح الناس واستعمالاتهم عبارة عن: صلة قوية تجمع بين اثنين أو
أكثر مبنية على التلازم والالتئام المقرونيين بالمودة والأنس والصفاء والاطمئنان
والانسجام والإخلاص".

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص ٢٠، (مادة ألف)، موسوعة نضرة النعيم،
مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبدالله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن عبد
الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة- جدة، ١٤١٨هـ، ٢/٤٩٥.

(٢) معجم علم النفس (انكليزي - فرنسي - عربي) وضع فاخر عاقل، دار العلم للملايين-
بيروت، ط ٢، ١٩٧٧، مادة (K[Familiarity(Fr. Familiarite)]، ص ٤٣.

(٣) معجم النفائس الوسيط، اعداد جماعة من المختصين، ص ٤٢، (مادة ألف).

(٤) ينظر: المعجم العربي الاساسي، ص ١٠١، (مادة ألف).

شرح التعريف:

قولنا: (صلة)، أي: رابطة، أو وشيجة، أو علاقة، حقيقية أو مجازية.
وقولنا: (قوية) إشارة الى تماسك هذه الصلة، وتوثق هذا الارتباط، فهي محكمة العرى
لاتنفصم عراها لخلل مادي او معنوي.

وقولنا: (بين اثنين أو أكثر) في البعد الحقيقي والبعد المعنوي الذي يشمل تعلق القلب
وميل النفس.

وقولنا: (مبنية) أي مؤسسة وقائمة على:

وقولنا: (التلازم) أي: الارتباط والتقارب.

وقولنا: (والإلتئام) أي: الاختلاط والإندماج بمحو كل ما ينقّر عن هذا التقارب من
عوامل التفكك والنفور من بغض أو شك أو وساوس أو مطامع أو أغراض.

وقولنا: (المقرونين) "جَمَعَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ"^(١)، بناءً محكمًا على:

وقولنا: (المودة) أي: المحبة وشدة التعلق.

وقولنا: (والأنس) وهو خلاف الوحشة، بمعنى الميل الى الشيء بمحبة، يقال: "أنس
به واليه انسًا سكن اليه وذهبت وحشته، ولم ينفر منه، فهو اسقاط الوحشة مع وجود
الهيبة في مؤانسته"^(٢).

وقولنا: (والصفاء) أي: انعدام ما يزعزع ذلك التعلق والتواصل.

وقولنا: (والاطمئنان) اي: خلو البال عن المكدرات الحسية والمعنوية.

وقولنا: (الانسجام) أي: التجانس والتناسق والإنتظام والتوافق الخالي من الكدر والشك
والخوف^(٣).

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥ / ٧٦، (قرن).

(٢) عطف الالف المألوف، الديلمي، ص ٦٥.

(٣) أخذ معنى الانسجام من كتاب تكملة المعاجم العربية ألفه بالفرنسية، رينهارت دوزي

(ت ١٨٨٧م)، ترجمة محمد سليم النعيمي، اصدار وزارة الثقافة والفنون في الجمهورية العراقية،

دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٢م، ٦ / ٣٦.

وقولنا: (والإخلاص) أي: "تخليص هذه الصلة وتجريدها من الشوائب ومن سائر ما يكرها وينافرها"^(١).

وبهذا يتوضح لنا الفرق بين المحبة والألفة عند أهل التصوف في أنّ الألفة درجة من درجات المحبة ومرتبعة من مراتبها فبينهما عموم وخصوص مطلق.

(١) ثلاث رسائل في الإخلاص والإحسان والالتزام بالشريعة، عبد المحسن بن حمد العباد، مركز شؤون الدعوة في الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤٠٨هـ، ص ٧.

المطلب الثاني

الألفاظ ذات الصلة بالألفة

هناك ألفاظ كثيرة ذات صلة بموضوع الألفة لا حصر لها يطول استيفؤها، ولكننا في هذا المجال سنكتفي بما هو أقرب صلة بالألفة، وسأعرض مع تعريف بسيط لأربعة ألفاظ لها صلة بالألفة مهما كانت هذه الصلة سواءً أكانت ناشئة عن طريق العموم والخصوص المطلق، أم عن الترادف أم عن المجاز.

أولاً: التَّعَاوُنُ

التَّعَاوُنُ لُغَةً: "التَّظَاهِرُ"^(١).

الآيات التي ورد فيها مفردة (التَّعَاوُنُ):

١- في المَعَاوَنَةِ والمُظَاهِرَةِ قَالَ ﷺ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢)، في الآية أمر للوجوب ونهي للتحريم، يناسبها قوله ﷺ: ﴿فَأَسْتَغْثُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾^(٣)، أي فطلب غوثه ونصره إياه عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ، ولتضمن الفعل معنى النصر عُدِّي بعلَى، ويجوز أن يكون تعديته بعلَى لتضمنه معنى الإعانة^(٤).

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص ٥٩٨.

(٢) سورة المائدة: جزء من الآية ٢.

(٣) سورة القصص: جزء من الآية ١٥.

(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، أبي الفضل شهاب

الدين السيد محمود البغدادي، (ت ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب

العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، ١٠ / ٢٦٣.

٢- من القصص القرآني عن ذي القرنين وخبره مع القوم الذين لجأوا إليه ليحميهم من قوم يأجوج ومأجوج^(١)، قَالَ ﷺ: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾^(٢).

٣- أخبر ﷺ عن عداة قريش لرسول الله ﷺ بعد أن عجزوا عن معارضة القرآن، قَالَ ﷺ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ قَوْمَهُ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾^(٣).

الأحاديث والآثار الواردة في مفردة (التعاون):

- ١- عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ أَوْ طَالِبٌ حَاجَةٌ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُؤَجَّرُوا وَلِيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»^(٤).
- ٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٥).

(١) ينظر: القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية، الزهراء للإعلام العربي- القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤هـ، ص ١٧٨.

(٢) سورة الكهف: الآية ٩٥.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٤.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْأَدَبِ)، (بَابُ تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)، ٨ / ١٢، (٦٠٢٦).

(٥) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د ط)، (د ت)، (كتاب الذِّكْرِ وَالذُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ)، (بَابُ فَضْلِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ)، ٤ / ٢٠٧٤، (٢٦٩٩).

- ٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»^(١).
- ٤- عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبَّادَ بْنَ زَاهِرٍ أَبَا رُؤَاعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: «إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانًا، وَيَتَّبَعُ جَنَائِزَنَا وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُؤَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ»^(٢).
- ٥- عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: «عَلَيْكَ يَا خَوَانَ الصِّدْقِ فَعِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ فَإِنَّهُمْ زَيْنٌ فِي الرَّحَاءِ وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ»^(٣).

ثَانِيًا: الْإِحْسَانُ

الْإِحْسَانُ: "ضِدُّ الْإِسَاءَةِ"^(٤).

فَصَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ الْمِيَادِينَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَتَجَلَى مِنْ خِلَالِهَا عِلَاقَةُ الْإِحْسَانِ بِالْأَلْفَةِ، تَفْصِيْلَاتٍ يَصْعَبُ حَصْرُهَا:

فَالْإِحْسَانُ فَضِيْلَةٌ مُسْتَحَبَّةٌ، كَنْفَعِ النَّاسِ بِالْمَالِ وَالْبَدَنِ وَالْعِلْمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ النَّفْعِ حَتَّى إِنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْحَيَوَانِ وَغَيْرِهِ^(٥).

(١) سنن أبي داود، التَّجْسِئَاتِي، أَبُو دَاوُدَ سَلِيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ بَشِيرِ بْنِ شَدَادِ بْنِ عَمْرٍو الْأَزْدِي (ت ٢٧٥هـ)، الْمُحَقَّقُ: شَعِيْبُ الْأُرْنَؤُوطِ، مَحْمَدٌ كَامِلٌ قَرَهَ بَلَلِي، دَارُ الرِّسَالَةِ الْعَالَمِيَّةِ- بِيْرُوت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، (بَابُ عَطِيَّةٍ مِنْ سَأَلَ بِاللَّهِ ﷻ)، ٣ / ١٠٤، (١٦٧٢)، (صَحْحَهُ الْمُحَقَّقُ).

(٢) مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، ابْنُ حَنْبَلٍ، ١ / ٥٣٢، (٥٠٥)، (حَسَنُهُ الْمُحَقَّقُ).

(٣) الْإِخْوَانُ، ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ سَفِيَّانِ بْنِ قَيْسِ الْبَغْدَادِيِّ الْأُمَوِيِّ الْقُرَشِيِّ (ت ٢٨١هـ)، الْمُحَقَّقُ: مُصْطَفَى عَبْدِ الْقَادِرِ عَطَا، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ- بِيْرُوت، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ص ٨٤.

(٤) تَهْذِيْبُ اللُّغَةِ، الْأَزْهَرِيُّ، ٤ / ١٨٣.

(٥) يَنْظُرُ: تَيْسِيْرُ الْكَرِيْمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيْرِ كَلَامِ الْمَنَانِ، السَّعْدِيُّ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ نَاصِرِ عَبْدِ اللَّهِ (ت ١٣٧٦هـ)، الْمُحَقَّقُ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْلَا الْوَلِيْحِقِ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ- بِيْرُوت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١ / ٤٤٧.

قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

والإحسان يندرج حسب انتمائه البشري إلى:

الإحسان إلى النفس، قَالَ ﷺ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ (٢).

والإحسان إلى الوالدين، قَالَ ﷺ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (٣).

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (٤).

والإحسان إلى النَّاسِ عموماً، قَالَ ﷺ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٥).

ولمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَسَعُ النَّاسَ بِمَالِهِ، أُمِرَ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ بِهِ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ بِالْقَوْلِ، فَيَكُونُ فِي ضَمْنِ ذَلِكَ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ الْقَبِيحِ لِلنَّاسِ حَتَّىٰ لِلْكَفَّارِ (٦)، قَالَ ﷺ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنْ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (٧).

(١) سورة النحل: جزء من الآية ٩٠.

(٢) سورة الإسراء: جزء من الآية ٧.

(٣) سورة الاحقاف: جزء من الآية ١٥.

(٤) سورة النساء: جزء من الآية ٣٦.

(٥) سورة البقرة: جزء من الآية ٨٣.

(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٥٧/١.

(٧) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

وَالْإِحْسَانَ مَطْلُوبٌ فِي جِهَادِ الْكَلِمَةِ، قَالَ ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

وَالْإِحْسَانَ مَطْلُوبٌ عِنْدَ الْعَفْوِ فِي الْخُصُومَاتِ، قَالَ ﷺ: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّئْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (٢).

وَأَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الْإِحْسَانِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْمَسِيءِ، وَلَيْسَ الْإِحْسَانُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، تِلْكَ مُكَافَأَةٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَكِنَّ الْإِحْسَانَ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ (٣). وَالْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ يُسِيءُ يَسْتَجْلِبُ خَاطِرَهُ، فَتَعُودُ عِدَاوَتُهُ صِدَاقَةً وَبُغْضُهُ مَحَبَّةً.

قَالَ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤).

وَقَالَ ﷺ: ﴿أَدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٥).

وَقَالَ ﷺ: ﴿أَدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عِدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٦).

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثُ السَّابِقَةُ لَيْسَ لَهُنَّ رَابِعَةٌ فِي مَعْنَاهَا، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِمُصَانَعَةِ الْعَدُوِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، لِيُرِدَّهُ عَنْهُ طَبْعُهُ الطَّيِّبِ الْأَصْلِ إِلَى الْمُوَادَّةِ

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ١٧٨.

(٣) ينظر: روح المعاني، الألوسي، ٧/ ٤٥٤، تفسير المراغي، المراغي، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ط ١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ١٤/ ١٣٢، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري، الشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ١٥/ ٣٤٥.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٩٦.

(٦) سورة فصلت: جزء من الآية ٣٤.

وَالْمُصَافَاةِ^(١). وهذه الأحوال الثلاثة في مكة، حيث كان النبي ﷺ والمسلمون في ضعف.

وَالإِحْسَانَ مطلوب حين يفلت رباط الأسرة ويحدث الطلاق، قَالَ ﷺ: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾^(٢).

وَالإِحْسَانَ مطلوب في مجادلة المخالفين في العقيدة، قَالَ ﷺ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣).

ثالثاً: الصداقة

تعريف الصديق: الصديق من صدقك موَدَّته ومحَبَّته^(٤).

أباح الله ﷻ لنا أَنْ ندخل ونأكل في بيوتِ الأصدقاءِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾^(٥). ذكر القرآن الحكيم، أَنَّهُ لا إِثم على من يأكل في بيوت هؤلاء عند

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة- مصر، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١/ ١١٠، ٥/ ٤٩٢.

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ١٢٩.

(٣) سورة العنكبوت: جزء من الآية ٤٦.

(٤) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، شهاب الدين (ت ٨١٥هـ)، المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ، ص ٢٤٦.

(٥) سورة النور: جزء من الآية ٦١.

الاحتياج، ورفُع الحرج يُشير إلى أن الصديق له الحق، وقد يقال: إن ذلك لم يكن مقتصرًا على القرابة، بل ذكر الصديق كذلك، ولكن الأخذ كان للقرابة ابتداءً، فإن لم تكن له قرابة، كانت المودة التي توجبها الصداقة مبررًا للأكل، ولذلك كانت المؤاخاة. وفي ذلك إرشاد خلقي اجتماعي حكيم لواجبات الأصدقاء نحو أصدقائهم^(١).

يحكى عن الحسن البصري^(٢): أَنَّهُ دَخَلَ دَارَهُ وَإِذَا حَلْفَةٌ مِنْ أَصْدِقَائِهِ وَقَدْ أَخْرَجُوا سِلَاحًا مِنْ تَحْتِ سَرِيرِهِ فِيهَا الْخَبِيصُ^(٣) وَأَطَايِبُ الْأَطْعِمَةِ وَهُمْ مُكْبُونٌ عَلَيْهَا يَأْكُلُونَ، فَتَهَلَّلَتْ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ سُرُورًا وَضَحِكَ وَقَالَ: هَكَذَا وَجَدْنَاهُمْ يُرِيدُ كِبْرَاءَ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ لَقِيَهُمْ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَكَانَ الرَّجُلُ يَدْخُلُ بَيْتَ صَدِيقِهِ وَهُوَ غَائِبٌ فَيَأْخُذُ مِنْ كَيْسِهِ فَيُعْتَقُ جَارِيَتَهُ الَّتِي مَكَّنْتُهُ سُورًا بِذَلِكَ. وَعَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ يَرْحَمُهُ اللَّهُ: مَنْ عَظِمَ حُرْمَةُ الصَّدِيقِ أَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَنْسِ وَالثِّقَةِ وَالْإِنْبِسَاطِ وَتَرَكَ الْحِشْمَةَ بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ وَالْأَبِ وَالْإِبْنِ وَالْأَخِ^(٤).

ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ بَيُوتَ الْأَقَارِبِ جَمِيعًا وَلَمْ يَذْكَرْ بَيُوتَ الْأَوْلَادِ، وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ إِنَّ مَالَ الْوَلَدِ مَالُ الْأَبِ، وَبَيْتُهُ بَيْتُهُ كَمَا وَرَدَ عَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي اجْتَاخَ مَالِي فَقَالَ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ» وَقَالَ

(١) ينظر: المعجزة الكبرى للقرآن، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص ٣٢٨.

(٢) الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري الفقيه القاريء العابد المشهور، مات في سنة عشر ومائة، وهو مولى أم سلمة، يكنى: أبا سعيد، وكان مولده لسنتين خلنا من خلافة عمر ﷺ، فعمره ست وتسعون سنة. ينظر: معجم الأدباء، الحموي، ١٠٢٣ / ٣، الترجمة (٣٥٩).

(٣) الخبيص: الخلوة المخبوطة، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٦٥ / ٥، مقلوبة (ص خ ب).

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر جار الله الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د ط)، (د ت)، ٢٥٧ / ٣.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ، فَكُلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ»^(١). فلم يذكر اكتفاءً بذكر ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ فما يملكه الولد كأنه ملك للأب، لقوة حق القرابة^(٢).

ومعنى قوله ﷺ: ﴿مِنْ يُؤْتِكُمْ﴾ أي من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم. والولد أقرب من عدد من القرابات، فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة، كان الذي هو أقرب منهم أولى^(٣).

والصديق أوكد من القرابة ألا ترى استعانة الجهنميين، في قوله ﷺ: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾^(٤)، وَلَمْ يَسْتَعِينُوا بِالْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ^(٥). وَلَفْظُهُ الشَّفِيعِ تَقْتَضِي رِفْعَةَ مَكَانَةٍ عِنْدَ الْمَشْفُوعِ عِنْدَهُ، وَلَفْظُهُ الصَّدِيقِ تَقْتَضِي شِدَّةَ مُسَاهَمَةٍ وَنُضْرَةٍ، وَهُوَ فَعِيلٌ مِنْ صَدَقَ الْوَدَّ مِنْ أُبْنِيَةِ الْمُبَالِغَةِ^(٦).

والحميم من الاحتمام، وهو الاهتمام، وهو الذي يهمله ما يهملك. أو من الحامة بمعنى الخاصة، وهو الصديق الخاص. فإن قلت: لم جمع الشافع ووجد الصديق؟ قلت: لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق، ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق

(١) سنن بن ماجه، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الأحاديث مذيبة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر - بيروت، (د ط)، (د ت) (باب ما لِلرَّجُلِ مِنْ مَالٍ وَوَلَدِهِ)، ٧٦٩ / ٢، (٢٢٩١)، (صححه المحقق).

(٢) ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، ط ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ٢ / ٢٢٤، ٢٢٥.

(٣) ينظر: الكشف، الزمخشري، ٢٦١ / ٣.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٠٠، ١٠١.

(٥) ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٣ / ٤٢٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، (ت ٥٤٦هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، (د ط)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ٤ / ١٩٦.

(٦) ينظر: البحر المحيط، ابن حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٨ / ١٧٠.

ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته، رحمة له وحسبة، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة، وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمله ما أهمك^(١).

رابعاً: العفو والصفح

العُفُو: تَرَكُكَ إِنْسَانًا اسْتَوْجَبَ عُقُوبَةً فَعَفَوْتَ عَنْهُ^(٢).

الصَّفْحُ: هُوَ تَرَكُ التَّثْرِيبِ، وَهُوَ أْبْلَغُ مِنَ الْعَفْوِ، وَقَدْ يَعْفُو الْإِنْسَانُ وَلَا يَصْفَحُ^(٣).

رَغِبَتِ الْآيَاتُ الْوَارِدَةُ فِي الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ فِي حَالَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ:

أولاً: مع أهل الكتاب، قَالَ ﷺ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

ثانياً: نَدَبَ^(٥) ﷺ إِلَى الْعَفْوِ وَالصَّدَقَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّئْ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بِكَ فَلَهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٦).

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾^(٧).

(١) الكشاف، الزمخشري، ٣/ ٣٢٢، ٣٢٣.

(٢) العين، الفراهيدي، ٢/ ٢٥٨، (باب العين والفاء).

(٣) الكلبيات، الكفوي، ص ٥٦٢، (فصل الصاد).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٥) ندبه: دَعَاهُ لِأَمْرٍ، يَنْظُرُ: دِيْوَانُ الْأَدْبِ، الْفَارَابِيُّ، ٢/ ٣٩٦، (باب الافتعال).

(٦) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

(٧) سورة المائدة: جزء من الآية ٤٥.

ثالثاً: وصورة ترقيق العاطفة عند النزاع في الطلاق، قَالَ ﷺ: ﴿وَأَنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (١).

رابعاً: كظم الغيظ مرتبة عالية، والأعلى العفو مع القدرة، وتلك درجة الإحسان، قَالَ ﷺ: ﴿وَأَلْكَأِظْمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

خامساً: أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يعفو عن الصحابة، ويستغفر لهم بقوله: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٣).

سادساً: أباح ﷻ للمظلوم المطالبه برفع المظلومية، ثم حثه على العفو بقوله: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا * إِنْ تُبَدُّوْا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوْهُ أَوْ تَعْفُوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (٤).

سابعاً: رغم كل الأوصاف السيئة عند اليهود، أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالعفو، قَالَ ﷺ: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٣٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) سورة النساء: الآية ١٤٨، ١٤٩.

(٥) سورة المائدة: الآية ١٣.

ثامناً: قَالَ ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١). عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: "أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ" (٢).

تاسعاً: أمر الله ﷺ أن يمزجوا دعوة العباد بالأمور الاعتقادية مع العفو والصفح، بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (٣).

عاشراً: قَالَ ﷺ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ (٤). قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ: وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقَرِهِ: "وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ" (٥).

أحد عشر: إذا انتصر المظلوم لنفسه فانتصاره مباح، وعفوه أفضل، قَالَ ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦).

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ)، (بَابُ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ﴿ الْعُرْفُ الْمَعْرُوفُ ﴾، ٦ / ٦٠، (٤٦٤٣).

(٣) سورة الحجر: الآية ٨٥.

(٤) سورة النور: جزء من الآية ٢٢.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ)، (بَابُ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا) ﴿ إِلَى قَوْلِهِ ﴾ ﴿ الْكَذِبُونَ ﴾، ٦ / ١٠١، (٤٧٥٠).

(٦) سورة الشورى: الآيتان ٣٩، ٤٠.

اثنا عشر: والمدارة مطلوبة إذا كان أمل في المآلات^(١)، قَالَ ﷺ: ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْمُونَ﴾^(٢).

ثلاثة عشر: "كُرر العفو والصفح والمغفرة والجميع بمعنى واحد؛ للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده، والزوج عن زوجته"^(٣). قَالَ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

أما الألفاظ الباقية فسأدرج بعضها باختصار شديد:

أولاً: إصلاح ذات البين

تعريف إصلاح ذات البين: إصلاح الأحوال بينكم حتى يكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق وترك الأثرة والتفرق^(٥).

"وَفِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ صِلَاحُ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ"^(٦). قَالَ ﷺ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

(١) بيان المعاني، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقى - دمشق، ط ١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥ م، ٤ / ٣٦٤.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٩.

(٣) ترجيحات الزركشي في علوم القرآن، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم القرآن وعلومه، إعداد: غانم بن عبد الله بن سليمان الغانم، إشراف الدكتور: بدر بن ناصر البدر، ١٤٢٨ - ١٤٢٩هـ، ص ٤٩٩.

(٤) سورة التغابن: الآية ١٤.

(٥) ينظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الكجراتي، ٢ / ٢٥٢، (ذات)، تفسير آيات الأحكام، السائيس، محمد علي، المكتبة العصرية - القاهرة، (د ط)، ٢٠٠٢م. تفسير آيات الأحكام، السائيس، ص ٤٣٠.

(٦) أحكام القرآن، الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ، ٥ / ٢٩٠.

وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴿١﴾.

يُنَاسِبُهَا قَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَإِنْ طَافَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقِيَّ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢)، وَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (٣).

ثانِيًا: الشورى

الشورى لغة: المشورة، شاورته في الأمر واستشرتُهُ: إذا استعنت به في التدبير (٤).

اصطلاحًا: يستشيرون الأمتاء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فأذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره، اقتداءً بالنبي ﷺ (٥). وقيل: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض (٦).

(١) سورة الأنفال: جزء من الآية ١.

(٢) سورة الحجرات: الآيتان ٩، ١٠.

(٣) سورة النساء: جزء من الآية ٣٥.

(٤) ينظر: النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب، ابن بطال، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي (ت ٦٣٣هـ)، المحقق: د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، المكتبة التجارية - مكة المكرمة، ١٩٨٨م، ٢/ ٩٦.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة)، (باب قول الله ﷻ ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾)، ١١٢/ ٩، (٧٣٦٨).

(٦) المفردات في غريب القرآن، الأصبهاني، ص ٤٧٠. وقد وردت اللفظة فيه (استخراج) كذا ولعلها (استمراج).

وَالشُّورَى أُلْفَةً لِلْجَمَاعَةِ، وَمِسْبَارٌ لِلْعُقُولِ، وَسَبَبٌ إِلَى الصَّوَابِ، وَمَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا^(١).

وردت آيتان تبين الشورى بين المسلمين في مجالات كثيرة:

١- قال ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢). قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، لأن فيها تاصيلاً للأواصر والألفة والمودة والرحمة والتعاون التي لا تتفصل عراها بين الحاكم والمحكوم.

٢- قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٣). والمعنى: لثريهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم وإن كنت عنهم غنياً، تؤلفهم بذلك على دينهم، وقال آخرون: بل أمره بذلك، وإن كان له الرأي وأصوب الأمور في التدبير، لما علم في المشورة ﷺ نكره من الفضل^(٤).

قال الحسن البصري: إن كان النبي ﷺ لغنياً عن مشاورتهم ولكنه أراد أن يستن بذلك الحكم بعده إذا نزل بالحاكم الأمر يحتمل وجوهاً، أو مشكل انبغى له أن يشاور ولا ينبغي له أن يشاور جاهلاً لأنه لا معنى لمشاورته ولا عالماً غير أمين فإنه ربما أضل من يشاوره ولكنه يشاور من جمع العلم، والأمانة^(٥).

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، ٩١ / ٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) سورة الشورى: الآية ٣٨.

(٤) ينظر: جامع البيان، عن تأويل آي القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر -

مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٦ / ١٨٩.

(٥) الأم، محمد بن إدريس الشافعي، المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء المنصورة،

ط ١، ٢٠٠١م، ٨ / ٢١٢.



والشورى أعطف للقلوب، وأذهب للضغائن، وكان العرب في الجاهلية إذا أراد سيدهم أن يقطع أمرًا دونهم ولم يشاورهم شق ذلك عليهم^(١).

ثالثًا: المصاحبة

تعريف الصاحب: الملازم للشيء الذي لا ينفك عنه^(٢).
بعض آيات المصاحبة:

أولًا: قد تكون الصحبة بالمكان، قال ﷺ يوصي بالجار: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾^(٣).

ثانيًا: وقد تكون الصحبة مع اتفاق العقيدة، قال ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا
تَخْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٤).

ثالثًا: وقد تكون الصحبة مع القوم مع اختلاف العقيدة، قال ﷺ عن خاتم النبيين
يخاطب أهل مكة: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾^(٥).

وقال ﷺ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجُنُونٍ﴾^(٦).

رابعًا: وقد تكون الصحبة في الطريق مثل العبد الصالح مع موسى ﷺ، قال ﷺ:
﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾^(٧).

(١) ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، ١ / ٢٠٠.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٢ / ٤١٦، الكليات، الكفوي، ١ / ٥٥٧.

(٣) سورة النساء: جزء من الآية ٣٦.

(٤) سورة التوبة: جزء من الآية ٤٠.

(٥) سورة النجم: الآية ٢.

(٦) سورة التكويد: الآية ٢٢.

(٧) سورة الكهف: جزء من الآية ٧٦.

خامسًا: وقد تكون الصحبة للمحاورة بين المسلم والكافر، قال ﷺ: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (١).

وقال ﷺ: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾ (٢).

سادسًا: وقد تكون الصحبة المؤقتة بين نبي وكافر مثل يوسف ﷺ مع صاحبيه في السجن، قال ﷺ: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣).

سابعًا: وقد تكون الصحبة مع الوالدين طوال حياتهما قال ﷺ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (٤).
ثامنًا: والصاحبة الزوجة، قال ﷺ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (٥).

وقال ﷺ: ﴿يُبْصِرُونَ نَهْمَ يَوْمِ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ (٦).

تاسعًا: وقد تكون الصحبة للشر قال ﷺ: ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ (٧).

(١) سورة الكهف: جزء من الآية ٣٤.

(٢) سورة الكهف: جزء من الآية ٣٧.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣٩.

(٤) سورة لقمان: جزء من الآية ١٥.

(٥) سورة عبس: الآيات ٣٤ - ٣٦.

(٦) سورة المعارج: الآيتان ١١، ١٢.

(٧) سورة القمر: الآية ٢٩.

رابعًا: الإيثَار

الإِيثَارُ: تفضيل الآخر على النفس، وهو النهاية في الأخوة^(١).

ورد لفظ الإيثار بالمدح: قَالَ ﷺ واصفًا موقف الأنصار في نصرته الدين وإيثار المهاجرين على أنفسهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

وجاء الإيثار بالذم، والوعيد لمن يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ

* وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٣).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: "بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَىٰ أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَعَلَىٰ أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً"^(٤). "وَعَلَىٰ أَثَرَةٍ عَلَيْنَا" اسم من أثره، أي: فضله، أي: وعلى أن نُؤثره على أنفسنا^(٥).

خامسًا: النُّصْرَة

النُّصْرَة: حُسْنُ الْمَعُونَةِ^(٦).

أثنى الله ﷻ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لِنُصْرَتِهِمْ لِدِينِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ

(١) ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص ٢٣٦، (باب الميم).

(٢) سورة الحشر: الآية ٩.

(٣) سورة النازعات: الآيات ٣٧ - ٣٩.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الْإِمَارَةِ)، (بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأَمْرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ)، ٣ / ١٤٧٠، (١٧٠٩).

(٥) شرح مصابيح السنة، البغوي، ٤ / ٢٤٢.

(٦) كتاب العين، الفراهيدي، ٧ / ١٠٨، (باب الصاد والراء والنون).

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴿١﴾.

وقال ﷺ مُذَكِّرًا الْمُهَاجِرِينَ بِنُصْرَةِ الْأَنْصَارِ لَهُمْ: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ ﴿١﴾. يَعْنِي ضَمَّكُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿٣﴾.

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: "سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ﷺ عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ﴿٤﴾ (٥).

سادسًا: التعارف

تعارفوا: "عَرَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا" ﴿٦﴾.

خَلَقَ اللَّهُ ﷻ النَّاسَ لِلتَّعَارُفِ، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَدَّرُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٧﴾.

وقال ﷻ مُفَصَّلًا مَوْفِقًا مِنْ مَوَاقِفِ يَوْمِ الْمَحْشَرِ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا

(١) سورة الأنفال: جزء من الآية ٧٢.

(٢) سورة الأنفال: جزء من الآية ٢٦.

(٣) ينظر: التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة القيرواني (ت ٢٠٠هـ)، المحقق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع - تونس، ١٩٧٩م، ص ٣٣١.

(٤) سورة غافر: جزء من الآية ٢٨.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ)، (بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَوْ كُنْتُ مُنْخِذًا خَلِيلًا قَالَهُ أَبُو سَعِيدٍ)، ١٠ / ٥، (٣٦٧٨).

(٦) تاج العروس، الزبيدي، ١٢ / ٣٨٢، (عرف).

(٧) سورة الحجرات: الآية ١٣.

سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴿١﴾. أي: يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهَذَا أَشَدُّ التَّوْبِيخِ (٢).
 وَقَالَ ﷺ ذَمًّا لِلْمُشْرِكِينَ بِطَرِيقَةِ الْإِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ: ﴿أَمَرَ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ
 مُنْكَرُونَ﴾ (٣).

سابعًا: الولاية

الوَلايَةُ: النُّصْرَةُ لِمَحَبَةِ الْمُنْصُورِ وَالسَّمْعَةُ (٤).
الْوَلِيُّ: النَّاصِرُ سَوَاءً فِي دِينِ الْإِسْلَامِ وَدِينِ الْكُفْرِ (٥).
 قَالَ ﷺ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
 سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦). المعنى فيه أن بعضهم يوالي بعضًا ولا يبرأ
 بعضهم من بعض كما يبرؤون ممن خالفهم وشاقهم، ولكنهم يد واحدة في النصرة
 والموالاتة، فهم أهل كلمة واحدة لا يفترون (٧).

(١) سورة يونس: جزء من الآية ٤٥.

(٢) معاني القرآن، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني،
 جامعة أم القرى - مكة المكرمة، (د ط)، ١٤٠٩هـ، ٣ / ٢٩٧.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٦٩.

(٤) ينظر: معجم الفروق اللغوية، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن
 يحيى بن مهران (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي
 - قم، ط ١، ١٤١٢هـ، ص ١٩٠، (الفرق بين الحاكم والمحكوم).

(٥) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن، القيرواني، ص ٢٣٨.

(٦) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٧) التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ، الْوَاحِدِيُّ، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ النَّيْسَابُورِيِّ الشَّافِعِيِّ (ت
 ٤٦٨هـ)، المحقق: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود - السعودية، ط ١،
 ١٤٣٠هـ، ١٠ / ٥٤٨.

قَطَعَ اللَّهُ الْوِلَايَةَ بَيْنَ مَنْ هَاجَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يُهَاجِرْ، كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ (١) (٢).

أوصى ﷺ عند تقسيم الميراث بالعطاء للموالي بقوله: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأُوهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنِّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (٣).

أما المولى: فهو حليف القوم فيجب أن يُعطى نصيبه مِنَ النَّصْرِ وَالْمَشُورَةِ وَالْعَقْلِ، ولا ميراث له (٤).

(١) سورة الأنفال: جزء من الآية ٧٢.

(٢) شرح السنة، البغوي، أبو محمد الحسين مسعود محمد الفراء الشافعي (ت ٥١٠هـ)، المحققان:

شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ -

١٩٨٣م، ١٠ / ٣٧٢.

(٣) سورة النساء: الآية ٣٣.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن

المنذر التميمي الحنظلي (ت ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى

الباز - السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ، ٣ / ٩٣٨، أحكام القرآن، الجهضمي، القاضي أبو إسحاق

إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي (ت

٢٨٢هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، دار ابن حزم - بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م،

ص ١٠٢.

المطلب الثالث

الألفاظ المضادة للألفاظ في القرآن الكريم

تَقْبِيحُ ضِدِّ الشَّيْءِ يُؤَكِّدُ حُسْنَ الشَّيْءِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ أَبُو الطَّيِّبِ المَتَّبِي (١) فِي البَحْرِ [الكامل]:

وَنَذِيمُهُمْ^(٢) وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَتَبَّيْنُ الْأَشْيَاءُ^(٣).

والألفاظ المضادة كثيرة جدًا بحيث يدخل تحتها كثير من الأعمال والأقوال، ولذلك سأقتصر على بعضها:

(١) المتتبي: هو أَبُو الطَّيِّبِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ الجَعْفِيِّ الشَّاعِرِ المَعْرُوفِ بِالمَتَّبِي، وُلِدَ بِالكُوفَةِ سَنَةَ ٣٠٣ هـ وَنَشَأَ بِهَا ثُمَّ انْتَقَلَ بِهِ ابُوهُ إِلَى الشَّامِ التَّحْقُقَ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الحَمْدَانِي ثُمَّ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِفَارِسَ وَفِي رَجُوعِهِ قَاصِدًا إِلَى بَغْدَادَ عَرَضَ لَهُ فَاتِكُ بْنُ أَبِي الجَهْلِ الأَسَدِيِّ فَقَتَلَهُ وَابْنَهُ بِالقَرَبِ مِنَ النِّعْمَانِيَةِ سَنَةَ: ٣٥٤ هـ، وَكَانَ شَجَاعًا عَارِفًا بِأَخْلَاقِ المُلُوكِ حَكِيمًا بَلَغَ الذَّرْوَةَ فِي النِّظْمِ، وَلَهُ (دِيوانُ المَتَّبِي) وَعَلَيْهِ شُرُوحٌ، يَنْظُرُ: تَارِيخُ بَغْدَادِ، الخَطِيبِ البِغْدَادِيِّ، ٥ / ١٦٤، التَّرْجَمَةُ (٢٠٢٧)، وَفِيَاتُ الأَعْيَانِ، ابْنِ خُلْكَانَ، ١ / ١٢٠، التَّرْجَمَةُ (٥٠)، سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، الذَّهَبِيُّ، ١٦ / ١٩٩، التَّرْجَمَةُ (١٣٩).

(٢) وَفِي رِوَايَةٍ (وَنَذِيمُهُمْ)، يَنْظُرُ: شَرْحُ نَهْجِ البَلَاغَةِ، ابْنِ أَبِي الحَدِيدِ، عَبْدِ الحَمِيدِ بْنِ هُبَيْةِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الحُسَيْنِ أَبُو حَامِدِ عَزَّ الدِّينِ (ت ٦٥٦ هـ)، المَحْقُقُ: مُحَمَّدُ أَبُو الفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ، مُؤَسَّسَةُ إِسْمَاعِيلِيَّانَ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ- إِيْرَانِ، (د ت)، ٩ / ١٢٧، الوَسَاطَةُ بَيْنَ المَتَّبِي وَخِصُومِهِ، الجَرْجَانِي، أَبُو الحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ القَاضِي (ت ٣٩٢ هـ)، المَحْقُقُ: مُحَمَّدُ أَبُو الفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ، عَلِيِّ مُحَمَّدِ البِجَاوِيِّ، مَطْبَعَةُ عَيْسَى البَابِي الحَلَبِيِّ وَشُرَكَاهُ - القَاهِرَةُ، ١٣٨٦ هـ-١٩٦٦ م، ١ / ٢٧٨.

(٣) يَنْظُرُ: أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ، ابْنِ الشَّجَرِيِّ، ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو السَّعَادَاتِ هُبَيْةِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ (ت ٥٤٢ هـ)، المَحْقُقُ: الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ الطَّنَاحِي، مَكْتَبَةُ الخَانِجِي- القَاهِرَةُ، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م، ٣ / ٢٦٦، مَفَاتِحُ الغَيْبِ، الرَّاظِي، ٤ / ١٧٤، شَرْحُ دِيوانِ المَتَّبِي، العَكْبَرِيِّ، أَبُو البَقَاءِ (ت ٦١٦ هـ)، المَحْقُقُ: مُصْطَفَى السَّقَاءِ، إِبْرَاهِيمَ الأَبْيَارِيِّ، عَبْدِ الحَفِيزِ شَلْبِيِّ، دَارُ المَعْرِفَةِ - بِيْرُوتَ، (د ط)، (د ت)، ١ / ٨١، لِسَانُ العَرَبِ، ابْنِ مَنظُورَ، ٢١٨١، (فصل الشين).

أولاً: التفرق

التَّفَرُّقُ: ضِدُّ التَّجْمَعِ، وَأَضْلُهُ: تَبَاعُدُ الدَّوَاتِ، أَيِ اتِّسَاعِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهَا وَيُسْتَعَارُ كَثِيرًا لِقُوَّةِ الْإِخْتِلَافِ فِي الْأَحْوَالِ وَالْأَرَءِ (١).

بعض الآيات التي جاءت في ذم التفرق:

- قَالَ ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).
- أَرَادُوا أَنْ يُفَرِّقُوا شَمْلَهُمْ فِي الطَّاعَةِ، وَيَنْفَرِدُوا عَنْهُمْ لِلْكَفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْمَقْصِدَ الْأَكْثَرَ وَالْغَرَضَ الْأَظْهَرَ مِنْ وَضْعِ الْجَمَاعَةِ تَأْلِيفُ الْقُلُوبِ (٣).
- وَقَالَ ﷺ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ﴾ (٤).
- وَقَالَ ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٥).
- وَقَالَ ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (٦).
- وَقَالَ ﷺ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٧).
- وَقَالَ ﷺ: ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ (٨).

(١) التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن

عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية- تونس،

(د ط)، ١٩٨٤هـ، ٥٣ / ٢٥.

(٢) سورة التوبة: جزء من الآية ١٠٧.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي، ٥٨٢ / ٢.

(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ١٠٢.

(٥) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٣.

(٦) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٥.

(٧) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٥٣.

(٨) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٥٩، سورة الروم: جزء من الآية ٣٢.

وَقَالَ ﷺ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(١).

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا﴾^(٢).

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾^(٣).

ثَانِيًا: الشِّقَاقُ

الشِّقَاقُ: "وَهُوَ الْخِلَافُ، وَذَلِكَ إِذَا انْصَدَعَتِ الْجَمَاعَةُ وَتَفَرَّقَتْ"^(٤).

وردت مفردة الشِّقَاقِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سِيَاقِ الذَّمِّ فَقَطْ.

قَالَ ﷺ: تحريضًا لأهل الكتاب للإيمان بالرسالة الخاتمة والخلاص من الشِّقَاقِ:

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾^(٥).

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(٦).

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ

أَهْلِهَا﴾^(٧).

وَقَالَ ﷺ فِي بَيَانِ عِلَّةِ ضَرْبِ الْأَعْنَاقِ وَالْجَلَاءِ^(٨): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَمَنْ

يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٩).

(١) سورة الشورى: جزء من الآية ١٣.

(٢) سورة الشورى: جزء من الآية ١٤.

(٣) سورة البينة: الآية ٤.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢ / ١٧١، (شق).

(٥) سورة البقرة: جزء من الآية ١٣٧.

(٦) سورة البقرة: جزء من الآية ١٧٦.

(٧) سورة النساء: الآية ٣٥.

(٨) ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ٢ / ٤٤٨.

(٩) سورة الأنفال: جزء من الآية ١٣، سورة الحشر: جزء من الآية ٤.

وَقَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ﴾ (١).

وَقَالَ ﷺ عَلَى لِسَانِ شُعَيْبٍ ﷺ فِي أَنْ عِلَّةَ الْإِصَابَةِ بِالْعَذَابِ هُوَ الشَّقَاقُ: ﴿وَيَقْوَمَ لَا

يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ (٢).

وَقَالَ ﷺ فِي الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٣).

وَقَالَ ﷺ فِي الْمُسْتَكْبِرِينَ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ (٤).

وَقَالَ ﷺ مَخُوفًا مَنْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ

بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٥).

وَقَالَ ﷺ مَخُوفًا مَشَاقَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٦).

ثالثاً: الغيبة والنميمة

الغيبة: ليست من المفاهيم التي لها عند عرف العرب، وإنما هي من المجعولات

الشرعية (٧). ودليلها أن معناها شرعي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ:

(١) سورة محمد: جزء من الآية ٣٢.

(٢) سورة هود: جزء من الآية ٨٩.

(٣) سورة الحج: جزء من الآية ٥٣.

(٤) سورة ص: الآية ٢.

(٥) سورة فصلت: الآية ٥٢.

(٦) سورة النساء: الآية ١١٥.

(٧) ينظر: المكاسب المحرمة، الشيخ محمد علي الأراكي، (ت ١٤١٥هـ)، مؤسسة في طريق

الحق - قم، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ١٩٣.

أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَحَى مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(١).

جَاءَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ تُبَيِّنُ مَسَاوِيَّ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَتُحَدِّرُ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بِسُّ الْأَسْمَاءِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿٢﴾ أَي لَا تَطْعَنُوا عَلَى أَحَدٍ بِسُوءِ الظَّنِّ مِنْ غَيْرِ حَقِيقَةٍ^(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٤).

عَدَّدَ اللَّهُ ﷻ صِفَاتِ أَكْبَارِ الْمُجْرِمِينَ مِنْهَا: ﴿هُمَا زِمَّ شَاءَ بِنَمِيمٍ﴾^(٥). والنميمة:

"الَّذِي يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ، وَيُحَرِّشُ بَيْنَهُمْ وَيَنْقُلُ الْحَدِيثَ لِفَسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ"^(٦).

(١) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب النِّبْرِ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ)، (باب تَحْرِيمِ الْغِيْبَةِ)، ٤ / ٢٠٠١، (٢٥٨٩).

(٢) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٣) تفسير التُّسْتَرِيِّ، أَبُو مُحَمَّدٍ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ بْنِ رَفِيعٍ (ت ٢٨٣هـ)، المحقق: مُحَمَّدٌ بِاسْمِ عِيُونِ السُّودِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ - بِيْرُوتِ، ط ١، ١٤٢٣هـ، ١ / ١٤٩.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْأَدَبِ)، (باب مَا يُنْهَى عَنِ النَّحَاسِدِ وَالتَّدَابُرِ)، ٨ / ١٩، (٦٠٦٤).

(٥) سورة القلم: الآية ١١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨ / ١٩١.

قال الكلبي^(١) في قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾^(٢).
يعني: "بالنميمة والغيبة يكن له كفل منها يعني إثم منها"^(٣).

رابعاً: الخصومة واللد

الخصومة: جدالٌ بالباطل يتكلم بالحكمة، ويعمل بالخطيئة^(٤).
اللد: الشديد الخصومة^(٥).

جاءت لفظة الخصومة في مدح المجاهدين وذم المشركين يوم بدر^(٦)، في
قوله ﷺ: ﴿هَذَا خِصْمَانِ احْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(٧).

(١) الكلبي: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عبد العزى بن كلب. يكنى أبا النصر. مفسر، عاصر صفار التابعين، مات سنة ست وأربعين ومائة، ينظر: طبقات خليفة بن خياط، ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ)، المحقق: د سهيل زكار، دار الفكر - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٢٨٤، الترجمة (١٢٦٥).

(٢) سورة النساء: جزء من الآية ٨٥.

(٣) تفسير بحر العلوم، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٧٨هـ)، المحقق: د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت، (د ط)، (د ت)، ١ / ٣٤٨.

(٤) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، ٢٣٥.

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس، ابن الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت ٣٢٨هـ)، المحقق: د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ٢ / ٣٨٠، (قولهم في خصم وألد).

(٦) ينظر: النكت في القرآن الكريم = في معاني القرآن الكريم وإعرابه، القيرواني، أبو الحسن علي بن فضال بن علي بن غالب المَجَاشِعِي (ت ٤٧٩هـ)، المحقق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ٣٤٠.

(٧) سورة الحج: جزء من الآية ١٩.

وَقَالَ ﷺ فِي الْخُصُومَةِ الْمُبَاحَةِ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخُصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَي دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (١).

وجاءت الخصومة المذمومة في قوله ﷺ: ﴿وَقَالُوا أَلَهْتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدًّا لَبَّأَبْلَهُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٢).

وصف الله ﷻ الذي يخاصم بالباطل: ﴿وَيُشْهِدُ اللهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٣).

وقال ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (٤).

خامساً: العداوة والبغضاء

العداوة: "التَّبَاعُدُ بِالْقُلُوبِ" (٥).

البغضاء: العداوة، والعداوة أخص من البغضاء، لأن كل عدو فهو يبغض، وقد يبغض من ليس بعدو وكان العداوة شيء مشتهر يكون عنه عمل وحرب، والبغضاء قد لا تجاوز النفوس (٦).

(١) سورة ص: الآيتان ٢١، ٢٢.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٥٨.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٠٤.

(٤) سورة مريم: الآية ٩٧.

(٥) تفسير البحر المحيط، أبو حيان، ١/٢٥٨.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٢/٢٥٢.

قَالَ ﷺ فِي ذم العداة بين المسلمين: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (١).

وقدر الله ﷺ العداوة بين النصارى بقوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (٢).

وقدر الله ﷺ العداوة بين اليهود بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَاءِ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (٣).

وقال ﷺ محذراً من خطوات الشيطان (٤): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٥).

والعداوة الإعتقادية ثابتة في عقل الإنسان، قال ﷺ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ وَوَالِدِنَا وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ (٦).

(١) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٣.

(٢) سورة المائدة: جزء من الآية ١٤.

(٣) سورة المائدة: جزء من الآية ٦٤.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/ ٢٠٩.

(٥) سورة المائدة: الآية ٩١.

(٦) سورة الممتحنة: جزء من الآية ٤.

إنَّ التعاليم في سورة الممتحنة تنبه المسلم أن لا ييأس حتى في حالة الخصومة، فعليه أن يستبقي أسباب الود، إبتاعاً لقوله ﷺ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)(٢).

سادساً: السخرية والتنابز واللمز والهمز

السخرية: "هي الإستهزاء" (٣).

التنابز: النبز: هو وصف الشخص باللقب المكروه الذي يكره الإنسان أن يدعى به (٤).

اللمز: "الغمز في الوجه بكلام خفي ، والهمز: الغمز في الفقا" (٥).

نهى الله ﷻ عن السخرية واللمز والتنابز بقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦).
وقال ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٧).

(١) سورة الممتحنة: جزء من الآية ٧.

(٢) ينظر: التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، دار الزمان - المدينة المنورة - السعودية، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٢ / ١٥١.

(٣) تفسير السمعاني، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ٥ / ٢٢١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ٥ / ٢٢٢.

(٥) غريب القرآن = نزهة القلوب، السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز الغزيري (ت ٣٣٠هـ)، المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - سوريا، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ١ / ٤٩٦.

(٦) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٧) سورة البقرة: جزء من الآية ٢١٢.

عدد الله ﷻ صفات أكابر المجرمين الذين خاصموا محمداً ﷺ في مكة بقوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾^(١).

وتوعد الهماز واللاماز يوم القيامة بقوله ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(٢).
 وقال ﷻ في كشف إحدى صفات المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْخَطُونَ﴾^(٣).
 وقال ﷻ عن المنافقين: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

سابعاً: الكراهية

الكراهية: خلاف الرضا والمحبة^(٥)، مأخوذة من الكره بالضم: هو ما حمل الرجل نفسه عليه من غير إكراه أحد إياه عليه، والكره بفتح الكاف: هو ما حمله غيره فأدخله عليه كرهاً^(٦).

قال ﷻ: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٧).
 وقال ﷻ في تحريم إكراه الزوجة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ اتِّيمُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ

(١) سورة القلم: الآية ١١.

(٢) سورة الهمزة: الآية ١.

(٣) سورة التوبة: الآية ٥٨.

(٤) سورة التوبة: الآية ٧٩.

(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥ / ١٤٠، (كره).

(٦) جامع البيان، الطبري، ٨ / ١٠٤.

(٧) سورة يونس: جزء من الآية ٩٩.

وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١﴾.

وقال ﷺ في تحريم إكراه الفتيات على البغي: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَتَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).
وقال ﷺ محرماً الكلام في أعراض الناس: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (٣).

ثامناً: التنازع

التنّازع: "التحادث في الخصومة" (٤).

ذكر الله ﷻ التنّازع في الحياة الدنيا في سبعة مواضع:

- ١- قَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِأِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ (٥).
- ٢- قَالَ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (٦).

(١) سورة النساء: الآية ١٩.

(٢) سورة النور: الآية ٣٣.

(٣) سورة الحجرات: جزء من الآية ١٢.

(٤) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميرى، نشوان بن سعيد اليمني (ت ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر- بيروت، ط ١،

١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ١٠/ ٦٥٦٨.

(٥) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٥٢.

(٦) سورة النساء: جزء من الآية ٥٩.

- ٣- قَالَ ﷺ: ﴿وَلَوْ أَرَادَكُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١).
- ٤- قَالَ ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(٢).
- ٥- قَالَ ﷺ: ﴿إِذِ تَنَزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾^(٣).
- ٦- قَالَ ﷺ: ﴿فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا التَّجْوَى﴾^(٤).
- ٧- قَالَ ﷺ: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾^(٥).

تاسعاً: الشح

الشُّحُّ: "الحِرْصُ على منع الخير"^(٦).

الشح مذموم في كل القرآن الكريم، قَالَ ﷺ: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٧).

وقَالَ ﷺ في وصف المنافقين: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرونَ إِلَيْكَ تَدُورُ

(١) سورة الأنفال: جزء من الآية ٤٣.

(٢) سورة الأنفال: جزء من الآية ٤٦.

(٣) سورة الكهف: جزء من الآية ٢١.

(٤) سورة طه: الآية ٦٢.

(٥) سورة الحج: جزء من الآية ٦٧.

(٦) معجم الفروق اللغوية، العسكري، ١ / ١٧٦، (الفرق بين الشح والبخل).

(٧) سورة النساء: الآية ١٢٨.

أَعْيُنُهُمْ كَأَذَى يَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْتِكُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَانَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١﴾.

ومدح الله ﷺ الأنصار بالفلاح الذين يتوقفون من الشح في سورة الحشر، والمؤمنين عامة في سورة التغابن بقوله: ﴿وَمَنْ يُوقِشْ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢﴾.

عاشراً: التنافر

النُّفُورُ لغة: "كُلُّ شَيْءٍ فَرَعَ فَاثْقَبَضَ" ﴿٣﴾.

النُّفُورُ اصطلاحاً: "الانزعاجُ عن الشيءِ وإلى الشيءِ، كالفرعِ إلى الشيءِ وعن الشيءِ" ﴿٤﴾.

قَالَ ﷺ في وصف المشركين الذين يعلمون أن القرآن حق ويجحدون به: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿٥﴾.

وَقَالَ ﷺ في الذين يعددون الآلهة: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوُا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ ﴿٦﴾.

وَقَالَ ﷺ فيمن نفر من اسم (الرَّحْمَنِ): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿٧﴾.

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ١٨، ١٩.

(٢) سورة الحشر: جزء من الآية ٩، سورة التغابن، جزء من الآية ١٦.

(٣) المحيط في اللغة، الصَّاحِبُ بن عبَّاد، أبو القاسم إسماعيل بن عبَّاد بن العباس الطالقاني (ت ٣٨٥هـ) مؤسسة عالم الكتب - بيروت، (د ط)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م، ٢ / ٤٣١.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص ٨١٧، (نفر).

(٥) سورة الإسراء: الآية ٤١.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٤٦.

(٧) سورة الفرقان: الآية ٦٠.

وَقَالَ ﷺ فِيمَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (١).

ومن الآيات التي تتضمن الحجة العقلية قوله ﷺ: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (٢).

أحد عشر: الْغُلُّ وَالضَّغِينَةُ

الْغُلُّ: "بِالْكَسْرِ الْحِقْدُ" (٣).

الْأَضْغَانُ: "الْأَحْقَادُ" (٤).

علمنا ربنا الدعاء أن يغفر لمن قبلنا والطلب منه أن لا يجعل في قلوبنا غلاً للمؤمنين بقوله ﷺ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٥).

قَالَ ﷺ: ﴿أَمْرٌ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ (٦).

وَقَالَ ﷺ فِي حُبِّ الْمَالِ: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَفَّيْتُمْ يَأْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالِكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمْ هَا فِي حِفْظِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَضْغَنَكُمْ﴾ (٧).

(١) سورة فاطر: الآية ٤٢.

(٢) سورة الملك: الآية ٢١.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية-بيروت، (د ط)، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ٣/ ٤٥١، (غ ل ل).

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، محمد عبد الرحمن بن محمد عبد الله الحسيني الشافعي (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ٤/ ١٤٧.

(٥) سورة الحشر: جزء من الآية ١٠.

(٦) سورة محمد: الآية ٢٩.

(٧) سورة محمد: الآيتان ٣٦، ٣٧.

اثنا عشر: الضَّرَارُ

الضَّرُّ: ضِدُّ النَّفْعِ. وَالضَّرِيرُ^(١): مُحَاوَلَةُ الضَّرِّ^(٢).

من القواعد الفقهية: "الضرر يزال"^(٣).

قَالَ ﷺ فِي ذِمِّ مَنْ أَرَادَ الضَّرْرَ بِالْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤). أَيْ: وَاتَّخَذُوهُ أَيْضًا لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَصِلُونَ فِي مَسْجِدٍ وَاحِدٍ هُوَ مَسْجِدُ قِبَاءٍ، فَأَرَادَ هَؤُلَاءِ الْمَنَافِقُونَ مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِ الضَّرَارِ إِلَى جَوَارِ مَسْجِدِ قِبَاءٍ، لِيَفْرُقُوا وَحِدَةَ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَنْ يَجْعَلُوهُمْ يُصَلُّونَ فِي أَمَاكِنَ مَتَفَرِّقَةً. حَسَدًا لَهُمْ عَلَى نِعْمَةِ الْإِخَاءِ وَالتَّآلُفِ وَالتَّوَادُّعِ الَّتِي غَرَسَهَا الْإِسْلَامُ فِي قُلُوبِ أَتْبَاعِهِ^(٥).

وَنَهَى ﷺ عَنِ إِسْكَاتِ الزَّوْجَةِ ضِرَارًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾^(٦).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»^(٧). وَفِي تَفْسِيرِهَا وَرَدَتْ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: إِنْ الضَّرْرُ: "الذي لك به منفعة وعلى غيرك مضرة، والضَّرَارُ: الذي ليس لك فيه منفعة وعلى غيرك المضرة"^(٨).

(١) ينظر: جمهرة اللغة، الأزدي، ١١ / ٣١٤، (باب الضاد والراء).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي، ٢ / ٥٢٤.

(٣) الأشباه والنظائر، السبكي، ١ / ٤١.

(٤) سورة التوبة: جزء من الآية ١٠٧.

(٥) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، محمد سيد، دار نهضة مصر - القاهرة، ط ١،

١٩٩٨م، ٦ / ٤٠٣.

(٦) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٣١.

(٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٥ / ٥٥، (٢٨٦٥)، (حسنه المحقق).

(٨) التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت، ط ١٠، ١٤١٣هـ، ٢ / ١٥.

ثلاثة عشر: التَّمْرِقُ

التَّمْرِقُ: التفریق بعد الاجتماع^(١).

قَالَ ﷺ فيما حل بقوم سباً من التفرق: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾^(٢).
أَيُّ: جَعَلْنَاهُمْ حَدِيثًا لِلنَّاسِ، وَسَمَرًا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ مِنْ خَبَرِهِمْ، وَكَيْفَ مَكَرَ اللَّهُ بِهِمْ، وَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ وَالْأَلْفَةِ وَالْعَيْشِ الْهَنْبِيِّ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، وَلِهَذَا تَقُولُ الْعَرَبُ فِي الْقَوْمِ إِذَا تَفَرَّقُوا: "تَفَرَّقُوا أَيَّي سَبِيًّا، وَأَيَّي سَبِيًّا"^(٣)، وَ"تَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ"^(٤).

أربعة عشر: الشَّنَانُ

الشَّنَانُ: الْبُغْضُ^(٥).

أمر الله ﷻ بالعدل حتى مع المبغضين:

قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوا عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٦).
وَقَالَ ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

(١) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم شهاب الدين (ات ٧٥٦هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط ١)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ٨٧/٤، (فصل الميم والنزاي).

(٢) سورة سبأ: جزء من الآية ١٩.

(٣) كتاب الألفاظ، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، المحقق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٤٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥٠٩/٦.

(٥) التفسير الوسيط، الواحدي، ١٥٠/٢.

(٦) سورة المائدة: جزء من الآية ٢.

خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾، نهى المؤمنين أولاً ملوحاً بترك العدل، ثم أمرهم ثانياً مصرحاً لهم به فقال: ﴿أَعِدُّوا﴾ في أولياءكم وأعدائكم ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ المعنى: العدل أقرب الى التقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (٢).

خمسة عشر: النَّزْغُ

النَّزْغُ: "الإزعاج بالحركة إلى الشر" (٣).

النَّزْغُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ط وَقَالَ يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِ﴾ (٤).

وَقَالَ ﷺ مَحْذَرًا مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٥).
وَقَالَ ﷺ: ﴿وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (٦).

(١) سورة المائدة: جزء من الآية ٨.

(٢) ينظر: التلخيص في تفسير القرآن العظيم، الكواشي، موفق الدين ابي العباس احمد بن يوسف الموصللي الشافعي (ت ٦٨٠هـ)، المحقق: أ. د. محيي هلال سرحان، ديوان الوقف السني - بغداد، ط ١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ٥ / ٨٩، ٩٠.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ١٥ / ٤٣٥.

(٤) سورة يوسف: جزء من الآية ١٠٠.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

(٦) سورة الأعراف: جزء من الآية ٢٠٠، سورة فصلت: جزء من الآية ٣٦.

المطلب الرابع

آثار الألفة في الحياة الاجتماعية

إنَّ الدين الإسلامي دين الألفة والتآلف والرحمة والتراحم، بين الله ﷻ ذلك في ثنايا كتابه الكريم.

والاجتماع والائتلاف ضرورة شرعية؛ وهو مطلب ملح إزاء هذا الواقع المرير الذي تكالب فيه على الأمة أعداؤها^(١).

وامتن الله ﷻ على الصحابة ﷺ بقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٢). أي: "واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام"^(٣).

"وأمر الله ﷻ بالألفة والاجتماع، ومدح أهلها عليها، ونهى عن الفرقة والاختلاف ودم أهلها عليها، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤)^(٥).

"وليس هناك في السياسة العامة أسوأ من تفرق الأمة وتمزق صفوفها وانقسامها فرقًا وأحزابًا، لذا حرص الإسلام إِبَانًا^(٦) عهده الأول على وحدة الصف، واجتماع

(١) ينظر: مقالة: الاجتماع ضرورة شرعية، الشيخ أمين جعفر، <http://islamstory.com>.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٣.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٧/ ٧٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٥.

(٥) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، أبو عبد الله، عز الدين محمد بن

إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي (ت ٨٤٠هـ)، المحقق: شعيب

الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٥/ ٣٢١.

(٦) إِبَانًا: زمان، جمهرة اللغة، الأزدي، ٢/ ١٠٢٨، (باب بنوأي).

الكلمة، وتحقيق الألفة، وإشاعة المحبة، والسبيل التي وحد الله بها الأمة هو اتحاد دستورها، واعتصامها بكتاب الله وسنة نبيه^(١).

والإسلام دين الاجتماع والألفة والرحمة، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(٢).

وأخبر ﷺ أن الألفة بين القلوب أمر بعيد المنال إذا لم يوجد العامل الصحيح في إيجاد ذلك، وقد أمتن الله ﷻ على عباده المؤمنين باجتماع كلمتهم على الدين، قال ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٣). وحبل الله دينه الذي أمرنا به وعهده إلينا في كتابه في الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله^(٤).

وقال ﷺ ممتنًا على نبيه الكريم ﷺ بما وصل إليه المؤمنون من تآلف قلوبهم: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٥).

(١) التفسير الوسيط، الزحيلي، ١ / ٢٢١.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب البرِّ والصَّلةِ والآدابِ)، (باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ)، ٤ / ١٩٩٩، (٢٥٨٦).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٤) ينظر: المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (ت ١٢٨٥هـ)، دار الهداية - مصر، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ٢٦٢.

(٥) سورة الأنفال: الآيتان ٦٢، ٦٣.

"وأين هذا التآلف العجيب الذي كان أحدهم يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة، والذي جعل الشخص المسلم يقدم نفسه دون أخيه في كل شيء، والذي جعلهم كالجسد الواحد، وكالبنيان المرصوص"^(١). قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرصُوضٌ﴾^(٢).

الألفة في المجتمع الإسلامي

إذا كنا نريد الاجتماع ووحدة المسلمين، فلن يتحد المسلمون إلا على وحدة العقيدة ووحدة المرجع؛ وهو الحكم بما أنزل الله، ووحدة القيادة؛ وذلك بالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين، هذا الذي يوحد أمر المسلمين، كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»^(٣)(٤).

إنَّ محافظة الشارع على قاعدة الاعتصام بالجماعة وصلاح ذات البين وزجره عما قد يفضى إلى ضد ذلك في جميع التصرفات لا يكاد ينضبط، وكل ذلك يُشرعُ لوسائل الألفة وهي من الأفعال، ويزجر عن ذرائع الفرقة وهي من الأفعال أيضًا^(٥).

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، العواجي، د. غالب

بن علي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ٢/ ٩٧٨.

(٢) سورة الصف: الآية ٤.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الْأَقْضِيَّةِ)، (باب النَّهْيِ عَنِ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَالنَّهْيِ عَنِ مَنْعِ وَهَاتِ وَهُوَ الْإِمْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّ لَزِمِهِ أَوْ طَلْبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ)، ٣/ ١٣٤٠، (١٧١٥).

(٤) ينظر: شرح مسائل الجاهلية، الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، دار العاصمة-الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٢٢.

(٥) ينظر: سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، الجنيدى، عبد الله بن شاكر، مجلة الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، السنة الرابعة والثلاثون العدد (١١٤)،

١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢هـ، ص ٦٢.

"والإسلام عندما بيّن جميع نواحي العبادة، وما يتصل بها، راعى كون الإنسان اجتماعيًا بطبعه، وما للمجتمع الذي يعيش فيه من تأثير على نفسه وتفكيره وسلوكه. ومن أجل ذلك جاء الإسلام بالأسس المتكاملة، وهي النظام الذي يقوم عليه المجتمع المسلم، وهو نظام يمتاز بالشمول والواقعية، ويضمن سير الحياة فيه على وجه يحقق العدل والأمن والحياة الكريمة لكافة أفرادها، كما يمنحهم الفرصة بالمشاركة في التنمية الحضارية، مما يدفع المجتمع إلى مستوى رفيع من الإنتاج الاقتصادي والزراعي والتجاري والصناعي، وفي كافة المجالات. وبهذا يحصل التوازن في سعي الناس في المجتمع المسلم بين قيامهم بمتطلبات العبودية التي من أجلها خلقوا، وبين كدحهم في استثمار ما سخّر الله لهم على الأرض واستغلاله طلبًا للرزق ومتطلبات الحياة"^(١).

وقد روي حديث طويل عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسِ اللَّهِ أَمْرِي بِهِنَّ بِالْجَمَاعَةِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ^(٢) مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُنَاءِ جَهَنَّمَ»^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ١/ ٢٥٠.

(٢) رِبْقَةُ الْإِسْلَامِ: استعارها للإسلام، يعني ما يشدّ به المسلم نفسه، من عُرَى الإسلام: أي حدوده، وأحكامه، وأوامره، ونواهيه، شرح سنن النسائي = ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، المؤلف محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي، دار آل بروم للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، ط ١، (د ت)، ٣٦/ ٣٥٢.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٢٨/ ٤٠٦، (١٧١٧٠)، (صححه المحقق).

عَظِيمًا ﴿١﴾، أي: لا خير في كثير من نجوى الناس جميعًا ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾، و(المعروف) هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ "وَهُوَ الْإِصْلَاحُ بَيْنَ الْمُتَبَايِنِينَ أَوْ الْمُخْتَصِمِينَ بِمَا أَبَاحَ اللَّهُ الْإِصْلَاحَ بَيْنَهُمَا لِيَتَرَاجَعَا إِلَى مَا فِيهِ الْأُلْفَةُ وَاجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ عَلَى مَا أَدْرَنَ اللَّهُ وَأَمَرَ بِهِ" (٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَلَاقُوا تَصَافَحُوا وَإِذَا قَدِمُوا مِنْ سَفَرٍ تَعَانَقُوا" (٣). فقد قام ﷺ لزيد بن حارثة وقبله وعانقه عندما قدم من السفر، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قدموا من سفر تعانقوا، ولما يحدث ذلك من الألفة والمحبة والترابط وجمع القلوب ونحن بأشد الحاجة إلى هذه المعاني على المستوى العائلي والأسري والاجتماعي وغيرها (٤).

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا» (٥).

(١) سورة النساء: الآية ١١٤.

(٢) جامع البيان، الطبري، ٩ / ٢٠٢.

(٣) المعجم الأوسط، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت ٣٦٠هـ)، المحققان: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١ / ٣٧، (٩٧)، (صححه المحقق)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين نوح نجاتي آدم الأشقودري (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف - الرياض، ط ١، (د ت)، ١ / ٣٠١.

(٤) ينظر: المختصر في أحكام السفر، العماري، فهد بن يحيى، دار ابن الجوزي - السعودية، ط ١، ١٤٢٩هـ، ص ١٤١.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الصلح)، (باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس)، ١٨٣ / ٣، (٢٦٩٢).

أي: "أنَّ الكذب يجوز في هذه الأمور، لأنَّه لمصلحة ماسة"^(١).

وَقَالَ ﷺ مِنْبَهًا الْمُؤْمِنِينَ إِلَى غِيظِ أَعْدَائِهِمْ: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَاتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٢). أي: "إِنْ تَمَسَّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ حَسَنَةٌ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ كَالْأَلْفَةِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ وَالظَّفَرِ بِالْأَعْدَاءِ تَسُوهُمْ أَي تَحْزَنُهُمْ وَتَغِيظُهُمْ"^(٣).

"لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ ﷺ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَتِمُّ إِلَّا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ قَادِرًا عَلَى تَنْفِيزِ التَّكْلِيفِ عَلَى الظَّلْمَةِ وَالْمُتَعَالِينَ، وَلَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْقُدْرَةُ إِلَّا إِذَا حَصَلَتِ الْأَلْفَةُ وَالْمَحَبَّةُ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالِدِّينِ، لَا جَرَمَ حَذَرُهُمْ ﷺ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ؛ لِكَيْلَا يَصِيرَ ذَلِكَ سَبَبًا لِعَجْزِهِمْ عَنِ الْقِيَامِ بِهَذَا التَّكْلِيفِ"^(٤).

ومن أسباب النصر والصبر والثبات: اتفاق القلوب، وعدم التفرق والتنازع، فإن ذلك محلل للقوة، موجب للفشل، وأما اجتماع الكلمة، وقيام الألفة بين المؤمنين، واتفاقهم على إقامة دينهم وعلى نصره فهذا أقوى القوى المعنوية التي هي الأصل، والقوة المادية تبع لها، والكمال: الجمع بين الأمرين كما أمر الله بذلك في قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾^(٥)^(٦).

(١) بيان المعاني، العاني، عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي (ت ١٣٩٨هـ)،

مطبعة الترقى - دمشق، ط ١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م، ٥ / ٦٠٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٠.

(٣) روح المعاني، الألوسي، ٢ / ٢٥٦.

(٤) تفسير المنار، الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن

منلا علي خليفة القلموني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط.)، ١٩٩٠م، ٤ / ٣٩.

(٥) سورة الأنفال: جزء من الآية ٦٠.

(٦) ينظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، السعدي، أبو عبد الله عبد الرحمن

بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد (ت ١٣٧٦هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف

والدعوة والإرشاد - السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ، ١ / ١١٢.

ومن أسباب النصر على الأعداء، طاعة الله ورسوله. والألفة والاجتماع. وترك الشقاق والنزاع^(١).

"الافتراق من آثار الاختلاف ونتائجه وليس من لوازمه، أي يمكن للناس أن يختلفوا مع اجتماع الكلمة وحصول الألفة. وقد اختلف خيار الصحابة في كثير من المسائل العلمية والعملية ولم ينحل عقد الأخوة، ولم ينصرم حبل المودة بينهم، فكان الاختلاف توسعةً ورحمةً وتنوعاً وإثراءً"^(٢).

الألفة في العبادات

"الشَّارِعُ أَمَرَ بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ فِي الْإِمَامَةِ الْكُبْرَى، وَفِي الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَالِاسْتِسْقَاءِ وَصَلَاةِ الْخَوْفِ، مَعَ كَوْنِ صَلَاةِ الْخَوْفِ بِإِمَامَيْنِ أَقْرَبَ إِلَى حُصُولِ صَلَاةِ الْأَمْنِ، وَذَلِكَ سَدًّا لِذَرِيعَةِ التَّفْرِيقِ وَالِاخْتِلَافِ وَالتَّنَازُعِ، وَطَلْبًا لِاجْتِمَاعِ الْقُلُوبِ وَتَأَلُّفِ الْكَلِمَةِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ الشَّرْعِ، وَقَدْ سَدَّ الذَّرِيعَةَ إِلَى مَا يُنَاقِضُهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ، حَتَّى فِي تَسْوِيَةِ الصَّفِّ فِي الصَّلَاةِ؛ لِئَلَّا تَخْتَلَفَ الْقُلُوبُ، وَشَوَاهِدُ ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُذَكَّرَ"^(٣).

إنَّ المسلمين إذا التَّقَوَّا في كل يوم وليلة خمس مرات للاجتماع على الصلاة عاد ذلك عليهم بالألفة والمودة، فمن حكم مشروعية صلاة الجماعة حصول الألفة بين الجيران وأهل المحلة الواحدة، فيتعرف بعضهم على أحوال بعض، فيقومون بإغاثة الملهوف وعبادة المريض، وتفقد أحوال العاجز، كما يظهر في صلاة الجماعة

(١) ينظر: صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، إشراف: د.حاتم محمد منصور مزروعة، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية - ماليزيا، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص ١٧٣.

(٢) آثار الافتراق على الأمة الإسلامية، د. عثمان علي حسن، كلية الشريعة - جامعة قطر، (د ط)، (د ت)، ص ١.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت ٧٥١هـ)، المحقق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٣/ ١١٦.

الاجتماع والبعد عن التفرق والاختلاف، ثم التعاون على الطاعة، وهذا وغيره إنما يتم إذا صلى أهل المحلة الواحدة في مسجد واحد^(١).

والصلاة فريضة عملية مهذبة تجريدية لله ﷻ، وهي فريضة اجتماعية لتأليف مجتمع متحاب متواد مترابط بصلات من الرحمة والتعاون، يجمعه الإلف الروحي والطهر والإخلاص والالتقاء في بيت الله ﷻ في كل يوم خمس مرات.

ومهما يكن فالأساس في أمر الصلاة أنها تهذيب روحي، وتأليف اجتماعي على الطهر، واجتماع على الألفة والمودة والرحمة^(٢).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفَدْيِ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»^(٣).

وقد شرع الله سبحانه للمسلمين اجتماعات متعددة من أجل توطيد أواصر الألفة والمحبة بينهم، اجتماعات حَيٍّ: في الصلوات الخمس، واجتماعات بلد: في الجمعة والعيدين، واجتماعات أقطار: في الحج بمكة، فهذه اجتماعات المسلمين صغرى ومتوسطة وكبرى^(٤).

وتتجلى قوة البناء الاجتماعي للمسلمين، التي تظهر وحدتهم أمام الأمم الأخرى. حيث اجتماع الكلمة بين المسلمين ووجود التآلف والتراحم لاجتماعهم في مسجد واحد، أو مساجد متعددة كما أن فيها معنى المساواة، لا التي تنزّم بها الأمم الأخرى،

(١) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني (ت ٤٠٣ هـ)، المحقق: حلمي محمد فودة، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ٢ / ٢٢٩، الجامع لأحكام الصلاة وصفة صلاة النبي ﷺ، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠ هـ)، تخريج: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، الكتاب العالمي - بيروت، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ص ١٣٢.

(٢) ينظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت ١٣٩٤ هـ)، المحقق: أبو إبراهيم حسانين، دار الفكر العربي - القاهرة، (د ط)، (د ت)، ٦ / ٣٠٦٥.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأذان)، (باب فضل صلاة الجماعة)، ١ / ١٣١، (٦٤٥).

(٤) ينظر: مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، التوجيهي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، دار أصداء المجتمع - السعودية، ط ١١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ١ / ٩١٥.

واجتماعهم في العيد يقرب النفوس على الود، وتجتمع على الألفة، ويتناسى ذوو النفوس الطيبة أضغانهم، فيجتمعون بعد افتراق ويتصافون بعد كدر، ويتصافحون بعد انقباض، وفي ذلك كله تجديد للصلة الاجتماعية بين الناس على أقوى ما تكون حبا ووفاء وإخاء^(١).

والزكاة تحقق السعادة الاجتماعية، كما أن الإيمان يحقق السعادة الروحية، والصلاة تحقق السعادة البدنية. قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

وإن إيجاب الزكاة يوجب حصول الألفة والمودة بين المسلمين، وزوال الحقد والحسد عنهم^(٣). ويزكي النفس ويصفيها من الكدورات، قَالَ ﷺ: ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾^(٤).

واجتماع المسلمين في الحج في كل عام، من أوسع ظواهر الاجتماع والتآلف. قَالَ ﷺ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَارَفَتْ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾^(٥).

(١) ينظر: الأعياد وأثرها على المسلمين، السحيمي، سليمان بن سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - السعودية، ط ٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ٢٠١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٦٠.

(٣) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ، ١٠ / ٢٧٩.

(٤) سورة التوبة: جزء من الآية ١٠٣.

(٥) سورة البقرة: جزء من الآية ١٩٧.

ف نجد في الحج فرصة سنوية لجمع شمل المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، حيث يتدارس أبناء المجتمعات المسلمة في مختلف أرجاء المعمورة شؤونهم، ويتساعدون على حل مشكلاتهم وتضامن أمتهم^(١).
ومن أفعال الخيرات إطعام الطعام وإفشاء السلام ، وهذا يوجب الألفة والمحبة بين الناس.

الألفة مع الجار

أوصى الله ﷺ بالإحسان إلى الجار لكي تنمو المودة بين الجيران، وتَحصل الألفة بين الجيران، عند حصول تعاهدتهم في أوقات الصلاة^(٢).

قَالَ ﷺ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٣).

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: انه الْجَار الَّذِي لَهُ قَرَابَةٌ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْجَار الَّذِي يَقْرُب دَارَهُ، وَهُوَ الْمَلِصِقُ.

﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ الْجَارُ الْعَرِيبُ الْأَجْنَبِيُّ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْجَارُ الَّذِي يَبْعَد دَارَهُ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي حَقِّ الْجَارِ أَحَادِيثٌ، مِنْهَا:

(١) ينظر: الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية،

محمود أحمد شوق، دار الفكر العربي- القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ١/ ٢٩٨.

(٢) ينظر: ذخيرة العقبي في شرح المجتبى = شرح سنن النسائي، الولوي، ١٠/ ٤٨٥.

(٣) سورة النساء: جزء من الآية ٣٦.

عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ جَبْرِيْلُ يُوصِيْنِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ»^(١).

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَأَلِي أَيُّهُمَا أُهْدِي قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا»^(٢).

فَحَقَّ الْجَارُ الْقَرِيبُ الْمُسْلِمُ ثَلَاثَةَ حُقُوقٍ: حَقُّ الْقَرَابَةِ، وَحَقُّ الْإِسْلَامِ، وَحَقُّ الْجَوَارِ، وَاللِّجَارُ الْعَرِيبُ الْمُسْلِمُ حَقَانٌ: حَقُّ الْإِسْلَامِ، وَحَقُّ الْجَوَارِ، وَاللِّجَارُ الذِّمِّيُّ حَقٌّ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَقُّ الْجَوَارِ^(٣).

قَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ «مِنْهُمْ مَنْ أَدْخَلَ الْمَرْأَةَ فِي الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى، وَمِنْهُمْ مَنْ أَدْخَلَهَا فِي الْجَارِ الْجَنْبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَدْخَلَ الرَّفِيقَ فِي السَّفَرِ فِي الْجَارِ الْجَنْبِ»^(٤).

وقيل: "المراد بالجار ذي القربى: المسلم، وبالجار الجنب: اليهودي والنصراني"^(٥). والإسلام يحث على الألفة والاجتماع، فإذا مرض الجار استحب للمسلمين أن يزوروه، وأن يتفقده، وأن يدعوا له بالشفاء والصحة، وإذا قُدر على الجار المسلم

(١) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ)، (بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ)، ٢٠٢٥ / ٤، (٢٦٢٥).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْأَدَبِ)، (بَابُ حَقِّ الْجَوَارِ فِي قُرْبِ الْأَبْوَابِ)، ١١ / ٨، (٦٠٢٠).

(٣) ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، ٤٢٦ / ١.

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السَّلامِي البَغْدَادِي ثم الدَّمَشْقِي الحَنْبَلِي (ت ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٣٤٦/١.

(٥) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت ١٣٠٧هـ)، المحقق: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٣م، ص ١٧٠.

الموت ندب^(١) للمسلمين أن يغسلوه، وأن يكفنوه، وأن يتبعوا جنازته، وأن يصلوا عليه، وأن يدعوا له بالمغفرة والرحمة والرضوان، فما أعظمه من دين! يحث على التعاون والمحبة حتى بعد موت المسلم^(٢).

الألفة بين الناس

قالوا: إنَّ الإنسان مدني بالطبع، وإنَّ التمدن هو الاجتماع^(٣).

والإنسان محتاجٌ إلى نظام ليجمعهم، والاجتماع لن يتحقق إلا بحدود وأحكام في حركاته ومعاملاته يقف كل منهم عند حده المقدر له لا يتعداه؛ لذلك وجب أن يكون بين الناس شرع يفرضه شارع يبين فيه أحكام الله ﷻ في الحركات وحدوده في المعاملات فيرتفع به الاختلاف والفرقة ويحصل به الاجتماع والألفة^(٤).

"لا يتحقق للإنسان العيش في الجماعة إلا على أساس سلوك يحقق الألفة والتعاون والاجتماع الإنساني، كالإخلاص والصدق، لتستقيم به حياتهم، وكل الحضارات الإنسانية القديمة والمعاصرة لم تحقق نهضتها إلا بشيء من ذلك، وقد أدرك عمرو بن العاص ﷺ سر قوة الروم وظهورهم. قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ» فَقَالَ لَهُ عَمْرُو ﷺ: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَخْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمَسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ

(١) ندب: دَعَاهُمْ وَحَثَّهُمْ لِلإِسْرَاعِ فِي الْعَمَلِ. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٣٥٣/٩، (ن د ب).

(٢) ينظر: شرح سنن أبي داود، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، (د ط)، (د ت)، درروس صوتية، ٣٦٠/١٦.

(٣) ينظر: المواقف، الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، دار الجيل - بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ٣/٣٣٧.

(٤) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ)، المحقق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٤هـ، ٨/٢.

حَسَنَةً جَمِيلَةً: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ^(١). وزجره عمرو عن روايته لئلا يعرض المسلمون عن قتالهم"^(٢).

وللابتسامه والبشاشة أثر حسن على الآخرين صغارًا وكبارًا وهي مما يزرع الألفة والمحبة بين الناس وقد حث النبي ﷺ عليها وأمر بها مع فعله ﷺ لها. عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ لَكَ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالَةِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصْرَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاطُكَ مِنْ دَلُوكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(٣).

قال سفيان بن عيينة رحمه الله^(٤): "البشاشة مَصِيدَةُ المودة، والبر شيء هَيِّنٌ: وَجْهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيِّنٌ"^(٥).

(١) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب الفتنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ)، (باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس)، ٤ / ٢٢٢٢، (٢٨٩٨).

(٢) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١٤ / ٢٠٠.

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، (كتاب البر والإحسان)، (ذَكَرُ بَيَانَ الصَّدَقَةِ لِلْمَرْءِ بِإِرْشَادِ الضَّالِّ وَهَدَايَةِ غَيْرِ الْبَصِيرِ)، ٢ / ٢٨٦، (٥٢٩)، (صححه المحقق).

(٤) سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: ابن أبي عمران الهلالي كنيته: أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، انْتَقَلَ إِلَى مَكَّةَ بِرُؤْيِ عَنِ الزُّهْرِيِّ وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ رَوَى عَنْهُ أَهْلَ الْحِجَازِ وَالْغُرَبَاءِ وَكَانَ مَوْلَدَهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَةٍ، جَالَسَ الزُّهْرِيَّ، وَمَاتَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً وَدُفِنَ بِالْحِجَازِ وَكَانَ مِنَ الْحِفَاطِ الْمُتَقِينِينَ وَأَهْلَ الْوَرَعِ وَالَّذِينَ مِمَّنْ عِلْمُ كِتَابِ اللَّهِ وَكَثُرَ تَلَاوَتُهُ لَهُ وَشَهْرُ فِيهِ وَحَجَّ نَيْفًا وَسَبْعِينَ حَجَّةً، ينظر: الثقات، ابن حبان، ٦ / ٤٠٣، ٤٠٤، الترجمة (٨٣٠٠).

(٥) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١ / ٣٤٠.

وعن أَبِي بِن كَعْبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً»^(١).
قال أحمد بن محمد بن عبد ربه^(٢) من [الوافر]:
تَجَافَى النُّومَ بَعْدَكَ عَن جُفُونِي ... وَلَكِن لَيْسَ يَجْفُوها الدَّمُوعُ
يَذَكِّرُنِي تَبَسُّمَكَ الْأَقَاحِي ... وَيَحْكِي لِي تَوَرُّدَكَ الرِّبِيعُ
الْأَقْحَوَانُ: مِنْ نَبَاتِ الرِّبِيعِ لَهُ زَهْرٌ أَبْيَضٌ، وَالْجَمْعُ أَقَاحٍ^(٣).

الألفة بين الزوجين

قَالَ صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَثُرَّةً هَدَى﴾^(٤). أي: "أَعْطَى كُلَّ دَابَّةٍ خَلَقَهَا زَوْجًا، ثُمَّ هَدَى لِلنِّكَاحِ وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى قَوْلِهِ ﴿ثُرَّةً هَدَى﴾ أَنَّهُ هَدَاهُمْ إِلَى الْأَلْفَةِ وَالْاجْتِمَاعِ وَالْمُنَاكَحَةِ"^(٥).

(١) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْأَدَبِ)، (بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الشَّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالْحَدَائِ وَمَا يُكْرَهُ مِنْهُ)، ٣٤ / ٨، (٦١٤٥).

(٢) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد شاعر الأندلس وأديبها، ابن حبيب بن خديز ابن سالم، مولى الإمام هشام بن عبد الرحمن بن معاوية. من أهل قرطبة، يُكْنَى: أبا عمر، سَمِعَ مِنْ بَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ، وَابْنِ وَضَّاحٍ، وَالْحُسَيْنِيِّ، كَتَبَ النَّاسُ عَنْهُ تَصْنِيفَهُ وَشِعْرَهُ، نُوفِيَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ. وَوُفِيَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ: فِي مَقْبَرَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ؛ وَهُوَ: ابْنُ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً، أَصَابَهُ الْفَالِجُ: قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَعْوَامٍ، يَنْظُرُ: تَارِيخُ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ، ابْنِ الْفَرَضِيِّ، أَبُو الْوَلِيدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ نَصْرِ الْأَزْدِيِّ، (ت ٤٠٣ هـ)، الْمُحَقِّقُ: السَّيِّدُ عَزَّتِ الْعَطَارُ الْحُسَيْنِيُّ، مَكْتَبَةُ الْخَانِجِيِّ - الْقَاهِرَةِ، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ٤١ / ١، التَّارِخَةُ (١١٨).

(٣) ينظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ، ٦ / ٢٩٨، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار)، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي - الإسكندرية، (د ط)، (د ت)، ٦٠١ / ٢.

(٤) سورة طه: الآية ٥٠.

(٥) جامع البيان، الطبري، ٣١٧ / ١٨.

وقوله ﷺ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(١). إشارة إلى أن المودة والرحمة أمران يتولدان من الألفة والسكن، وأنه لولا السكن والائتلاف، ما قامت مودة ورحمة. لهذا جاء النظم القرآني مُفَرِّقًا بين الأمرين، فجعل المشاكلة في الطبيعة البشرية بين الناس، ذكورا وإناثا خلقًا، أي في أصل الخلقة، على حين جعل المودة والرحمة، عرضًا من أعراض هذه الطبيعة، وثمره من ثمراتها^(٢).

قال ﷺ في طريقة معالجة نشوز الزوجة: ﴿وَالَّتِي تَخَافُوتِ نَشُوزَهُنَّ فَعُظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَنَّكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾^(٣). الضمير في قوله ﷺ: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ يجوز أن يكون للحكمين، ويجوز أن يكون للزوجين، وكذلك الضمير في قوله ﷺ ﴿يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ والأوفق جعل الضمير الأول للحكمين، والثاني للزوجين، أي إن يقصد الحكمان إصلاح ذات البين بنية صحيحة، مع إخلاص النصيحة لوجه الله ﷻ، إن يقصد ذلك يوفق الله بين الزوجين بالألفة والمحبة، ويلقي في نفسيهما الموافقة وحسن العشرة^(٤).

(١) سورة الروم: الآية ٢١.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، عبد الكريم يونس (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، (د ط)، (د ت)، ١١ / ٤٩٧.

(٣) سورة النساء: جزء من الآية ٣٤، والآية ٣٥.

(٤) ينظر: تفسير آيات الأحكام، السابيس، محمد علي، المكتبة العصرية - القاهرة، ٢٠٠٢م، ص

الألفة مع أهل الكتاب

أمر الله ﷺ بالألفة والتعاون على البر والتقوى ونهى عن التباغض والتدابير والتخاذل^(١)، قال ﷺ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢).

وأبان لنا ربنا حال اليهود والنصارى، بقوله ﷺ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ إِِنَّا نَصْرِيُّ ذَلِكَ بَأْتٍ مِنْهُمْ قِسِيَسِيَتٍ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَاتَّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣). فقوله ﷺ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ﴾. وهم يهود بني قريظة، وبني النضير، والَّذِينَ أَشْرَكُوا يعني: مشركي أهل مكة، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ﴾ قال بعضهم: إنما أراد الذين هم النصارى في ذلك الوقت، لأنهم كانوا أقل مظاهره على المؤمنين، وأسرع إجابة للإسلام. وقال أكثر المفسرين: إن المراد به النصارى الذين أسلموا، وفي سياق الآية دليل عليه، وهو قوله ﷺ: ﴿فَاتَّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾^(٤). وأحل ﷺ أكل ذبائح الذين أوتوا الكتاب ونكاح

(١) ينظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، القرطبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت ٦٧١هـ)، المحقق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي - القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص ٤٤٩.

(٢) سورة المائدة: جزء من الآية ٢.

(٣) سورة المائدة: الآيات ٨٢ - ٨٥.

(٤) ينظر: تفسير بحر العلوم، السمرقندي، ١ / ٤٣٤.

محسناتهم بقوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (١).

والقدر الذي بيننا وبينهم من الوفاق في إثبات الربوبية، لم يعر من أثر في القرية قال الله ﷻ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ وكذلك الأمر في المحصنات من نسائهم. وأحل الطعام والذبيحة بيننا وبينهم من الوجهين فيحل لنا أكل ذبائحهم، ويجوز لنا أن نطعمهم من ذبائحننا، ولكن التزوج بنسائهم يجوز لنا، ولا يجوز تزوجهم بنسائنا لأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه (٢).

الألفة مع المشركين

وفي باب الدعاء للمشركين بالهداية ليتألفهم. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: قَدِمَ طُقَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ ﷺ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا. فَقِيلَ: هَلَكْتُ دَوْسٌ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَبَتْ بِهِمْ» (٣). وقوله: "ليتألفهم" تعليل لدعائه بالهداية لهم، وذلك أنه يدعُو لهم إذا رجا منهم الألفة والرُّجوع إلى دين الإسلام (٤).

(١) سورة المائدة: جزء من الآية ٥.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم هوازن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط ٣، ٢٠٠٠م، ١ / ٤٠٤.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الجهاد والسير)، (باب الدعاء للمُشْرِكِينَ بِالْهُدَى لِيَتَأَلَّفَهُمْ)، ٤ / ٤٤، (٢٩٣٧).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بدر الدين الغيتابي الحنفي (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د ط)، ١٣٩٩هـ، ١٤ / ٢٠٧.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي قُرَيْشًا أَتَأَلَّفُهُمْ، لِأَنَّهُمْ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ»^(١). كان النبي ﷺ يختص قريشًا بإعطائهم من الغنيمة أكثر من غيرهم تأليفًا لقلوبهم، لأنهم حديثو عهد بجاهلية^(٢).

والألفة مطلوبة عند مكافأة المعروف، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بِنِ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى»^(٣)، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»^(٤). وكان المطعم معظماً في قريش، وكان سعى في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم، وبني المطلب ألا يخالطوا حتى يخلوا بين رسول الله ﷺ وقريش^(٥). وفيه جواز الشفيع للرئيس الشريف على سبيل الائتلاف له والانتفاع بإشفاعه في ردّ دعاية المشركين بأكثر ما يخشى من ضرر المكلفين لطاعتهم لسيدهم المشفع فيهم، وأن الانتفاع بالمن عليهم أكبر من قتلهم أو استرقاقهم^(٦).

(١) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ فَرَضِ الْخُمْسِ)، (بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَعَيْرَهُمْ مِنَ الْخُمْسِ وَنَحْوِهِ)، ٩٣ / ٤، (٣١٤٦).

(٢) ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان - دمشق، مكتبة المؤيد - الطائف، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ٤ / ١٣٣.

(٣) النتنى: وصفهم بالنتن لما هم عليه من الشرك، سبل السلام، الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني (ت ١١٨٢ هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر ط ٤، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م، ٤ / ٥٦.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ فَرَضِ الْخُمْسِ)، (بَابُ مَا مَنَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْأُسَارَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمَّسَ)، ٩١ / ٤، (٣١٣٩).

(٥) ينظر: كَشْفُ الْمَنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْمَصَابِيحِ، المُنَاوِي، محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي القاهري، الشافعي، صدر الدين، أبو المعالي (ت ٨٠٣ هـ)، المحقق: د. مُحَمَّدُ إِسْحَاقُ مُحَمَّدُ إِبْرَاهِيمَ، الدار العربية للموسوعات - بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م، ٣ / ٣٩٣.

(٦) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤ هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر - دمشق، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ١٨ / ٥٠٠.

وألفة القلوب المنشودة، لا تتحقق إلا بسلامة الصدور، أي طهارتها من الغل والحقد والبغي والحسد، فقد علق ﷺ النجاة يوم القيامة بسلامة القلوب، قَالَ ﷺ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١). والقلب السليم: القلب السالم من الشرك والغل والحقد والحسد، ومن الافات والشبهات والشهوات^(٢).

(١) سورة الشعراء: ٨٨، ٨٩.

(٢) ينظر: كيف يكون قلبك دائماً مع الله؟ جمال ماضي، دار الأندلس- مصر، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص ١١٢، ١١٣.

المبحث الثاني

أسباب الألفة

من السنن الكونية الشرعية قانون السببية، وهو ربط المسبب بالسبب، وهذا أمر جارٍ بين الخلائق جميعاً ومنهم بنو البشر، يحكمهم قانون السببية حكم المتبوع للتابع، والأسباب هي الأواصر والعلائق التي تربط الأفراد بعضهم ببعض، وهي التي جعلها الله سبباً لصيرورة الأفراد أسراً والأسر قبائل وشعوباً، ثم مجتمعات وأممًا.

ولما كانت (الألفة) في حقيقتها اجتماعاً والتنامياً مبنين على المودة والأنس كما بينا في المبحث الأول، وأنها إحدى مراتب المحبة عند الصوفية وأهل العشق الإلهي كما ذكرنا أيضاً. فإن المحبة والألفة قد تلتقيان في بعض الدواعي والبواعث والأسباب، فتكون تلك البواعث مشتركة بينهما على اختلاف مداها وتباين حدودها، قال الشيخ أبو طالب المكي^(١): "إعلم أنّ المحبة من الله لعبده ليست كمحبة الخلق؛ إذ محبة الخلق

(١) أبو طالب المكي: هو الإمام الزاهد العارف شيخ الصوفية محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، ونسبته إلى مكة، لنشأته بها وإقامته فيها وهو من أهل الجبل، وكان صاحب رياضات ومجاهدات عنيفة، روى عن أبي بكر الأجري، وأبي بكر بن خالد النصيبي ومحمد بن عبد الحميد الصنعاني وغيرهم وروى عنه عبد العزيز الأزجي وغير واحد، وعظ ببغداد لكنه خلط في كلامه، فهجره الناس، توفي ببغداد سنة ٣٨٦هـ وله كتاب "قوت القلوب" وكتاب "علم القلوب" ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ: ١٥١/٤ الترجمة (١٣٤٢)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الثقافة - لبنان، (د ط)، ١٩٩٤م، ٣٠٣/٤، الترجمة (٦٣٠)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز شمس الدين (ت ٧٤٨هـ)، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٥٣٦/١٦، الترجمة (٣٩٣)، الوافي بالوفيات، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، (د ط)، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١١٦/٤، الترجمة (١٦٠٩).

تكون حادثة لأحد سبعة معان: لطبع، أو لجنس، أو لنفع، أو لوصف، أو لهوى، أو لرحم ماسة، أو للتقرب بذلك الى الله ﷻ^(١).

وأهم سبب للألفة الأمان قال ﷻ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾^(٢). وَالْحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ، يَعْنِي بِهِ الْأَمَانَ^(٣).

وللاختلاف بين عموم المحبة وخصوص الألفة سأتناول في اسباب الألفة ما قاله الماوردي^(٤): "إِذَا كَانَتْ الْأُلْفَةُ بِمَا أُتْبِتَتْ تَجْمَعُ الشَّمْلَ وَتَمْنَعُ الدَّلَّ، أَقْتَضَتْ الْحَالَ ذِكْرَ أَسْبَابِهَا. وَأَسْبَابُ الْأُلْفَةِ حَمْسَةٌ وَهِيَ: الدِّينُ وَالتَّسَبُّبُ وَالمُصَاهَرَةُ وَالمُودَّةُ وَالبِرُّ"^(٥) والأربعة الأولى جعلتها في أربعة مطالب:

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، المحقق: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٨٦ / ٢.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ١١٢.

(٣) ينظر: أحكام القرآن، الجصاص، ٣٦ / ٢.

(٤) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري كان من وجوه الفقهاء الشافعيين، وله تصانيف عدة في أصول الفقه، وفروعه، وفي غير ذلك، وجعل إليه ولاية القضاء ببلدان كثيرة، وسكن ببغداد في درب الزعفراني، وحدث بها عن الحسن بن علي بن محمد الجبلي صاحب أبي خليفة الجمحي، وعن محمد بن عدي بن زحر المنقري، ومحمد بن المعلى الأزدي، وجعفر بن محمد بن الفضل البغدادي. قال الخطيب البغدادي كتبت عنه، وكان ثقة. مات سنة خمسين وأربع مائة، ودفن في مقبرة باب حرب، وكان قد بلغ ستا وثمانين سنة. ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٣ / ٥٨٧، الترجمة (٦٤٩٢).

(٥) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة - بيروت، (د ط)، ١٩٨٦م، ص ١٤٧.

المطلب الأول

الدين

إنَّ الدين الإسلامي هو دين اليسر والسماحة والسهولة، دين العدالة والمساواة، دين الألفة والمحبة والإخاء، دين العلم والعمل، دين يهدي للتي هي أقوم، دين الكمال والشمول، دين الوفاء والصدق والأمانة، دين العزة والقوة والمنعة. دين أساسه التوحيد، وروحه الإخلاص، وشعاره التسامح والإخاء. ومن محاسن الإسلام ما شرعه من إقامة الحدود على المجرمين التي فيها زجر الناس عن الجراءة على المعاصي التي نهى الله ﷻ عنها، وبذلك حفظ الإسلام الضروريات الخمس: الدين والنفس والعقل والمال والعرض^(١).

وَبَعْدَ أَنْ عَدَّ الْمَاوَرِدِيُّ أَسْبَابَ الْأَلْفَةِ خَمْسَةً وَهِيَ: الدِّينُ وَالنَّسَبُ وَالْمُصَاهَرَةُ وَالْمَوَدَّةُ وَالْبِرُّ. قَالَ: «قَامَا الدِّينُ: وَهُوَ الْأَوَّلُ مِنْ أَسْبَابِ الْأَلْفَةِ فَلِأَنَّهُ يَبْعَثُ عَلَى النَّتَاصِرِ، وَيَمْنَعُ مِنَ النَّقَاطِعِ وَالتَّدَابِيرِ، وَيَمِثِّلُ ذَلِكَ وَصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»^(٢). وَهَذَا وَإِنْ كَانَ اجْتِمَاعُهُمْ فِي الدِّينِ يَقْتَضِيهِ فَهُوَ عَلَى وَجْهِ التَّحْذِيرِ مِنْ تَدَكُّرِ تَرَاثِ الْجَاهِلِيَّةِ وَإِحْنِ الضَّلَالَةِ. فَقَدْ بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْعَرَبُ أَشَدَّ تَقَاطَعًا وَتَعَادِيًا، وَأَكْثَرَ اخْتِلَافًا وَتَمَادِيًا، حَتَّى إِنَّ بَنِي الْأَبِ الْوَاحِدِ يَتَفَرَّقُونَ أَحْزَابًا فَتَثِيرُ بَيْنَهُمْ بِالتَّحْزَبِ وَالِافْتِرَاقِ أَحْقَادُ الْأَعْدَاءِ، وَإِحْنُ البُعْدَاءِ»^(٣).

(١) ينظر: كمال الدين الإسلامي، عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ، ص ٥٣.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْأَدَبِ)، (بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ النَّحَاسِدِ وَالتَّدَابِيرِ)، ٨ / ١٩، (٦٠٦٥).

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص ١٤٧.

ولا يوجد في التاريخ الإنساني أمة قد جمعها جامع بعد تفرق وشتات مثل ما يجمع الدين الناس، وقد تكون اللغة سبباً في الجمع ولكنها تبقى تابعاً للدين، لذلك لم يوجد شعب من شعوب الأرض مجرداً من كل دين حتى ولو كان الدين بدائياً مبنياً على الأساطير، فالدين هو الشغل الشاغل للناس وسبب من أسباب الألفة.

والدين الإسلامي هو حبل الله المتين طرفه بيد العباد الموصول إلى رب العباد، لذلك وجب التمسك به، لأنه سبب الوصول إلى البر المأمون قال ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١). يعني: "وتعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله. وأما الحبل، فإنه السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة، ولذلك سمي الأمان حبلاً، لأنه سبب يوصل به إلى زوال الخوف والنجاة من الجزع والذعر"^(٢).

وقال ﷺ مبيناً أثر الدين في جمع قلوب الناس: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٠٣ - ١٠٥.

(٢) جامع البيان، الطبري، ٥ / ٦٤٣.

(٣) الشورى: جزء من الآية ١٣.

وقوله ﷺ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾^(١).

والمقصود من الآيتين: شرع لكم ديناً تطابقت الأنبياء على صحته، فيجب أن يكون المراد من هذا الدين شيئاً مغايراً للتكاليف والأحكام؛ لأنها مختلفة متفاوتة، كما في بَعَثَ اللهُ ﷺ الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة^(٢). وفي الآيتين دليل على اجتماعهم على أمر واحد في الأصول، لأن الفروع معلومة بوقوع الاختلاف فيها حتى في الملة الواحدة، وذلك لا يضر وإنما يضر الاختلاف في الأصول إذ لو وقع الاختلاف فيها لما وقع الاتفاق ولكانت الدعوة لا تصح^(٣).

جاء لفظ النفس بمعنى القريب والشريك في الدين. قَالَ ﷺ: ﴿وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دَيْرِكُمْ﴾^(٤) أي: لا تخرجوا أهل دينكم، وكذلك ذكر النفس وأراد الدين في قوله ﷺ: ﴿لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾^(٥) وقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَمَرُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٦).

(١) المائدة: جزء من الآية ٤٨.

(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ)، المحقق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، ٨ / ٣٠٦، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت بعد ٨٨٠هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ١٧ / ١٧٦.

(٣) ينظر: روح البيان، الخلوتي، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر- بيروت، (د ط)، (د ت)، ٩ / ٤٧١.

(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ٨٤.

(٥) سورة النور: جزء من الآية ١٢.

(٦) سورة الحجرات: جزء من الآية ١١.

فللقرب والألفة عبر بالنفس عن الدين^(١).

والدين الإسلامي دين الألفة والتوَادد والتعارف ويحث أتباعه على الألفة والمحبة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوَطَّنُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وَأَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْمُتَلَمِّسُونَ لِلْبِرَاءِ الْعَنْتِ»^(٢). وحذر الله ﷻ من الفرقة في الدين بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(٣). وهناك سُبُلٌ مُتَعَدِّدَةٌ يَنْفَرِقُ مُتَبِعُوهَا عَنِ الصِّرَاطِ وَهِيَ طُرُقُ الشَّيْطَانِ، وَقَدْ عَلِمَ مَنْ جَعَلَ النِّفْرُقَ تَابِعًا لِاتِّبَاعِ سُبُلِ هِيَ غَيْرُ صِرَاطِ اللَّهِ، فَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ سَبِيلَ اللَّهِ لَا يَنْفَرِقُونَ، وَقَدْ يَطْرَأُ عَلَيْهِمْ سَبَبُ الْخِلَافِ وَالتَّنَازُعِ، لَكِنَّهُمْ مَتَى شَعَرُوا بِأَنَّ التَّنَازُعَ قَدْ دَبَّ إِلَيْهِمْ فِي أَمْرِ فَرَعُوا إِلَى تَحْكِيمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيهِ بَرَدَهُ إِلَى حُكْمِهِمَا كَمَا أَمَرَهُمْ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٤)، أَي: مَا لَا وَعَاقِبَةٌ. فَالآيَاتُ يُفَسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا إِذَا نَحْنُ أَخَذْنَا الْقُرْآنَ بِجُمْلَتِهِ كَمَا أَمَرْنَا^(٥).

(١) ينظر: صب العذاب على من سب الأصحاب، الألويسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي النشاء (ت ١٣٤٢هـ)، المحقق: عبد الله البخاري، أضواء السلف - الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٣٤٧.

(٢) حديث «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ ...» رواه الامام أحمد بسنده عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٢٩ / ٢٦٧، (١٧٧٣٢)، ٢٩ / ٢٧٩، (١٧٧٤٣)، قال المحقق: حسن لغيره، صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين نوح نجاتي آدم الأشقودري (ت ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي - دمشق، ط ٢، ١٤٠٣هـ، ١ / ٢٦٦، (١٢٣١)، (حسنه المحقق).

(٣) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٥٩.

(٤) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٥) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢ / ٢٠٧.

ومن أجمع الوصايا في ملازمة الدين وعدم التفرق فيه كما جاء في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾. وقوله ﷺ: ﴿فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُبِينٌ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(١). وقد جرى عرف القرآن أن يعد المتفرقين في الدين من الكفار والمشركين، كما جاء في هذه الآيات^(٢).

وقد نعى القرآن على أهل الكتاب تفرقهم في الدين فقال ﷺ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣). وأخبر ﷺ عن وقت تفرق كلمة أهل الكتاب وعن سبب ذلك فقال ﷺ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾^(٤)، يعني: ببعث محمد ﷺ وصحة نبوته^(٥). ويعني كذلك أنهم ما تفرقوا إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلالة، ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وطلب الرياسة، فحملتهم الحمية النفسانية الطبيعية على أن ذهب كل طائفة إلى مذهب، ودعوا الناس إليه وقبحوا ما سواه طلباً للذكر والرياسة فصار ذلك سبباً لوقوع الاختلاف. ثم أخبر ﷺ أنهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل،

(١) سورة الروم: الآيات ٣٠ - ٣٢.

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، الهري، ٥ / ٥٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٤) سورة الشورى: جزء من الآية ١٤.

(٥) ينظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين

القمي (ت ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١،

١٤١٦هـ، ٦ / ٧٠.

إلا أنه ﷺ أحرَّ عنهم ذلك العذاب، لأنَّ لكل عذاب عنده أجلًا مسمًى، أي: وقتًا معلومًا^(١).

نفى الله ﷺ عادات كانت في الجاهلية واستمرت حتى بعد بعثة محمد ﷺ منها التبني وتأكيد النسب، فجعل الله ﷺ أخوة الدين سبيلاً إلى الألفة والمودة، بقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْمُواْ أَبَاءَهُمْ فَاخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٢).

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أُضِعَ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلْتُهُ هَذِيلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبَا أُضِعَ رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ»^(٣).
والحكمة من تحريم الربا لمنع العداوة والبغضاء والنزاعات والتفرقة بين الناس.

والدين الإسلامي ليس عدو الألفة، ولا حرباً على البر والإحسان، ولا يُحرم على المسلمين من الانتفاع بعمل من يشاركونهم في المصلحة، وإن اختلف عنهم في الدين، وآداب الإسلام أفضل كافل لجعل الرعية سالحة لأن تكون بدناً لرأس. وقد أرشدتنا التجربة إلى أن كل عارف بحقيقة الدين الإسلامي، كان أوسع نظراً في الأمور، وأظهر قلباً من التعصب الجاهلي، وأقرب إلى الألفة مع أبناء الملل المختلفة، وأسبق

(١) ينظر: الباب في علوم الكتاب، ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ١٧ / ١٧٨.

(٢) سورة الأحزاب: الآيتان ٤، ٥.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الْحَجِّ)، (بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ)، ٢ / ٨٨٦، (١٢١٨).

الناس إلى ترقية المعاملة بين البشر، وإنما يبعد المسلم عن غيره جهله بحقيقة دينه العظيم^(١).

"إنَّ عدمَ الألفةِ في أهل الدين، يوجب أذاهم وتبدهم وتقاطعهم وتفرقهم فيه وتدابره وعداوتهم وكل ذلك يوجب زوال الخير عنهم كما هو المعلوم بين المتقاطعين"^(٢).

"فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ حَدِثَتْ فِي الْإِسْلَامِ فَخَاصَّ فِيهَا النَّاسَ وَاخْتَلَفُوا، فَلَمْ يُورْثْ ذَلِكَ الْإِخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ وَلَا بَغْضًا وَلَا تَفَرُّقًا وَبَقِيَتْ بَيْنَهُمُ الْأَلْفَةُ وَالنَّصِيحَةُ وَالْمُودَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِسْلَامِ يَحِلُّ النَّظَرُ فِيهَا وَالْأَخْذُ بِقَوْلِ مَنْ تَلَكَ الْأَقْوَالِ الْمَخْتَلِفَةَ كَمَا ظَهَرَ مِثْلَ هَذَا الْإِخْتِلَافِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَعَ بَقَاءِ الْأَلْفَةِ وَالْمُودَةِ. وَكُلُّ مَسْأَلَةٍ حَدِثَتْ فَاخْتَلَفُوا فِيهَا فَأُورِثَ اخْتِلَافَهُمْ فِي ذَلِكَ التَّوَلَّى وَالْإِعْرَاضَ وَالتَّدَابِرَ وَالتَّقَاطِعَ وَرُبَّمَا ارْتَقَى إِلَى التَّكْفِيرِ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، بَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَجْتَنِبَهَا وَيَعْرِضَ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا لِأَنَّ اللَّهَ شَرَطَ فِي تَمَسُّكِنَا بِالْإِسْلَامِ أَنْ نَصْبِحَ فِي ذَلِكَ إِخْوَانًا، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٣)"^(٤).

(١) ينظر: مجلة المنار، محمد رشيد بن علي رضا ومجموعة من المؤلفين (ت ١٣٥٤هـ)، مقالة الإمام محمد عبده، اللائحة الثالثة: من لوائح إصلاح التعليم والتربية الدينية، رقم المجلة (١٠)، ص ٢٠.

(٢) شرح أصول الكافي، المازندراني، مولي محمد صالح (ت ١٠٨١هـ)، المحقق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٨/ ٣١٢.

(٣) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٣.

(٤) الإنتصار لأصحاب الحديث، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي (ت ٤٨٩هـ)، المحقق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار-السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٤٩.

المطلب الثاني

النَّسَبُ وَالرَّضَاعَةُ

قربابة النسب من أول وأهم أنواع القربابة، فتعريف الشخص بالمجتمع لا يكون إلا من خلال إنتسابه إلى أبيه وجده، لذا كان اعتناء العرب قديماً وحديثاً بأصالة النسب. وقربابة الرضاعة لها من الأهمية ما لقربابة النسب.

أولاً: تعريف النَّسَبِ لُغَةً: "النَّسْبَةُ والنُّسْبَةُ والنَّسَبُ القَرَابَةُ"^(١).

تعريف النَّسَبِ اصطلاحاً: "الاتصال بين إنسانين بالاشتراك في ولادةٍ قريبةٍ أو بعيدة"^(٢).

ثانياً: الرضاعة لُغَةً: مَصَّ الثدي وشرب لبنه^(٣).

الرضاعة اصطلاحاً: "مَصَّ الرضيع من ثدي الأدمية في وقتٍ مخصوصٍ"^(٤). من آيات الله ﷻ في خلقه أن جعل من الماء بشراً، ثم جعل من البشر نسباً وصهراً، وكذلك جعل الرضعة من أسباب القربى المؤدية إلى الألفة، لذلك حرم الشارع الحكيم الأم أو الأخت أو العمة أو الخالة من الرضاعة وجعلها من المحارم المؤبدة، فحرمتها كحرمة النسب مثلاً بمثل، إلا في أمر المواريث.

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٨ / ٥٢٩، (ن س ب).

(٢) نَيْلُ المَارِبِ بِشَرْحِ دَلِيلِ الطَّالِبِ، الشَّيْبَانِي، عبد القادر بن عمر بن عبد القادر ابن عمر بن أبي تغلب بن سالم التغلبي (ت ١١٣٥هـ)، المحقق: د. محمد سليمان عبد الله الأشقر، مكتبة الفلاح - الكويت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٢ / ٥٥.

(٣) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال - مصر، (د ط)، (د ت)، ١ / ٢٦٩، (باب العين والضاد والراء).

(٤) كنز الدقائق، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت ٧١٠هـ)، المحقق: أ. د. سائد بكداش، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، (كتاب الرضاع)، ص ٢٦٧.

وَيَحْرُمُ كَذَلِكَ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ، أَمَا أَقَارِبُ الْمُرْضِعِ فَهَمُ أَقَارِبُ لِلرَّضِيعِ، وَأَقَارِبُ الرَّضِيعِ فَلَا قَرَابَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُرْضِعِ (١).

ثالثاً: النسب سبب الألفة

قال الماوردي: وَأَمَّا النَّسَبُ وَهُوَ الثَّانِي مِنْ أَسْبَابِ الْأُفَّةِ، لِأَنَّ تَعَاطَفَ الْأَرْحَامِ وَحَمِيَّةَ الْقَرَابَةِ يَبْعَثَانِ عَلَى التَّنَاصُرِ وَالْأُفَّةِ، وَيَمْنَعَانِ مِنَ التَّخَاذُلِ وَالْفُرْقَةِ، أَنْفَةً مِنْ اسْتِعْلَاءِ الْأَبَاعِدِ عَلَى الْأَقَارِبِ، وَتَوْقِيًا مِنْ تَسَلُّطِ الْغُرَبَاءِ الْأَجَانِبِ. وَلِذَلِكَ حَفِظَتْ الْعَرَبُ أَنْسَابَهَا لَمَّا امْتَنَعَتْ عَنْ سُلْطَانِ يَفْهَرُهَا وَيَكْفُ الْأَدَى عَنْهَا لِتَكُونَ بِهِ مُتَضَافِرَةً عَلَى مَنْ نَاوَأَهَا، مُتَنَاصِرَةً عَلَى مَنْ شَاقَّهَا وَعَادَاهَا، حَتَّى بَلَغَتْ بِالْأُفَّةِ الْأَنْسَابِ تَنَاصُرَهَا عَلَى الْقَوِيِّ الْأَيْدِ وَتَحَكَّمَ بِهِنَّ تَحَكَّمَ الْمُتَسَلِّطِ الْمُتَسَطِّطِ (٢).

قَالَ ﷺ فِي بَيَانِ إِشْفَاقِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ وَرِعَايَةِ مَسَالِحِهِمْ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ (٣). هَذَا الْخَطَابُ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَالْمَعْنَى: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَهْلِ نَسَبِكُمْ وَلِسَانِكُمْ، شَرِيفٌ النَّسَبِ تَعْرِفُونَهُ وَتَفْهَمُونَ كَلَامَهُ. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْأُفَّةِ. وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا خُطَابٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ، مَعْنَاهُ: جَاءَكُمْ أَدَمِيٌّ مِثْلَكُمْ، وَهَذَا أَوْكَدُ لِلْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ تَفْهَمُونَ عَنْ مَنْ هُوَ مِنْ جَنْسِكُمْ" (٤).

أَحْكَامُ النَّسَبِ وَالرِّضَاعَةِ صِنَوَانٌ لَا يَفْتَرِقَانِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ

(١) ينظر: نيل الأوطار، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٠هـ)، المحقق:

عصام الدين الصباطي، دار الحديث - مصر، ط ١، ١٤١٣هـ، ٦ / ٣٧٧.

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي، ١ / ١٤٨.

(٣) سورة التوبة: جزء من الآية ١٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن

أيوب (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: هشام البدراني، ط ١، ٢٠٠٨م، ٣ / ٢٣٠.

نِسَائِكُمْ وَرَبَّيْبِكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ
فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ
أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١﴾.

بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْجَامِعَةَ لِأَنْوَاعِ الْمَحْرَمَاتِ بِأَسْبَابِهَا الْمَخْتَلِفَةِ، وَمِنْهَا سَبَبُ
الْوَصْلَةِ (٢) (٣).

فَنَصَّ اللَّهُ ﷻ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى حُرْمَةِ الْأُمَّهَاتِ وَالْأَخَوَاتِ مِنْ جِهَةِ الرِّضَاعَةِ إِلَّا
أَنَّ الْحُرْمَةَ عَيَّرَ مَقْصُورَةً عَلَيْهِنَّ، لِأَنَّهُ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ فِي بِنْتِ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَا تَحِلُّ لِي يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ
النَّسَبِ هِيَ بِنْتُ أُخِي مِنْ الرِّضَاعَةِ» (٤)، وَإِنَّمَا عَرَفْنَا أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ بِدَلَالَةِ هَذِهِ
الْآيَاتِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ﷻ لَمَّا سَمَى الْمُرْضِعَةَ أُمَّا، وَالْمُرْضِعَةَ مَعَ الرَّاضِعِ أُخْتًا، فَقَدْ نَبَّهَ
بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ ﷻ أَجْرَى الرِّضَاعَ مَجْرَى النَّسَبِ (٥). وَقَدْ جُعِلَ الرِّضَاعُ مِنْ جَمَلَةِ
النَّسَبِ (٦).

(١) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٢) الوصلة: الصلة مع القرابة، ينظر: نهج البلاغة خطب الإمام علي ﷺ (ت ٤٠هـ)، المحقق:

الشيخ محمد عبده، دار الذخائر - قم، ط ١، ١٤١٢هـ، ٢٢/٣.

(٣) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء

محيي السنة الشافعي (ت ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -

بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١/٥٩٠.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الشَّهَادَاتِ)، (بَابُ الشَّهَادَةِ عَلَى الْأَنْسَابِ وَالرِّضَاعِ

الْمُسْتَقْبِضِ وَالْمَوْتِ الْقَدِيمِ)، ٣/ ١٧٠، (٢٦٤٥)،

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٠/ ٢٦.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت ٣١١هـ)،

المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م،

٥/ ٢٤٣، المحرر الوجيز، ابن عطية، ٤/ ٢٦١.

أما قوله ﷺ: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾، فحدُّ أم امرأتك كحدِّ أمك، سواءً كانت من اللبن أو من النسب، فهي حرام عليك بنفس العقد على ابنتها، لأن الله ﷻ أطلق التحريم ولم يُعيده بالدخول. وهذا إجماع الأمة اليوم^(١).

وفي قوله ﷺ: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾^(٢). أي: كما تحرم عليك أمك التي ولدتك، كذلك يحرم عليك أمك التي أرضعتك^(٣)، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّضَاعَةَ تُحْرِمُ مَا تُحْرِمُ الْوِلَادَةَ»^(٤)، وعن عائشة قالت: «إِنَّ أَفْلَحَ أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ بَعْدَ مَا نَزَلَ الْحِجَابُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا آذَنُ لَهُ حَتَّى اسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي وَلَكِنْ أَرْضَعَنِي امْرَأَةٌ أَبِي الْقُعَيْسِ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّم فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي وَلَكِنْ أَرْضَعَنِي امْرَأَتُهُ» قال: «أَنْدَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكَ تَرَبَّتْ يَمِينُكَ» قال عُرْوَةُ: فَبِذَلِكَ كَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: «حَرِّمُوا مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»^(٥).

والحكمة من التحريم بالرضاع ظاهرة، وهي أن من رضع من امرأة كان بعض بدنه جزءاً منها، لأنه تكوّن من لبنها، فصارت في هذا كأمه التي ولدتها، وصار أولادها إخوة له، لأن لتكوين أبدانهم أصلاً واحداً هو ذلك اللبن^(٦).

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٨ / ١٤٤، التفسير البسيط، الواحدي، ٦ / ٤١٨.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة - السعودية، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٢ / ٢٤٨.

(٣) سور النساء: جزء من الآية ٢٣.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب الرضاع)، (باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة)، ٢ / ١٠٦٨، (١٤٤٤).

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأدب)، (باب قول النبي ﷺ تَرَبَّتْ يَمِينُكَ وَعَفْرَى حَلْقِي)، ٨ / ٣٧، (٦١٥٦).

(٦) ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ١ / ٤٦٢.

فالواجب على المسلم أن يعلم المحرمات من النسب والمصاهرة، ويتحرى المحرمات من الرضاة.

النفقة الموجبة بسبب الألفة

ومن الأسباب الموجبة للنفقة القرابة بالسبب والنسب، الداعية إلى الألفة والمودة والرحمة، لذلك جعل الشارع النفقة على القريين في النسب أجرين أجر الصدقة وأجر الصلة.

قَالَ ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(١). أي: يسألك عن النفقة، وهذا يعم السؤال عن المنفق والمنفق عليه، فأجابهم عنهما فقال: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: "مال قليل أو كثير، فأولى الناس به وأحقهم بالتقديم أعظمهم حقاً عليك وهم الوالدان الواجب برهما والمحرم عقوقهما، ومن أعظم برهما النفقة عليهما، ومن أعظم العقوق ترك الإنفاق عليهما، ولهذا كانت النفقة عليهما واجبة على الولد المؤسر، ومن بعد الوالدين الأقربون، على اختلاف طبقاتهم الأقرب فالأقرب، على حسب القرب والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصلة"^(٢).

عَنْ زَيْنَبِ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ». قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ فَأَتَيْتُهُ فَاسْأَلُهُ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يَجْزِي عَنِّي وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَىٰ غَيْرِكُمْ. قَالَتْ: فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ: بَلِ انْتِيهِ أَنْتِ. قَالَتْ: فَاَنْطَلَقْتُ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَاجَتِي حَاجَتُهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ. قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٍ، فَقُلْنَا لَهُ: أَنْتِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلَانِكَ أَنْ جِزَى الصَّدَقَةَ عَنْهُمَا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمَا وَعَلَىٰ أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا وَلَا

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٥.

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، السعدي، ص ٩٦.

تُخْبِرُهُ مَنْ نَحْنُ قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلَالٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هُمَا». فَقَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ الزَّيْنَبِ». قَالَ امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَهُمَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»^(١).

مكانة إخوة الأعداء

قَالَ ﷺ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ أَلْتِي تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾^(٢).

والظاهر في قوله ﷺ: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أنه يباح أن يقال في دعاء من لم يُعرف أبوه: يا أخي، أو يا مولاي، إذا قصد الأخوة في الدين والولاية فيه، لا أخوة النسب وقربته، فإن الله ﷻ جعل المؤمنين إخوة، قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣). "ومعلوم أنه لا يراد بها أخوة النسب فدلّ على جواز قول المسلم: هذا أخي يقصد بها أخوة الإسلام وقرباة الدين"^(٤).
وقيل: إِنَّ إِخْوَانَ الدِّينِ أَوْلَى، وَإِخْوَانَ الطَّرِيقِ أَحَبُّ وَأَصْفَى، وَقَرَابَةُ الدِّينِ أَوْلَى مِنْ قَرَابَةِ النَّسَبِ^(٥).

(١) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الرِّكَاتِ)، (بَابُ فَضْلِ النَّقَّةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالرُّوْحِ وَالْأَوْلَادِ وَالْوَالِدِينَ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ)، ٢ / ٦٩٤، (١٠٠٠).

(٢) سورة الأحزاب: جزء من الآيتين ٤، ٥.

(٣) سورة الحجرات: جزء من الآية ١٠.

(٤) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، ٢ / ٢٦٦.

(٥) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن

المهدي الحسني الأنجزي الفاسي (ت ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار

الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ٤ / ٤٠٧.

وَقِيلَ: "أُخُوَّةُ الدِّينِ أُثْبِتُ مِنْ أُخُوَّةِ النَّسَبِ، فَإِنَّ أُخُوَّةَ النَّسَبِ تَنْقَطِعُ بِمُخَالَفَةِ الدِّينِ، وَأُخُوَّةُ الدِّينِ لَا تَنْقَطِعُ بِمُخَالَفَةِ النَّسَبِ"^(١).

ومن رحمة الله بعباده أن فرض على العاقلة التي هي عَصَبَةُ الإنسان وقرابته أن تتحمل الذِّية عنه في قتل الخطأ، ولقد كانت العاقلة موجودة في الجاهلية، وأقرها الإسلام، لما فيها من الألفة والتكاتف والترابط والمحبة بين الأقرباء بعضهم بعضًا. وللعاقلة ثلاث جهات: جهة النسب، وجهة الولاء، وجهة الحلف^(٢).

فعلاقة النسب والرِّضاعة وما يتفرع منهما من دواعي الألفة. والإسلام لا يريد أن يكتفي المسلم بأسرته الصغيرة من الزوجة والأولاد فقط، لكن لا بد من مخالطة باقي الأقارب ووصلهم والتودد إليهم، لأن في هذا تقوية لأواصر القرابة.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد أبي بكر فرح الأنصاري الخزرجي (ت ٦٧١هـ)، المحقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ١٦ / ٣٢٢.

(٢) ينظر: شرح زاد المستقنع، الشنقيطي، محمد بن محمد المختار، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء - الرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ٣ / ٢٨٢.

المطلب الثالث

المصاهرة

قربانة المصاهرة ثاني انواع القربانة، وهي لا تقل أهمية عن قربانة النسب. واقتضت حكمة الله ومشيتته أن جعل من البشر نسباً وصِهراً، ليتعارفوا وليتألفوا وينضم بعضهم إلى بعض، فكأن الزوج ينصهر مع أسرة الزوجة، ليكونوا متضامنين متوائمين.

الصهر لغةً: "أهل بيت المرأة ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان" (١).

الصهر اصطلاحاً: "ما كان من خلطة تشبه القربانة يحدثها التزويج" (٢).

ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي كثيراً.

قال الماوردي: المصاهرة من أسباب الألفة، لأنها استحداث مؤصلة، وتمارح مناسبة، صدرت عن رغبة واختيار، انعقدت على خير وإيثار، فاجتمع فيها أسباب الألفة ومواد المظاهرة. قال ﷺ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (٣). يعني بالمودة المحبة، وبالرحمة الحنو والشفقة، وهما من أوكد أسباب الألفة (٤).

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٤ / ٤٧١، (فصل الصاد المهملة).

(٢) تاج العروس، الزبيدي، ٧ / ١١٥، (صهر).

(٣) سورة الروم: الآية ٢١.

(٤) ينظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي، ١ / ١٥٣، ١٥٤.

والزوجان يتوادان ويتراحمان من غير رجم بينهما ذلك صنع الله ﷻ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ في قدرة الله ﷻ وعظمته، والزُّوجِيَّةُ تُوجِبُ الْحَنَانَ وَالْمُوَاصَلَةَ وَالْأُلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ (١).
 إِنَّ أَوَاصِرَ النَّسَبِ وَأَوَاصِرَ الصِّهْرِ، أَصْلَ نِظَامِ الْاجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ لِتَكْوِينِ الْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَتَعَاوُنِهِمْ مِمَّا جَاءَ بِهِذِهِ الْحَضَارَةُ الْمُزْتَفِيَّةُ مَعَ الْعُصُورِ وَالْأَقْطَارِ (٢)، قَالَ ﷻ:
 ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (٣).

وإنَّ الله ﷻ جعل الصهر مألفة للقلوب، وجعله رأفة ورحمة (٤).

وفي قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٥). فالماء سبب الخلق عموماً، وللشعر خصوصاً، حيث اختصهم الله ﷻ بالذكر فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (٦). أي: خلق الإنسان من نطفة ضعيفة، فسَوَّاهُ وَعَدَّلَهُ، وَجَعَلَهُ كَامِلَ الْخَلْقَةِ، ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، كَمَا يَشَاءُ، ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ ، فَهُوَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ وَوَلَدٍ نَسِيبٌ يُنْسَبُ إِلَى أَبِيهِ، وَهَذِهِ قَرَابَةُ النَّسَبِ، ثُمَّ يَتَرَوُّجُ فَيَصِيرُ صِهْرًا، ثُمَّ يَصِيرُ لَهُ أَصْهَارٌ وَقَرَابَاتٌ. وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ؛ وَلِهَذَا

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٣ / ٤١٩، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥ / ٤١١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٩ / ٥٦.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٤) ينظر: روضة المنقنين في شرح من لا يحضره الفقيه، المجلسي، محمد تقي (ت ١٠٧٠هـ)، المحقق: السيد حسين الموسوي الكرمانى، الشيخ علي پناه الإشتهاردي، المطبعة العلمية - قم، (د ط)، (د ت)، ٨ / ١٥٨.

(٥) سورة الأنبياء: جزء من الآية ٣٠.

(٦) سورة الفرقان: الآية ٥٤.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(١). حَيْثُ خَلَقَ مِنَ النُّطْفَةِ الْوَاحِدَةِ نَوْعَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، فَقَسَمَ الْبَشَرَ قَسَمَيْنِ:

ذَوِي نَسَبٍ، أَيْ ذُكُورًا يُنْسَبُ إِلَيْهِمْ، فَيُقَالُ فُلَانٌ بِنُ فُلَانٍ، وَفُلَانَةٌ بِنْتُ فُلَانٍ. وَذَوَاتِ صَهْرٍ، أَيْ إِنَاثًا (يَصَاهِرْنَ) وَنَحْوَهُ، قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾^{(٢)(٣)}.

وهذه الآية من آيات القدرة المعجزة في الأنفس^(٤). وتدل على أن الله سبحانه جعل الماء سبب الاجتماع والتآلف^(٥).

والمصاهرة نعمة، لأنها تلحق الأجانب بالأقارب، والقصد من إثبات حرمة المصاهرة قطع الأطماع بين الرجل والمرأة، لتحقيق الألفة والمودة، والاجتماع البريء من غير ريبة^(٦).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦ / ١١٧.

(٢) سورة القيامة: الآية ٣٩.

(٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ٣ / ٢٩٣، مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٤ / ٤٧٥، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، الفَنُوجِي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت ١٣٠٧هـ)، المحقق: د مصطفى الخن، محي الدين مستو، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ١ / ١٦٤.

(٤) ينظر: ركائز الإيمان، العلامة محمد قطب، المحقق: علي بن نايف الشحود، دار المعمور- ماليزيا، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٧٧.

(٥) ينظر: أحكام القرآن، الكيا الهراسي، أبو الحسن علي بن محمد بن الشافعي الطبري عماد الدين (ت ٥٠٤هـ)، المحقق: موسى محمد علي، عزة عبد عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ٤ / ٣٣١.

(٦) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، الزُّحَيْلِي، د. وَهْبَةُ بْنُ مُصْطَفَى، دار الفكر- دمشق، ط ٤، ٦٦٣٢ / ٩.

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَتْ عَظَمَتُهُ جَعَلَ الْمُصَاهِرَةَ سَبِيًّا لِحَقًّا وَأَمْرًا مَفْرُوضًا أَوْشَجَ بِهِ الْأَرْحَامَ، أَي أَلْفَ بَيْنَهَا وَجَعَلَهَا مَخْتَلِطَةً مُشْتَبِكَةً^(١).

وبالزواج تتقارب عائلتان فيتعارفان ويتآلفان، وتنشئ بينهما قرابة جديدة وهي قرابة الصهر التي تُعد هي أساس قرابة النسب، ثم يلتحق الأبناء بسلسلة قرابة النسب،

قَالَ ﷺ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِكُمْ مِنْ أَنْزِلِكُمْ بَيْنَ

وَحَفَدَةٍ﴾^(٢). والمعنى: جَعَلَ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَزْوَاجًا مِنْ جِنْسِهِمْ وَشِكْلِهِمْ، وَلَوْ جَعَلَ الْأَزْوَاجَ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ لَمَا حَصَلَ انْتِلَافٌ وَمَوَدَّةٌ وَرَحْمَةٌ^(٣).

وجعل الله ﷻ من البشر إناثًا يصاهر بهن، كما في قوله ﷻ: ﴿الْمَرْيَكُ نُطْفَةٌ مِّنْ

مَنِّي يُمْنِي * ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(٤).

ويترتب على قرابة الصهر أحكامٌ مثل تحريم بعض النساء على التأييد وتحريم

بعضهن على التأقيت، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ

وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ

نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ

فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ

(١) الصواعق المحرقة، الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الأنصاري

شهاب الدين (ت ٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط،

مؤسسة الرسالة - لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٢ / ٤١٨.

(٢) سورة النحل: جزء من الآية ٧٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤ / ٥٨٦.

(٤) سورة القيامة: الآية ٣٧ - ٣٩.

أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾.

ويستفاد من فقه الآية: حيثُ ذَكَرَ اللَّهُ الصِّهْرَ مَعَ النَّسَبِ وَحَرَّمَ أَرْبَعَةَ عَشْرَةَ امْرَأَةً، سَبْعًا مِنَ النَّسَبِ وَسَبْعًا مِنَ الصِّهْرِ وَاسْتَوَى تَحْرِيمُ اللَّهِ فِي النَّسَبِ وَالصِّهْرِ (٢).
وفقه ابن عباس رضي الله عنه من الآية فقال: "حَرَّمَ مِنَ النَّسَبِ سَبْعٌ، وَمِنَ الصِّهْرِ سَبْعٌ. ثُمَّ قَرَأَ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الْآيَةَ" (٣).

واستدل الفقهاء من الآيات على أَنَّهُ يَحْرُمُ بِالْمُصَاهَرَةِ عَلَى التَّأْيِيدِ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ:

أ - زَوْجَةُ الْأَصْلِ وَهُوَ الْأَبُ وَإِنْ عَلَا، لِقَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (٤).

ب - أَصْلُ الزَّوْجَةِ وَهِيَ أُمُّهَا وَأُمُّ أُمِّهَا وَإِنْ عَلَتْ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾، عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾.

ت - فُرُوعُ الزَّوْجَةِ وَهُنَّ بَنَاتُهَا وَبَنَاتُ بَنَاتِهَا وَبَنَاتُ أَبْنَائِهَا وَإِنْ نَزَلْنَ بِشَرْطِ الدُّخُولِ بِالزَّوْجَةِ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

ث - زَوْجَةُ الْفَرْعِ أَيِ زَوْجَةِ ابْنِهِ أَوْ ابْنِ ابْنِهِ أَوْ زَوْجَةِ ابْنِ بِنْتِهِ مَهْمَا بَعْدَتْ الدَّرَجَةُ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾.

(١) سورة النساء: الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ٨ / ٢٧١٠.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ النِّكَاحِ)، (بَابُ مَا يَحِلُّ مِنَ النِّسَاءِ وَمَا يَحْرُمُ وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾)، ٧ / ١٠، (٥١٠٥).

(٤) سورة النساء: جزء من الآية ٢٢.

وأما ما يَحْرُمُ بِالمُصَاهَرَةِ عَلَى التَّأْقِيتِ هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ وَمَنْ فِي حُكْمِهِمَا مِمَّنْ بَيْنَهُمَا قَرَابَةٌ مُحَرَّمَةٌ، لِقَوْلِهِ ﷺ فِي آيَةِ الْمُحَرَّمَاتِ: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ الْعَمَّةُ عَلَى ابْنَةِ أُخِيهَا أَوْ الْمَرْأَةُ عَلَى خَالَتِهَا أَوْ الْخَالَةُ عَلَى بِنْتِ أُخْتِهَا" (١)(٢).

والحكمة من تشريع التحريم هو لمنع البغضاء وقطع الارحام وهي من كبائر الذنوب.

"بَيَّنَ اللَّهُ ﷻ بَيَانًا مَفْصَلًا مِنْ يَحِلُّ نِكَاحُهُ مِنَ النِّسَاءِ وَمَنْ يَحْرُمُ، سِوَاءَ أَكَانَ بِسَبَبِ النِّسْبِ أَوْ المِصَاهَرَةِ أَوْ الرِّضَاعِ، تَعْظِيمًا لَهَا، وَصِيَانَةً لَهَا مِنَ الِاعْتِدَاءِ" (٣).

وَفِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِاتِّمَامِ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (٤).

والمقصود في الآية: الحث على المخالطة المشروعة بالإصلاح مطلقاً أي: إن تخالطوهم في الطعام والشراب والمسكن والمصاهرة، لأنهم إخوانكم في الدين، واختار

(١) سنن الترمذي، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاک (ت ٢٧٩هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، (بَابُ مَا جَاءَ لَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا)، ٣/ ٤٢٥، (١١٢٦)، (صححه المؤلف).

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ط ٢، ١٤٠٤هـ - ١٤٢٧هـ، ٣٧/ ٣٦٨، ٣٦٩.

(٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية - الرياض، ط ٣، ١٤٣٦هـ، ص ٨١.

(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٢٠.

أبو مسلم الأصفهاني^(١) أن المراد بالمخالطة: المصاهرة. وأيد بما نقله الزجاج^(٢): "كانوا يظلمون اليتامى، فيتزوجون العشر ويأكلون أموالهم مع أموالهم، فَشُدِّدَ عليهم في أمر اليتامى تشديداً خافوا معه التزويج بنساء اليتامى ومخالطتهم، فأعلمهم الله سبحانه أن الإصلاح لهم هو خير الأشياء، وأن مخالطتهم في التزويج وغيره جائزة مع تحري الإصلاح"^(٣)، وبأن فيه على هذا الوجه تأسيساً إذ المخالطة بالشركة فهمت مما قبله وبأن المصاهرة مخالطة مع اليتيم نفسه بخلاف ما عداها وبأن المناسبة حينئذ لقوله ﷺ: فَأَخْوَانُكُمْ ظَاهِرَةٌ لِأَنَّهَا الْمَشْرُوطَةُ بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ الْيَتِيمَ إِذَا كَانَ مُشْرِكًا يَجِبُ تَحْرِيُّ الْإِسْلَامِ فِي مَخَالَطَتِهِ فِيمَا عَدَا الْمَصَاهِرَةَ وَبِأَنَّهُ يَنْتَظِمُ عَلَى ذَلِكَ النَّهْيِ الْآتِي بِمَا قَبْلَهُ كَأَنَّهُ قِيلَ: الْمَخَالَطَةُ الْمَنْدُوبَةُ إِنَّمَا هِيَ فِي الْيَتَامَى الَّذِينَ هُمْ إِخْوَانُكُمْ فَإِنَّ كَانَ الْيَتَامَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَا تَفْعَلُوا ذَلِكَ^(٤).

(١) الأصفهاني: أبو مسلم، محمد بن بحر (ت ٣٢٢هـ)، كان نحوياً كاتباً، بليغاً، متكلماً، معتزلياً، عالماً بالتفسير وغيره، وصار عامل أصبهان وفارس. له "جامع التأويل لمحكم التنزيل" أربعة عشر مجلداً على مذهب المعتزلة و"الناسخ والمنسوخ" وكتاب في النحو وجامع رسائله. ذكره السيوطي في "النحاة". سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة، كاتب جلبي، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت ١٠٦٧هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة إرسیکا- إستانبول، (د ط)، ٢٠١٠م، ٣ / ١١١، الترجمة (٣٩٦٢).

(٢) الزجاج: أبو إسحق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي، كان يخرط الزجاج ثم مال إلى النحو فلزم الميزد وأخذ الأدب عن ثعلب أيضاً، واختص وعلم ولده القاسم. وأخذ عنه أبو علي الفارسي، صنّف كتاباً في "معاني القرآن" وله كتاب "الفرق"، كتاب "الأمالى" وغيرها، وإليه ينسب تلميذه أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي صاحب "الجمل". المتوفى ببغداد في جمادى الآخرة سنة عشر وثلاث مائة وقيل ست عشرة وقد أناف على ثمانين سنة. ينظر: تاريخ العلماء النويين، التنوخي، ص ٣٠، الترجمة (١٩)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة، ٢٨ / ١، الترجمة (٢٦).

(٣) معاني القرآن، الزجاج، ٥ / ٢٩٤.

(٤) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ١ / ٢٦٣، روح المعاني، الألويسي، ١ / ٥١١.

والله ﷻ أكرم البشرية بهذه الرابطة الإنسانية، وجعل بقرابة الصهر التي تجمع بين النفوس المتباعدة بروابط الألفة والمحبة. قَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾، فإذا تزوج الرجل من عشيرة صار كأحد أفرادها، فينبغي أن تكون أم زوجته بمنزلة أمه في الاحترام، وبناتها التي في حجره كبنته من صلبه، وكذلك ينبغي أن تكون زوجة ابنه بمنزلة ابنته وهكذا. ومن القبح جدًا أن تكون البنت ضرة لأمها، والابن طامعًا في زوجة أبيه، فإن ذلك ينافي حكمة المصاهرة، ويكون سبب فساد العشيرة^(١).

(١) ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ١ / ٤٦٢.

المطلب الرابع

المودة

قَالَ الْمَاوَرِدِيُّ: الْمَوَدَّةُ، وَهِيَ الرَّابِعُ مِنْ أَسْبَابِ الْأَلْفَةِ؛ لِأَنَّهَا تُكْسَبُ بِصَادِقِ الْمَيْلِ إِخْلَاصًا وَمُصَافَاةً، وَيَحْدُثُ بِخُلُوصِ الْمُصَافَاةِ وَفَاءٍ وَمُحَامَاةً. وَهَذَا أَعْلَى مَرَاتِبِ الْأَلْفَةِ^(١).

الْوُدُّ لَفَةٌ: "المحبة التي يقارنها التميي"^(٢).

ولا يخرج المعنى الإصطلاحي عن المعنى اللغوي.

وردت في القرآن الكريم لفظة المودة في المدح والذم.

قال القرافي^(٣): **عَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ مَنَعَ مِنَ التَّوَدُّدِ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٤)، فَمَنَعَ الْمُوَالَاةَ وَالتَّوَدُّدَ، وَقَالَ ﷻ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي**

(١) أدب الدين والدنيا، الماوردي، ١ / ١٦١.

(٢) الكليات، الكفوي، ١ / ٩٤٢، (فصل الواو).

(٣) القرافي: الإمام، أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي البهبشيمي المالكي شهاب الدين نزيل مصر (ت ٦٨٤هـ) ودفن بالقرافة، أصله من قرية من قرى صعيد، تعرف. ببهبشيم، نسب إلى القرافة من غير أن يسكنها وإنما سئل عنه عند تفرقة الجامكية بمدرسة صاحب ابن سكر ف قيل: توجه إلى القرافة، ف قيل: اكتبوه القرافي فلزمه ذلك، وصنف "الذخيرة" و"القواعد" وشرح "المحصول" و"التنقيح" في الأصول وله "أنوار البروق وأنواء الفروق" و"الاستبصار فيما يدرك بالأبصار" وكان علامة بالفقه وأصوله والعلوم العقلية لازم العز بن عبد السلام وأخذ عنه أكثر فنونه وأجمعوا على أنه أفضل أهل عصره من المالكية بمصر. ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الأصول، حاجي خليفة، ١ / ١٢٤، الترجمة (٣١٣).

(٤) سورة الممتحنة: الآية ١.

الَّذِينَ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ ﴿١﴾. وَقَالَ فِي حَقِّ الْفَرِيقِ الْآخَرِ: ﴿إِنَّمَا يَهْدِكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ قَتْلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ﴿٢﴾.

وَإِنَّ الْإِحْسَانَ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ مَطْلُوبٌ وَأَنَّ التَّوَدُّدَ وَالْمُؤَالَاةَ مِنْهُيَّ عَنْهُمَا وَالْبَابَانَ مُتَنَبِّسَانَ فَيَحْتَاجَانِ إِلَى الْفَرْقِ، وَسِرُّ الْفَرْقِ أَنَّ عَقْدَ الذِّمَّةِ يُوجِبُ حُقُوقًا عَلَيْنَا لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ فِي جِوَارِنَا وَفِي خَفَارَتِنَا وَذِمَّةِ اللَّهِ ﷻ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَدِينِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْهِمْ وَلَوْ بِكَلِمَةٍ سُوِّءٍ أَوْ غِيْبَةٍ فِي عَرَضٍ أَحَدِهِمْ أَوْ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَذْيَةِ أَوْ أَعَانَ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ ضَيَّعَ ذِمَّةَ اللَّهِ ﷻ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ﷺ وَذِمَّةَ دِينِ الْإِسْلَامِ ﴿٣﴾.

أسباب النزول

عن أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ" فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخِ (٤) فَإِنَّ بِهَا ظِعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوا مِنْهَا» قَالَ: "فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلَنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ قَالَتْ: مَا مَعِيَ كِتَابٌ فَقُلْنَا: نُخْرِجُ الْكِتَابَ أَوْ نُلْقِيَنَّ الشِّيبَابَ قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَاتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا» قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعَجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي فُرَيْشٍ يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ

(١) سورة الممتحنة: الآية ٨.

(٢) سورة الممتحنة: الآية ٩.

(٣) ينظر: الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي شهاب الدين (ت ٦٨٤هـ)، المحقق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت، (د ط)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٣ / ٢٩.

(٤) خاخ: بعد الالف خاء معجمة أيضًا، موضع بين الحرمين، ويقال له: روضة خاخ، بقرب حمراء الأسد من المدينة، ينظر: معجم البلدان، الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي شهاب الدين (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، ٢ / ٣٣٥، (باب خان).

يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ» فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ» فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَيَّ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١).

والإيمان لا بد من أن يقترن بالعمل الصالح الذي يهذب النفس، ويصحح العلاقات الاجتماعية، ويجعلها قائمة على أساس متين من المحبة والألفة والمودة والوحدة والتعاون أو التضامن والتكافل الاجتماعي، ويتمثل بإعطاء المال مع حبه لأصحاب الحاجات، رحمة بهم وشفقة عليهم وعوناً للأخذ بأيديهم نحو حياة عزيزة كريمة تعتمد على الثقة بالنفس والعمل عند القدرة والإنقاذ وقت الشدة والمحنة، وهم ذوو القربى المحتاجون، فهم أحق الناس بالبر، بسبب رابطة الدم، والإحساس بأحوالهم والتأثر بأوضاعهم عن قرب، ولأن سعادة الإنسان الحقة لا تتم إلا بإشاعة السعادة لمن حوله، وتكون صلحتهم محققة لهدفين: صلة الرحم وثواب الصدقة^(٢).

والإحسان إلى الوالدين إحساناً كاملاً، بإخلاص وشعور قلبي بالإحترام والتزام أوامرهما بالمعروف، ومعاملتها معاملتة كريمة قائمة على المحبة والمودة والبر، لا على الخوف والرّهبة منهما^(٣).

(١) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْمَغَازِي)، (بَابُ غَزْوَةِ الْفَتْحِ وَمَا بَعَثَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِغَزْوِ النَّبِيِّ ﷺ)، ٥ / ١٤٥، (٤٢٧٤).

(٢) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢ / ٩٧.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، دار الفكر - دمشق، ط ١،

قَالَ ﷺ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ
السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(١).

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَآئِهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢).

والله ﷻ أمرنا بالقسط ولو على أنفسنا أو الوالدين، قال سبحانه: ﴿يَآئِهَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣). أي: "ولو كانت الشهادة على والديكم، أو على أقرب الناس
إليكم كأولادكم وإخوانكم، إذ ليس من بر الوالدين ولا من صلة ذوي الرحم أن يعاونوا
على ما ليس بحق لهم، بالإعراض عن الشهادة عليهم أو لئها والتحريف فيها، بل البر
والصلة في الحق والمعروف، والشهادة على الوالدين بأن يشهد عليهما بحق للغير،
وكذلك الشهادة على الأقربين، وذكر الأبوين لوجوب برهما، وكونهما أحب الخلق إليه،
ثم ذكر الأقربين؛ لأنهم مظنة المودة والتعصب"^(٤).

(١) سورة النساء: جزء من الآية ٣٦.

(٢) سورة الإسراء: جزء من الآية ٢٣.

(٣) سورة النساء: الآية ١٣٥.

(٤) حدائق الروح والرياحين، الهري، ٦/ ٤٠٠.

آيات المودة

جاءت آيات المودة بالمدح والذم.

بعض آيات المودة الممدوحة

أ- المودة بين الزوجين

قَالَ ﷺ في المودة والرحمة بين الزوجين: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)، إشارة إلى أن المودة والرحمة أمران يتولدان من الألفة والسكن، وأنه لولا السكن والائتلاف، ما قامت المودة والرحمة، ولهذا جاء النظم القرآني مفرقاً بين الأمرين، فجعل المشاكلة في الطبيعة البشرية بين الناس، ذكوراً وإناثاً خلقاً، أي في أصل الخلقة، على حين جعل المودة والرحمة، عرضاً من أعراض هذه الطبيعة، وثمره من ثمراتها، فعبر عنها بلفظ "الجعل". ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٢).

قَالَ ﷺ مبيناً أجمل ما يناله المؤمن جزاء الأعمال الصالحة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٣)، وفي الآية إشارة إلى ما أوقع بينهم من الألفة المذكورة في قوله ﷺ: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ﴾^(٤). وفي المودة التي تقتضي المحبة المجردة في قوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٥).

(١) سورة الروم: الآية ٢١.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، عبد الكريم يونس، ١١ / ٤٩٧.

(٣) سورة مريم: الآية ٩٦.

(٤) سورة الانفال: جزء من الآية ٦٣.

(٥) سورة الشورى: الآية ٢٣.

ب- مودة النصارى للمسلمين

قَالَ ﷺ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَلِكَ بَأْتٍ مِنْهُمْ قَبْسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١). أبان الله ﷺ في هذا النص، عداوة اليهود والمشركين ومودة النصارى فوصف في الآية شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق، ولين عريكة النصارى وسهولة إرعوائهم وميلهم إلى الإسلام، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا، كما في سياق قوله ﷺ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(٢). ولعمري إنهم كذلك. وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين ﴿بَأْتٍ مِنْهُمْ قَبْسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ أي: علماء وعبادًا وأنهم قوم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم، واليهود على خلاف ذلك^(٣).

ت- المودة في القربى

لقد أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يناشد قومه بالمودة، قَالَ ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٤)، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: فُرْبَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ فُرَيْشٍ إِلَّا وَلَهُ فِيهِ قَرَابَةٌ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ^(٥).

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ٩٦.

(٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ١ / ٦٦٨.

(٤) سورة الشورى: جزء من الآية ٢٣.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب تفسير القرآن)، (باب قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾)،

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ﴾ استثناءً منقطعاً، وليس المعنى أسألكم المودة في القربى، لأن الأنبياء عليهم السلام لا يسألون أجراً على تبليغ الرسالة، والمعنى: ولكني أذكركم المودة في القربى، وأذكركم قرابتي منكم، وغلط من قال: إن هذه الآية نسخت، بقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾^(١)، وقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾^(٢)، لأنه لا يصح أن يقال: نسخت مودة النبي ﷺ، وكف الأذى عنه لأجل قرابته، ولا مودة آله وأقاربه، ولا التقرب إلى الله بالطاعة، ومن ادعى النسخ توهم أن الاستثناء متصل، ورأى إبطال الأجر في هاتين الآيتين، وليس الأمر على ذلك، فإن الاستثناء منقطع، ولا تنافي بين هذه الآية والآيتين الأخريين^(٣).

قال الإمام علي عليه السلام: "وإذا تحقّق الودّ الخالص بين أناس، يكون أكثر فائدة من صرف القرابة النسبية إذا لم تقترن بالمودة، أو تتكدر بالخصومة والعداوة"^(٤). وقال: "والقَرَابَةُ إِلَى الْمَوَدَّةِ أَحْوَجُ مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى الْقَرَابَةِ"^(٥).

(١) سورة سبأ: جزء من الآية ٤٧.

(٢) سورة الفرقان: جزء من الآية ٥٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٤ / ٣٩٨، تفسير الوسيط، الواحدي، ٤ / ٥٣.

(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤هـ)، المحقق:

سيد إبراهيم الميانجي، المطبعة الاسلامية - طهران، ط ٤، (د ت)، ٢١ / ٣٩٧.

(٥) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام (ت ٤٠هـ)، المحقق: د. صبحي صالح، دار الكتاب

الليباني - بيروت، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ص ٥٢٩.

وقال جعفر الصادق رحمه الله^(١): مودّة يوم صلة ومودّة شهر قرابة ومودّة سنّة رحم ماسّة من قطعها قطعته الله^(٢).

ث- تَرَجِّي المودة مع الأعداء

وفي وصية الله ﷺ للمؤمنين بأن يكونوا بارين بالناس ولا ييأسوا أن يجعل الله المودة حتى مع الأعداء، قَالَ ﷺ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣). ﴿عَسَى﴾ طلب دعاء خوطب به المؤمنون أن يدعوا من الله ﷻ أن يُبَدِّلَ قِطِيعَتَهُمْ إِلَى مَوْدَةٍ. وهذا رجاءٌ من الله لا بد أنه سيكون، ولقد كان وفتحت مكة وأسلمت قريش وطُويت الثارات وتصافت، فنظام الإسلام يجمع الناس، ولا ييأس حتى في حال الخصومة أن يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة والتحبب إلى النفوس فتفتح لسماع الحق وتتجه هذا الاتجاه المستقيم^(٤).

(١) جعفر الصادق: أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ﷺ أجمعين؛ أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابًا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة، توفي سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة، ودفن بالبقيع. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١/ ٣٢٧، رقم الترجمة، (١٣١).

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ٥/ ١٨٨.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ٧.

(٤) ينظر: التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، دار الزمان - المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٢/ ١٥١.

ثانياً: بعض آيات المودة المذمومة

قَالَ ﷺ: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١).

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُقَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢).

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾^(٣).

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾^(٤).

نهى الله ﷺ المؤمنين عن إلقاء المودة في السر والعلن الى الأعداء المحاربين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٥). ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾ استتفاف وارد على نهج العتاب والتوبيخ، وهي خبر بمعنى النهي^(٦).

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ١٠٥.

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ١٠٩.

(٣) سورة آل عمران: جزء من الآية ٦٩.

(٤) سورة النساء: جزء من الآية ١٠٢.

(٥) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٦) ينظر: تفسير السمعاني، السمعاني، ٥/ ٤١٤، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د)

(ط)، (د ت)، ٨/ ٢٣٦.

نهانا ﷺ عن موادة أعداء الله ورسوله بصيغة الخبر بقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١). أي: تغليب الدين على النسب بسبب تقديم طاعة الله ﷻ على طاعة غيره ولو كان من النسب (٢). ويفهم من روح النص الأمر بمودة المؤمنين دون غيرهم. ونفي وجدان قوم على هذه الصفة كناية عن أن الإيمان الصادق بالله واليوم الآخر لا يجامع موادة أهل المحادة والمعاندة من الكفار، ولو قارن أي سبب من أسباب المودة كالأبوة والبنوة والاخوة وسائر أقسام القرابة فبين الإيمان وموادة أهل المحادة تضاد لا يجتمعان، لذلك وقد بان في قوله ﷺ: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، إشارة إلى أسباب المودة مطلقاً وقد خصت مودة النسب بالذكر لكونه أقوى أسباب المودة من حيث ثباته وعدم تغيره إلا بالكفر (٣).

وقال ﷺ: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٤). أي: ليقولن ندامة على تثبطه وعوده، وتهالكا على حطام الدنيا، وتحسراً على فواته كأن لم تكن بينكم وبينه مودة أي: صلة في الدين، ومعرفة بالصحبة ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ فأصيب غنائم كثيرة، وحقاً وافراً. وقوله ﷺ: ﴿كَأَنْ لَّمْ﴾، اعتراض بين

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص ١٤٨.

(٣) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي، ١٩٦ / ١٩.

(٤) سورة النساء: الآيتان ٧٢، ٧٣.

الفعل ﴿يَقُولَنَّ﴾ ومفعوله ﴿يَلَيْتَنِي﴾ للتنبيه على ضعف عقيدتهم، وأن قولهم هذا قول من لم تتقدم له معكم موادة، لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر، وإن كانوا يبيغون لهم الغوائل في الباطن^(١).

وقوله ﷺ: ﴿وَلَيْنَ أَصْبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ونصر وظفر، ونسبة إصابة الفضل إلى جنابه ﷺ، دون إصابة المصيبة في قوله: ﴿فَإِنِ أَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةً﴾، من العادات الشريفة التنزيلية، كما في قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(٢).

وقال ﷺ واصفاً مودة المشركين مع آلهتهم التي يزعمونها: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٣). فكل خلة في الدنيا تنقلب عداوة على أهلها يوم القيامة إلا المتقين.

وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾^(٤).
وقال ﷺ: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾^(٥).
وقال ﷺ: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيَدَّهِنُونَ﴾^(٦).

(١) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٣/ ٢٢٢.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٨٠.

(٣) سورة العنكبوت: جزء من الآية ٢٥.

(٤) سورة آل عمران: جزء من الآية ١١٨.

(٥) سورة النساء: جزء من الآية ٨٩.

(٦) سورة القلم: الآية ٩.

الأحاديث الواردة في المودة المحمودة بين المسلمين

عن النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ» قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَعْلَمَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»^(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ»^(٣).

(١) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْأَدَبِ)، (بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ)، ٨ / ١٠، (٦٠١١).

(٢) المصدر نفسه، (كِتَابُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ)، (بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ سُدُّوا الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه)، ٥ / ٤، (٣٦٥٤).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا)، (بَابُ فِيمَنْ يَوَدُّ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ)، ٤ / ٢١٧٨، (٢٨٣٢).

الفصل الثاني

الآيات الواردة في الألفظة بلفظها ومضمونها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: توفيق الله ﷻ بالألفظة.

المبحث الثاني: السنن الألهية وارتباط الإيمان والعمل الصالح

بموضوع الألفظة.

المبحث الأول

توفيق الله ﷻ بالألفة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

الإعتصام بحبل الله ﷻ سبب الألفة

ورد لفظ الألفة في القرآن الكريم بمعنى الاعتصام بحبل الله.

قال ﷻ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١).

المناسبة

لما حذر الله ﷻ من مكاييد أهل الكتاب بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾^(٢)، أمر بالاعتصام بحبل الله والتمسك بشرعه القويم، وكذلك دعا المؤمنين إلى القيام بواجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر بالائتلاف وعدم الاختلاف^(٣).

التعريف اللغوي لمفردات الآية وإعرابها

الإعتصام لغةً: أعتصم، إستمسك^(٤).

الإعتصام اصطلاحًا: الامتناع بالله من زيغ الشيطان وهوى الإنسان بطاعته وطلب مرضاته^(٥).

(١) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٠.

(٣) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ١ / ٢٠١.

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٥ / ٤٦، (فصل العين المهملة).

(٥) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، ٧ / ٢١٠.

الحبل لغةً: أصل الحبل في كلام العرب معروف، وجمعه حبال ينصرف على وجوه فمنها العهد وهو الأمان^(١).

حبل الله في الاصطلاح: الحبل: "العهد، وعهد الله القرآن والإسلام"^(٢).
والمفسر جمع المعنى اللغوي والاصطلاحي.

﴿وَلَا تَفْرُقُوا﴾، "أي: ولا تتفرقوا"^(٣).

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾، "أي: احفظوها وَلَا تُضَيِّعُوا شُكْرَهَا. كَمَا يَقُولُ الْعَرَبِيُّ لَصَاحِبِهِ: اذْكُرْ حَقِّي عَلَيْكَ، أَي احْفَظْهُ وَلَا تُضَيِّعْهُ"^(٤).

﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: "متحابين مُجْتَمِعِينَ عَلَى الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ"^(٥).

اعراب الآية:

﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾: الواو عاطفة، (اعْتَصِمُوا): (اعتصم) فعل أمر مبني على حذف النون، والواو واو الجماعة فاعل.

﴿يَجِبِلِ اللَّهُ﴾: ﴿يَجِبِلِ﴾ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِـ (اعْتَصِمُوا) وحبل مضاف، ﴿اللَّهُ﴾ لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور.

﴿جَمِيعًا﴾: حال منصوبة من الفاعل في (اعْتَصِمُوا).

(١) نظر: غريب الحديث، ابن سلام، أبو عبيد القاسم الهروي (ت ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي - بيروت، (د ط)، ١٣٩٦هـ، ١٠٢/٤، (باب حبل).

(٢) دَرْجُ الدَّرْرِ فِي تَفْسِيرِ الْأَيِّ وَالسُّورِ، الجرجاني، ١/ ٤١٨.

(٣) النحو الوافي، عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ)، دار المعارف - مصر، ط ١٥، (د ت)، ٤٠٨/٤.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٦/ ٤٤٣، (باب نكر).

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٦٥، (فصل الألف والخاء).

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: الواو عاطفة، ﴿لَا﴾ ناهية جازمة، ﴿تَفَرَّقُوا﴾ مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون والواو فاعل، وحذف من الفعل إحدى التاءين وأصلها تتفرقوا.

﴿وَأَذْكُرُوا﴾: الواو عاطفة أو استئنافية، (أذْكُرُوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل.

﴿نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: ﴿نِعْمَتَ﴾ مفعول به منصوب وهو مضاف، ﴿اللَّهُ﴾ لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور، ﴿عَلَيْكُمْ﴾ (على) حرف جرّ، (كُمْ) الكاف ضمير في محلّ جرّ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من نعمة والميم علامة الجمع.

﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾: ﴿إِذْ﴾ ظرف زمان للماضي مبني في محلّ نصب متعلق بنعمة- لتضمّنها معنى المصدر، ﴿كُنْتُمْ﴾ (كُنْ) فعل ماض ناقص مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع هو التاء، و(التاء) ضمير متصل اسم كان في محلّ رفع، والميم علامة الجمع، ﴿أَعْدَاءً﴾ خبر كان منصوب.

﴿فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: الفاء عاطفة، (أَلْفَ) فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان منصوب متعلق بألف وهو مضاف، ﴿قُلُوبِكُمْ﴾ (قُلُوبِ) مضاف إليه مجرور (كُمْ) (الكاف) مضاف إليه، والميم علامة الجمع.

﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾: (الفاء) عاطفة ﴿أَصْبَحْتُمْ﴾: (أَصْبَحَ) فعل ماض ناقص يفيد التوقيت في الصباح، و(التاء) ضمير رفع متصل في محل رفع إسمها، والميم علامة الجمع.

﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: (بِنِعْمَتِ) جارّ ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿إِخْوَانًا﴾، (نِعْمَتِ) مضاف، والهاء مضاف إليه، ﴿إِخْوَانًا﴾ خبر أصبح منصوب.

وجملة: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ لا محل لها معطوفة على جواب النداء في الآية السابقة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

وجملة: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ لا محل لها معطوفة على جملة اعتصموا.

وجملة: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ لا محل لها معطوفة على جملة اعتصموا أو هي استئنافية لا محل لها.

وجملة: ﴿أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ في محل جر معطوفة على جملة كنتم.

وجملة: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ في محل جر معطوفة على جملة ألف (١).

اسباب النزول

نزلت هذه الآية بسبب خاص، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كَانَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ شَيْءٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتَذَاكُرُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ، فَتَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: قَالَ ﷺ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ (٢)، إلى قوله ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٣). فَلَمْ يَكُنْ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْقِتَالِ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عِنْدَهُ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا مَا كَانَ مِنْهُمْ بِالْكَفْرِ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ ﷻ، وَلَكِنْ كَانَ عَلَى تَغْطِيَتِهِمْ

(١) ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ١/ ٣٩٧ - ٣٩٨، التبيان في إعراب القرآن، العكبري، ١/

٢٨١ - ٢٨٢، الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦هـ)،

دار الرشيد - دمشق، مؤسسة الإيمان - بيروت، ط ٤، ١٤١٨هـ، ٤/ ٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠١.

(٣) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٣.

مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْأُخُوَّةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْهُمْ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَسُمِّيَ كُفْرًا لَا يُرَادُ بِهِ الْكُفْرُ بِاللَّهِ ﷻ، وَلَكِنَّ الْكُفْرَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ سِوَاهُ"^(١).

من أوجه البلاغة في آية الاعتصام:

تنوعت أقوال العلماء في أوجه البلاغة منهم:

قال الطبري^(٢): "يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: "وَتَعَلَّقُوا بِأَسْبَابِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَتَمَسَّكُوا بِدِينِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَعَهْدِهِ الَّذِي عَاهَدَهُ إِلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْإجْتِمَاعِ عَلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ. وَالْحَبْلُ، فَإِنَّهُ السَّبَبُ الَّذِي يُوصَلُ بِهِ إِلَى الْبُغْيَةِ وَالْحَاجَةِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْأَمَانُ حَبْلًا، لِأَنَّهُ سَبَبٌ يُوصَلُ بِهِ إِلَى زَوَالِ الْخَوْفِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الْجَرَعِ وَالذُّعْرِ"^(٣).

(١) ينظر: شرح مشكل الآثار، الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (ت ٣٢١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - دمشق، ٠ ط ١، ١٤١٥هـ، ٢ / ٣١٦، (٨٥٢)، الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي - السعودية، ط ١، ١٤٢٥هـ، ١ / ٢٨٠، ٢٨١، (صححه المؤلفان).

(٢) الطبري: الإمام، أبو جعفر محمد بن جرير بن كثير بن غالب البغدادي، ولد في آخر سنة اربع أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين، صاحب التصانيف العظيمة في الأصول والفروع و"التفسير الكبير" وله كتاب في القراءات و"تاريخ الأمم" و"تهذيب الآثار" ولم يتمه، وله أتباع منهم المعافى أبو زكريا النهرواني، أخذ الفقه عن الزعفراني والربيع المرادي، ونظر ابن خزيمة تفسيره وقال: ما أعلم تحت أديم الأرض أعلم منه، مات سنة عشر وثلاثمائة عن ست وثمانين سنة، ودفن في رحبة يعقوب في بغداد. ينظر: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ابن الملقن، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد سراج الدين الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ)، المحقق: أيمن نصر الأزهري، سيد مهني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٣٨، الترجمة (٥٧).

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٧ / ٧٠.

وفصل الشريف الرضي^(١) أوجه البلاغة بقوله:

الآية فيها استعارة^(٢)، ومعناها: تمسكوا بأمر الله لكم، وعهده إليكم، والحبال: العهود، في كلام العرب، وإنما سميت بذلك لأن المتعلق بها ينجو مما يخافه، كالمتشبث بالحبل إذا وقع في غمرة^(٣)، أو ارتكس في هوة. فالعهد يُستأمن بها من المخاوف، والحبال يُستنقذ بها من المتآلف. فلذلك وقع التشابه بينهما^(٤).

(١) الشريف الرضي: أبو الحسن مُحَمَّد بن الْحُسَيْن بن مُوسَى بن مُحَمَّد بن مُوسَى الكاظم بن جَعْفَر الصَّادِق بن مُحَمَّد الباقر بن عَلِيّ زين العابدين بن الْحُسَيْن بن عَلِيّ بن أَبِي طَالِب ﷺ، شاعر بغداد، كان عالمًا، صاحب الدِّيوان المَشهُور، يُسَمِّيهِ الأدباء النايحة الثكلى لرقه شعره، من آثاره: ديوان شعر كبير، طيف الخيال، خصائص الأئمة، الآثار النبوية، وتلخيص البيان في مجازات القرآن، وتُؤَفِّي سنة ست وأربع مائة، ودفن في داره بخط مسجد الأنباريين بالكرخ، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ٤ / ٤١٤، الترجمة (٦٦٧)، لسان الميزان، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: دائرة المعارف النظامية- الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ط ٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م، ٧ / ٩٣، الترجمة (٦٦٩٧).

(٢) الاستعارة: "ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه، مع طرح ذكر المشبه". التعريفات، الجرجاني، ص ٢٠، (باب الألف).

(٣) الغمرة: الشدة، ينظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الكجراتي، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَنِّي (ت ٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ط ٣، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ٤ / ٣٨٩، (باب كرر).

(٤) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى البغدادي (ت ٤٠٦هـ)، المحقق: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، ط ١، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، ص ١٢٤.

وقال البيضاوي^(١) عند تفسير قوله ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾: أي: بدين الإسلام، أو بكتابه. استعار له الحبل من حيث إن التمسك به سبب للنجاة من الردى، وللوثوق به والاعتماد عليه، والاعتصام ترشيحاً للمجاز. ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ لا تذكر ما يوجب التفرق ويزيل الألفة. ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ التي من جملتها الهداية والتوفيق للإسلام المؤدي إلى التآلف وزوال الغل^(٢).

وأضاف العيني^(٣) الاستدلال بالسنة الى الاستدلال بالقرآن حيث قال: "المُرَادُ بالحبل الكتاب والسنة على سبيل الاستعارة المصروفة^(٤)، والقرينة الإضافة إلى الله، وَالْجَامِعُ كَوْنُهُمَا سَبَبًا لِلْمَقْصُودِ الَّذِي هُوَ الثَّوَابُ، كَمَا أَنَّ الْحَبْلَ سَبَبٌ لِلْمَقْصُودِ مِنْ

(١) البيضاوي: أبو الخير أو أبو سعيد، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ناصر الدين ، قاضي القضاة، صاحب المصنفات وعالم آذربيجان وشيخ تلك الناحية، برع في الفقه والأصول وجمع بين المعقول والمنقول تكلم كل من الأئمة بالثناء على مصنفاته، توفي بمدينة تيريز سنة خمس وثمانين وستمائة وقيل إحدى وتسعين وستمائة والأول أرجح، ينظر: طبقات الشافعية . ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، ٢ / ١٧٢، ١٧٣، الترجمة (٤٦٩).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ناصر الدين (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، ٢ / ٣١.

(٣) العيني: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود، قاضي القضاة، تفقه واشتغل بالفنون، وله تصانيف. مات سنة خمس وخمسين وثمانمائة، ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ١ / ٤٧٣، ٤٧٤، الترجمة (٥٣).

(٤) الاستعارة المصروفة: "ذكر المشبه به، مع ذكر القرينة". التعريفات، الجرجاني، ص ٢٠، (باب الألف).

السُّفِي وَنَحْوِهِ، وَالْمَرَادُ بِالْكِتَابِ الْقُرْآنَ الْمَتَعَبِدَ بِتَلَاوَتِهِ، وَبِالسَّنَةِ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَتَقْرِيرِهِ وَمَا هُمْ بِفِعْلِهِ" (١).

ومعنى الظرفية في قوله ﷺ: ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ مُعْتَبَرٌ فِيهَا التَّعْقِيبُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ "إِذِ النُّعْمَةُ لَمْ تَكُنْ عِنْدَ الْعَدَاوَةِ، وَلَكِنْ عِنْدَ حُصُولِ التَّأْلِيفِ عَقِبَ تِلْكَ الْعَدَاوَةِ" (٢).

المعنى العام للآية

اخترت من التفاسير ما ذكره الزمخشري^(٣) في الكشاف، لأنه يعود إليه كثير من المفسرين من بعده في تفسير هذه الآية التي دعت إلى توحيد الكلمة حيث قال: اجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تتفرقوا عنه أو اجتمعوا على التمسك بعهدته إلى عبادته وهو الإيمان والطاعة أو بكتابه (القرآن الكريم)، ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضاً ويحاربه، أو ولا تُحدِثُوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو

(١) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينتابي الحنفي بدر الدين (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د ط)، (د ت)، ٢٥ / ٢٣.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤ / ٣٣.

(٣) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي جار الله، النحوي اللغوي المفسر المعتزلي، صاحب (الكشاف) و(المفصل). سمع ببغداد من ابن البطر، وكان داعية إلى الاعتزال كثير الفضائل. توفي سنة ٥٣٨هـ، ينظر: تاريخ بغداد وذيوله، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ، ١٧٢ / ٢١، المستفاد من نيل تاريخ بغداد، الحافظ ابن النجار البغدادي، انتقاء: ابن الدمياطي، الحافظ أبو الحسين أحمد بن أبيك بن عبد الله الحسامي (ت ٧٤٩ هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، (د ط)، (د ت)، ١ / ١٧٢، الترجمة (١٧٣).

اتباع الحق والتمسك بالإسلام، كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالإسلام وقذف فيها المحبة، فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نُظِمَ بينهم وازال الاختلاف وهو الأخوة في الله^(١).

تفسير القرآن بالقرآن

كما أمر الله ﷺ بالاعتصام به، نهى عن التفرق والتنازع.

قال ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٢).

وقال ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

وقال ﷺ: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(٣) نهى الله ﷺ المؤمنين

في الآية الأخيرة عن التنازع، مبيِّنًا أنه سبب الفشل، وذهاب القوة^(٤).

تفسير القرآن بالسنة

جاء في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَرَضِيَ لَكُمْ ثَلَاثًا: رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَتَّصِحُوا لِوَلَاةِ الْأَمْرِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»^(٥).

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ١/٣٩٤، ٣٩٥.

(٢) سورة الحج: جزء من الآية ٧٨.

(٣) سورة الانفال: جزء من الآية ٤٦.

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ٢/١٠٢.

(٥) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، ١٤/٧٨، (٨٣٣٤)، (صححه المحقق).

قال ابن عبد البر^(١): في الحديث الحض على الاعتصام والتمسك بحبل الله في حال اجتماع وائتلاف، وحبل الله في هذا الموضع فيه قولان: أحدهما: كتاب الله.

والآخر: الجماعة، ولا جماعة إلا بإمام.

وهو معنى متداخل متقارب، لأن كتاب الله يأمر بالآفة، وينهى عن الفرقة.

قال الله ﷻ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢)(٣).

(١) ابن عبد البر: الإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، حدث عن خلف بن القاسم وعبد الوارث بن سفيان وعبد الله بن محمد بن عبد المؤمن وغيرهم، وأجاز له من مصر المسند أبو الفتح بن سبيخت والحافظ عبد الغني، ومن مكة أبو القاسم عبيد الله بن السقطي. وله تواليف منها: التمهيد، والاستذكار، والكافي على مذهب مالك، والاستيعاب في الصحابة، وجامع بيان العلم وفضله، وغير ذلك. مات أبو عمر سنة ثلاث وستين وأربعمائة، ينظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٣/٢١٧، ٢١٨، الترجمة (١٠١٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٥.

(٣) ينظر: التمهيد لما في الموطأ، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، المحققان: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، (د ط)، ١٣٨٧هـ، ٢١/٢٧٢.

وروي عن يزيد بن حيان قال: دَخَلْنَا عَلَيْهِ^(١) فَقُلْنَا لَهُ: لَقَدْ رَأَيْتَ حَيْرًا صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ فَقَالَ: نَعَمْ وَإِنَّهُ ﷺ خَطَبَنَا فَقَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى الضَّلَالَةِ»^(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مَأْلُفٌ، وَلَا حَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ»^(٣).

قال الطيبي^(٤): "«مَأْلُفٌ» يحتمل أن يكون مصدرًا على سبيل المبالغة كرجل عدل. والتألف سبب الاعتصام بالله وبحبله. وبه يحصل الاجتماع بين المسلمين وبضده تحصل الفرقة بينهم. وهو بتوفيق الله وتأليفه. وإليه أشار الله ﷻ بقوله:

(١) أي: على زيد بن أرقم.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد التميمي الدارمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، (كتاب العلم)، (باب ذِكرُ إثباتِ الهدى لمن اتبع القرآن وَالضَّلَالَةَ لِمَنْ تَرَكَهُ)، ١ / ٣٣١، (١٢٣). (صححه المحقق)

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ١٥/١٠٦، (٩١٩٧)، (حسنه المحقق).

(٤) الطيبي: الحسن أو الحسين، بن محمد بن عبد الله الدمشقي شرف الدين، كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن مقبلًا على نشر العلم متواضعًا، ملازمًا لاشغال الطلبة في العلوم الإسلامية بغير طمع، بل يجديهم ويعينهم ويعير الكتب النفيسة لأهل بلده وغيرهم من يعرف ومن لا يعرف، من تصانيفه: التبيين في المعاني والتبيان، الخلاصة في اصول الحديث، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية على الكشاف، وغيرها، توفي سنة ٧٤٣هـ، ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد - الهند، ط ٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ٢ / ١٨٥، الترجمة (١٦١٣)، طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (ت ق ١١هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٢٧٧، الترجمة (٣٤٢).

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ»^(٢).

قال المناوي: «المؤمن يألف»: الحسن أخلاقه وسهولة طباعه ولين جانبه، وفي رواية إلف مألوف والإلف اللازم للشيء، فالمؤمن يألف الخير وأهله ويألفونه بمناسبة الإيمان، ومن التآلف ترك المداعاة والاعتذار عند توهم شيء في النفس وترك الجدل والمرء وكثرة المزاح»^(٣).

وحتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على التمسك بالجماعة والطاعة للإمامة الكبرى.

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح = الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي، الحسين بن محمد بن عبد الله المشقي شرف الدين (ت ٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هندوي، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (كتاب الآداب)، (باب الشفقة والرحمة على الخلق)، ١٠/٣١٩٦.

(٢) المستدرک على الصحيحين، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين - مصر، (د ط)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (كتاب الإيمان)، ١ / ٦٧، (٥٩)، وفيه قال إنه (حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه)، وقال عنه الذهبي: منقطع، ينظر: مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم، ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد اللخيدان، دار العاصمة - الرياض، ط ١، ١٤١١هـ، ص ٥٣.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، محمد عبد الرؤوف علي زين العابدين الحدادي القاهري زين الدين (ت ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط ١ - ١٣٥٦م، ٦ / ٢٥٣، (١١٦٠٧).

قَالَ الْعَرِيَاضُ بْنُ سَارِيَةَ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُوَدَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكَتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، عَصُوا عَلَيَّهَا بِالنَّوَاجِدِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا انْقَدَ انْقَادًا»^(٢).

(١) العرياض بن سارية السلمي، يكنى أبا نجيح، كان من أهل الصفة سكن الشام، وروى عن النبي ﷺ وأبي عبيدة، وروى عنه جماعة من تابعي أهل الشام، توفي بالشام سنة خمس وسبعين للهجرة وقيل: بل مات في فتنة ابن الزبير، ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ٧/ ٢٨٩، الترجمة (٣٧٢٩)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل- بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ٣/ ١٢٣٨، الترجمة (٢٠٢٦)، الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٩/ ٣٥٦، الترجمة (٣).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٢٨/ ٣٦٧، (١٧١٤٢)، (حسنه المحقق).

تفسير القرآن بالآثار

لابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أقوال في الألفة:

قال ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِسِمَاكِ الْحَنْفِيِّ^(١): "يا حنفي الجماعة الجماعة!! فإنما هَلَكْتَ الأمم الخالية لتفرقتها، أما سمعت الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، فأوجب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادًا وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات الذي تتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين"^(٢).

وقال: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَرِهَ إِلَيْكُمْ الْفُرْقَةَ، وَحَذَّرَكُمْ مِثْلَهَا وَنَهَاكُمْ عَنْهَا وَرَضِيَ لَكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَارْضُوا لِأَنْفُسِكُمْ بِمَا رَضِيَ اللَّهُ لَكُمْ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ"^(٣).

(١) سِمَاكُ الْحَنْفِيِّ: أَبُو زَمِيلِ بْنِ الْوَلِيدِ الْيَمَامِيِّ، سَكَنَ الْكُوفَةَ، حَدَّثَ عَنْ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَمَالِكِ بْنِ مَرْتَدٍ، رَوَى عَنْهُ: مَسْعَرُ بْنُ كَدَامٍ، وَعُكْرِمَةُ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مَرْسَالِ الْخَثْعَمِيِّ، وَابْنُهُ زَمِيلُ بْنُ سِمَاكٍ، وَشُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَابْنُ ابْنَتِهِ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ بَارِقِ الْحَنْفِيِّ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَعَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، تُوْفِيَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٢٣هـ، يَنْظُرُ: فَتْحُ الْبَابِ فِي الْكُنَى وَالْأَلْقَابِ، ابْنُ مَنَدَةَ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْعَبْدِيِّ (ت ٣٩٥هـ)، الْمُحَقَّقُ: أَبُو قَتَيْبَةَ نَظَرَ مُحَمَّدُ الْفَارِيَّابِيُّ، مَكْتَبَةُ الْكُوْثَرِ - الرِّيَاضِ، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ١/ ٣٥٢، التَّرْجُمَةُ (٣١٠٦)، مَرَاةُ الْجَنَانِ وَعِبْرَةٌ الْيَقْطَانِ فِي مَعْرِفَةِ مَا يُعْتَبَرُ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ، الْيَافِعِيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَفِيفُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسْعَدِ عَلِيِّ سَلِيمَانَ (ت ٧٦٨هـ)، الْمُحَقَّقُ: خَلِيلُ الْمَنْصُورِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ - بَيْرُوتَ، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ١/ ٢٠٤، مَغَانِي الْأَخْيَارِ فِي شَرْحِ أَسَامِي رِجَالِ مَعَانِي الْآثَارِ، الْعَيْنِيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَسِينِ الْعَيْنَتَابِيِّ الْحَنْفِيِّ بَدْرُ الدِّينِ (ت ٨٥٥هـ)، الْمُحَقَّقُ: مُحَمَّدُ حَسَنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ - بَيْرُوتَ، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ١/ ٤٥٣، التَّرْجُمَةُ (٩٦١).

(٢) الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، الْقُرْطُبِيُّ، ١٦٤/٤.

(٣) يَنْظُرُ: تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ، الطَّبْرِيُّ، ٧/ ٧٤، مَوْسُوعَةُ الصَّحِيحِ الْمَسْبُورِ مِنَ التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ، د. حَكَمْتُ بْنُ بَشِيرِ بْنِ يَاسِينَ، دَارُ الْمَأْثُرِ - الْمَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١/ ٤٤٤.

وقال ابن مسعود^(١) رضي الله عنه وغيره. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ مُتَابِعِينَ لِلْهَوَى وَالْأَغْرَاضِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَكُونُوا فِي دِينِ اللَّهِ إِخْوَانًا، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَنَعًا لَهُمْ عَنِ النَّقَاطِعِ وَالْتِدَابِرِ، وَدَلَّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ رضي الله عنه: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْإِخْتِلَافِ فِي الْفُرُوعِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ اخْتِلَافًا إِذِ الْإِخْتِلَافُ مَا يَتَعَدَّرُ مَعَهُ الْإِتِّلَافُ وَالْجَمْعُ، وَأَمَّا حُكْمُ مَسَائِلِ الْاجْتِهَادِ فَإِنَّ الْإِخْتِلَافَ فِيهَا بِسَبَبِ اسْتِخْرَاجِ الْفَرَائِضِ وَدَقَائِقِ مَعَانِي الشَّرْعِ، وَمَا زَالَتِ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم يَخْتَلِفُونَ فِي أَحْكَامِ الْحَوَادِثِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُتَأَلِّفُونَ^(٢).

وقال قتادة^(٣) في قوله رضي الله عنه: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: إِذْ كُنْتُمْ تَذَابِحُونَ فِيهَا يَأْكُلُ شَدِيدِكُمْ ضَعِيفِكُمْ

(١) ابن مسعود: هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل، ابن حبيب بن سمح بن فار، ابن مخزوم بن صاهلة، ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار الهذلي، حليف بنى زهرة الكوفى، وأمه أم عبد بنت عبدود بن سواء من هذيل أيضًا، أسلمت وهاجرت، فهو صحابى ابن صحابية، هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا، وأُحْدًا، والخندق، وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد، وشهد اليرموك، وهو الذى أجهز على أبى جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، نزل الكوفة فى آخر أمره، وتوفى بها سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وقيل: عاد إلى المدينة، وانتفقوا على أنه توفي وهو ابن بضع وستين سنة، ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، المحقق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، (د ط)، ١٩٩٦ م، ١ / ٢٨٩، الترجمة (٣٣٣).

(٢) ينظر: الجامع لإحكام القرآن، القرطبي، ٤ / ١٥٩.

(٣) قتادة: أبو الخطاب، بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ولد وهو أعمى وعنى بالعلم فصار من حفاظ أهل زمانه وعلماهم بالقرآن والفقهاء مات بواسطة سبع عشرة ومائة وهو بن ست وخمسين سنة وكان مدلسًا. ينظر: مشاهير علماء الأمصار، الدارمي، ص ١٥٤، الترجمة (٧٠٢).

حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَأَخَى بِهِ بَيْنَكُمْ وَأَلْفَ بِهِ بَيْنَكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّ الْأَلْفَةَ لِرَحْمَةٍ وَإِنَّ الْفُرْقَةَ لِعَذَابٍ^(١).

مايستفاد من الآية

جاء الترغيب بالاعتصام بحبل الله والترهيب عن التفرق، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَاصْاعَةَ الْمَالِ^(٢). "في هذا الحديث من الفقه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين ما يرضى الله لعبده وما يكرهه منه، فبدأ بالمرضيات فجعل أولها: عبادة الله عز وجل، ثم أتبع ذلك بتوحيده، ثم عقب ذلك بالاعتصام بحبل الله، وهو اجتماع كلمة المسلمين على إمامهم، وألا يتفرقوا عنه"^(٣).

وَأَمَرَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم بِتَذْكَرِ نِعْمِهِ وَأَعْظَمِهَا الْإِسْلَامُ وَاتِّبَاعُ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَإِنَّ بِهِ زَالَتِ الْعِدَاوَةُ وَالْفُرْقَةُ وَكَانَتِ الْمَحَبَّةُ وَالْأَلْفَةُ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ وَمَعْنَى ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ أَيْ: "صِرْتُمْ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ إِخْوَانًا فِي الدِّينِ"^(٤).

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٥/ ٦٥٠، الدر المنثور، السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال

جلال الدين (ت ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت، (د ط) ١٩٩٣م، ٢/ ٢٨٧.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب الأفضية)، (باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة)، ٣/ ١٣٤٠، (١٧١٥).

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، عون الدين، أبو المظفر يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني (ت ٥٦٠هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن - السعودية، ١٤١٧هـ، ٨/ ١١٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/ ١٦٤.

أمر الله ﷻ المؤمنين بالتمسك بحبل الله، أي بعهدِهِ وَدِينِهِ وَذِمَّتِهِ وَقُرْآنِهِ، وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْإِثْمَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْاجْتِمَاعِ، وَيُنْهَاهُمْ عَنِ الْفُرْقَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، فَقَدْ كَانُوا عَلَى مِثْلِ شَفِيرِ النَّارِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَأَقْتِنَالِهِمْ، فَهَذَا هُمْ اللَّهُ وَأَنْقَذَهُمْ^(١). وجعل البيهقي^(٢) الآية في (بَابِ التَّمَسُّكِ بِمَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ)^(٣).

ومن فقه الأمة؛ ليس هناك في السياسة العامة أسوأ من تفرق الأمة وتمزق صفوفها وانقسامها فرقا وأحزابا، لذا حرص الإسلام إبان عهده الأول على وحدة الصف، واجتماع الكلمة، وتحقيق الألفة، وإشاعة المحبة، والسبيل التي وحد الله بها الأمة اتحاد دستورها الذي عرف بوثيقة المدينة، واعتصامها بكتاب الله وسنة نبيه^(٤).
"إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَعَ الْمُؤْمِنِ كَالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، فَعَلَيْهِ كَفُّ الْأَذَى وَالْمَكْرُوهِ، وَالْمُوَاسَاةِ، وَيَحْصُلُ مِنْهُ الْإِتِّلَافُ وَالْإِنْتِظَامُ، وَهُوَ قَاعِدَةُ الْإِسْلَامِ الْمُوصَى بِهَا فِي قَوْلِهِ ﷻ:
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّفْسَ الشَّرِيفَةَ تُحِبُّ الْإِحْسَانَ

(١) ينظر: الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة - ماليزيا، ط ١، ٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٩٦.

(٢) البيهقي: الحافظ العلامة، الثبوت، الفقيه، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي. سمع وهو ابن خمس عشرة سنة من أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي، وسمع من أبي عبد الله حضر في أواخر عمره، من مؤلفاته: شعب الإيمان، السنن الكبرى، أحكام القرآن للشافعي، وغيرها، حدّث بكتبه ثم وافاه الأجل سنة ٤٥٨هـ. ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٠ / ٩٥، الترجمة (١٩٤)، الأنساب، السمعاني، ٢ / ٤١٢، الترجمة (٦٧١)، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ٤ / ٨، الترجمة (٢٥١)، نثر النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني، جمعه ورتبه: أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل، دار ابن عباس - مصر، ط ١، ٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ٤ / ٤٠٢، ٤٠٥، الترجمة (٥٠٦٨).

(٣) ينظر: شعب الإيمان، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ١٠ / ٥.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، د. الزحيلي، ١ / ٢٢١.

وتجتنب الأذى؛ فإذا فعل ذلك حصلت الألفة وانتظم حال المعاش، ومشيت أحوال العباد^(١).

وتعظيم الشريعة الإسلامية للألفة، وتغييرها عن الفرقة؛ واضح في قوله ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. وهذا من المصالح الدنيوية بالذات، وإن كان يؤول من وجه إلى المصالح الدينية^(٢).

"ومن أعظم أسباب انحطاط الدول عدم الألفة بين أبنائها وترك نار الشقاق تشب فيهم فتدمر ما قل أن تصلحه الأيام"^(٣).

وآثار الألفة في حياة الشعوب والأمم واضحة للعيان، فدلالة الألفة يصدقها الواقع، وقال الفلاسفة ما قبل التاريخ عبارتهم المشهورة والمتداولة على ألسنة الناس: الإنسان مدني بالطبع أي إجتماعي لا محال، هذا بشكل عام، أما بشكل خاص عن الألفة في الأمة الإسلامية فقد جاءت الأدلة القطعية عن الوحي تحت الصحابة ﷺ أولاً على الألفة والوحدة والإجتماع ونبذ التفرقة ورسمت لنا الطريق المستقيم إلى هذه الوحدة. وقد وردت آيات محكمة كثيرة موزعة في سور القرآن، ترسم بداية الطريق للوصول

(١) المعين على تفهم الأربعين، ابن الملقن أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري سراج الدين (ت ٨٠٤هـ)، المحقق: الدكتور دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولي - الكويت، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص ٢٠١.

(٢) ينظر: شرح الإمام بأحاديث الأحكام، ابن دقيق العيد، أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري تقي الدين (ت ٧٠٢هـ)، المحقق: محمد خروف العبد الله، دار النوادر - سوريا، ط ٢ - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ٣ / ٢٩٤.

(٣) متى يستقيم الظل والعود أعوج، النجيب أمين أفندي، مجلة الأستاذ، جريدة علمية تهذيبية فكاهية صدرت في ٢٤ أغسطس عام ١٨٩٢م على يد عبد الله النديم (ت ١٣١٤هـ)، دار كتبخانه - مصر، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٦٨٧. العدد ٢٩ - بتاريخ: ٧ - ٣ - ١٨٩٣م.

إلى الألفة بين الناس، ومنها آية الاعتصام التي فيها دليل الألفة في العشرة بين المؤمنين خاصة^(١).

قال الراغب الأصفهاني^(٢): في الآية حث على الألفة والاجتماع، الذي هو نظام الإيمان واستقامة الأمور، وقد فضّل المحبّة والألفة على الإنصاف والعدالة، لأنّه يحتاج إلى الإنصاف حيث تفقد المحبّة، ولصدق محبّة الأب لابن صار مُؤْتَمِّناً على ماله، والألفة أحد ما شَرَّفَ الله به الشريعة سيّما شريعة الإسلام^(٣).

قال السيوطي: "إِذْ كُنْتُمْ تَذَابِحُونَ فِيهَا يَأْكُلُ شَدِيدِكُمْ ضَعِيفِكُمْ حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَأَخَى بِهِ بَيْنَكُمْ وَأَلْفَ بَيْنَكُمْ"^(٤).

(١) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ٦/ ٢٥٣.

(٢) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، الإمام أبو القاسم، له "التفسير الكبير" في عشرة أسفار، وله "مفردات القرآن" لا نظير له في معناها. وله "الذريعة إلى أسرار الشريعة"، "محاضرات الأدباء" وغيرها، ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين (ت ٨١٧هـ)، دار سعد الدين - سوريا، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ١٢٢، الترجمة (١١١).

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا - مصر، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٢/ ٧٦٨.

(٤) ينظر: الدر المنثور، السيوطي، ٢/ ٧١٥.

وقال ابن تيمية^(١): "إِنَّ الْإِعْتِصَامَ بِالْجَمَاعَةِ وَالْإِتِّلَافَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ"^(٢).
وَالْإِخْتِلَافُ وَالتَّفَرُّقُ الْمُنْهَيُّ عَنْهُ، إِنَّمَا هُوَ الْمُؤَدِّي إِلَى الْفِتْنَةِ وَالتَّعَصُّبِ وَتَشْتِيتِ
الْجَمَاعَةِ؛ وَأَمَّا الْإِخْتِلَافُ فِي الْفُرُوعِ فَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ"^(٣).
وقالوا: أَنَّ المودة والإخاء سبب للتآلف، والتآلف سبب القوة، والقوة حصن منيع
وركن شديد، بها يمنع الضيم، وتنال الرغائب، وتتجع المقاصد. وقد امتنَّ اللهُ ﷻ على
قوم وذكَّروهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء، وردَّها بعد الفرقة إلى الألفة
والإخاء، قال ﷻ: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٤).

إنَّ انفعال حب الناس: يعتبر مطلبًا نفسيًا واجتماعيًا لكي تعم الألفة والانسجام مع
الآخرين. والموازنة بين حب الذات وحب الآخرين والتعاون معهم وتقديم المساعدة

(١) ابن تيمية: شيخ الإسلام تقي الدين، أبو العباس أحمد ابن المفتي شهاب الدين عبد الحليم
ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني
أحد الأعلام. ومصنفاته بلغت حوالي ثلاثمائة مجلد وأشهرها "الفتاوى الكبرى". حدث بدمشق
ومصر والثغر، وقد امتحن وأوذي مرات وحبس بقلعة مصر والقاهرة والإسكندرية وبقلعة
دمشق مرتين، وبها توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، ينظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي،
١٩٢/٤. الترجمة (١١٧٥).

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد
الله بن أبي القاسم بن مجد الحراني الحنبلي الدمشقي تقي الدين (ت ٧٢٨هـ)، دار الكتب
العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ٢ / ١٠٩.

(٣) ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ١ / ٣٨٢.

(٤) ينظر: التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن محمد علي البغدادي (ت
٥٦٢هـ)، المحقق: احسان عباس، بكر عباس، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ،
٣٥٠/٤، المستطرف في كل فن مستطرف، الأبشيهي، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد
بن منصور (ت ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م، ١ / ٢٦٤.

والعون لهم. قال ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.

وقد أثنى الله ﷻ خيرًا على إيثار الأنصار لإخوانهم المهاجرين إليهم من مكة على أنفسهم قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١). والحب كانفعال جزء مهم في شخصية الإنسان وموجه لسلوكه لجلب الخير والمنفعة له ودفع الشر والضرر والخطر عنه^(٢). والستر على الغير يؤدي إلى الألفة، "وُخِصَّتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِالسِّرِّ فِيهَا. وَلِلسِّرِّ حِكْمَةٌ، وَهِيَ أَنَّهَا لَوْ أُظْهِرَتْ لَكَانَ فِي ذَلِكَ دَاعٍ إِلَى الْفُرْقَةِ وَعَدَمِ الْأَلْفَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهَا"^(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ وَمَنْ نَفَسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٤).

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

(٢) ينظر: الانفعالات الإنسانية وضبطها بتعلم القرآن الكريم، الرويلي، عبد الله بن عواد، رئيس قسم التوجيه والإرشاد بالإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة الحدود الشمالية، دراسة مقدمة للملتقى الثالث للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم - الرياض، ص ١٩.

(٣) الاعتصام، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ)، المحقق: د هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي - السعودية، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ٣/ ١٥٧.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ١٣/ ٣٢٥، (٧٩٤٢)، (صححه المحقق).

تأصيل الألفّة والاعتصام بحبل الجماعة:

"إِنَّ سَبَبَ الْاجْتِمَاعِ وَالْأَلْفَةِ جَمْعُ الدِّينِ وَالْعَمَلُ بِهِ كُلُّهُ"^(١).
 وآيات القرآن يأخذ بعضها برقاب بعض، والقرآن تُفهم معانيه بالدراسة الموضوعية،
 أي: بجمع الآيات التي يناسب بعضها بعضًا، فالذين أمرهم الله ﷻ بقوله:
 ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ حذرهم في آية أخرى بقوله: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا
 فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(٢). ونهاهم بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ
 بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٣). إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تحتم على المسلمين
 أن يتفقوا، وتحذرهم أن يتفرقوا، فتذهب ريحهم، ويخسروا عزهم ومجدهم.
 وأكد الله ﷻ على إقامة الدين بما أراد، بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٤).
 فالآية الأولى تأمر بالاعتصام بحبل الله ﷻ، وإقامة دينه مقرونة بنواه عن التفرق
 والنزاع مع التنبه إلى النتائج الحتمية المتمثلة في الفشل والعجز عن الوصول إلى
 غاية معينة، تُنتج أخيرًا فشل الأمة وعجزها عن القيام بوظيفتها التي كلفت بها في
 هداية البشر وإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة في الأرض^(٥).
 وقد بين ﷺ ذلك خير بيان، وهو المبين للذكر المبلغ للوحي في نواه صريحة، فعن
 أنسٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ
 اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٦).

(١) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ١/ ١٧.

(٢) سورة الأنفال: جزء من الآية ٤٦.

(٣) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٥.

(٤) سورة الشورى: جزء من الآية ١٣.

(٥) ينظر: تقرير آداب الحوار، مريم سالم وأخريات، دولة الإمارات، مجلس أبو ظبي للتعليم
 مدرسة مريم بنت سلطان ص ٣.

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٤١١/٢٠، (١٣١٧٩)، (صححه المحقق).

وكان ﷺ يبث روح الألفة والإعتصام، ويحث عليها بمختلف التعبير، وكان لإرشاداته وتعاليمه القيمة دوي عظيم في أنحاء الجزيرة العربية، وأثر في نفوس المسلمين، الأثر الذي جعل فيهم روحًا وثابة حية كانت هي السبب الوحيد في رقيهم الباهر، وتقدمهم العظيم. فالأمة الإسلامية ما اجتازت تلك المراحل، وما وصلت إلى ما وصلت إليه من المجد والعظمة إلا بالتمسك بالاتفاق والاعتصام بحبله المتين؛ وبفضل الاتفاق أصبحت الأمة الإسلامية الأمة الأولى الحية^(١).

وأكد الله ﷻ الأمر بالاعتصام والاتحاد والائتلاف. وقال ﷺ لخاتم النبيين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُدَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢).

وَرَحِمَ اللَّهُ ابْنَ الْمُبَارَكِ^(٣) حَيْثُ قَالَ مِنْ [البسيط]:

إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبْلُ اللَّهِ فَاعْتَصِمُوا ... مِنْهُ بَعْرُوتِهِ الْوُثْقَى لِمَنْ دَانَا^(٤)

أَمْرُهُمُ اللَّهُ بِالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ وَهُوَ الدِّينُ، وَنَهَاهُمْ عَنِ النَّقْرِ، وَهُوَ أَمْرٌ وَنَهْيٌ، بِدَيْمُومَةٍ مَا هُمْ عَلَيْهِ إِذْ كَانُوا مُعْتَصِمِينَ وَمُؤْتَلِفِينَ نَكَرَهُمْ بِأَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الإِعْتِصَامِ بِدِينِ الإِسْلَامِ وَأَتْتَلَفِ الْقُلُوبِ إِنَّمَا كَانَ سَبَبُهُ إِنْعَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ. إِذْ

(١) ينظر: حول السنين والشيعية، محمد صادق الصدر، مجلة الرسالة- مصر، العدد ١٢٨، ١٦/١٢/١٩٣٥م، ص ٤٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

(٣) ابن المبارك: عبد الله، ويكنى أبا عبد الرحمن، ولد سنة ثمان مائة وعشرة ومائة وطلب العلم فروى روايات كثيرة وصنف كتبًا كثيرة في أبواب العلم وصنوفه حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم. وقال الشعر في الزهد والحث على الجهاد. وقدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن وسمع علمًا كثيرًا. وكان ثقة مأمونًا إمامًا حجة كثير الحديث. ومات بهيت منصرفًا من الغزو سنة ١٨١هـ. ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٧/٢٦٣، الترجمة (٣٦٤٣).

(٤) الاستنكار، ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: سالم محمد عطا محمد علي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ٨/٥٧٨، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/١٥٩، لم أقف على قول ابن المبارك في مؤلفاته، وإنما نقل عنه ذلك.

حَصَلَ مِنْهُ ﷺ خَلْقُ تِلْكَ الدَّاعِيَةِ فِي قُلُوبِهِمُ الْمُسْتَلْزَمَةِ بِحُصُولِ الْفِعْلِ، فَذَكَرَ بِالنِّعْمَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ. أَمَّا الدُّنْيَوِيَّةُ فَتَأَلَّفُ قُلُوبِهِمْ وَصَيَّرُوهُمْ إِخْوَةً فِي اللَّهِ مَتْرَاحِمِينَ بَعْدَ مَا أَقَامُوا مُتَحَارِبِينَ مُتَقَاتِلِينَ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ وَعِشْرِينَ سَنَةً إِلَى أَنْ أَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ بِالْإِسْلَامِ^(١).

استخلص العلماء رحمهم الله ﷺ من ذلك أن الجماعة والألفة أصل من أصول الدين يضحى في سبيله بالفروع، وهو كلام صحيح فيه فقه وبصر بأحكام الشرع، فقد اعتذر نبي الله هارون لأخيه موسى ﷺ في عدم اتباعه له عندما عبد بنو إسرائيل العجل للمحافظة على وحدة بني إسرائيل قال ﷺ: ﴿قَالَ يَهُرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَبْتُؤُمَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^{(٢)(٣)}.

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، ابو حيان، ٣ / ٢٨٧.

(٢) سورة طه: الآيات ٩٢ - ٩٤.

(٣) ينظر: موسوعة البحوث والمقالات العلمية، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، ٢ / ١٩١.



المطلب الثاني

الألفة بين الصحابة رضي الله عنهم

وردت آيتان تخبر عن الألفة بين الصحابة رضي الله عنهم:

الآية الأولى في سورة آل عمران، قال رضي الله عنه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١). وهذه الآية دُرست في المطلب السابق.

والآية الثانية في سورة الأنفال، قال رضي الله عنه: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

والآيتان تعد من الآيات القدرية، أي: قدر الله رضي الله عنهم الألفة بين الصحابة رضي الله عنهم.

وترتيب نزول السور غير ترتيب المصحف، قال عطاء (٣): أول ما أنزل الله صلى الله عليه وسلم

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال: الآيتان ٦٢، ٦٣.

(٣) عطاء: بن أبي مسلم الخراساني واسم أبيه عبد الله، كنيته أبو أيوب، أصله من بلخ، مولى المهلب بن أبي صفرة، وعداده في البصريين، وإنما قيل: الخراساني لأنه دخل خراسان وأقام بها مدة طويلة ثم رجع إلى العراق، وهو من التابعين العباد، وكان مولده سنة خمسين، ومات سنة خمس وثلاثين ومائة بأريحا فحمل ودفن ببيت المقدس، ينظر: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، الدارمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، ط ١، ١٣٩٦هـ، ٢ / ١٣٠، (باب العين)، الترجمة (٧٢٥).

بالمدينة، سورة البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران^(١).
 وقول عطاء يفيدنا الجمع بين الآيتين، بأنَّ الله ﷻ ألف بين الصحابة ﷺ بقدرته
 أولاً، ثم ذكرهم بنعمة الألفة فيما بينهم.
 والآية الثانية: هي آيتان في الكوفي والمدني، وآية في البصري^(٢).

المناسبة

إنَّ الله ﷻ لما أمر رسوله ﷺ بالجنوح للسلِّم إذا جنح لها الأعداء، وربما كان
 جنوحهم لها مظنة الخداع والمكر، ووعده أن يكفيه أمرهم إذا أرادوا التوسل بالصلح
 إلى الحرب وضروب الإيذاء والشر، وامتن عليه بتأييده له بنصره وبالمؤمنين، إذ
 سخرهم له، وألَّف بين قلوبهم باتباعه. قفَى على ذلك بوعده بكفايته له ولهؤلاء
 المؤمنين الذين ألَّف بين قلوبهم في حال الحرب والصلِّم، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
 حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، فجعل هذا تقدمةً لأمره بتحريضهم على
 القتال حين الحاجة إليه، كما إذا بدأ العدو بالحرب، أو نقض العهد أو خان في
 الصلح^(٤).

(١) ينظر: فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، الرازي، أبو عبد الله محمد بن
 أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي (ت ٢٩٤هـ)، المحقق: غزوة بدير،
 دار الفكر - دمشق، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ٣٣ / ١، جمال القراء وكمال الإقراء،
 السخاوي، أبو الحسن علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي (ت
 ٦٤٣هـ)، المحقق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط
 ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص ١٠٩.

(٢) ينظر: البيان في عدّ آي القرآن، الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر
 (ت ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، ط ١،
 ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص ٩٤، التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن
 الحسن نصير الدين (ت ٤٦٠هـ)، ط ١، ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي - قم، ١٥١ / ٥.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٤.

(٤) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهري، ٤٥ / ١١.

التعريف اللغوي للمفردات الغريبة في الآية الثانية وإعرابها

خَدَعَ لُغَةً: أَخْفَى^(١).

والكلمة وردت هنا على المعنى اللغوي لا مجاز فيها^(٢).

﴿حَسَبَكَ﴾: يَكْفِيكَ^(٣). ولا يخرج معناها الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

﴿أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾: قَوَّكَ عَلَى أَعْدَائِكَ^(٤).

﴿أَنْفَقَ﴾ لُغَةً: الرَّجُلُ أَفْتَقَرَ وَذَهَبَ مَالُهُ^(٥). وأنفق الرجل ماله، بذله وصرفه وأنفده،

والمعنى اللغوي مناسب مع سياق الآية.

﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: عَزِيزٌ فِي مَلِكِهِ وَسُلْطَانِهِ. حَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ وَقَضَائِهِ^(٦).

(١) معجم ديوان الأدب، الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت ٣٥٠هـ)،

المحقق: د. أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر - القاهرة،

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (باب الإفعال)، ٢ / ٣٠٩.

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (ت ١٤٢٩هـ)،

مكتبة وهبة - مصر، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ٢ / ٣٠٩.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، ص ٧.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه،

القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيرواني ثم الأندلسي القرطبي

المالكي (ت ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي

- جامعة الشارقة، إشراف: د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية

الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ٤ / ٢٨٧١.

(٥) مختار الصحاح، الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي زين الدين

(ت ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ -

١٩٩٩م، (باب ن ف ق)، ص ٣١٦.

(٦) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس رضي الله عنه (ت ٦٨هـ)، جمعه:

الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان،

(د ط)، (د ت)، ص ١٥١.

إعراب الآية الثانية

﴿وَأِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾: الواو: عاطفة والجملة معطوفة على الآية التي قبلها.

﴿وَأِنْ يُرِيدُوا﴾: ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿يُرِيدُوا﴾: (يريد) فعل مضارع فعل الشرط مجزوم بـ"إِنْ" وعلامة جزمه حذف النون، والواو: ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف فارقة^(١).
﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ناصب.

﴿يَخْدَعُوكَ﴾: (يخدع) فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، والكاف مفعول به، والمصدر المؤول من "أَنْ" والفعل في محل نصب مفعول به للفعل يريد، والتقدير (يريدوا خداعك).

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾: ﴿فَإِنْ﴾ (الفاء) رابطة لجواب الشرط، (إِنَّ) حرف نصب وتوكيد مشبه بالفعل.

﴿حَسْبَكَ﴾: (حَسَبَ) اسم إنَّ منصوب بالفتحة وهو مضاف والكاف ضمير متصل مبني في محل جر بالإضافة^(٢).

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة خبر إنَّ مرفوع بالضمة والجملة في محل جزم جواب الشرط.

﴿هُوَ الَّذِي آتَىٰكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾: ﴿هُوَ﴾ ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ.

(١) الألف فارقة: تُزاد بعدَ واو الجماعةِ في الأفعالِ لتمييزها عن الواوِ الأصليَّةِ، ينظر: قواعد

اللغة العربية المبسطة، عبد اللطيف السعيد، الطباعة على الحاسوب: ياسمين ونهلة وسمير

السعيد، ط ٣، ٢٠٠٦م، ١/٨٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ٤/٥١٠.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر، والجمله الأسمية مستأنفة.

﴿أَيْدِكَ﴾: (أيد) فعل ماض مبني على الفتح والكاف ضمير متصل مفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره هو. وجمله ﴿أَيْدِكَ﴾ صلة الموصول لامحل لها من الأعراب.

﴿بِنَصْرِهِ﴾: (بنصر) الباء حرف جر و(نصر) اسم مجرور بالياء وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف والهاء ضمير متصل في محل جر مضاف إليه، والجار والمجرور متعلقان ب﴿أَيْدِكَ﴾.

﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾: الواو عاطفة، (بِالْمُؤْمِنِينَ): جار ومجرور متعلق بأيدك وعلامة جر الاسم الياء، لأنه جمع مذكر سالم والنون عوض عن تنوين المفرد وحركته.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: ﴿وَأَلَّفَ﴾: الواو عاطفة، (أَلَّفَ) فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان منصوب بالفتحة متعلق بألف وهو مضاف.

﴿قُلُوبِهِمْ﴾: (قلوب) مضاف اليه وهو مضاف، والهاء: ضمير الغائب مبني في محل جر بالإضافة، والميم علامة الجمع.

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: ﴿لَوْ﴾: حرف شرط غير جازم تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط.

﴿أَنْفَقْتَ﴾: (أنفق) فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك وهو التاء، و(التاء) ضمير متصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي مبني على السكون في محل نصب مفعول به، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلق بصلة موصول محذوفة، وصلة الموصول المحذوفة لامحل لها.

﴿جَمِيعًا﴾: حال منصوب من اسم الموصول وعلامة نصبه تنوين الفتح.

﴿مَّا﴾: نافية لاعمل لها.

﴿أَلَقَّتْ﴾: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع وهو التاء والتاء

فاعل والجملة لا محل لها من الإعراب، لأنها جواب شرط غير جازم.

﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان وهو هنا يأتي مفعولاً به منصوب، وهو مضاف

﴿قُلُوبِهِمْ﴾: (قلوب) مضاف إليه وهو مضاف، و(الهاء) ضمير متصل مبني في

محل جر بالإضافة والميم علامة الجمع.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: الواو: استئنافية، (لَكِنَّ): حرف

استدراك ونصب.

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة اسم لكنّ منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

﴿أَلَفَّ﴾: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

﴿بَيْنَهُمْ﴾: (بين) ظرف مكان منصوب بالفتحة متعلق بـ ﴿أَلَفَّ﴾ وهو مضاف،

(هم) الهاء ضمير الغائب مبني في محل جر مضاف إليه، والميم علامة الجمع،

وجملة ﴿أَلَفَّ بَيْنَهُمْ﴾: في محل رفع خبر لَكِنَّ.

﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد، والهاء

ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب اسمها.

﴿عَزِيزٌ﴾: خبرها مرفوع بالضمة، ﴿حَكِيمٌ﴾: خبر ثان مرفوع بالضمة^(١).

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن، الخراط، ص ١٨٥؛ الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت

عبد الواحد صالح، دار الفكر - عمان، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠.



أسباب النزول

روي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه في قول الله عز وجل: ﴿لَوَأْنَفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾. قال: نزلت في المتحابين في الله ﷻ (١).

المعاني البلاغية للآية

استأنف الله ﷻ بعد قوله: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾، قوله: ﴿لَوَأْنَفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ استئنافًا ناشئًا عن مساق الإمتنان بهذا الإئتلاف، فهو بياني، أي: لو حاولت تأليفهم ببذل المال العظيم ما حصل التألف بينهم. فقوله ﷻ: ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مبالغة حسنة لوقوعها مع حرف لو الدال على عدم الوقوع. فكان التأليف بينهم من آيات هذا الدين، لما نظم الله من ألفتهم، وأماط عنهم من التباغض، وأزال الله من قلوبهم البغضاء بينهم، و﴿جَمِيعًا﴾ منصوبًا على الحال من ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهو اسم على وزن فعيل بمعنى مجتمعة. وموقع الاستدراك في قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ لأجل ما يتوهم من تعذر التأليف بينهم في قوله: ﴿لَوَأْنَفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ولكن تكوين الله

(١) ينظر: مسند البزار = البحر الزخار، البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي (ت ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ١، ٢٠٠٩م، ٥ / ٤٣٩، (٢٠٧٧)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة، (د ط)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ٧ / ٢٨، (١١٠٣١)، مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: صبري عبد الخالق أبو زر، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ٢ / ١٦٣، (١٤٦٧)، (صححه المؤلف).



يَلِينُ بِهِ الصَّلْبُ وَيَحْصُلُ بِهِ الْمُتَعَدِّرُ. وَالْخِطَابُ فِي أَنْفَقَتْ وَأَلْفَتْ لِلرَّسُولِ ﷺ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ. وَإِذْ كَانَ هَذَا التَّكْوِينُ صُنْعًا عَجِيبًا دَلِيلَ اللَّهِ الْخَبَرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ وَعَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أَي: قَوِيُّ الْقُدْرَةِ فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، مُحْكَمُ التَّكْوِينِ فَهُوَ يُكُونُ الْمُتَعَدِّرَ، وَيَجْعَلُهُ كَالْأَمْرِ الْمَسْنُونِ الْمَأْلُوفِ. وَالتَّأَكِيدُ بـ ﴿إِنَّ﴾ لِمُجَرَّدِ الْإِهْتِمَامِ بِالْخَبَرِ بِاعْتِبَارِ جَعْلِهِ دَلِيلًا عَلَى بَدِيعِ صُنْعِ اللَّهِ ﷻ (١).

وقوله ﷻ: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ فيها ما يسمى بالإطناب، للتذكير بنعمة الله العظمى على الرسول والمؤمنين، وهي نعمة التأليف ووحدة الأمة، والتأليف الجمع على تشاكل، فلما جمعت قلوبهم على تشاكل فيما تحبه وتتنازع إليه، كانت قد ألفت (٢).

تفسير القرآن بالقرآن للآية:

إِنَّ أَعْظَمَ سَبَابِ النَّصْرِ بَعْدَ تَأْيِيدِ اللَّهِ ﷻ تَأْلِيفَ الْقُلُوبِ، لَذَا قَالَ ﷻ فِي فَضْلِ نِعْمَةِ التَّأْلِيفِ: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ وَعَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. و(التأليف): إيجاد ألفة بين الجماعات، بحيث يألف كل واحد من الجماعة صاحبه، كالألفة التي أنشأتها المؤاخاة بين المؤمنين، وهو غير الاتحاد؛ لأن الاتحاد الاجتماع على أمر بالرأي والنظر، أما ائتلاف النفوس، فإن ذلك لا يستطيعه إلا الله، فقد ألفت الله ﷻ بين المهاجرين والأنصار، حتى كان الأنصار يؤثرون على أنفسهم، كما جاء في قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٣).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٠ / ٦٤.

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٥ / ١٥١.

(٣) سورة الحشر: جزء من الآية ٩.

إن تأليف القلوب لا يمكن أن يجيء إلا من عمل مقلب القلوب، ومؤلف الأرواح، وقد بين الله ﷻ استحالة ذلك إلا منه في قوله: ﴿لَو أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ كما أن خلق الأشياء من العدم لا يكون إلا من الخالق^(١).

تفسير القرآن بالسنة:

عالج رسول الله ﷺ حين وجد في وجوه الأنصار عدم الرضى لعدم إعطائهم من الغنائم، فعن عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فآلفكم الله بي وعالته فأغناكم الله بي». كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله آمن. قال: «ما يمنعكم أن تحببوا رسول الله ﷺ». قال كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله آمن. قال: «لو شئتم فأنتم جنننا كذا وكذا. أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رجالكم، لولا الهجرة لكانت أمراً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»^(٢).

وجاء في الرواية الثانية التي صرحت بما كنى في الرواية الأولى، «كذا وكذا»، فعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر الأنصار ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي، ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي، ألم آتكم أعداء فآلف الله بين قلوبكم بي» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «أفلا تقولون جنننا خائفاً فآمنناك وطريداً فأوينناك ومخذولاً فنصرناك» فقالوا: بل لله تبارك وتعالى المن به علينا ورسوله ﷺ^(٣).

(١) ينظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٦ / ٣١٨٠.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب المغازي)، (باب غزوة الطائف)، ٥ / ١٥٧، (٤٣٣٠).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ١٩ / ٧٨، (١٢٠٢١)، (صححه المحقق).



وفي شرح الحديث في كلا الروایتين، تبين أن نعمة الإيمان أعظم النعم، بحيث لا يوازيها شيء من أمور الدنيا. ثم أتبع ذلك بنعمة الألفة، وهي أعظم من نعمة الأموال. إذ تُبذل الأموال في تحصيلها وقد كانت الأنصار في غاية التباعد والتنافر، وجرت بينهم حروب قبل المبعث. منها: يوم بُعث ثم أتبع ذلك بنعمة الغنى والمال. وفي جواب الصحابة ﷺ بما أجابوه: استعمل الأدب، والإعتراف بالحق الذي كنى عنه بقول الراوي «كذا وكذا» وقد تبين مصرحاً به في رواية أخرى. فتأدب الراوي بالكناية، في جملة ذلك: جبر للأنصار، وتواضع وحسن مخاطبة ومعاشرة. وفي قوله ﷺ: «ألا ترضون»، إشارة لأنفسهم وتنبيه على ما وقعت العقلة عنه من عظم ما أصابهم بالنسبة إلى ما أصاب غيرهم من عرض الدنيا. وفي قوله ﷺ: «لولا الهجرة»، إشارة عظيمة بفضيلة الأنصار. وقوله: «لكنت أمراً من الأنصار»، أي: في الأحكام والعديد. ولا يجوز أن يكون المراد: النسب قطعاً^(١).

بين لنا الرسول ﷺ: أن الله ﷻ وحده يملك القلوب ويصرفها كيف يشاء، روى عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يُصرفه حيث يشاء». ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مُصْرِفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»^(٢).

(١) ينظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري (ت ٧٠٢هـ)، المحقق: مصطفى شيخ مصطفى، مدثر سندس، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص ٢٦٤، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة- بيروت، (د ط)، ١٣٧٩هـ، ٨ / ٥.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب القدر)، (باب تَصْرِيفِ اللَّهِ ﷻ الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ)، ٤ / ٢٠٤٥، (٢٦٥٤).

التفسير بالمأثور:

فَقِهَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه من الآية فقال: "النِّعْمُ تُكْفَرُ، وَالرَّحِمُ تُقَطَّعُ، وَلَمْ نَرَ مِثْلَ تَقَارُبِ الْقُلُوبِ" (١).

وَقَالَ: "وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا قَارَبَ بَيْنَ الْقُلُوبِ لَمْ يُرْخِزْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾" (٢).

معجزة الألفة بين الأنصار رضي الله عنهم.

"إِنَّ الْخُصُومَةَ كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ شَدِيدَةً وَالْمُحَارَبَةَ دَائِمَةً، ثُمَّ زَالَتْ الضَّغَائِنُ، وَحَصَلَتِ الْأُلْفَةُ وَالْمَحَبَّةُ، فَإِزَالَةُ تِلْكَ الْعَدَاوَةِ الشَّدِيدَةِ وَتَبْدِيلُهَا بِالْمَحَبَّةِ الْقَوِيَّةِ وَالْمُخَالَصَةِ النَّامَةِ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ سبحانه، وَصَارَتْ تِلْكَ مُعْجَزَةً ظَاهِرَةً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليه" (٣).

وفى الآية إيماء إلى أن النصر يُنال بالأسباب التي من أهمها التآلف والاتحاد بفضل مقدر الأسباب ورحمته بالعباد ومن جزاء ذلك قال صلوات الله عليه: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: إنه لولا نعمة الله عليهم بأخوة الإيمان التي هي أقوى من أخوة الأنساب لما أمكنك أن تؤلف بين قلوبهم بالمنافع الدنيوية، فالضغائن الموروثة والدماء المسفوكة في الأنصار لا تزول بالأعراض الزائلة، وإنما تزول بصادق الإيمان الذي هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة كما أن التآلف بين أغنياء المهاجرين وفقرائهم، وأشرفهم وعامتهم، على ما كان بينهم من فوارق في الجاهلية،

(١) الأدب المفرد بالتعليقات، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ)، المحقق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ١/ ١٣٨، (٢٦٢)، (باب الألفة)، (صححه المحقق).

(٢) مصنف عبد الرزاق، الصنعاني، (باب صلة الرحم)، ١١/ ١٧١، (٢٠٢٣٢)، المستدرك على الصحيحين، الحاكم، (كتاب التفسير)، (تفسير سورة الأنفال)، ٢/ ٣٩٠، (٣٣٢٨)، قال الذهبي: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُحْرَجْهُ.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٥/ ٥٠٢.



وجمع كلمة البيوت والعشائر مع رسوخ العداوات والإحن، لم يكن مما ينال بالمال والآمال في المغانم ونحوها، على أن شيئاً من ذلك لم يكن في يد الرسول ﷺ أول الإسلام وإن كان قد صار في يده شيء كثير منه في المدينة بنصر الله له في قتال المشركين واليهود جميعاً^(١).

والله ﷻ قد امتن على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة التي ينتقلون في ظلها ويأوون إلى كنفها، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة، لأنها أرجع^(٢) من كل ثمن، وأجل من كل حظ^(٣).

وبين القرآن الكريم أن الألفة بين الصحابة ﷺ نعمة ومنحة من الله ﷻ امتن بها على رسول الله ﷺ، وهذا التصوير القرآني لحقيقة الصحابة ﷺ ينسجم مع الروايات الصحيحة التي تبين محبة الصحابة ﷺ والمودة بينهم، وبذلك يفتضح أمر الذين وضعوا الروايات المكذوبة والموضوعة في عصر الرسالة^(٤).

وإن الألفة والمودة والمحبة، كل ذلك يُعدُّ مادة تأليف القلوب، ولهذا امتن الله ﷻ على المؤمنين بهذه النعمة العظيمة. بل امتن على نبيه ﷺ، بأن أوجد له طائفة من المؤمنين تألفت قلوبهم بعد بيعة العقبة الثانية.

التفسير العام للآية

قوله ﷻ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: لئِن قلوبهم من العداوة التي كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية. ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾

(١) ينظر: تفسير المراغي، المراغي، ١٠ / ٢٧.

(٢) أرجع: أثمن، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (باب رجع)، ٣ / ١٢١٧.

(٣) ينظر: وضوء النبي ﷺ، السيد علي الشهرستاني، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ٣٢٩.

(٤) ينظر: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الإمارات - الشارقة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ١ / ٢٣٤.

يعني: "ما قدرت أن تؤلف بينهم، ولكن الله ألف بينهم بالإسلام. إنه عزيز حكيم حكم بالألفة بين الأنصار بعد العداوة، وحكم بالنصر على أعدائه"^(١).

وهذا من أعجب الآيات، لأنهم كانوا ذوي أنفة شديدة فلو أن رجلاً لطم رجلاً، لقاتلت عنه قبيلته حتى تترك ثأره، فال بهم الإسلام إلى أن يقتل الرجل ابنه وأباه من أجل إعلاء كلمة الله ﷺ^(٢).

وفي قوله ﷺ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ حجة على قبول إجماع الصحابة ﷺ ولزومه لزوم نص القرآن، إذ محال أن تتفق الألسن على شيء إلا وقد ائتمت قلوب الناطقين به، لأن الألسنة مترجمة عما حوت القلوب، وقد أخبر الله ﷺ أنه مؤلفها^(٣).

وبين الله ﷺ صعوبة تأليف القلوب بقوله ﷺ: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾. "فكانت الألفة بتوفيقه ثم بتطبيق تعاليم التربية القرآنية، فيها ترقوا في مراحل التربية حتى وصلوا إلى الذروة والكمال، فرضي الله عنهم ورضوا عنه"^(٤). "فكانوا بعد هذا التآلف قوة ضاربة أسقطت فارس والروم"^(٥).

(١) تفسير بحر العلوم، السمرقندي، ٢ / ٣٠.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٢ / ٢٢٢.

(٣) ينظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، الكرجي، أحمد محمد بن علي بن محمد القصاب (ت نحو ٣٦٠هـ)، تحقيق: علي بن غازي التويجري وآخرون، دار القيم، دار ابن عفان - الرياض، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ١ / ٤٧٤.

(٤) ينظر: التربية القرآنية وأثرها على الفرد والمجتمع، د. محب الدين بن عبد السبحان واعظ، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ، ص ٧.

(٥) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، المطيري، عبد المحسن بن زين بن متعب، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ، ص ٣٢.

والإنسان إذا أراد تغيير أخلاقه عود نفسه بالإعتياد والألفة في عادات الخير، فصعب عليه طرق الشر والهلكة ونفر منها، أما إذا سبق إلى الشر فالهلاك على بابهِ^(١). وهذه الأمة زكاها الله ﷺ في القرآن بالألفة والوحدة^(٢).

قَالَ ﷺ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾^(٣). «فَسَمَى التَّحْيِيْبَ وَالتَّكْرِيبَةَ فَضْلًا وَنِعْمَةً»^(٤).

نصوص لها علاقة بالألفة بين الصحابة ﷺ

ولدوام الألفة إصلاح ذات البين، وردت آيات ترشد إلى إصلاح ذات البين سواء بين الصحابة ﷺ أفرادًا كانوا أو جماعات أو بين المؤمنين وغيرهم، واخترت آية واحدة نزلت في المتخاصمين من الصحابة ﷺ وهي قوله ﷺ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

(١) ينظر: موسوعة الأخلاق، الخرازن، خالد بن جمعة بن عثمان، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع - الكويت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٥٠.

(٢) ينظر: موسوعة الأخلاق والزهد والرفائق = قصص تربية من حياة الأنبياء والصحابة ﷺ والتابعين والصالحين، ياسر عبد الرحمن، مؤسسة اقرأ - القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ٢ / ٢٠٢.

(٣) سورة الحجرات: الآيتان ٧، ٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ٢ / ٨٢.

(٥) سورة الأنفال: جزء من الآية ١.

وسورة الأنفال من بدايتها تحذّر الصحابة ﷺ من التنازع والاختلاف، وتحثهم على طاعة الله ورسوله^(١).

'وَجَمِيعُ مَا أَمَرَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفِي صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ صَلَاحُ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ'^(٢). وسبب نزولها عن ابن عباس ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَلَهُ مِنَ النَّقْلِ كَذَا وَكَذَا». قَالَ: فَتَقَدَّمَ الْفِثْيَانُ وَلَزِمَ الْمَشِيخَةَ الرَّيَّاتِ فَلَمْ يَبْرَحُوهَا، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ الْمَشِيخَةُ: كُنَّا رِءَاءَ لَكُمْ لَوْ أَنهَزَمْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا، فَلَا تَذْهَبُوا بِالْمَغْنَمِ وَبَنَّقَى، فَأَبَى الْفِثْيَانُ وَقَالُوا: جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَنَا، لَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿كَمَا أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكرهون﴾ يقول: «فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ، فَكَذَلِكَ أَيْضًا فَاطِيعُونِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِعَاقِبَةِ هَذَا مِنْكُمْ»^(٣).

من الأقوال في تفسير قوله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. نقل كثير من المفسرين نص ما قاله الزمخشري: أي: أصلحوا أحوال ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق^(٤).

وقيل: محو صفات النفوس قبل التهذيب، التي هي مصادر أفعالهم الموجبة للتنازع والتخالف حتى يرجعوا إلى الإلفة والمحبة القلبية^(٥).

(١) ينظر: اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير من أول سورة المائدة ، إلى آخر سورة الإسراء ، وزارة التعليم العالي، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه، إعداد: محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند، ١ / ١٤٤ .

(٢) أحكام القرآن، الجصاص، ٥ / ٢٩٠ .

(٣) سنن أبي داود، أبو داود، (باب في النّقل)، ٤ / ٣٦٩ ، (٢٧٣٧)، (صححه المحقق).

(٤) ينظر: الكشف، الزمخشري، ٢ / ١٩٥ ، محاسن التأويل، القاسمي، ٥ / ٢٥٥ .

(٥) ينظر: تفسير ابن عربي، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله محي الدين (ت ٦٣٨هـ)، المحقق: الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ ،

وقيل: اتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الأموال وأصلحوا ذات بينكم أي: التي هي بينكم من الأحوال حتى تكون ألفة ومودة وموافقة^(١).
وقيل: أمر بإصلاح ذات البين؛ لما ذكر من عظيم منته ونعمه التي أنعم الله ﷻ عليهم بقوله: ﴿وَذَكِّرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٢).

ذكر المفسرون كلمة الألفة عند تفسيرهم لتلك الآية.

وكشف الله ﷻ عمل المنافقين في التفريق بين الصحابة ﷺ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣).
أي بئوه للإضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين، فإنهم إذا تفرقوا فصلى حزب هنا وحزب يصلى في غيره اختلفت الكلمة وبطلت الألفة^(٤).

(١) ينظر: غرائب القرآن ورجائب الفرقان، النيسابوري، ٣/ ٣٧٣.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة = تأويلات أهل السنة، الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (ت ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٥/ ١٥١.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٧.

(٤) ينظر: الينابيع الفقهية، علي أصغر مرواريد، دار التراث - بيروت، الدار الإسلامية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٤/ ٥٢٦.

فمن الأثر عن عبدة السلماني^(١)، روي عن علي عليه السلام أنه قال: "اجتمع رأيي ورأي عمري على عتق أمهات الأولاد، ثم رأيت بعد أن أرقهن في كذا وكذا، قال: فقلت له: رأيك ورأي عمري في الجماعة أحب إلي من رأيك وحدك في الفرقة"^(٢).
ويحتمل أن يكون عمر عليه السلام بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه حكم بعنقهن بموت ساداتهن نساء، فاجتمع هو وغيره على تحريم بيعهن، ويحتمل أن يكون هو وغيره استدلوا ببعض ما ذكرناه، وما لم نذكره مما يدل على عتقهن، فاجتمع هو وغيره على تحريم بيعهن، فالأولى بنا متابعتهم فيما اجتمعوا عليه قبل وقوع الاختلاف^(٣).

(١) السلماني: عبدة بن عمرو المزدي ويقال الهمداني الكوفي، كنيته: أبو مسلم ويقال: أبو عمرو، روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الإيمان والصلاة والفضائل والنفاق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في الصلاة، أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، مات سنة أربع وستين وقيل: سنة اثنتين وسبعين، قال عمرو بن علي: مات سنة اثنتين وسبعين. ينظر: رجال صحيح مسلم، ابن منجويه، أبو بكر أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، (ت ٤٢٨هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٤٠٧، ٢ / ٢٨، الترجمة (١٠٦٨).

(٢) سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور، (ت ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٨٥م، (كتاب الطلاق)، (باب ما جاء في أمهات الأولاد)، ٦١/٢، (٢٠٤٨)، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة - مصر، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ٤ / ٤٠٣، قال ابن حجر: (صححه المؤلف).

(٣) معرفة السنن والآثار، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلجعي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، دار قتيبة - دمشق، بيروت، دار الوعي - حلب، دمشق، دار الوفاء - المنصورة، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، (كتاب المدبر)، (باب عتق أمهات الأولاد)، ٤٦٩ / ١٤، (٦١٣٧).

"وأما قول عبدة: رأيك في الجماعة، ما أراد به موافقة الجماعة إجماعاً، وإنما أراد به أن رأيك في زمان الألفة والجماعة والاتفاق والطاعة للإمام أحب إلينا من رأيك في الفتنة والفرقة وتفرق الكلمة"^(١).

فَكَلْ مَسْأَلَةٌ حَدِثَتْ فِي الْإِسْلَامِ فَخَاضَ فِيهَا النَّاسُ فَتَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا فَلَمْ يُورَثْ ذَلِكَ الْإِخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ وَلَا بَغْضًا وَلَا تَفَرُّقًا وَبَقِيَتْ بَيْنَهُمُ الْأَلْفَةُ وَالنَّصِيحَةُ وَالْمُودَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالشَّفِيقَةُ، عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِسْلَامِ يَحِلُّ النَّظْرُ فِيهَا وَالْأَخْذُ بِقَوْلِ مَنْ تَلَكَّ الْأَقْوَالَ لَا يُوجِبُ تَبْدِيحًا وَلَا تَكْفِيرًا كَمَا ظَهَرَ مِثْلَ هَذَا الْإِخْتِلَافِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالتَّابِعِينَ مَعَ بَقَاءِ الْأَلْفَةِ وَالْمُودَةِ.

وَكُلْ مَسْأَلَةٌ حَدِثَتْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهَا، فَأُورِثَ اخْتِلَافَهُمْ فِي ذَلِكَ التَّوَلَّى وَالْإِعْرَاضَ وَالتَّدَابِرَ وَالتَّقَاطُعَ وَرُبَّمَا ارْتَقَى إِلَى التَّكْفِيرِ، عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، بَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَجْتَنِبَهَا وَيَعْرِضَ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا، لِأَنَّ اللَّهَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شَرَطَ فِي تَمَسُّكِنَا بِالْإِسْلَامِ أَنْ نَصْبِحَ فِي ذَلِكَ إِخْوَانًا بِقَوْلِهِ: ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٢).

مكانة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد الألفة

رَضِيَ اللَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ الصَّحَابَةِ، بِقَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٣).

(١) الْمُهَدَّبُ فِي عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ الْمُقَارَنِ، عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ النَّمْلَةِ، مَكْتَبَةُ الرِّشْدِ-الرياض، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٢ / ٨٨٨.

(٢) يَنْظُرُ: الْإِنْتِصَارُ لِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ، السَّمْعَانِيُّ، ص ٤٩، الْحِجَّةُ فِي بَيَانِ الْمَحَبَّةِ، الْأَصْبَهَانِيُّ، أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ التِّيمِيِّ (ت ٥٣٥ هـ)، الْمُحَقَّقُ: مُحَمَّدُ بْنُ رَبِيعِ بْنِ هَادِي عَمِيرِ الْمَدْحَلِيِّ، دَارُ الرَّايَةِ-الرياض، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ٢ / ٢٤٣، مَوْسُوعَةُ مَوَاقِفِ السَّلَفِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ وَالتَّرْبِيَةِ، الْمَغْرَاوِيُّ، أَبُو سَهْلٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، الْمَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ-القاهرة، النِّبْلَاءُ لِلْكِتَابِ، مَرَاكِش-المغرب، ط ١، ٦ / ٣٨٢.

(٣) سُورَةُ الْفَتْحِ: الْآيَةُ ١٨.

ووصف الله ﷺ الصحابة رضي الله عنهم بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

في هاتين الآيتين الثناء على أصحاب رسول الله ﷺ. وقد رسم لهم القرآن الكريم بأسلوبه المعجز صورة رائعة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة، حالاتها الظاهرة والمضمرة، فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، ولقطة تصور هياتهم في عبادتهم: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾، ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلهم ويغيش بها: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، ولقطة تصور أثر العبادة والتوجه إلى الله في سمتهم وسماتهم: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾. وهذه صفتهم فيها، ولقطات متتابعة تصورهم في الإنجيل كما أخبرنا ﷺ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (٢).

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق -

بيروت - القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ، ٦ / ٣٣٣١.

ومما قيل: اجتماع الإخوان على الكفاية مع الألفة ليس هو من أمر الدنيا^(١).
 قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: "لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِيهِ الْمَدِينَةَ أَصَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا"^(٢).

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه^(٣): "مَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنْ دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا"^(٤).
 "وَمِثْلُهُ عَنِ أَنَسٍ يُرِيدُ أَنَّهَا تَغَيَّرَتْ عَمَّا عَهَدْنَا مِنَ الْأُلْفَةِ وَالصَّفَاءِ وَالرِّقَّةِ لِفُقْدَانِ مَا كَانَ يَمُدُّهُمْ بِهِ مِنَ التَّعْلِيمِ"^(٥).

وشرح هذا الأثر: أَنَّهُ "يُرِيدُ أَنَّهُمْ وَجَدُوهَا تَغَيَّرَتْ عَمَّا عَهَدُوهُ فِي حَيَاتِهِ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالصَّفَاءِ وَالرِّقَّةِ لِفُقْدَانِ مَا كَانَ يَمُدُّهُمْ بِهِ مِنَ التَّعْلِيمِ وَالتَّأْدِيبِ"^(٦). يعني: أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم أَخْبَرُوا عَنِ تَغْيِيرِ أَحْوَالِهِمُ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِمْ بَعْدَمَا دُفِنَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا صَفَاءَ قُلُوبِهِمُ الَّذِي كَانَ فِي حَيَاتِهِ صلى الله عليه وسلم، بَلْ وَجَدُوهُ مَتَغَيِّرًا عَمَّا كَانَ فِي حَضْرَتِهِ،

(١) ينظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، المكي، أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٢ / ٣١٢، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد بن الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ٥ / ٢٣٢.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، (كتاب التاريخ)، (ذِكْرُ إِنْكَارِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم قُلُوبُهُمْ عِنْدَ دَفْنِ صَفِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)، ١٤ / ٦٠١، (٦٦٣٤)، (صححه المحقق).

(٣) أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سِنَانَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَأُمُّهُ بِنْتُ أَبِي سَلَيْطِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنَمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَارِ، مَاتَ بَعْدَ الْحَرَّةِ سَنَةَ أَرْبَعِ وَسِتِّينَ، يَنْظُرُ: الثَّقَاتُ، ابْنُ حَبَانَ، أَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ حَبَانَ أَحْمَدُ بْنُ مَعَاذِ بْنِ مَعْبُدِ التَّمِيمِيِّ الدَّارِمِيِّ الْبُسْتِيِّ (ت ٣٥٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ط ١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ٣ / ١٥٠، الترجمة (٥٠٠).

(٤) نيل الأوطار، الشوكاني، ١٣٠ / ٤.

(٥) المصدر السابق، ١٣٠ / ٤.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٤٩ / ٨.

وكذلك غيره من الألفة والتوُّد والرِّقة فيما بينهم كانت متغيرة، وما كان ذلك إلا لانقطاع الوحي السَّماوي، والمفارقة عن صحبته التي هي مُوجِبة للسعادات الأبدية الدائمة، لكنَّ تصديقهم لله ولرسوله ولما أتى به مِنْ عنده كان ثابتاً كما هو، بل أكمل وأبلغ^(١).

وقد كان العلماء من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله رضي الله عنه في قوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٢)، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتناظرون في المسألة مناظرةً مشاورةً ومناصحةً، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وإخوة الدين^(٣).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»^(٤).

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "لَا أَحْسَبُ التَّدَابِرَ إِلَّا الْإِعْرَاضَ عَنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ فَتُدْبِرَ عَنْهُ بِوَجْهِكَ"^(٥). وَقَوْلُهُ: "لَا تَبَاغُضُوا نَهْيٌ، مَعْنَاهُ التَّدْبُّ إِلَى رِيَاضَةِ النَّفْسِ عَلَى التَّحَابِّ، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالْبُغْضَةَ لَا يَكَادُ الْمَرْءُ يَغْلِبُ فِيهِمَا نَفْسَهُ لِقَوْلِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾"^(٦).

(١) المفاتيح في شرح المصابيح، المُطَهَّرِي، الحسين بن محمود بن الحسن الزَّيْدَانِي الكوفي الصَّرِيرُ السَّيْرَازِي الحَنَفِي مظهر الدين (ت ٧٢٧هـ)، المحقق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وزارة الأوقاف الكويتية، ط ١، ١٤٣٣هـ، ٦ / ٢٧٧.

(٢) سورة النساء: جزء من الآية ٥٩.

(٣) ينظر: ضرورة الاهتمام بالسنن النبوية، أبو عبد الرحمن عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم (ت ١٤٢٥هـ)، دار المنار - الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ، ص ٩١.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْأَدَبِ)، (بَابُ الْهَجْرَةِ وَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ)، ٨ / ٢١، (٦٠٧٦).

(٥) موطأ مالك، مالك بن أنس، (كِتَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ)، (بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُهَاجَرَةِ)، ٥ / ١٣٣٣، (٣٣٦٦).

(٦) الاستنكار، ابن عبد البر، (كِتَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ)، (بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُهَاجَرَةِ)، ٨ / ٢٨٩.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا انْتَلَفَ، وَمَا تَتَاكَرَّ مِنْهَا اخْتَلَفَ»^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُسَلِّمُوا، وَلَا تُسَلِّمُوا حَتَّى تَحَابُّوا، وَأَفْسُوا السَّلَامَ تَحَابُّوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْبُغْضَةَ، فَإِنَّهَا هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ لَكُمْ تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ»^(٢).

وَاحْتَجَّ الْقَائِلُونَ بِأَفْضَلِيَّةِ الْمُخَالَطَةِ: بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَ بِالِاجْتِمَاعِ، وَحَصَّ عَلَيْهِ، وَنَهَى عَنِ الْإِفْتِرَاقِ وَحَدَّرَ مِنْهُ، فَقَالَ ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا

نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. وَأَعْظَمُ

الْمِنَّةِ مِنَ اللَّهِ ﷻ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي جَمْعِ الْكَلِمَةِ وَتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ مِنْهُمْ فَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِنْ

يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ * وَاللَّفَّ بَيْنَ

قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾.

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٣). وَاحْتَجُّوا

بِأَحَادِيثِ نَبَوِيَّةِ مِنْهَا: قَالَ: ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَضْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا

يَضْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ»^(٤). وَهُوَ مُقَيَّدٌ بِوُقُوعِ الْفِتَنِ^(٥).

(١) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ)، (بَابُ الْأَرْوَاحِ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ)، ١٣٣ / ٤، (٣٣٣٦).

(٢) الأدب المفرد بالتعليقات، البخاري، (باب التحاب بين الناس)، ص ١٣٧، (٢٦٠)، (قال المحقق: حسن لغيره).

(٣) سورة آل عمران: آية ١٠٥.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٦٤ / ٩، (٥٠٢٢)، (صححه المحقق).

(٥) ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦ / ٦، عمدة القاري، العيني، ٨٤ / ١٤.

وَقَالُوا: "إِنَّ الْمُخَالَطَةَ فِيهَا اكْتِسَابُ الْفَوَائِدِ، وَشُهُودُ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَتَكْثِيرُ سَوَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِصَالِ الْخَيْرِ إِلَيْهِمْ وَلَوْ بِعِيَادَةِ الْمَرْضَى، وَتَشْيِيعِ الْجَنَائِزِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَإِعَانَةُ الْمُحْتَاجِ، وَحُضُورُ جَمَاعَاتِهِمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ"^(١).

إنَّ مفتاحَ القلوبِ لإدخالِ الحبِّ والألفةِ والتعاونِ والتناصرِ بينِ الناسِ، يكمنُ في الانتماءِ إلى هذا الدينِ، وفهمه فهماً مستقيماً والعملُ به قولاً وفعلاً، قال ﷺ: ﴿وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ * وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾. فلا ألفة ولا تعاون ولا تناصر، إلا بتعميق مفهوم الإيمان في النفوس، فقد كانت حياة العرب قبل الإسلام أشبه بحالنا اليوم من الفرقة والقتال والتناحر والخصام والأناكية وحب الذات، وعدم التمييز في النصر بين الظالم والمظلوم، وعدم الإيثار، والتضحية للمضطهدين والمحتاجين والمشردين من الضعفاء والمساكين، وعندما شع نور الإسلام في قلوب أولئك القوم قلب أفعالهم وأقوالهم رأساً على عقب فاستيقظوا وأدركوا أن التآخي في الله ليس مجرد شعار في كلمة يجرونها على ألسنتهم، وإنما هو حقيقة عملية يتصل بواقع الحياة، وبكل أوجه العلاقات القائمة من تعاون وتناصر، وتناصح وإيثار ومحبة، وقد قام بتطبيق ذلك تطبيقاً عملياً كل من المهاجرين والأنصار ﷺ، ثم تبعهم على ذلك عامة المسلمين على درجات متفاوتة. وهذا يؤكد لنا أن مناط التآخي والمحبة والتناصر بين المسلمين هو في فهم الإسلام فهماً صحيحاً، وتطبيقه تطبيقاً تاماً كما فهمه وطبقه أولئك الصفوة الأفاضل الأبرار، بلا تردد أو مداهنة أو احتيال^(٢).

والمُلْكُ قد يحصل بالتَّغَلُّبِ، والتَّغَلُّبُ إنَّما يكون بالعصبيةِ واتِّفاقِ الأهواءِ على المطالبةِ. وجمع القلوبِ وتألُّيفها إنَّما يكون بمعونةِ من الله في إقامة دينه ﷺ:

(١) عمدة القاري، العيني، ١/ ١٦٣.

(٢) ينظر: الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، الجلعود، ١/ ٢٤٨.

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وَسِرَّهُ أَنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَدَاعَتْ إِلَى أَهْوَاءِ الْبَاطِلِ وَالْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا حَصَلَ التَّنَافُسُ وَفَشَا الْخِلَافُ وَإِذَا انصَرَفَتْ إِلَى الْحَقِّ وَرَفِضَتْ الدُّنْيَا وَالْبَاطِلَ وَأَقْبَلَتْ عَلَى اللَّهِ اتَّحَدَتْ وَجْهَتَهَا فَذَهَبَ التَّنَافُسُ وَقَلَّ الْخِلَافُ وَحَسُنَ التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاوُدُ وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْكَلِمَةِ لِذَلِكَ فَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ^(١).

والمحبة بين المَبَايِعِ وَالْمُبَايَعِ عَلَى الْحُكْمِ مِنْ اسْبَابِ الْأَلْفَةِ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ فَقَالَ: «لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»^(٢).

وَالْإِسْلَامُ دِينٌ وَعَقِيدَةٌ وَلُغَةٌ وَمَنْهَجٌ حَيَاةٌ يَحْيَا فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ مُخْتَلِفِينَ فِي الْأَوْطَانِ وَالْدِيَارِ وَالْقَوْمِيَّاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يَطْبَعُهُمْ بِطَبَاعِ خَاصٍ وَيُوجِّهُهُمْ وَفَقَّ تَعَالِيمَهُ وَأَخْلَاقَهُ وَمَنَاجِحَهُ الْخَاصَّةَ، وَالْمُسْلِمُونَ يَخْتَلِفُونَ فِي أَسْلُوبِهِمُ الْمَعَاشِي وَمَنَاجِحِهِمُ الْحَيَاتِيَّةِ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ الَّتِي لَا تَدِينُ بِالْإِسْلَامِ، وَالْمَنَاجِحُ الْوَاحِدَةُ وَالْغَايَاتُ الْوَاحِدَةُ كَفَيْلَةٌ لِإِيجَادِ الْأَلْفَةِ الرُّوحِيَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَفَيْلَةٌ بِأَنْ تَجْعَلَهُمْ أُمَّةً مُمْتِيزَةً عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ^(٣).

"وخييار النَّاسِ فِي نَظَرِ الشَّرْعِ هُمُ الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ"^(٤).

(١) ينظر: تاريخ ابن خلدون = ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر - بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الْإِمَارَةِ)، (بَابُ خِيَارِ الْأَيْمَةِ وَشِرَارِهِمْ)، ٣ / ١٤٨٢، (١٨٥٥).

(٣) ينظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة - دمشق، ط ٩، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٣٥٤.

(٤) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، أبو أسامة، محمود محمد الخزندار، (ت ١٤٢٢هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، ط ٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ١٩٥.

المطلب الثالث

الألفة بين الناس بنظام الإسلام

إنَّ من أهم أغراض الشارع الألفة بين الناس وتقاربهم واجتماع كلمتهم، حتى مع ضعاف الإيمان أو مع غير المسلمين.

قال ﷺ: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

مناسبة آية الصدقات لما قبلها

لَمَّا ذَكَرَ ﷺ مَنْ يَعِيبُ الرَّسُولَ ﷺ فِي قَسْمِ الصَّدَقَاتِ بِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٢). بَأَنَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَحْرِمُ مَنْ يَشَاءُ، أَوْ يَخْصُ أَقَارِبَهُ، أَوْ يَأْخُذُ لِنَفْسِهِ مَا بَقِيَ. وَكَانُوا يَسْأَلُونَ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّونَ، فَبَيَّنَّ ﷺ مَصْرَفَ الصَّدَقَاتِ، وَأَنَّهُ ﷺ إِنَّمَا قَسَمَ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ ﷺ (٣).

جاءت هذه الآية تربية للنفس على الإحسان وتخليية القلب من حب الدنيا والمال، عن طريق الشعور بحرمان الآخرين وبؤسهم، طاعة وعبادة لله، فالزكاة مساعدة وألفة.

(١) سورة التوبة، الآية ٦٠.

(٢) سورة التوبة: الآيتان ٥٨، ٥٩.

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٥ / ٥٨، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، أبو بكر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي (ت ٨٨٥هـ)، المحقق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية- بيروت، (د ط)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٣/ ٣٣٦، نظرات في كتاب الله، الساعاتي، حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا (ت ١٣٦٨هـ)، دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة، (د ط)، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٣١٨.

التعريف اللغوي لمفردات آية الصدقات

﴿الصَّدَقَتُ﴾: "والصَّدَقَةُ: ما يخرجها الإنسان من ماله على وجه القرية كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب"^(١). وتعطى للأصناف الثمانية.

﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾: "الفقير: الذي لا يسأل الناس، والمسكين: أجهد منه"^(٢).
 "واختلف الفقهاء في حقيقة الفقير والمسكين، ولو كان له حد في اللغة، لرجعوا إليه، ولم يختلفوا"^(٣). وحكي: الاتفاق على تعددهما مع الاجتماع واتحادهما مع الافتراق^(٤). ولا خلاف إنهما من الأصناف الثمانية.

﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: "وهم السعاة"^(٥).

﴿وَالْمَوْلَّاتِ قُلُوبُهُمْ﴾: "الذين كان النبي ﷺ يتألفهم على الإسلام"^(٦).

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: "المكاتبون الذين يُعَانُونَ فِي فَلَكَ رِقَابِهِمْ"^(٧).

-
- (١) مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ص ٢٧٨، (صدق).
- (٢) معجم الفروق اللغوية، العسكري، ص ٤١٠، (الفرق بين الفقير والمسكين).
- (٣) تيسير البيان لأحكام القرآن، ابن نور الدين، محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني الشافعي (ت ٨٢٥هـ)، المحقق: عبد المعين الحرش، دار النوادر - سوريا، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ١ / ٣٠.
- (٤) ينظر: مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام، السبزواري، السيد عبد الأعلى (ت ١٤١٤هـ)، مؤسسة المنار - قم، ط ٤، ١٤١٦هـ، ١١ / ١٧٠.
- (٥) معاني القرآن، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط ١، ١٩٥٥م، ١ / ٤٤٣.
- (٦) غريب القرآن، الدينوري، أبو محمد بن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية - مصر، (د ط)، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ١٨٩.
- (٧) ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ٢ / ٥٣٠.

﴿وَالْغَرَمِينَ﴾: "الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الدَّيْنُ وَلَا يَجِدُونَ الْقَضَاءَ" (١).
 ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: "يعني الجهاد، فيُعْطَى منها المجاهدون ويشترون منها آلات الحرب" (٢).
 ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر الذي انقطع عن أهله وماله وإن كان غنياً في بلده، لأنه لا يطوله، ولا يعرف من يقرضه في المحل الذي انقطع فيه (٣).
 ﴿فَرِيضَةً﴾: أي: حُكْمًا مُقَدَّرًا بِتَقْدِيرِ اللَّهِ، فَرَضِهِ وَقَسَمَهُ (٤).

إعراب آية الصدقات

﴿إِنَّمَا﴾: إن حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد، و(ما) كافة.
 ﴿الصَّدَقَاتُ﴾: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة.
 ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: جارٌّ ومجرور، وشبه الجملة في محل رفع خبر للمبتدأ.
 ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: الواو عاطفة في المواضع السبعة الآتية: ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾،
 ﴿وَالْعَمَلِينَ﴾، ﴿وَالْمَوْلَاتِ﴾، ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، ﴿وَالْغَرَمِينَ﴾، ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾،
 ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾، ألفاظ مجرورة معطوفة على الفقراء، وعلامة الجرّ الياء في الألفاظ، العاملين، الغارمين، والكسرة في الباقيين.

(١) غريب القرآن، السجستاني، ص ٣٦٨.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٣ / ١٣٢.

(٣) ينظر: بيان المعاني، العاني، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي (ت ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقى - دمشق، ط ١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م، ٦ / ٤٤٧.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤ / ١٦٩، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، (د ط)، ١٤١٣هـ، ص ١٠٥.

﴿عَلَيْهَا﴾: (على) حرف جرّ والهاء: ضمير في محلّ جرّ، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿الْعَامِلِينَ﴾.

﴿قُلُوبُهُمْ﴾: قلوب: نائب فاعل لاسم المفعول ﴿المؤلفة﴾، مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والهاء: ضمير متصل مضاف إليه. والميم علامة الجمع.

﴿فِي الرَّقَابِ﴾: جارّ ومجرور.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في سبيل: جارّ ومجرور وسبيل مضاف، الله لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: (ابن) اسم معطوف، مجرور بالكسرة وهو مضاف و(السبيل) مضاف إليه مجرور بالكسرة.

﴿فَرِيضَةً﴾: حال أو مفعول مطلق منصوب بالفتحة، أي: فرض الله فريضة.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: جارّ ومجرور متعلق بـ ﴿فَرِيضَةً﴾.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: الواو: استئنافية، ﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع بالضمة.

﴿عَلِيمٌ﴾: خبر مرفوع بالضمة، ﴿حَكِيمٌ﴾: خبر ثانٍ مرفوع بالضمة.

الصرف:

﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ﴾: اسم مفعول من الرباعيّ ألف، وزنه مُفَعَّلَةٌ.

﴿وَالْغَرَمِينَ﴾: جمع الغارم، اسم فاعل من الثلاثيّ غرم^(١).

﴿فَرِيضَةً﴾: وَفَعِيلَةٌ هُنَا بِمَعْنَى مُفْعُولَةٍ، أي: مفروضة^(٢).

(١) ينظر: النُّظْمُ الْمُسْتَعْدَبُ فِي تَفْسِيرِ غَرِبِ أَلْفَاظِ الْمَهْدَبِ، ابن بطال، ١ / ١٦٢، الجدول في إعراب القرآن الكريم، الصافي، ١٠ / ٣٧١.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، (د ط)، ١٩٧٦م، ١ / ١٨٩.

البلاغة في آية الصدقات

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حاصرة تقتضي وقوف الصدقات على الأصناف الثمانية^(١).

الألف واللام في ﴿الصَّدَقَاتُ﴾: "للعهد الذكري، والمعهود هو الصدقات الواجبة التي أشار الله ﷻ إليها بقوله قبل هذه الآية"^(٢): ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَكْمُرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾^(٣).

ومخالفة الحروف في آية الصدقات: هو فن طريف من فنون البلاغة لطيف المأخذ، دقيق المغزى، فقد عدل عن (اللام) في الأصناف الأربعة الأول، إلى (في) بالأربعة الأخيرة وذلك لسرّ، هو أنّ الأصناف الأربعة الأوائل يأخذونه مَلَكًا، فكان دخول اللام لائقًا بهم. وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم، بل ولا يصرف إليهم، ولكن في مصالح تتعلق بهم فالمال الذي يُصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون، فليس نصيبهم مصروفًا إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المُشعِرة بتملكهم لما يُصرف نحوهم، وإنّما هم محالّ لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به، وكذلك الغارمون إنّما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصًا لذممهم لا لهم. وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك. وأما ابن السبيل فكأنه كان مندرجًا في سبيل الله، وإنّما أفرّد بالذكر تنبيهًا على خصوصيته، مع أنه مجرد من الحرفين اللام و(في)، وعطفه على المجرور باللام ممكن، ولكن على القريب منه أقرب^(٤).

(١) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء

التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، ٣ / ١٨٨.

(٢) تفسير آيات الأحكام، السائيس، ص ٤٥٥.

(٣) سورة التوبة: جزء من الآية ٥٨.

(٤) ينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري، ٢ / ٢٨٢، ٢٨٣، الجدول في إعراب القرآن الكريم،

الصافي، ١٠ / ٣٧٠، ٣٧١.

سَنَةُ نَزُولِ الْآيَةِ

نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَاتِ سَنَةَ تِسْعٍ لِلْهِجْرَةِ، وَقَدْ فُرِضَتِ الزَّكَاةُ قَبْلَهَا فِي أَوَائِلِ الْهِجْرَةِ. قَالَ ابْنُ الْحَصَّارِ^(١): فَقَدْ يَكُونُ مَصْرُفُهَا قَبْلَ ذَلِكَ مَعْلُومًا وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ قُرْآنٌ مَثْلُو كَمَا كَانَ الْوُضُوءُ مَعْلُومًا قَبْلَ نَزُولِ آيَةِ الْوُضُوءِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ ثُمَّ نَزَلَتْ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ تَأْكِيدًا بِهِ^(٢).

تفسير القرآن بالقرآن:

حسنا الله ﷻ على الصدقات المطلقة توسيعًا لقاعدة التداول المالي بقوله:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

(١) ابنُ الحَصَّارِ: أبو الحَسَن، عليُّ بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الأنصاري الخَزْرَجِيُّ، فاسيٌّ، إشبيليُّ الأصل سَكَنَ سَنَبَةَ وَمَرَكَشَ وَغَيْرَهُمَا، رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَأَبِي الْجَيْشِ مُجَاهِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَابْنَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنَ زَرْقُونَ وَابْنَ الْفَخَّارِ، وَغَيْرِهِمْ كَانَ مُحَدِّثًا رَاطِبَةً فَقِيهًا عَارِفًا بِأُصُولِ الْفِقْهِ، مُتَحَقِّقًا بِعِلْمِ الْكَلَامِ، ذَا حِظٍّ وَافِرٍ مِنْ عِلْمِ اللِّسَانِ وَقَرَضَ الشَّعْرَ. وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ أَفَادَ بِهَا، مِنْهَا: مَقَالَةٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَ"النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ" وَ"بَيَانُ الْبَيَانِ فِي شَرْحِ الْبُرْهَانِ"، وَغَيْرَ ذَلِكَ، تَوَفِّيَ سَنَةَ ٦١١ هـ، يَنْظُرُ: الذَّيْلُ وَالتَّكْمِلَةُ لِكِتَابِي الْمَوْصُولِ وَالصَّلَةُ، الْمَرَكَشِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَوْسِيِّ (ت ٧٠٣ هـ)، الْمُحَقِّقُ: د. إِحْسَانُ عَبَّاسٍ، د. مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيفَةَ، د. بَشَّارُ عَوَادٍ مَعْرُوفٍ، دَارُ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ - تُونِسَ، ط ١، ٢٠١٢ م، ٥ / ٧٠ - ٧٤، التَّرْجُمَةُ (١٤).

(٢) يَنْظُرُ: الْإِتْقَانُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ، السِّيُوطِيُّ، جَلَالُ الدِّينِ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ (ت ٩١١ هـ)، الْمُحَقِّقُ: مُحَمَّدُ أَبُو الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمُ، الْهَيْئَةُ الْمِصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْكِتَابِ - مِصْرَ، ط ١، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، ١ / ١٣٤.

(٣) سُورَةُ الْحَشْرِ: الْآيَةُ ٩.

وقال ﷺ: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (١).

وفرض الله ﷻ الزكاة بقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقال ﷺ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).

ووعده ﷻ المنفقين في سبيل الله بالمضاعفة في الدنيا والمنوبة العظيمة في الآخرة، بقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣).

وحرم ﷻ كثر المال ومنعه عن أصحاب الحقوق والمحتاجين، بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (٤).

(١) سورة الإنسان: الآيتان ٨، ٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٤٥.

(٤) سورة التوبة: الآيتان ٣٤، ٣٥.

كل ذلك لمنع تجميع المال في أيدي قليلة تعيش طفيلية على جهد العاملين وكدحهم، مما يؤدي إلى عدم الألفة فيما بينهم^(١)، بدليل قوله ﷺ: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾^(٢).

تفسير القرآن بالسنة والآثار:

جاء الأمر بالزكاة مجملاً، ولم يبيّن القرآن شيئاً من أحكامها ونصابها ومقاديرها، ولم تذكر إلا مصارفها. فالله ﷻ تولى بنفسه قسّمثها وبيان حكمها، وأنها أحد أركان الإسلام الخمسة.

وبيّنت السنة الأحكام التفصيلية للزكاة، عن أبي هريرة ﷺ قال: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالصَّدَقَةِ فَقِيلَ: مَنْعَ ابْنِ جَمِيلٍ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يَنْقُمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمَّا خَالِدٌ فَاتَّكُمُ تَظْلُمُونَ خَالِدًا، قَدْ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَعَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهِيَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ وَمِثْلُهَا مَعَهَا»^(٣).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»^(٤).

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، دار القلم - دمشق، ط ٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٤١.

(٢) سورة الحشر: جزء من الآية ٧.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الزَّكَاةِ)، (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ)، ١٢٢ / ٢، (١٤٦٨).

(٤) المعجم الأوسط، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، (د ط)، (د ت)، ٥٨ / ٦، (٥٧٨٧)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، ٧٨٧ / ١، (٤٢٦)، (صححه المؤلف).

ذكر أن من تعاريف الألفة في الإصطلاح: اتِّفَاقُ الْأَرَءِ فِي تَعَاوُنِ الْمَعَاشِ (١).
 ودليل هذا التعريف ما ورد عن الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ أَنَّ حُوَيْطِبَ بْنَ
 عَبْدِ الْعُزَّى أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّعْدِيِّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ فَقَالَ
 لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَمْ أُحَدِّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا، فَإِذَا أُعْطِيتِ الْعُمَالَةَ
 كَرِهْتَهَا، فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ عُمَرُ: مَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ، قُلْتُ: إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبَدًا، وَأَنَا
 بِخَيْرٍ، وَارِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، قَالَ عُمَرُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي كُنْتُ
 أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي،
 حَتَّى أُعْطَانِي مَرَّةً مَالًا، فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُذِّهِ فَمَمْوَلُهُ
 وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَحُذِّهِ» (٢).

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ، قَالَ: قَرَأَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ
 وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ وَفِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ (٣)، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ لَهُؤُلَاءِ،
 ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
 وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (٤)، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ لَهُؤُلَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾
 حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (٥)، ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ اسْتَوْعَبَتِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، فَلَيْنَ

(١) ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص ٥١، (باب الألف)؛ بريقة محمودية في شرح طريقة محمديّة
 وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، الخادمي، أبو سعيد محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان
 الحنفي (ت ١١٥٦هـ)، مطبعة الحلبي - القاهرة، (د ط)، ١٣٤٨هـ، ٣٧ / ٢، (باب
 الألف).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْأَحْكَامِ)، (بَابُ رِزْقِ الْحُكَّامِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا)، ٦٧ / ٩،
 (٧١٦٣).

(٣) سورة التوبة: الآية ٦٠.

(٤) سورة الانفال: جزء من الآية ٤١.

(٥) سورة الحشر: الآيات ٧-١٠.

عَشْتُ لِيَأْتِيَنَّ الرَّاعِي وَهُوَ بِسَرِّهِ حَمِيرٌ نَصِيْبُهُ مِنْهَا، لَمْ يَغْرَقْ فِيهَا جَبِيْنُهُ»^(١).

الأحاديث التي تحت على الألفة ليستقيم نظام الإسلام

عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهِ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ مُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ سُلَامَى ^(٢) مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ» قَالَ: «تَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ» قَالَ: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتَمِيْطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٣). وفي الحديث، «تَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ» عظم فضل الصلح وجاز الكذب فيه مبالغة في وقوع الألفة بين المسلمين «وَتُعِينُ الرَّجُلَ» أي: إعادتك إياه «فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا» للتبويج، «أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ»، «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ» وهي كل ذكر ودعاء للنفس والغير

(١) جامع معمر بن راشد، معمر بن راشد، أبو عروة بن أبي عمرو راشد الأزدي البصري (ت ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي - باكستان، ط ٢، ١٤٠٣هـ، ١١ / ١٠١، (٢٠٠٤٠)، الأموال، ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (ت ٢٥١هـ)، المحقق: شاكر زيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، (صُنُوفُ الْأَمْوَالِ الَّتِي تَلِيهَا الْأَيْمَةُ لِلرَّعِيَّةِ، وَأَصُولُهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، ١ / ١٠٨، (٨٤)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٥ / ٨٣، (١٢٤٥)، (صححه المؤلف).

(٢) سُلَامَى: مفرد السُّلَامِيَّاتِ، وهي عظام ظاهر القدم والكف؛ ينظر: المنتخب من غريب كلام العرب، كُرَاعُ النَّمْلِ، أبو الحسن علي بن الحسن الهُنَائِي الأزدي، (ت بعد ٣٠٩هـ)، المحقق: د محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى - السعودية، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ١ / ٧٣، (باب العظام).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الزَّكَاةِ)، (بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ)، ٢ / ٦٩٩، (١٠٠٩).

وسلام عليه وثناء عليه بحق ونحو ذلك مما فيه سرور السامع واجتماع القلوب وتآلفها، وكذا سائر ما فيه معاملة الناس بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال^(١).

فقه الآية وآثارها

حَصَّ اللهُ ﷺ الصَّدَقَاتِ لِهَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ، فَلَا يَجُوزُ لِغَيْرِهِمْ. وَقَدْ بَيَّنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ بِنَحْوِ هَذَا لَمَّا سَأَلَهُ رَجُلَانِ الصَّدَقَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَدِيٍّ ﷺ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلَانِ أَنَّهُمَا أَتَيَا النَّبِيَّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَسْأَلَانِهِ الصَّدَقَةَ قَالَ: فَرَفَعَ فِيهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْبَصَرَ وَحَفَّضَهُ فَرَأَهُمَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ فَقَالَ: «إِنْ شِئْتُمَا أُعْطِيْتُكُمَا مِنْهَا وَلَا حَظَّ فِيهَا لِعَنِيٍّ وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ»^(٢). وَإِنَّ مَجْرَدَ الْقُوَّةِ لَا تَقْتَضِي عَدَمَ الْاسْتِحْقَاقِ، إِلَّا إِذَا قَرِنَ بِهَا الْكَسْبُ^(٣).

واتفق أهل العلم على بقاء الحظ للأصناف كلها، ما خلا المؤلفة، فإنهم اختلفوا في بقاء سهمهم^(٤).

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ: لَا مُؤَلَّفَةَ الْيَوْمِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ: بَلْ حَقُّ الْمُؤَلَّفَةِ بَاقٍ إِلَى الْيَوْمِ إِذَا رَأَى الْإِمَامُ ذَلِكَ، وَهُمْ الَّذِينَ يَتَأَلَّفُهُمُ الْإِمَامُ عَلَى الْإِسْلَامِ^(٥). وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: «أَمَّا الْمُؤَلَّفَةُ فُلُوبُهُمْ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ»^(٦).

- (١) ينظر: دليل الفالحين، ابن علان، ٢/ ٣٥٧.
- (٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٣٨/ ١٦٢، (٢٣٠٦٣)، (صححه المحقق).
- (٣) ينظر: الأحكام شرح أصول الأحكام، القحطاني، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (ت ١٣٩٢هـ)، ط ١٤٠٦، ٢/ ١٨٨.
- (٤) ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، ابن نور الدين، ٣/ ٣٤٨.
- (٥) ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت ٥٩٥هـ)، دار الحديث - القاهرة، (د ط)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ٣٧/ ٢، النّوادر والزيادات على ما في المدوّنة من غيرها من الأمهات، القيرواني، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي المالكي (ت ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عبد الفتاح محمد الحلو وآخرون، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، ٢/ ٢٨٠.
- (٦) الاستذكار، ابن عبد البر، (كتاب الرّكاة في الدّين)، (باب أخذ الصدقة ومن يجوز له أخذها)، ٢١١/ ٣.

وقال الإمام أبو حنيفة وأصحابه: "المؤلفَةُ قلوبُهُمْ قَدْ سَقَطَ سَهْمُهُمْ وَلَيْسَ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ فِي بَيْتِ الْمَالِ حَقٌّ" (١).

معقول آية الصدقات

أَحْكَمَ اللَّهُ فَرَضَ الصَّدَقَاتِ فِي كِتَابِهِ ثُمَّ أَكَّدَهَا وَشَدَّدَهَا فَقَالَ: ﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾، "فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُقْسِمَهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَسَمَهَا اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ، مَا كَانَتْ الْأَصْنَافُ مَوْجُودَةً. لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُعْطَى مَنْ وُجِدَ:

كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (٢).

وَكَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ (٣).

وَكَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ﴾ (٤). "فَمَعْقُولٌ عَنِ اللَّهِ ﷻ أَنَّهُ فَرَضَ هَذَا لِمَنْ كَانَ مَوْجُودًا يَوْمَ يَمُوتُ الْمَيِّتُ، وَكَانَ مَعْقُولًا أَنَّ هَذِهِ السُّهُمَانَ (٥) لِمَنْ كَانَ مَوْجُودًا يَوْمَ تُؤَخَذُ الصَّدَقَةُ وَتُقَسَّمُ" (٦).

(١) الاستنكار، ابن عبد البر، ٣ / ٢١١.

(٢) سورة النساء: جزء من الآية ٧.

(٣) سورة النساء: جزء من الآية ١٢.

(٤) سورة النساء: جزء من الآية ١٢.

(٥) يُجْمَعُ السُّهُمُ عَلَى أَسْهُمٍ، وَسِهَامٍ، وَسُهُمَانٍ، النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، ابْنُ الْأَثِيرِ، مَجْدُ الدِّينِ أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الشَّيْبَانِيِّ الْجَزْرِيِّ (ت ٦٠٦هـ)، الْمُحَقِّقُ: طَاهِرُ أَحْمَدِ الزَّوَاوِي - مَحْمُودُ مُحَمَّدِ الطَّنَاحِيِّ، الْمَكْتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ - بَيْرُوتَ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (بَابُ النَّسَبِ مَعَ الْهَاءِ)، ٢ / ٤٢٩.

(٦) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِلشَّافِعِيِّ - جَمْعُ الْبِيهَقِيِّ، الْبِيهَقِيُّ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الْخُسْرُوْجَرْدِيِّ الْخِرَاسَانِيِّ، (ت ٤٥٨هـ)، كَتَبَ هُوَامِشُهُ: عَبْدُ الْغَنِيِّ عَبْدُ الْخَالِقِ، مَكْتَبَةُ الْخَانَجِيِّ - الْقَاهِرَةُ، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ١ / ١٦٠.

إنَّ تعاليم الإسلام مبنية على الرحمة والعدل وتحقيق الألفة بين الناس، وتطهير النفوس، والوصول إلى ما يسعدهم وما يحصلون به منافعهم.

وقد جعل الله ﷺ بنظام الإسلام مصاريف الزكاة للأصناف الثمانية أحدهم المؤلفات قلوبهم، "والتأليف: إيجاد الألفة وهي التأنس. فالقلوب بمعنى النفوس. وإطلاق القلب على ما به إدراك الاعتقاد شائع في العربية. وللمؤلفات قلوبهم أحوال: فمنهم من كان حديث عهد بالإسلام، وعرف ضعف حينئذ في إسلامه، مثل: أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، من مسلمة الفتح، ومنهم من هم كفار أشداء مثل: عامر بن الطفيل، ومنهم من هم كفار وظهر منهم ميل إلى الإسلام مثل: صفوان بن أمية، فمثل هؤلاء أعطاهم النبي ﷺ من أموال الصدقات وغيرها يتألفهم على الإسلام"^(١).

من موانع الألفة

إنَّ رحمة الله ﷺ بالإنسان مقرونة برحمة الإنسان لمن حوله.

روى جرير بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(٢).
وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٣).

لما كان الإنسان محتاجاً إلى اجتماع على نظام. ولا يتحقق الاجتماع إلا بحدود وأحكام في حركاته ومعاملاته، يقف كل منهم عند حده المقدر له لا يتعداه، وجب أن

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٠ / ٢٣٦.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأدب)، (باب رحمة الناس والبهائم)، ٨ / ١٠، (٦٠١٣).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، (باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر)، ٤ / ٢٠٧٤، (٢٦٩٩).

يكون بين الناس شرع يفرضه شارع يبين فيه أحكام الله ﷺ في الحركات، وحدوده في المعاملات، ليرتفع به الاختلاف والفرقة، ويحصل به الاجتماع والألفة^(١).

جاء الإسلام لينهى عن الضرر بجميعة، وليزرع الألفة بين الناس، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ، وَلِلرَّجُلِ أَنْ يَجْعَلَ خَشْبَةً فِي حَائِطِ جَارِهِ، وَالطَّرِيقُ الْمَيْتَاءُ سَبْعَةٌ أُذْرَعُ»^(٢).

والحديث فيه دليل على تحريم الضرر على أي صفة كان من غير فرق بين الجار وغيره، لأنه قاعدة من قواعد الدين تشهد له كليات وجزيئات وقد ورد الوعيد لمن صار غير^(٣).

ونهى رسول الله ﷺ عما يمنع من الألفة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، ولا تتاجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها^(٤).

"في هذا الحديث من الفقه: النهي عن الضرر، والأمر بالألفة بين المسلمين. وفيه أن مفهوم الخطاب يجري مجرى الخطاب لقوله: على خطبة أخيه، يعني أخوة الإسلام لا النسب"^(٥).

(١) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، المحقق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت، ١٤٠٤هـ، ٢/ ٨.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٥/ ٥٥، (٢٨٦٥)، (حسنه المحقق).

(٣) ينظر: نيل الأوطار، الشوكاني، ٥/ ٣١١.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب البيوع)، (باب لا يبيع على بيع أخيه ولا يسوم على سؤم أخيه، حتى يأذن له أو يترك)، ٣/ ٦٩، (٢١٤٠).

(٥) تفسير الموطأ، البوني، أبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي (ت ٤٣٩هـ)، المحقق: عبد

العزیز الصغير دخان المسيلي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، ط ١، ١٤٣٢هـ-

٢٠١١، (كتاب النكاح)، ١/ ٦٧٢، المسالك في شرح موطأ مالك، القاضي ابن العربي، أبو

بكر محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، المحقق: محمد بن الحسين

السليمانى، عائشة بنت الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى- بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ-

٢٠٠٧م، ٥/ ٤٤٠.

رفق الحاكم بالرعية

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه حَدَّثَهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصِمَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْفُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرِحَ الْمَاءُ يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِلزُّبَيْرِ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ؟، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ: «يَا زُبَيْرُ، اسْقِ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ»، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ، إِنِّي لِأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١)(٢).

وقد تجاوز الأنصاري بهذه الكلمة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سكت عنه؛ لأنها كانت منه فلتة، وقد سكت عن المنافقين الذين يسرون الكفر، فأقاله العثرة أقل من ذلك وأولى (٣). ويتجاوز الحاكم عن أخطاء الرعية فيما يخصه، عن أبي سعيد رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَفْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ». قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ: «دَعُهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رضي الله عنه: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم (٤).

والرسول مأمور بالعفو والصفح لمثل هؤلاء، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا

(١) سورة النساء: جزء من الآية ٦٥.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب الفضائل)، (باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم)، ٤ / ١٨٢٩، (٢٣٥٧).

(٣) ينظر: المسالك في شرح مؤطاً مالك، ابن العربي، ٦ / ٤٠٥.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم)، (باب من ترك قتال

الخوارج للتألف، وأن لا ينفّر الناس عنه)، ٩ / ١٧، (٦٩٣٣).

ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَاتًّا عَلَى اسْتِقْرَارٍ وَتِلَاحِمِ الْمَجْتَمَعِ
بِكَافَّةِ عُنَاصِرِهِ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ
أَرْبَعِينَ عَامًا» (٢).

وَرُوِيَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سَلِيمٍ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ آبَائِهِمْ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ
شَيْئًا بَغَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

(١) سورة المائدة: الآية ١٣.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْجَزِيَّةِ)، (بَابُ إِثْمِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا بَغَيْرِ جُرْمٍ)، ٤ / ٩٩،
(٣١٦٦).

(٣) سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو
الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية - بيروت،
ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، (بَابُ تَعْشِيرِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِذَا اخْتَلَفُوا بِالتَّجَارَاتِ)، ٤ / ٦٥٨،
(٣٠٥٢)، (حسنه المحقق).

العلاقات الدولية في القرآن:

القرآن يذكر أنّ الإنسانية كلها أمة واحدة، قال ﷺ في ذلك: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

وإنّ النصوص القرآنية تدل على وحدة الإنسانية في خلقها وأصلها، قال ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

إنّ جميع الناس هم من نفس واحدة هي الإنسانية التي كانوا بها ناساً، وهي التي يتفق الذين يدعون إلى خير الناس، ويرهم ودفع الأذى عنهم على كونها هي الحقيقة الجامعة لهم، فتراهم على اختلافهم في أصل الإنسان يقولون عن جميع الأجناس والأصناف: إنهم إخوتنا في الإنسانية، فيعدون الإنسانية مناط الوحدة، وداعية الألفة والتعاطف بين البشر، وهذا المعنى هو المراد من تذكير الناس بأنهم من نفس واحدة^(٣).

فالرحم بين بني الإنسان موصولة، ولو كانت الألوان والألسنة مختلفة، والأجناس متباينة، فإن الأصل واحد، ويجب أن تكون العلاقات مبنية على الأصل الموحد، لا على التخالف الظاهر.

(١) سورة البقرة: آية ٢١٣.

(٢) سورة النساء: آية ١.

(٣) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد علي رضا، ٤ / ٢٦٨.

ولقد حدَّ اللهُ ﷺ في كتابه الكريم حدود العلاقة الإنسانية، فقال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَيِيرٌ﴾^(١).

وقال ﷺ في التعاون: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢).

فبهذه النصوص بيّن القرآن الكريم أنّ العلاقة التي يجب أن تكون السائدة هي التعارف، والتعارف تكون معه المودة والتعاون وإقرار السلام وإحياء التراحم، ونبذ الهجر والقطيعة فإنها كبيرة من كبائر الذنوب، فعن أنس بن مالك ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»^(٣). وعن أبي هريرة ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(٤).

فالمسلم لا يبغض أخاه ولا يحسده ولا يقاطعه، بل هو أخ لكل مسلم إذا تألم، يتألم لألمه، وإذا فرح، يفرح بفرحه، يبغض الطرف عن الزلات والهفوات، ورد في الحديث عن أبي خراش السلميّ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً، فَهُوَ كَسَفْكَ دَمِهِ»^(٥). وسلامة القلب والصدر وحب الخير للناس أمره عظيم.

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٢.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْأَدَبِ)، (بَابُ الْهَجْرَةِ)، ٢١ / ٨، (٦٠٧٦).

(٤) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ)، (بَابُ النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ وَالتَّهَابُرِ)، ٤ /

١٩٨٧، (٢٥٦٥).

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٢٩ / ٤٥٥، (١٧٩٣٥)، (صححه المحقق).

وصلة القربى، وإصلاح ذات البين، والإيفاء بالعهد واجبات على المكلفين، قال ﷺ: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١).

وقال ﷺ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

وقال ﷺ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (٣).

وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (٤).

وقال ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٥).

وقال ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٦).

ومن رعاية شؤون الناس دعوة الإمام للناس بالهداية لا بالدعوة عليهم، قال أبو هريرة ؓ: قَدِمَ طَفِيلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ وَأَصْحَابُهُ ﷺ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكْتَ دَوْسٌ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَيْتِ بِهِمْ» (٧).

وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ: أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ

(١) سورة الأنفال: جزء من الآية ١.

(٢) سورة النور: الآية ٢٢.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ١٧٧.

(٤) سورة المائدة: جزء من الآية ١.

(٥) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

(٦) سورة الإسراء: جزء من الآية ٣٤.

(٧) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ)، (بَابُ الدُّعَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْهُدَى لِيَتَأَلَّفَهُمْ)،

مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعُقَبَةِ^(١)، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ، فَلَمْ أَسْتَقِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ النَّعَالِبِ^(٢)، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَناداني فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَناداني مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٣).

(١) يَوْمُ الْعُقَبَةِ: هِيَ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمْرَةُ الْعُقَبَةِ وَهِيَ بِمَنَى، وَالتِّي اجْتَمَعَ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْعَتَيْنِ، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ لِلْبَيْعَةِ اثْنَا عَشَرَ نَفْرًا، فَتَمَّتْ بَيْعَةُ الْعُقَبَةِ الْأُولَى، وَفِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْبَيْعَةِ تَمَّتْ بَيْعَةُ الْعُقَبَةِ الثَّانِيَةِ مَعَ بضع وَسَبْعِينَ نَفْرًا، يَنْظُرُ: عَمْدَةُ الْقَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ، الْعَيْنِيُّ، ١٥ / ١٤٢، الْكُوْثَرُ الْجَارِي إِلَى رِيَاضِ أَحَادِيثِ الْبَخَارِيِّ، الْكُوْرَانِي، أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ الشَّافِعِيِّ ثُمَّ الْحَنْفِيِّ (ت ٨٩٣هـ)، الْمُحَقِّقُ: الشَّيْخُ أَحْمَدُ عَزُورُ عَنَايَةَ، دَارُ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ - بَيْرُوتَ، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ٦ / ١٨٢، التَّرْجُمَةُ، (٣٢٣١). السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ عَلَى ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ، أَبُو شَهْبَةَ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُوَيْلَمٍ (ت ١٤٠٣هـ)، دَارُ الْقَلَمِ - دِمَشْقَ، ط ٨، ١٤٢٧هـ، (الفصل السادس)، ١ / ٥٨٩.

(٢) قَرْنُ النَّعَالِبِ: قَرْيَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ وَاحِدٌ وَخَمْسُونَ مِيلاً وَهِيَ مِيقَاتُ أَهْلِ الْيَمَنِ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الطَّائِفِ ذَاتُ الْيَمِينِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ مِيلاً، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، الْحَمَوِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، يَاقُوتُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّومِيُّ شَهَابُ الدِّينِ (ت ٦٢٦هـ)، دَارُ صَادِرٍ - بَيْرُوتَ، ط ٢، ١٩٩٥م، ٤ / ٣٣٢.

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، مُسْلِمٌ، (كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ)، (بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَدَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ)، ٣ / ١٤٢٠، (١٧٩٥).

المبحث الثاني

السنن الالهية وارتباط الإيمان والعمل الصالح بموضوع الألفزة

المطلب الأول

إلفزة قريش للتجارة بسبب الأمان الالهي

قال ﷺ: ﴿لِإِلَافِ قُرَيْشٍ * إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الِشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(١).

مناسبة السورة لما قبلها:

ترتبط السورة بما قبلها من وجهين:

- ١- كلتا السورتين تذكير بنعم الله على أهل مكة، فسورة الفيل تشتمل على إهلاك عدوهم الذي جاء لهدم البيت الحرام أساس مجدهم وعزهم، وهذه السورة تذكر نعمة أخرى اجتماعية واقتصادية، حيث حقق الله بينهم الألفة واجتماع الكلمة، وأكرمهم بنعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار والإمساك بزمام الاقتصاد التجاري في الحجاز، بالقيام برحلتين صيفاً إلى الشام وشتاءً إلى اليمن مع إنهم كانوا مشركين.
- ٢- هذه السورة شديدة الاتصال بما قبلها، لتعلق الجار والمجرور في أولها بآخر السورة المتقدمة. و﴿لِإِلَافِ قُرَيْشٍ﴾ أي: لإلف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل، لتبقى قريش، ولذا كانتا في مصحف أبي بن كعب ﷺ سورة واحدة. ولكن في المصحف الإمام فُصِلَتْ هذه السورة عن التي قبلها، وكتب بينهما: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٢).

(١) سورة قريش: الآيتان ١، ٢.

(٢) ينظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي زين الدين (ت ٦٦٦هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية- الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م، ١/ ٥٩٢، التفسير المنير، الزحيلي، ٣٠/ ٤١٢.

"ولا خفاء باتصالهما أي: أنه ﷺ فعل بأصحاب الفيل بمنعهم عن بيته وحرمه، لانتظام شمل قريش وهم سكان الحرم وقطان بيت الله، وليؤلفهم بهاتين الرحلتين فيقيموا بمكة وتأمين ساحتهم"^(١).

وجاء ذكر إبادة أصحاب الفيل الذين جاؤوا لهدم الكعبة وسورة قريش التي تعتبر امتدادا للسورة السابقة تقول: نحن جعلنا أصحاب الفيل كعصف مأكول: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، أي لكي تأتلف قريش في هذه الأرض المقدسة وتتهيا بذلك مقدمات ظهور نبي الإسلام ﷺ. و(إيلاف) مصدر آلف، أي: جعله يجتمع اجتماعاً مقروناً بالانسجام والأنس والإلتيام. والمقصود إيجاد الألفة بين قريش، وهذه الأرض المقدسة وهي مكة، لأن كل أهل مكة اختاروا السكن في هذه الأرض لمكانتها وأمنها. وكثير من أهل الحجاز كانوا يحجون البيت كل سنة، ويقترن حجهم بنشاط أدبي واقتصادي في هذا البلد الأمين. كل ذلك كان يحدث في ظل الجو الآمن. ولو أن هذا الأمن انعدم أو أن الكعبة انهدمت بفعل هجوم أبرهة وأمثاله لما كان لأحد ألفة بهذه الأرض^(٢).

التعريف اللغوي للمضردات

تعريف الإيلاف لغة: "الألفة مصدر الإئتلاف. وَالْفِكَ وَالْيَفْكُ: الَّذِي تَأْلَفُهُ"^(٣).

(١) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن، الغرناطي، أبو جعفر أحمد إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت ٧٠٨هـ)، المحقق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، (د ط)، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٣٧٧، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ٨ / ٥٨٥.

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي، ناصر مكارم، دار إحياء التراث العربي - مصر، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٢م، ٢٠ / ٤٨١.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ١ / ١٣١، (ألف).

تعريف الإيلاف في الاصطلاح: ألفت الشيء ألفه إلفاً: أنست به وأحبيته. وألفني إياه غيري يؤالفني إيلافاً: جعلني أحبه وأنس به^(١).

وتُعرف معاني الكلمات من مرادفاتها وأضدادها، فقول الإيلاف: "أصحاب الإلف بالتدبير الذي فيه لطف، وهو نقيض الإيحاء ونظيره الإيناس"^(٢).
والإيلاف: مصدر آلف الشيء يؤلفه إيلافاً، إذا اعتاده وزالت الكلفة عنه والنفرة منه^(٣).

معنى رَحَلَ: المَضِيَّ فِي سَفَرٍ. يُقَالُ: رَحَلَ يَرْحَلُ رِحْلَةً، وَالرَّحْلَةُ: الإِرْتِحَالُ^(٤).
ولافرق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي.

إعراب الآيتين

﴿لِيَأْلَفَ﴾: جار ومجرور، اللامُ: مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾^(٥)، وقيل إنها مُتَعَلِّقَةٌ بِالسُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا وهي سورة الفيل، أو بِالآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا^(٦).
إيلافٍ: مضاف لمفعوله وهو قریش، والفاعل ضمير مستتر تقديره اسم الجلالة (الله) ﷻ^(٧).

﴿قُرَيْشٍ﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة.

(١) ينظر: مخطوطة الجمل = معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الجمل، حسن عز الدين بن

حسين بن عبد الفتاح أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط ١، ٢٠٠٨م، ١ / ٥.

(٢) تفسير ابن فورك من أول سورة (المؤمنون) آخر سورة (السجدة)، ابن فورك، أبو بكر محمد بن

الحسن الأنصاري الأصبهاني (ت ٤٠٦هـ)، المحقق: علال عبد القادر بندويش، جامعة أم

القرى - السعودية، ط ١ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ٣ / ٢٧٨.

(٣) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، مكتبة

العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ٥، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٥ / ٦١٧.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢ / ٤٩٧، (باب رَحَلَ).

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري، ٢ / ١٣٠٥.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢ / ٢٩٤.

(٧) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ١٥ / ٥١٤.

﴿إِلْفِهِمْ﴾: إِيْلَافٍ: بدل من ﴿إِيْلَافٍ﴾ الأول، مجرور، بدل مقيد من مطلق، وهو مصدر مضاف إلى فاعله^(١). والهاء ضمير الغائبين في محل جرٍ بالإضافة، والميم علامة الجمع.

﴿رِحْلَةً﴾: مفعول به للمصدر إيلاف منصوب بالفتحة، وهو مضاف.

﴿الشِّتَاءِ﴾: مضاف إليه مجرور بالكسرة.

﴿وَالصَّيْفِ﴾: الواو عاطفة و(الصيف) معطوف على الشتاء مجرور بالكسرة.

الصرف

(أَلْفَ): "هي كلمة على وزن (فَعَلَ)، مشتقة من الألفه"^(٢).

والإيلاف مصدر آلف الرباعي: آلف يؤلف إيلافًا، وعلى هذا يكون أصله: إيلافًا بوزن إفعال؛ لأنَّ آلف أصله: أألف، ومصدره: إيلاف بوزن إفعال، فأبدلت الهمزة الساكنة في المصدر ياء، لكسر ما قبلها، فصار: إيلافًا، لأنهم كرهوا الجمع بين الهمزتين^(٣). وهذا على قراءة من قرأ: ﴿لِيَالِفِ﴾ بالياء، وأما على قراءة من قرأ ﴿إِلْفِهِمْ﴾، أو ﴿إِلْفِهِمْ﴾ بلا ياء، فهو مصدر لألف الثلاثي، يقال: أَلِفَ يَأْلِفُ إِلْفًا^(٤).

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، الهري، ٣٢ / ٣٥٧.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين (ت ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة، (د ط)، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ٢ / ٤.

(٣) ينظر: معاني القراءات، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود- السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ٣ / ١٦٥، غريب القرآن، الدينوري، ص ٥٤٠.

(٤) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، الهري، ٣٢ / ٣٥٨.

البلاغة في قوله ﷺ: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ * إِذْ لَفِيهِمْ﴾

تضمنت هاتان الآيتان ضرباً من البلاغة، والفصاحة والبيان والبدیع منها: تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ على عامله في قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ تذكيراً للنعمة واعتناءً ببيانها.

ومنها: تصغير لفظ ﴿قُرَيْشٍ﴾ للتعظيم، فكأنه قيل: قريش عظيم على ما قيل، والأوجه أن التصغير على حقيقته ومعناه.

ومنها: إطلاق الإيلاف عن المفعول أولاً في قوله: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ ثم إبدال المقيد منه في قوله: ﴿إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ تفضيماً لأمره، وتذكيراً لعظيم النعمة فيه^(١).

والمعروف أنّ حاجة الإنسان للطعام في الشتاء أكثر من الصيف والخوف في الصيف أكثر، لأنه فيه يكثر قطاع الطرق والزواحف، لذا قدم ﷺ الشتاء على الصيف، وقال أيضاً: ﴿أَطْعَمَهُمْ﴾ ولم يقل أشبعهم، لأن الإطعام أفضل من الإشباع. ولقد جاءت سورة قريش بعد سورة الفيل للتركيز على الأمن في البيت الحرام بعد عام الفيل^(٢).

وفي قوله ﷺ: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ * إِذْ لَفِيهِمْ﴾ افتتأح مُبدعٌ إذ كان مجزوراً بلام التعليل وليس بإثره بالقرب ما يصلح للتعليل به ففيه تشويق إلى متعلق هذا المجرور. وزاد الطول تشويقاً إذ فصل بينه وبين متعلقه بخمس كلمات، فيتعلق لإيلاف بقوله: لِيَعْبُدُوا^(٣).

(١) ينظر: المصدر السابق، ٣٢ / ٣٥٣.

(٢) ينظر: أسرار البيان في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، محاضرات في قناة الشارقة، ص ٩٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠ / ٥٥٤.

وكرر ﴿إِيْلَافِهِمْ﴾ لأن الثاني بدل من الأول، أفاد بيان المفعول به للمصدر، وهو رحلة^(١). "وتقديره إيْلَافِهِمْ إيْلَاف رحلة الشتاء والصيف"^(٢).

الرسم القرآني في قوله ﷻ: ﴿لِيَايَلَيْفِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ﴾

الرسم القرآني في كلمة ﴿إِيْلَافِهِمْ﴾ في المصحف الكوفي هكذا ﴿إِيْلَافِهِمْ﴾. فقالوا: حذف الياء من ايلافهم للاقتصار^(٣).

أجمع المصاحف على إثبات الياء في ﴿لِيَايَلَيْفِ﴾ وحذفها في ﴿إِيْلَافِهِمْ﴾ وحذف الألف قبل الفاء فيهما^(٤). فلم ترسم الألف بعد اللام في الحرفين اختصاراً^(٥). ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين: أنَّ القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الأول لكن اتفاق المصاحف على إثباتها خطأ، واتفق القراء على إثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطأ؛ فهو أدل دليل على أنَّ القراء متبعون الأثر والرواية، لا مجرد الخط^(٦).

(١) ينظر: أسرار التكرار في القرآن، الكرمانلي، محمود بن حمزة بن نصر تاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ)، المحقق: عبد القادر احمد عطا، دار الاعتصام- القاهرة، ط ٢، ١٣٩٦هـ، ص ٢٢٥.

(٢) إعراب القرآن، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، (ت ٣٣٨هـ)، المحقق: د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب- بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، ٥/ ٢٩٤.

(٣) ينظر: تاريخ القرآن الكريم، الكردي، محمد طاهر بن عبد القادر المكي الشافعي الخطاط (ت ١٤٠٠هـ)، مصطفى محمد يغمور- مكة، ١٣٦٥هـ، ص ١٧٣.

(٤) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني (ت ١١١٧هـ)، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية- بيروت، (د ط)، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ص ٦٠١.

(٥) المحكم في نقط المصاحف، الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت ٤٤٤هـ)، المحقق: د. عزة حسن، دار الفكر- دمشق، ط ٢، ١٤٠٧هـ، ص ١٨٧.

(٦) ينظر: حدائق الروح والرياحين، الهري، ٣٢/ ٢٥٠.

القراءات المتواترة لأيتين من سورة قريش

قرأ ابن عامر^(١): ﴿لِإِلَافٍ﴾ مختلصة الهمزة، ليس بعدها ياء، و﴿إِيْلَافِهِمْ﴾ يجعل بعد الهمزة ياء، خلاف اللفظة الأولى^(٢). وقرأ أبو جعفر^(٣): ﴿لِإِيْلَافٍ قَرِيْشٍ﴾ بغير همز. و﴿إِيْلَافِهِمْ﴾ مختلصة الهمزة، ليس بعدها ياء. قرأ ابن فليح^(٤) وحده، عن ابن كثير^(٥): ﴿إِلْفِهِمْ﴾ ساكنة اللام وليس قبلها

(١) ابن عامر: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ تَمِيمٍ، أَبُو عَمْرَانَ الْيَحْصَبِيُّ، مَقْرَأُ أَهْلِ الشَّامِ، قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الْمُغْبِرَةِ بْنِ أَبِي شَهَابِ الْمَخْزُومِيِّ عَنْ عَثْمَانَ. وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَأَمَّا صَاحِبُهُ يَحْيَى الذَّمَارِيُّ فَقَالَ: وُلِدَ ابْنُ عَامِرٍ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ. تُوْفِيَ سَنَةَ ١١١ - ١٢٠ هـ، ينظر: أخبار القضاة، وكيع، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيِّ الْبَغْدَادِيِّ (ت ٣٠٦ هـ)، المحقق: عبد العزيز مصطفى المراغي، عالم الكتب - بيروت، مكتبة المدائن - الرياض، ط ١، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م، ٣/ ٢٠٣، الترجمة (١٤٧).

(٢) ينظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ٣٧٧ هـ)، المحققان: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، دار المأمون للتراث - دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ٦/ ٤٤٤.

(٣) أبو جعفر: هو يزيد بن القعقاع القاري نسبة إلى موضع بالمدينة يسمى قارا. أخذ عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ. توفي سنة ثلاثين ومائة هجرية، وكان تابعياً جليل القدر رفيع المنزلة. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٦/ ٢٧٤، الترجمة (٨١٤)، مناهل العرفان، الزرقاني، ١/ ٦٨، الترجمة (٨).

(٤) ابن فليح: هو: عبد الوهاب بن فليح بن رياح أبو إسحاق المكي، إمام أهل مكة في القراءة في زمانه. ضمن علماء الطبقة من حفاظ القرآن. وقد تلقى القراءة عن داود بن شبل، ومحمد بن سبعون، ومحمد بن بزيح وعدد كثير من شيوخ أهل مكة يبلغون ثمانين نفساً، قرأ عليه إسحاق ابن أحمد الخزاعي، والحسين بن محمد الحداد. ومحمد بن عمران الدينوري وغيرهم، توفي في حدود الخمسين ومائتين، ينظر: معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محمد محمد سالم محيسن، ١/ ٤٨٩، الترجمة (٢٢٠).

(٥) ابن كثير: عكرمة بن سليمان، أبو القاسم بن عامر المكي المقرئ مولى آل شيبية، قرأ القرآن على شبل بن عباد، ومعروف بن مشكان وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، قرأ عليه أحمد بن محمد البزري وغيره، وقد عرف عنه أنه شيخ مستور الحال، توفي سنة ١٩٢ هـ. ينظر تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٤/ ٩٢٦، الترجمة (٢٥٥)؛ معرفة القراء، الذهبي، ص ٨٨، الترجمة (٢).

ياء، ووجه الدلالة في هذه القراءة، جعله مصدر ألف يألفُ إلفاً، والمَعْنَى أَن الله أَلْفَهُمْ^(١).

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ^(٢) وَأَبُو عَمْرٍو^(٣) وَحَمَزَةُ^(٤) وَالْكَسَائِيُّ^(٥)

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر، النيسابوري، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١هـ)، المحقق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية-دمشق، (د ط)، ١٩٨١م، ص ٤٧٨، حجة القراءات، ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (ت حوالي ٤٠٣هـ)، المحقق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٧٧٤، ٧٧٥.

(٢) نافع: أبو رؤيم، ابن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى بني ليث، حليف العباس بن عبد المطلب، القارئ، المدني، أصله من أصبهان، واستوطن المدينة، وتوفى بها سنة تسع وستين ومائة. ينظر: الثقات، العجلي، ص ٤٤٧، الترجمة (١٦٧٨)؛ تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ١٢٣ / ٢، الترجمة (٦٢٤).

(٣) أبو عمرو: زيان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن، وكان أبو عمرو من أهل الفضل ممن عنى بالأدب والقراءة حتى صار إماماً يرجع إليه فيها ويقتدى باختياره منها توفى سنة ست وأربعين ومائة بالبصرة، ينظر: مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان ص ٢٤٢، الترجمة (١٢٠٩).

(٤) حَمَزَةُ: بَنُ حَبِيبِ أَبُو عُمَارَةَ الزِّيَّاتِ مَوْلَى بَنِي تَيْمِ اللَّهِ مِنْ رِبِيعَةَ، يَرُوي عَنْ حَمْرَانَ بْنِ أَعِينٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رَوَى عَنْهُ وَكَيْعٌ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالْقِرَاءَاتِ، مَاتَ سَنَةَ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَمِائَةَ بَحْلَوَانَ. ينظر: التاريخ الكبير، البخاري، ٥٢ / ٣، الترجمة (١٩٤)؛ الثقات، ابن حبان، ٢٢٨ / ٦، الترجمة (٧٤٨٤).

(٥) الْكَسَائِيُّ: أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمَزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَهْمَنْ بْنِ فَيْرُوزِ الْأَسَدِيِّ مَوْلَاهُمْ الْكُوفِيُّ، الْإِمَامُ، شَيْخُ الْقِرَاءَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، تَلَا عَلَى: ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَرْضاً، وَعَلَى حَمَزَةَ، وَحَدَّثَ عَنْ: جَعْفَرِ الصَّادِقِ، وَالْأَعْمَشِ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ أَزْقَمٍ، وَجَمَاعَةٍ، وَتَلَا أَيْضاً عَلَى: عَيْسَى بْنِ عَمْرِو المَقْرِيِّ، وَخُنْتَارَ قِرَاءَةً اشْتَهَرَتْ، وَصَارَتْ إِحْدَى السَّبْعِ. تُوفِيَ فِي الرَّيِّ، سَنَةَ تِسْعِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةَ، ينظر: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، التتوخي، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المعري (ت ٤٤٢هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر - القاهرة، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الترجمة (٦٠)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٥٤ / ٧، الترجمة (١٣٥٧).

وَحَفْصٌ^(١) عَنِ عَاصِمٍ^(٢): ﴿لِإِيْلَافٍ﴾ بِيَاءٍ قَبْلَهَا هَمْزَةٌ، و﴿إِإِلْفِهِمْ﴾ مِثْلَهَا^(٣).
 وَمَنْ قَرَأَ ﴿لِإِيْلَافٍ﴾، فَإِنَّهُ كَانَ فِي الْأَصْلِ (لِإِثْلَافٍ قُرَيْشٍ) بِهَمْزَتَيْنِ، فَأَبْدَلَتْ
 الهمزة الثانية ياءً، لأنهم كرهوا الجمع بين الهمزتين^(٤).

أقوال في لام ﴿لِإِيْلَافٍ﴾

في اللام قولان:

أحدهما: أنه صلة يرجع إلى السورة المتقدمة من قوله: ﴿الْمُتَرَكَيفَ﴾ إلى
 قوله ﷺ: ﴿جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا أَكُولٍ﴾ ﴿لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ﴾، فصار معناه أن ما فعله
 بأصحاب الفيل ﴿لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ﴾ أي: لأجل ذلك، وكان عمر ﷺ وأبي بن كعب ﷺ

(١) حفص: أبو عمر بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزاز، نسبة
 لبيع البز، الإمام القاريء راوي عاصم بن أبي النجود، كان ربيب عاصم، أخذ عنه القراءة
 عرضاً وتلقيناً؛ ولد حفص سنة تسعين ونزل بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها أيضاً.
 توفي سنة ثمانين ومائة. ينظر: معجم الأدباء، الحموي، ٣/ ١١٨٠، الترجمة (٤١٢)، ميزان
 الاعتدال، الذهبي، ١/ ٥٥٨، الترجمة (٢١٢١).

(٢) عاصم: أبو بكر، بن أبي النجود الأسدي بن بهدلة كان اسم أبي النجود بهدلة، من أهل
 الكوفة يروي عن أبي وائل وزر بن حبيش روى عنه أبو بكر بن عيَّاش وأهل العراق مات سنة
 ثمان وعشرين ومائة، ينظر: الثقات، ابن حبان، ٧/ ٢٥٦، الترجمة (٩٩٥٢).

(٣) ينظر: كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، أبو بكر أحمد موسى بن العباس التميمي
 البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف- مصر، ط ٢، ١٤٠٠هـ،
 ص ٦٩٨.

(٤) ينظر: معاني القراءات، الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ)، مركز
 البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود- السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م،
 ١٦٥/٣.

لا يفصلان بين السورتين ويقرّانها كالسورة الواحدة، ويريان أنهما سورة واحدة. وهذا مذهب الفراء^(١).

الثاني: اللام صلة ترجع إلى ما بعدها من قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا هَذَا الْبَيْتِ﴾^(٢)، فيكون معناه لنعمتي على قريش ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾^(٣).

فَمَنْ قَالَ: مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا قَبْلَهَا، قَالَ مُتَعَلِّقَةٌ بِجَعَلٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾. وَتَكُونُ بِمَعْنَى لِأَجْلِ إِيْلَافِ قُرَيْشٍ يَدُومُ لَهُمْ وَيَبْقَى تَعْظِيمُ الْعَرَبِ إِيَّاهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ، أَوْ بِمَعْنَى: جَعَلْنَا الْعَدُوَّ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ، هَزِيمَةً لَهُ وَنُصْرَةً لِقُرَيْشٍ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ، إِلَى نِعْمَةِ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.

وَمَنْ قَالَ: مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا بَعْدَهَا، قَالَ ﴿لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ﴾ الَّذِي أَلْفُوهُ أَيْ بِمِثَابَةِ النَّقْرِ لِه، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾. أَيْ: أَثْبَتَهُ إِلَيْهِمْ وَحَفِظَهُ لَهُمْ^(٤).

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَعْنَى الْجَالِبِ لِهَذِهِ اللَّامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ﴾: قَالَ الْفَرَاهِيدِيُّ: "وَإِنَّمَا جَاءَتْ هَذِهِ اللَّامُ فِي ﴿لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ﴾ عَلَى مَعْنَى سُورَةِ الْفِيلِ، إِنَّمَا أَهْلَكَ اللَّهُ الْفِيلَ كِي تَسَلَّمَ قُرَيْشٌ مِنْ شَرِّهِمْ، فَيَسَلَّمُوا فِي بِلَادِهِمْ لِيُؤَلِّفَهُمُ اللَّهُ"^(٥).

(١) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٣ / ٢٩٣، الهداية إلى بلوغ النهاية، ابي طالب المكي، ١٢ / ٨٤٥١.

(٢) سورة قريش: الآية الثالثة.

(٣) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ٦ / ٣٤٥.

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٩ / ١٠٩.

(٥) كتاب العين، الفراهيدي، (باب اللام والفاء)، ٨ / ٣٣٦.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هَذِهِ اللَّامُ لِامِ التَّعْجُبِ، كَأَنَّ الْمَعْنَى: اعْجَبُوا ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، لِأَنَّهُمْ كُلُّ يَوْمٍ يَزْدَادُونَ غِيًّا وَجَهْلًا وَانْغِمَاسًا فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَاللَّهُ ﷻ يُؤَلِّفُ شَمْلَهُمْ وَيُدْفَعُ الْأَقَاتِ عَنْهُمْ، وَيُنْظِمُ أَسْبَابَ مَعَايِشِهِمْ، وَذَلِكَ لَا شَكَّ أَنَّهُ فِي غَايَةِ التَّعْجُبِ مِنْ عَظِيمِ حِلْمِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ^(١).

وقال الفيروزآبادي^(٢): هي (لام) التعجب المجرد عن القسم، ويستعمل في (الله دره)، قيل ومنه: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، أي: عجبًا من الفهم^(٣).

ووافق الطبري قول الفراهيدي فقال: (اللام) متصلة بما قبلها، ومعنى ﴿جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾: أهلك الله ﷻ أصحاب الفيل لتتألف قريش، ويؤيده أنهما في مصحف أبي بن كعب ﷻ سورة واحدة. فَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: الْجَالِبُ لَهَا (اللام) فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا أَكُولُ﴾، فَهِيَ فِي قَوْلِ هَذَا الْقَائِلِ لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْكَلَامِ: فَفَعَلْنَا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ هَذَا الْفِعْلَ، نِعْمَةً مِنَّا عَلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ، وَإِحْسَانًا مِنَّا إِلَيْهِمْ، إِلَى نِعْمَتِنَا عَلَيْهِمْ فِي رِحْلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَتَكُونُ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ ﴿لِإِيلَافٍ﴾ بِمَعْنَى (إِلَى)، كَأَنَّهُ قِيلَ: نِعْمَةً لِنِعْمَةٍ وَإِلَى نِعْمَةٍ، لِأَنَّ (إِلَى) تَأْتِي مَوْضِعَ اللَّامِ، وَاللَّامُ مَوْضِعُ (إِلَى)^(٤).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٥ / ٣٦٥، مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢ / ٢٩٦.

(٢) الفيروزآبادي: أبو الطاهر مجد الدين مُحَمَّد بن يَعْقُوب بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الشَّيرَازِي، صَاحِبُ الْقَامُوسِ. مِنْ تَصَانِيفِهِ "الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ فِي اللُّغَةِ" وَ"سَفَرُ السَّعَادَةِ" وَ"تَنْوِيرُ الْمِقْبَاسِ" عَنْ تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ"بِصَائِرِ ذَوِي التَّمْيِيزِ فِي لَطَائِفِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ فِي التَّفْسِيرِ"، وَغَيْرَهَا وَكَانَتْ وَقَاتِهِ سَنَةٌ سِتٌّ عَشْرَةَ وَثَمَانِمِائَةً، يَنْظُرُ: طَبَقَاتُ الْمَفْسَرِينَ، الْأَدْنَى وَي، ص ٣١٢، ٣١٣، التَّجْمَةُ (٣٩٥).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، ٤ / ٤١١.

(٤) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٤ / ٦٤٦، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب،

ووافق الواحدي^(١) قول الطبري فقال: ذَكَرَ اللهُ ﷺ أهل مكة عظيم النعمة عليهم، فيما صنع بالحبشي، ثم قال: ﴿لَيْلِيفِ قُرَيْشٍ﴾ أي: فعلنا ذلك بهم لتألف قريش رحلتها^(٢).

ثم انتهى الطبري بقوله: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذِهِ (اللَّامَ) بِمَعْنَى التَّعْجُبِ، وَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: اعْجَبُوا ﴿لَيْلِيفِ قُرَيْشٍ﴾ ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةَ رَبِّ هَذَا النَّبِيِّ، حَيْثُ قَالَ ﷺ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾، وَالْعَرَبُ إِذَا جَاءَتْ بِهَذِهِ اللَّامِ، فَأَدْخَلُوهَا فِي الْكَلَامِ لِلتَّعْجُبِ اكْتَفَوْا بِهَا دَلِيلًا عَلَى التَّعْجُبِ مِنْ إِظْهَارِ الْفِعْلِ الَّذِي يَجْلُبُهَا، وَأَمَّا الْقَوْلُ: أَنَّهُ مِنْ صِلَةِ قَوْلِهِ: ﴿جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾، فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ ﴿لَيْلِيفِ﴾ بَعْضُ ﴿أَلْمَرَّةِ﴾ وَأَنْ لَا تَكُونَ سُورَةً مُنْفَصِلَةً مِنْ ﴿أَلْمَرَّةِ﴾، وَفِي إِجْمَاعِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُمَا سُورَتَانِ تَامَتَانِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مُنْفَصِلَةٌ عَنِ الْأُخْرَى، مَا يَبِينُ عَنِ فَسَادِ الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ^(٣).

(١) الواحدي: أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، النَّيْسَابُورِيُّ، الشَّافِعِيُّ، إِمَامٌ عُلَمَاءِ التَّأْوِيلِ، وَأَصْلُهُ مِنْ سَاوَه، صَنَّفَ التَّفَاسِيرَ الثَّلَاثَةَ: (الْبَسِيطَ)، وَ(الْوَسِيطَ)، وَ(الْوَجِيزَ) وَبِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ سَمَّى الْغَزَالِيُّ تَوَالِيفَهُ الثَّلَاثَةَ فِي الْفِقْهِ، وَلِأَبِي الْحَسَنِ كِتَابُ (أَسْبَابِ النُّزُولِ)، كِتَابُ (التَّحْبِيرِ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى)، (شَرْحُ دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّيِّ). وَكَانَ طَوِيلَ النَّبَاعِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، مَاتَ: بِنَيْسَابُورَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، وَقَدْ شَاخَ. يَنْظُرُ: سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، الذَّهَبِيِّ، ١٣ / ٣٣٩، التَّرْجَمَةُ (١٦٠).

(٢) يَنْظُرُ: التَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ، الْوَاحِدِيُّ، ٤ / ٥٥٥.

(٣) يَنْظُرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ، الطَّبْرِيُّ، ٢٤ / ٦٤٨، ٦٤٩.

وخلاصة القول في لام ﴿لَايَلَفٍ﴾: اِخْتَلَفَ فِي اللَّامِ: فقيل: يتعلق بقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ﴿لَايَلَفٍ قُرَيْشٍ﴾. وقال الخليل وسيبويه^(١) المعنى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ﴿لَايَلَفٍ قُرَيْشٍ﴾^(٢).

تفسير القرآن بالقرآن:

الاختلاف في القراءات غالباً يؤدي إلى الاختلاف في المعاني، لكن هنا قرأ ابن عامر: ﴿لَايَلَفٍ﴾ بهمزة مختلصة، والباقون بياء قبلها همزة ومعناها واحد، وهذا موصول بما قبله يعني: أن الله ﷻ أهلك أصحاب الفيل ﴿لَايَلَفٍ قُرَيْشٍ﴾ يعني: لتقر قريش بالحرم ويجاوروا البيت حيث قال ﷻ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، ﴿لَايَلَفٍ قُرَيْشٍ﴾ يعني: "فعل ذلك ليؤلف قريشاً بهاتين الخصلتين الرحلتين اللتين بهما عيشهم ومقامهم بمكة"^(٣).

وقوله ﷻ: ﴿لَايَلَفٍ قُرَيْشٍ﴾ أي: لأجل أن تألف قريش رحلة الشتاء والصيف، ولكي تعتاد تنظيم حياتها على هاتين الرحلتين، كان هذا الذي صنعه الله بهذا العدو صاحب الفيل، الذي جاء يبغي إزعاجهم عن البلد الحرام، ونزع ما في قلوبهم من مكانة لهم، باعتبارهم سدنة البيت الحرام الذي كانت تعظمه العرب، وتعظم ساكنيه. وهذا ما يشير إليه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ

(١) سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري، أضله فارسي إمام أهل النحو، طلب الفقه والحديث، ثم طلب العربية فبرع فيها وساد أهل زمانه، وصنف فيها (كتاب الكبير المسمى بالكتاب)، الذي لم يصنف أحد بعده مثله، ووفد إلى بغداد، ثم خرج إلى بلاد فارس فتوفي بشيراز، وقيل بساوة، سنة ١٨٠هـ، ينظر: طبقات النحويين واللغويين، الإشبيلي، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مزحج الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر، ط ٢، (د ت)، ص ٦٦، الترجمة (٢٢). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ٤/ ٦٣٦، (١٢٥).

(٢) ينظر: النكت في القرآن الكريم، الفيرواني، ص ٥٧٤، أضواء البيان، الشنقيطي، ٩/ ١٠٩.

(٣) تفسير بحر العلوم، السمرقندي، ٣/ ٥٩٨.

الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقْهُ
مِنْ عَذَابِ آيَةِ ﴿١﴾ (٢).

تفسير القرآن بالسنة

عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَضَّلَ اللَّهُ
قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِلَالٍ: أَنِّي فِيهِمْ وَأَنَّ النُّبُوَّةَ فِيهِمْ وَالْحِجَابَةَ فِيهِمْ وَالسَّقَايَةَ فِيهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ
نَصَرَهُمْ عَلَى الْفِيلِ وَأَنَّهُمْ عَبَدُوا اللَّهَ عَشْرَ سِنِينَ لَا يَعْبُدُهُ غَيْرُهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِيهِمْ سُورَةَ
مِنَ الْقُرْآنِ» ثُمَّ تَلَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ *
إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ
جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٣﴾» (٣).

تفسير القرآن بالآثار

قال ابن عباسٍ في قوله ﷺ: ﴿١﴾ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿٣﴾: "مُرَّ قُرَيْشًا لِيَأْلَفُوا عَلَى التَّوْحِيدِ
وَيُقَالَ اذْكَرْ نَعْمَتِي عَلَى قُرَيْشٍ لِيَأْلَفُوا عَلَى التَّوْحِيدِ كإِيلَافِهِمْ ﴿٣﴾ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ ﴿٤﴾".
وَعَنْ ابْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿١﴾ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿٣﴾ فَقَرَأَ: قَوْلُهُ ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ
فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿٣﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قَالَ: هَذَا ﴿١﴾ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿٣﴾ صَنَعَتْ
هَذَا بِهِمْ لِأَلْفَةِ قُرَيْشٍ لِنَلِّأَ أَفْرُقَ الْفَهْمِ وَجَمَاعَتِهِمْ، إِنَّمَا جَاءَ صَاحِبُ الْفِيلِ يَسْتَبِدُّ حَرَمَهُمْ
فَصَنَعَ اللَّهُ ذَلِكَ بِهِمْ ﴿٥﴾.

(١) سورة الحج: الآية ٢٥.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، عبد الكريم يونس، ١٦٦ / ١٦٨١.

(٣) المستدرک علی الصحیحین، الحاكم، (كتاب التفسير)، (تفسير سورة قريش)، ٢ / ٦٣٠،
(٤٠٣٣)، (صححه المؤلف)، الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن
موسى آل نصر، ٣ / ٥٥٩، (قال المؤلفان: حسن لغيره).

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ١ / ٥٢٠.

(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢٤ / ٦٤٩.

التفسير العام لآيات من سورة قريش

تضمنت سورة قريش تعداد نعم الله العظمى على قريش أهل مكة، حيث جمع كلمتهم، وحقق الألفة والتنام الشمل بينهم بقوله: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ومكّنهم من التنقل وحرية التجارة إلى اليمن شتاءً، وإلى الشام صيفاً، لتوفير الثروة والغنى. وهياً لهم في البلد الآمن الحرام نعمة الأمن والاطمئنان والاستقرار دون نزاع من أحد فقال ﷺ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١).

وفي قوله ﷺ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ستة أقوال:

أحدها: نعمتي على قريش، لأن نعمة الله عليهم أن أَلَفَهُمْ لهم، قاله ابن عباس^(٢).
الثاني: "إنما أهلك الله الفيل كي تسلم قريش من شرهم، فيسلموا في بلادهم ليؤلفهم الله"^(٣)، قاله الفراهيدي.

الثالث: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ حرّمي وقيامهم ببيتي، وهذا معنى قول الحسن البصري^(٤).

الرابع: قال مكحول^(٥): لإيلاف ما ذكره من رحلة الشتاء والصيف في معاشهم^(٦).

(١) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٤١٣ / ٣٠.

(٢) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ١ / ٥٢٠.

(٣) كتاب العين، الفراهيدي، (باب اللام والفاء)، ٨ / ٣٣٦.

(٤) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٦ / ٣٤٥.

(٥) مَكْحُول: أبو عبد الله بن أبي مسلم شهراب بن شاذل بن سند بن شروان بن بزذل بن يغوث بن كسرى، الدمشقي، إمام أهل الشام في زمانه، تابعي. روى عن: أنس، وثوبان، وسعيد بن المسيب، وغيرهم، سبي مكحول من كابل فرفع إلى سعيد بن العاص فوهبه لامرأة من هذيل فأعتقته، مات سنة ثمانى عشرة ومائة، ينظر: التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة- اليمن، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ١ / ٦١٤، ٦١٥، الترجمة (٢١٤).

(٦) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ٦ / ٣٤٥..

الخامس: قَالَ مُجَاهِدٌ^(١): ﴿لَا يَلْفُ﴾ أَلْفُوا ذَلِكَ، فَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. ﴿وَأَمْنَهُمْ﴾ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ فِي حَرَمِهِمْ^(٢).

السادس: قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ^(٣):

﴿لَا يَلْفُ﴾ لِنِعْمَتِي عَلَى قُرَيْشٍ^(٤).

واختلف في تعلق قوله: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنه يتعلق بقوله ﷺ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾، والمعنى: فليعبدوا الله من أجل

إيلافهم الرحلتين فإن ذلك نعمة من الله عليهم.

الثاني: أنه يتعلق بمحذوف تقديره: أعجبوا ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾.

(١) مجاهد: هو بن جبر أبو الحجاج المكي، أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين، قرأ على عبد الله بن السائب وعبد الله بن عباس بضعة وعشرين ختمة ويقال: ثلاثين عرضة وسأله عن كل آية فيم كانت؟ أخذ عنه القراءة عرضاً عبد الله بن كثير وابن محيصن وحميد بن قيس وزمعة بن صالح وأبو عمرو بن العلاء، وقرأ عليه الأعمش، قال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، وقال سلمة بن كهيل: كان مجاهد له اختيار في الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، للذهلي بإسناد غير صحيح، مات سنة ثلاث ومائة وقيل: سنة أربع وقيل: سنة اثنتين وقد نيف على الثمانين. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، ٢ / ٤١، ٤٢، الترجمة (٢٦٥٩).

(٢) ينظر: تفسير مجاهد، مجاهد، أبو الحجاج بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة - مصر، ط ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ١ / ٧٥٢.

(٣) ابْنُ عُيَيْنَةَ: أبو محمد، سفيان بن عمران بن ميمون الكوفي، ثم المكي الهلالي، سكن مكة وتوفي بها، وهو من تابعي التابعين، سمع الزهري، وعمرو بن دينار، والشعبي، وآخرين، واتفقوا على إمامته وجلالته وعظم مرتبته. وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة، ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ١ / ٢٢٤، الترجمة (٢١٦).

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ)، (بَابُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)، ١٧٦ / ٦، (٤٩٦٣).

الثالث: أنه يتعلق بسورة الفيل، والمعنى أن الله أهلك أصحاب الفيل ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٍ﴾، فهو يتعلق بقوله: ﴿فَجَاءَهُمْ﴾ أو بما قبله من الأفعال. ويؤيد هذا أن السورتين في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة لا فصل بينهما، وقد قرأهما عمر رضي الله عنه في ركعة واحدة من المغرب، وذكر الله الإيلاف مطلقاً ثم أبدل منه الإيلاف المقيد بالرحلتين تعظيماً للأمر، ونصب رحلة لأنه مفعول بإيلافهم وقال: رحلة وأراد رحلتين^(١). فهو كقول الشاعر^(٢) من [الوافر] على لفظ الواحد ويراد به الجميع:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا ... فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنْ حَمِيصُ^{(٣)(٤)}.

وقيل في الإيلاف: شَبَّهَ الْإِجَارَةَ بِالْخَفَارَةِ. اي: إِذَا أَجَارَ الْحَمَائِلَ بِالْخَفَارَةِ. وَالتَّأْوِيلُ: أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا سُكَّانَ الْحَرَمِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ زَرْعٌ وَلَا صَرْعٌ، وَكَانُوا يَمِيرُونَ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ آمِنِينَ، وَالنَّاسُ يُتَخَطَّفُونَ مِنْ حَوْلِهِمْ، فَكَانُوا إِذَا عَرَضَ لَهُمْ عَارِضٌ قَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ، فَلَا يَتَّعَرِّضُ النَّاسُ لَهُمْ^(٥).

الأمان في قريش

لقد مَنَّ اللهُ ﷻ على قريش بالأمن والأمان والرزق التمام، فأبعد عنهم أسباب الأخذ والهلاك وكان محيطاً بهم من كل جانب يخافون أن يتخطفهم الناس من حولهم، فجعل لهم حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنه استجابةً لدعاء

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٢ / ٥١٤.

(٢) من أبيات سيويه التي لم يعرف لها قائل، ينظر: الكتاب، سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء (ت ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١ / ٢١٠.

(٣) زَمَنْ حَمِيصٌ: ذُو مَجَاعَةٍ، معجم ديوان الأدب، الفارابي، ١ / ٤١٠، (بابُ فَعِيل).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ، ٢ / ٥١٤.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠ / ٢٠٤.

أبي الانبياء إبراهيم عليه السلام، قال عليه السلام: ﴿وإذ قال إبراهيمُ ربِّ اجعلْ هذا بلدًا آمنًا وارزُقْ أهلهُ و
من الشَّمراتِ من آمنَ منهم باللهِ واليومِ الآخرِ قالَ ومن كَفَرَ فأمتعهُ، قليلاً ثمَّ أضطرَّهُ إلى عذابِ
النَّارِ وبئسَ المصيرُ﴾^(١).

وقدَّمَ إبراهيم عليه السلام طلبَ الأمنِ على سائرِ المطالبِ المذكورةِ بعدهُ لأنَّهُ إذا انتقى
الأمنُ لم يفرغِ الإنسانُ لشيءٍ آخرَ من أمورِ الدِّينِ والدُّنيا^(٢).

فتقديم إبراهيم عليه السلام طلبَ الأمنِ على طلبِ الرزقِ، لما في الأمنِ من ضرورةٍ، وفي
الآيةِ ملحظٌ مهمٌ هو أنَّ إبراهيم عليه السلام طلبَ من ربه أن يرزقَ من آمنَ منهم باللهِ واليومِ
الآخرِ، وكان طلبه ممتزجًا بالحياءِ من الله عليه السلام، لأن النعمة لا يستحقها إلا من
يشكرها، ولكن واسع فضل الله أراد أن يمتنع الكفار بهذه النعم العظيمة وهذا الأمان،
ومن دلائل الأمن في البلد الأمين أنه جعل من يأوي إليه آمنة والمخافة من حوله في
كل مكان، حتى حين انحرف الناس وأشركوا بربهم وعبدوا معه الأصنام^(٣). وإنَّ الله
عليه السلام جعل مكة حرماً آمناً، فقال في المسجد الذي فيها: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(٤).

الترويض للألفة

لقد شعر كل من جاور المسجد الحرام بحرمته وعظمتها، فرضي العيش بمكة
وللعباداة فيها، ومنهم من أخذ على نفسه ترويضها على الطاعة، متأثرًا بمن حوله في
المجتمع المكي، فأصبح الطابع المميز لأكثر سكان مكة الرغبة في الطاعة،
والإستزادة من فعل الخيرات، مما أكسبهم محبة غيرهم من الوافدين عليهم، أو بلغته
أخبارهم، فأصبح مجتمع مكة مجتمعاً آمناً كما قال عليه السلام ممتناً ومُبيكناً لبعض أهله الذين

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٦.

(٢) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن
كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ، ٣ / ١٣٤.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦ / ٣٩٨٢.

(٤) سورة آل عمران: جزء من الآية ٩٧.

كذبوا محمداً ﷺ حينذاك: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمِّنًا﴾ (١). وقال ﷺ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّن جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾. معطلين ذلك بخوفهم من جيرانهم اليهود والنصارى أن يتخطفوهم إذا آمنوا واتبعوا الرسول ﷺ، لأنهم يمنعون عنهم تجارتهم، وهي حجة واهية، فالأمن لجيران المسجد الحرام أمر واقع، ولموس منذ عهد إبراهيم ﷺ، وكان محفوظاً بحفظ الله له رغم ما أدخله بعض العرب فيه من عبادة الأوثان، فهل يأمنون وهم مشركون، ويخافون إذا هم آمنوا (٢)؟!

قال ﷺ: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

إنَّ نعمة الأمن نعمةً من ضروريات الإنسانية، ومن مقاصد الشرائع السماوية، نعمة الأمن فيها يتعلم المتعلم، ويدعو الداعي إلى الله ﷻ، ويسعى الساعي في كل ما يحقق له سعادته في الدنيا والآخرة. وتطمئن النفوس، وتنتشر الصدور، ويتفرغ العباد لمصالح دينهم ودنياهم. وهذا قدرٌ إلهي في جعل الأمان في أهل مكة (٤)، قال ﷺ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِي الْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٥).

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ١٢٥.

(٢) ينظر: الإلحاد والظلم في المسجد الحرام بين الإرادة والتنفيذ، د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، مجلة الجامعة الإسلامية-المدينة النبوية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، العدد: ١٠٧، ٤٣/٣٩.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٧.

(٤) ينظر: الموقف الشرعي من أعداء الأمن، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، العدد: ٨٥، من رجب إلى شوال لسنة ١٤٢٩ هـ ص ٩.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٦٧.

وَمِنْ قَدْرِ اللَّهِ أَنْ جَعَلَ هَذَا الْحَرَمَ آمِنًا بِأَهْلِهِ وَمَنْ أُوِّىَ إِلَيْهِ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا، قَالَ ﷺ: ﴿وَأَمِنْهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾، يعني: آمنهم من القتل والسبي، لأن العرب كانت يقتل بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا، وهم آمنون في الحرم^(١).

حفظ الله ﷺ البيت الحرام والفتة أهله

كان لقريش رحلتان: إحداهما إلى اليمن في فصل الشتاء، والأخرى إلى الشام في فصل الصيف، يذهب التجار فيها لطلب ما تحتاج إليه بلادهم من الأقوات وغيرها باعتبارها واديًا غير ذي زرع فلا يعترضهم أحد بسوء في حلهم وارتحالهم مراعاة لحرمة جوارهم للبيت الحرام وماله من كرامة في نفوس العرب أجمعين، فكانوا يذهبون آمنين ويعودون سالمين، وكان لقدسية البيت قوة تحتمي بها قريش من أذى سائر القبائل، ولولا حفظ الله لبيته الحرام من الهدم لزلت تلك الحرمة من النفوس وتعرضت قريش للأذى مما يضطرها إلى العدول عمًا ألفته من تلك الرحلات فتتعطل أسباب التجارة وتسد في وجوههم سُبُل الرزق، ولذا أخذ الله ﷺ في السورة والتي قبلها يذكرهم بتلك النعمة التي أنعم بها عليهم بإحباطه كيد الأحباش واضطرارهم إلى الرجوع عما أرادوه خاسرين فحفظ لهم بذلك ألفتهم للسفر والارتحال في الصيف والشتاء بقوله ﷺ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾. أي: أن ذلك الإيلاف هو بقاء واستمرار ما ألفوه من رحلة الشتاء والصيف التي تدر عليهم الرزق ورغد العيش، ولولا ذلك لهاجروا من تلك الديار القاحلة^(٢). فكان أهل قريش آمنين مطمئنين لا يتعرض لهم أحد بسوء، لأن الناس كانوا يقولون: هؤلاء جيران بيت الله وسُكَّان حرمه، وهم أهل الله لأنهم ولاة الكعبة، فلا تؤذوهم ولا تظلموهم، ولما أهلك الله أصحاب الفيل، وردَّ كيدهم في نحورهم، ازداد وقع أهل مكة في القلوب، وازداد تعظيم الأمراء والملوك

(١) ينظر: تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)،

المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ، ٨٦٣/٤.

(٢) تفسير الخطيب المكي، الخطيب، السيد عبد الحميد، دار الفكر الإسلامي - دمشق، ط ٢،

لهم، فازدادت تلك المنافع والمتاجر، فلذلك جاء الامتتان على قريش، وتذكيرهم بنعم الله ليوحده ويشكروه ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، أي: فليعبدوا الله العظيم الجليل، ربَّ هذا البيت العتيق، وليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة الجليلة التي خصَّهم بها، قال المفسرون: وإنما دخلت الفاء ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ لما في الكلام من معنى الشرط كأنه قال: إن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه من أجل إلفهم رحلتي الشتاء والصيف، التي هي من أظهر نعمه عليهم، لأنهم في بلادٍ لا زرع فيها ولا ضرع^(١).

إنَّ نعمة الأمن التي خص الله أهل مكة بها ونبههم بها إلى وجوب عبادته وتوحيده وشكركه على هذه النعمة؛ لأنه وحده هو الذي حرّم مكة فصارت بلدًا حرامًا بتحريمه إيها إلى يوم القيامة، كما ثبت عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم افتتح مكة: «لَا هَجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَاَنْفِرُوا، فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقْطَتُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا». قال العباس رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ. إِلَّا الْإِنْذِرَ^(٢)، فَإِنَّهُ لَعَيْنُهُمْ وَلِئِيوتِهِمْ. قال: «إِلَّا الْإِنْذِرَ»^(٣). وَمَعْنَى كَوْنِهِ لِئِيوتِهِمْ أَنَّهُمْ يَسْقُفُونَهَا بِهِ فَوْقَ الْحَشْبِ، وَالْقَيْنُ الْحَدَادُ^(٤).

(١) صفوة التفاسير، الصابوني، محمد علي، دار الصابوني- القاهرة، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ٥٨٠ / ٣.

(٢) الْإِنْذِرَ: نَبَتْ فِي الْحِجَازِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ، اللَّامِعِ الصَّبِيحِ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ، شَمْسِ الدِّينِ الْبِرْمَاوِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ بْنِ مُوسَى النُّعَيْمِيِّ الْعَسْقَلَانِيِّ الْمِصْرِيِّ الشَّافِعِيِّ (ت ٨٣١ هـ)، الْمُحَقِّقُ: لَجْنَةُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، دَارُ النُّوَادِرِ - سُوْرِيَا، ط ١، ١٤٣٣ هـ، ٥ / ٢٥٧.

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، الْبُخَارِيُّ، (كِتَابُ الْجَزِيَّةِ)، (بَابُ إِثْمِ الْغَادِرِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ)، ٤ / ١٠٤، (٣١٨٩).

(٤) يَنْظُرُ: مَغْنَى الْمَحْتَاكِ إِلَى مَعْرِفَةِ مَعَانِي أَلْفَاظِ الْمَنْهَاجِ، الشَّرِيبِيِّ، شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْخَطِيبِ الشَّافِعِيِّ (ت ٩٧٧ هـ)، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ - بَيْرُوتَ، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ٢ / ٣٠٧.

ومن طرق نقض الأفكار المضادة

افتخر أحد خلفاء بني أمية يوماً بقريش فقال: إِنَّ اللَّهَ حبا قريشاً بثلاث: فقال لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١). ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (٢). ونحن قومه، وقال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ (٣) إِيْلَافِهِمْ. ونحن قريش. فأجابه رجل من الأنصار، فقال: على رسلك؛ فإن الله ﷻ قال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ (٤). وأنتم قومه، وقال: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (٥). وأنتم قومه، وقال ﷺ: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٦). وأنتم قومه، ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك (٦).

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢) سورة الزخرف: جزء من الآية ٤٤.

(٣) سورة الأنعام: جزء من الآية ٦٦.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٥٧.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٣٠.

(٦) ينظر: المستطرف في كل فن مستظرف، الأبيشي، أبو الفتوح شهاب الدين محمد بن أحمد (ت

١٤٠٦هـ-١٨٥٠هـ)، المحقق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية- بيروت، (د ط)، ١٤٠٦هـ-

١٩٨٦م ، ١ / ١٣٣.

المطلب الثاني

الألفة بين السحاب

قال ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزِيحُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ (١).

هذه الآية أخبرتنا عن سنة من سنن الله ﷻ الكونية وهي التأليف بين السحاب.
المناسبة:

بعد أن وصف الله ﷻ ما استتارت به قلوب المؤمنين بالهداية، وما أظلمت به قلوب الكافرين بالضلالة، أتبع ذلك ببيان أدلة التوحيد والقدرة، فذكر منها أربعة:
الأول: تسبيح المخلوقات، قال ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتِ كُلُّ قَدِّ عِلْمِ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢).

الثاني: آية الالفة بين السحاب وإنزال المطر، قال ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزِيحُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾.

الثالث: اختلاف الليل والنهار، قال ﷺ: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٣).

(١) سورة النور: جزء من الآية ٤٣.

(٢) سورة النور: الآيتان ٤١، ٤٢.

(٣) سورة النور: الآية ٤٤.

الرابع: أنواع الحيوانات، قال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)(٢).

لَمَّا ذَكَرَ ﷺ انْقِيَادَ من في السموات والأرض والطير إليه، وَذَكَرَ مَلَكُهُ لِهَذَا الْعَالَمِ وَصَيُورَتَهُمْ إِلَيْهِ أَكَّدَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ عَجِيبٍ مِنْ أفعالِهِ مُشْعِرٍ بِانْتِقَالٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. وَكَانَ عَقِبَ قَوْلِهِ: ﴿وَالَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فَأَعْلَمَ بِانْتِقَالٍ إِلَى الْمَعَادِ فَعَطَفَ عَلَيْهِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَصَرُّفِهِ فِي نَقْلِ الْأَشْيَاءِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَمَعْنَى ﴿يُرْجَى﴾: يَسُوقُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَيُسْتَعْمَلُ فِي سَوْقِ الثَّقِيلِ بِرَفْقٍ كَالسَّحَابِ وَالْإِبِلِ، وَالسَّحَابُ اسْمُ جِنْسٍ وَاحِدُهُ سَحَابَةٌ، وَالْمَعْنَى يَسُوقُ سَحَابَةً إِلَى سَحَابَةٍ. ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ أَي بَيْنَ أَجْزَائِهِ، لِأَنَّهُ سَحَابَةٌ تَتَّصِلُ بِسَحَابَةٍ فَجَعَلَ ذَلِكَ مُنْتَمًا بِتَأْلِيفِ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ (٣).

التعريف اللغوي لمفردات الآية

﴿الْمَ﴾: الهمزة للتبيه.

﴿الْمُ تَعَلَّمَ﴾: "الْمُ تَعَلَّمَ؛ لأنها من رؤية القلب، وكذا كُلُّ ما لم يعاين" (٤).

﴿يُرْجَى﴾: "يسوق برفق" (٥).

(١) سورة النور: الآية ٤٥.

(٢) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٨ / ٢٦١.

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، ٨ / ٥٥.

(٤) فتح الرحمن في تفسير القرآن، العُلَيْمِي، أَبُو الْيُمْنِ مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد

الرحمن المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٧هـ)، المحقق: نور الدين طالب، دار النوادر - دمشق،

بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ١ / ٣٤٧، ٤ / ٥٤٦.

(٥) حدائق الروح والرياحين، الهري، ١٩ / ٤١٢.

- ﴿سَحَابًا﴾ السَّحَابُ: "مِنْ أَسْمَاءِ الْغَيْمِ" (١).
 الركاب: الْمُتْرَاكِمُ بعضه على بعض (٢).
 ﴿الْوَدَقَ﴾: الْمَطَرُ بُلْغَةً جُرْهُمُ (٣).
 الخلال: جمع الخَلَلِ: الفُرْجَةُ بين الشَّيْئَيْنِ (٤).

إعراب الآيت

﴿الْمَرَّ﴾: (الهمزة) للاستفهام التقريري، (لم تر): (لم) حرف نفي وجزم وقلب، وهنا أبطل النفي وبقي الجزم والقلب، (تر): فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاعل مستتر تقديره أنت. وجملة: (لم تر) استئنافية لا محل لها من الإعراب (٥).

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: حرف نصب وتوكيد، ﴿اللَّهِ﴾: اسمها.

﴿يُرْجِي سَحَابًا﴾: يُرْجِي: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل، والفاعل مستتر يعود على الله، سَحَابًا: مفعول به منصوب بالفتحة. والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾.

والمصدر المؤول من ﴿أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي﴾ في محل نصبٍ سدَّ مسدَّ مفعولي ﴿تَرَ﴾، إن كانت قلبية، فتقديره: ألم تر إزجاء الله سحابًا، ويصح كونها بصريّة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف في الموقعين.

(١) غريب الحديث، أبو إسحاق، إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ)، المحقق: د. سليمان

إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٥هـ، ١ / ١٦.

(٢) تفسير السمرقندي، السمرقندي، ٣ / ٣٧٢.

(٣) اللغات في القرآن، ابن حسنون، أبو أحمد عبد الله حسين السامري (ت ٣٨٦هـ)، المحقق:

صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة - القاهرة، ط ١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ص ٣٩.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ١١ / ٢١٣، (فصل الخاء المعجمة).

(٥) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهري، ١٩ / ٤٠٢.

﴿يُؤَلَّفُ﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره والفاعل ضمير مستتر هو يعود على الله ﷻ ، معطوف على يُرْجِي .

﴿بَيْنَهُ﴾: (بين): ظرف مكان منصوب بالفتحة وهو مضاف، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه متعلق بـ (يُرْجِي).

﴿ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾: ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف مبني على الفتح، ﴿يُجْعَلُهُ﴾: (يجعل): فعل مضارع مرفوع بالضمة، و(الهاء): ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله ﷻ، وجملة ﴿يُجْعَلُهُ﴾ في محل رفع معطوفة على جملة ﴿يُؤَلَّفُ﴾.

﴿رُكَّامًا﴾: مفعول به ثان منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

﴿فَتَرَى الْوَدَّاقَ﴾: ﴿فَتَرَى﴾: (الفاء): عاطفة، (ترى): فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدره على الألف منع من ظهرها التعذر، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت. ﴿الْوَدَّاقَ﴾: مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره.

﴿يَخْرُجُ﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على ﴿الْوَدَّاقَ﴾.

﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾: جار ومجرور، و(خلال) مضاف، و(الهاء) ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه متعلق بـ ﴿يَخْرُجُ﴾. والجملة الفعلية ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ في محل نصب حال من ﴿الْوَدَّاقَ﴾، لأنَّ (ترى) بصرية^(١).

(١) ينظر: المجتبي من مشكل إعراب القرآن، د. الخراط، أبو بلال أحمد بن محمد، ٢ / ٨٠٠، الجدول في إعراب القرآن، الصافي، ١٨ / ٢٧٣، إعراب القرآن، الدعاس، ٢ / ٣٥٥، حدائق الروح والريحان، الهري، ١٩ / ٤٠٢.

أقوال المفسرين وأهل البيان في (بين) والهاء

قال عليه السلام: ﴿الْمَرْتَرَانُ اللَّهُ يُزَجِّي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أضاف (بين) إلى الهاء الذي يعود إلى السحاب، ولم يُذكر معه غيره، و(بين) لا يقع إلا لاثنتين فصاعدًا، فكيف جاء ﴿بَيْنَهُ﴾ في الآية؟ فالجواب: أَنَّ ﴿بَيْنَهُ﴾ هاهنا لجماعة السحاب، كما تقول: الشجر حسن، وقد جلست بينه. وفيه قول آخر: وهو، أن يكون السحاب واحدًا فجاز أن يقال: ﴿بَيْنَهُ﴾، لأنه مشتمل على قطع كثيرة^(١).

وأضاف (بين) إلى ضمير المفرد المذكر الهاء في قوله عليه السلام: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾، مع أن السحاب جمع، فجرى مجرى النخل، كما قال عليه السلام: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾^(٢)، وَذُكِّرَ صِفَةً ﴿نَخْلٍ﴾ عَلَى اللَّفْظِ، وَلَوْ أَنَّتْ ضَمِيرُ الْهَاءِ حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى لَجَازَ عَلَى قِيَاسِ قَوْلِهِ عليه السلام: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^{(٣)(٤)}.

أما في قوله عليه السلام: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾^(٥). "فجمع على المعنى، لأنَّ المعنى سحابات"^(٦). ولفظ الثِّقَالِ للمؤنث، يقال: هذا رجلٌ ثَقِيلٌ، وامرأةٌ ثَقَالٌ^(٧).

(١) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٩ / ٢٠١، إعراب القرآن، النحاس، ٣ / ٩٨.

(٢) سورة القمر: جزء من الآية ٢٠.

(٣) سورة الحاقة: جزء من الآية ٧.

(٤) ينظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ٥ / ٧٠، إعراب القرآن، الباقولي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي نور الدين جامع العلوم الأصفهاني (ت نحو ٥٤٣هـ)، المحقق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتب اللبنانية - بيروت، ط ٤، ١٤٢٠هـ، ٢ / ٥٦٧.

(٥) سورة الرعد: جزء من الآية ١٢.

(٦) الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين، ١ / ١٨٩.

(٧) ينظر: المذكر والمؤنث، الأنباري، أبو بكر محمد بن محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة (ت ٣٢٨ هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، وزارة الأوقاف - لجنة إحياء التراث - مصر (د ط)، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ٢ / ٢٠٠.

وسبب إضافة (بين) إلى اسم مفرد، لأن الهاء ضمير يعود إلى اسم يراد به الجمع^(١). والسحاب يكون واحدًا، وجمعًا. فمعنى تأليف الواحد: يضم بعضه إلى بعض. فجاز ﴿بَيْنَهُ﴾ وهو واحد، لأن المعنى بين أجزائه^(٢).

قال امرؤ القيس^(٣)، من البحر [الطويل]:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ^(٤).

"صَحَّتْ إِضَافَةٌ (بَيْنَ) إِلَى الدَّخُولِ لِأَشْتِمَالِهِ عَلَى مَوَاضِعَ، لِأَنَّ التَّقْيِيرَ بَيْنَ مَوَاضِعِ الدَّخُولِ"^(٥).

﴿سَحَابًا﴾: جمع سحابة والدليل قوله ﷺ: ﴿مُرِّيؤُفٌ بَيْنَهُ﴾ "وتذكيره للفظ"^(٦).

(١) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، ٣ / ٢٦.

(٢) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، ٣ / ٣٢٣، الكشاف، الزمخشري، ٣ / ٢٤٥.

(٣) امرؤ القيس: هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو ابن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث ابن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة أبو يزيد ويقال أبو وهب ويقال أبو الحارث الكندي، كان بأعمال دمشق وقد ذكر مواضع من أعمالها في شعره فمن ذلك قوله في إِحْدَى الْمُعْلَقَاتِ السَّبْعِ الَّتِي أَوْلَاهَا: قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ.... توفي سنة: ٥٤٥م، ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٩ / ٢٢٢، الترجمة (٨٠٧)، البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ، ٢ / ٢٧٧، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر - بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٨٠٣.

(٤) ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت ٥٤٥م)، المحقق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، ط ٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٢١.

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف جمال الدين (ت ٧٦١هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله،

دار الفكر - دمشق، ط ٦، ١٩٨٥م، ص ٢١٥.

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ٢ / ٥١١.

وقوله ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي: بين مفترق السحاب نفسه، لأن مفهوم السحاب يقتضي أن بينه فروجًا، وهذا كما تقول جلست بين الدور ولو أضيفت «بين» إلى مفرد لم يصح إلا أن تريد آخر، فلا تقول: جلست بين الدار إلا أن تريد وبين كذا^(١).
"وجاز ﴿بَيْنَهُ﴾ وهو واحد، لأنَّ المعنى بين أجزائه"^(٢).

القراءات المتواترة في آية السحاب

روى ورش^(٣) عن نافع، والأعشى^(٤) عن أبي بكر ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ لا يهمز.
وقالون^(٥) يهمز ﴿يُؤَلِّفُ﴾ وكذلك الباقون^(٦). وهذه القراءة متواترة.

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٤ / ١٨٩.

(٢) الكشف، الزمخشري، ٣ / ٢٤٥.

(٣) ورش: عثمان بن سعيد بن عدى بن غزوان بن داود بن سابق القفطي المقرئ المصري، يكنى: أبا سعيد، مولده بمصر سنة عشر ومائة، قرأ على نافع، مات في سنة سبع وتسعين ومائة وعمره سبع وثمانون سنة. ينظر: تاريخ بن يونس المصري، أبو سعيد، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي (ت ٣٤٧هـ)، جمع وتحقيق: د. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١ / ٣٣٨، الترجمة (٩٢٣).

(٤) الأعشى: أبو بكر، عبد الحميد بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر، سمع ابن أبي ذئب وسليمان بن بلال روى عنه أخوه إسماعيل وأيوب بن سليمان وإبراهيم بن المنذر في العلم والهيئة والتعبير وبدء الخلق والصلاة، مات سنة اثنتين ومائتين. ينظر: رجال صحيح البخاري = الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، الكلاباذي، أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن البخاري (ت ٣٩٨هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، ٢ / ٤٨٢، الترجمة (٧٣٨).

(٥) قالون: عيسى بن مينا المدني المقرئ، صاحب نافع، أما في القراءة فثبت، وأما في الحديث فيكتب حديثه في الجملة، روى عن محمد بن جعفر بن أبي كثير، وعبد الرحمن بن أبي الزناد. وعنه إسماعيل القاضي، وأبو زرعة، وطائفة، مات سنة عشرين ومائتين. ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣ / ٣٢٧، الترجمة (٦٦٢١).

(٦) ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص ٤٥٧، معاني القراءات، الأزهرى، ٢ / ٢١٠.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُمْ ﴿١﴾ (مِنْ خَلِّهِ) بِالْأَفْرَادِ (١). وهذه قراءة شاذة، لا تعد قرآناً.

تفسير القرآن بالقرآن

قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلِّهِ﴾. والودق هو المطر يخرج من خلال السحاب الذي هو المزن، وهو الوعاء الذي فيه الماء وبيّن أنّ السحابة تمتلئ من الماء حتى تكون ثقيلة لكثرة ما فيها من الماء في قوله ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ (٢). فقوله: ثقلاً جمع ثقيلة، وثقلها إنما هو بالماء الذي فيها، وقوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (٣).

وهذه الآيات القرآنية تدل على أنّ الله ﷻ يجمع الماء في المزن، ثم يخرج من خلال السحاب، وخلال الشيء ثقوبه وفروجه التي هي غير مسدودة، وبيّن جلّ وعلا: أنّه هو الذي ينزله ويصرفه بين خلقه كيف يشاء، فيكثر المطر في بلاد قوم سنة، حتى يكثر فيها الخصب وتتزايد فيها النعم، لينبئ أهلها في شكر النعمة، وهل يعتبرون بعظم الآية في إنزال الماء؟ ويقل المطر عليهم في بعض السنين، فنهلك مواشيهم من الجذب ولا تنبت زروعهم، ولا تنمر أشجارهم، لينبئهم بذلك، هل يتوبون إليه، ويرجعون إلى ما يرضيه؟ وبيّن أنّه مع الأنعام العام على الخلق بإنزال المطر بالقدر المصلح وإسكان مائه في الأرض ليشربوا منه هم وأنعامهم، ويتفعلوا به، لكن أبى أكثرهم إلا الكفر به، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

(١) البحر المحيط، ابن حيان، ٨ / ٥٥.

(٢) سورة الأعراف: جزء من الآية ٥٧.

(٣) سورة الرعد: جزء من الآية ١٢.

رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا
وَأَناسِيَ كَثِيرًا ﴿١﴾ (٢).

تفسير القرآن بالحديث

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ
فَصَاحُوا وَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَحِطَّ الْمَطَرُ وَاحْمَرَ الشَّجَرُ وَهَلَكَتِ الْبَهَائِمُ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ
وَفِيهِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الْأَعْلَى فَتَقَشَّعَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ. فَجَعَلَتْ تُمْطِرُ حَوْلَيْهَا وَمَا تُمْطِرُ
بِالْمَدِينَةِ قَطْرَةً. فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِنَّهَا لَفِي مِثْلِ الْإِكْلِيلِ (٣).
وفي رواية، قال أنس رضي الله عنه: فَرَفَعَ يَدَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَمَا أَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ
سَحَابٍ فَأَلْفَ بَيْنَ السَّحَابِ قَوْلَتَنَا (٤).

التفسير بالمأثور

فسر ابن عباس رضي الله عنه أجزاء الآية فقال: ﴿أَلْمَرَّتْ﴾ ألم تخبر في القرآن يا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم أن
الله يُرْجِي ﴿يَسُوقُ﴾ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ وَيُضْمُ بَيْنَ السَّحَابِ ﴿ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ بعضه
على بعض، يُقُولُ: يَجْعَلُهُ رُكَامًا ثُمَّ يُؤَلِّفُهُ مَقْدَمًا وَمُؤَخَّرًا ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ الْمَطَرُ ﴿يَخْرُجُ
مِنْ جِلْدِهِ﴾ ينزل من خلال السَّحَابِ ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾
يُقُولُ: يُنْزِلُ مِنْ جِبَالٍ فِي السَّمَاءِ بَرْدًا ﴿فَيَصِيبُ بِهِ﴾ فيعذب الله بالبرد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ مَنْ

(١) سورة الفرقان: الآيات ٤٨ - ٥٠.

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ٥ / ٣٢٨.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب صلاة الاستسقاء)، (باب الدعاء في الاستسقاء)، ٢ / ٦١٤،
٦١٥، (٨٩٧).

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٢٠ / ٣٢٠، (١٣٠١٦)، (صححه المحقق).

كَانَ أَهْلًا لَذَلِكَ ﴿وَيَصْرِفُهُ﴾ يَصْرِفُ عَذَابَهُ ﴿عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرِقُهُ﴾ ضوء برق السحاب ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ من شدة نوره^(١).

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٢) فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: أَي: "مَنْ بَيْنَ السَّحَابِ"^(٣).

التفسير البياني للآية

القول في تأويل قوله ﷺ: ﴿الْمَرَّتَرَ﴾ بِعَيْنِ عَقْلِكَ، وَالْمُرَادُ التَّنْبِيهُ إِلَى آيَاتِ اللَّهِ التَّالِيَةِ لِلِاسْتِفْهَامِ الْمَذْكُورِ، وَالْحَثُّ عَلَى رُؤْيَيْهَا، أَوْ التَّقْرِيرُ بِهَا. وَالخَطَابُ فِيهِ: إِمَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَطَابِهِ خَطَابَ لِأُمَّتِهِ؛ لِأَنَّهُ إِمَامُهَا، وَإِمَّا لِكُلِّ مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلخَطَابِ مِنَ الْمَكْفَلِينَ، وَالرُّؤْيَا هُنَا إِمَّا بَصْرِيَّةً، لِأَنَّ تَحْرِيكَ السَّحْبِ وَمَا يَتْلُوهُ مِنْ آثَارِ أَمْرٍ مَرْنِيٍّ لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ، وَإِمَّا عِلْمِيَّةً لِذَوِي الْبَصِيرَةِ وَالتَّأَمُّلِ^(٤).

(١) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروزآبادي، ص ٢٩٧، فهم القرآن ومعانيه، المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد (ت ٢٤٣هـ)، المحقق: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر - بيروت، ط ٢، ١٣٩٨هـ، ص ٤٨١.

(٢) أبو عبيدة: مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى النَّيْمِيُّ، تَيْمٌ فُرَيْشٌ مَوْلَى لَهُمْ. وَكَانَ مِنْ أَجْمَعِ النَّاسِ لِلْعِلْمِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا. وَأَكْثَرَ النَّاسِ رَوَايَةً، وَكَانَ يُقَالُ: أَنَّهُ خَارِجِيٌّ، قَدِمَ بَغْدَادَ، وَقُرِئَ عَلَيْهِ بِهَا أَشْيَاءٌ مِنْ كِتَابِهِ، وَأَسْنَدَ الْحَدِيثَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ وَغَيْرِهِ. حَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ طَرْخَانَ وَغَيْرِهِ، وَاسْتَمَرَ يُصَنَّفُ حَتَّى مَاتَ، وَلَمْ تَصْلُنَا تَصَانِيفُهُ، وَمِنْ مَصْنَفَاتِهِ "مَجَازُ الْقُرْآنِ"، وَبَلَغَ ثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَمِئَتَيْنِ. يَنْظُرُ: طَبَقَاتُ النُّحَوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ، الزُّبَيْدِيِّ، ص ١٧٥، الترجمة، (٩٢)، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٥ / ٣٣٨، الترجمة، (٧١٦٢).

(٣) مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٢ / ٦٨.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - مصر، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ١٤٤١ / ٦.

﴿يُرْجَى سَحَابًا﴾: يرسله برفق ومَهْل، لذلك لما وصف الأعشى^(١) مَشَى الفتاة
أنشد: من [البسيط]^(٢).

كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ^(٣).

﴿مِنْ﴾ حرف لابتداء الغاية لِأَنَّ ابْتِدَاءَ الْإِنْزَالِ مِنَ السَّمَاءِ^(٤).

﴿خَالِهِ﴾: من فتوقه ومخارجه، وخل واحد خلال مثل جمل وجمال، وهو واحد
يدل على جمع^(٥).

(١) الاعشى: مَيْمُونُ أَبُو بَصِيرٍ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ وَهُوَ شَاعِرٌ مَشْهُورٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَاتَ

فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنْ مَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ أَوْلَاهَا مِنَ الْبَحْرِ [الطويل]:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا... وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدًا

ينظر: معجم الشعراء، المرزباني، الإمام أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ)، المحقق :

د. ف. كرنكو، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ص ٤٠١، نزهة

الألباب في الألقاب، العسقلاني، ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد

(ت ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١،

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ١ / ٨٥، الترجمة (١٨٥).

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ١٧ / ١٠٢٩٥.

(٣) بلاغات النساء، ابن طيفور، ص ١٦٥، غريب الحديث، ابن قتيبة، ٢ / ٥٥٧.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي، ٣ / ٣٢٤، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، أبو

الحسن علاء الدين علي محمد إبراهيم بن عمر الشحي (ت ٧٤١هـ)، المحقق: محمد علي

شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ، ٣ / ٣٠٠، زاد المسير في علم

التفسير، ابن الجوزي، ٣ / ٣٠١.

(٥) ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ٣ / ٩٨.

قال زيد الخيل^(١): من [الوافر]

ضَرَبَ بَعْمَرَةَ فَخَرَجْنَا مِنْهَا ... خُرُوجَ الْوَدْقِ مِنْ خَلْلِ السَّحَابِ^(٢).

وفي قوله ﷺ: ﴿الْمُتَرَانَّ اللَّهُ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ والسحاب جمع، وذكر الكِنَايَةَ عَلَى اللَّفْظِ^(٣).

التفسير العقائدي لآية السحاب

من الأدلة الكونية على وجود الله ﷻ وتوحيده وقدرته، قوله ﷺ: ﴿الْمُتَرَانَّ اللَّهُ

يُزْجِي سَحَابًا﴾ ذكر من حججه شيئاً آخر، أي: "الْمُتَرَانَّ بِعَيْنِي قَلْبِكَ"^(٤).

ومن اللطائف العلمية في الآية مظاهر عظمة الله في الكون، فحينما نشاهد مظاهر النظام والانسجام في الكون من جهة، والتنسيق ووحدة العمل فيه من جهة أخرى، نفهم وجود مبدأ واحد للعلم والقدرة صدرت منه كل هذه المظاهر^(٥).

(١) زَيْدُ الْخَيْلِ: زَيْدُ بْنُ مُهَلِّهِلٍ مِنْ بَنِي تَبَهَانَ، قَدِمَ وَفِدَا طَيْبِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا، رَأْسُهُمْ وَسَيْدُهُمْ زَيْدُ الْخَيْرِ، عَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمُوا وَجَارَهُمْ بِخَمْسِ أَوَاقٍ فِضَّةٍ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، وَأَعْطَى زَيْدٌ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا ذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا ذُكِرَ لِي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ زَيْدٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ كُلَّ مَا فِيهِ. وَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدَ الْخَيْرِ وَقَطَعَ لَهُ فَيْدًا وَأَرْضِينَ فَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ كِتَابًا وَرَجَعَ مَعَ قَوْمِهِ، فَلَمَّا كَانَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: الْفَرْدَةُ مَاتَ هُنَاكَ، يَنْظُرُ: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ١/ ٢٧٧، ٢٨٨، الترجمة (٧٤٠).

(٢) شعر زيد الخيل الطائي، زيد الخيل، المحقق: د. أحمد مختار البرزة، دار المأمون للتراث - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٦٤، مجاز القرآن، التيمي، معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، المحقق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي - مصر، ط ٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ٢/ ٦٩.

(٣) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ٧/ ١١٢.

(٤) الجامع لإحكام القرآن، القرطبي، ١٢/ ٢٨٧.

(٥) ينظر: جامع لطائف التفسير، القماش، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحميد، إمام وخطيب مسجد المرحوم يوسف بورسلي - رأس الخيمة، (د ط)، (د ت)، ٣/ ٢٨.

ومن مشاهد هذا الكون التي يمر عليها الناس غافلين وفيها متعة للنظر، وعبرة للقلب، ومجال للتأمل في صنع الله وآياته، وفي دلائل النور والهدى والإيمان، في قوله ﷺ: ﴿الْمُتَرَانَّ اللَّهُ يُزْجِي سَحَابًا تُؤَلَّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ (١)(٢).

في هذه الآية عرض محسوس لقدرة الله، بعد عرض غير المحسوس، فالنظر المطلق الشامل للوجود كله، وما قام عليه من نظام إلفات إلى ظاهرة من ظواهر الطبيعة، التي يشهدها الناس جميعًا في كلِّ زمان ومكان. من أنشأها؟ ومن سيرها؟ ومن حدّد لها خط مسيرها؟ ومن وقف بها عند غاية معلومة لها؟ ألا فليعلم أنّ الله ﷻ هو الذي أنشأها، وسيرها، وحدّد لها وجهتها، وأمسك بها عند الغاية المحددة لها (٣).

والذي حكاه القرآن من سَوَقِ اللَّهِ ﷻ للسحب ثم تجميعها، ثم تحويلها إلى قطع ضخمة متراكمة متكاثفة كقطع الجبال، يراه راكب الطائرات بوضوح وتسليم بقدره الله ﷻ، الذي أحسن كل شيء خَلْقَهُ (٤).

وخلاصة القول في الآية كأنما قال ﷻ لنبيه ﷺ: انظر أيها الرسول الكريم إلى السحاب، يسوقه الله بقدرته أول ما يُنشئه، ثم يجمع بين ما تفرق من أجزائه ثم يجعل بعضه متراكماً فوق بعض، فينزل المطر من فتوقه (٥).

(١) سورة النور: الآية ٤٣.

(٢) ينظر: في ضلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٥٢٢..

(٣) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، ٩/ ١٢٩٥.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ١٠/ ١٣٧.

(٥) ينظر: تفسير المراغي، المراغي، ١٨/ ١١٦.

التفسير العام للآية

الخطاب في الآية للنبي ﷺ ويشمل كل سامع، والمعنى: ألم تر أنت وكل من يرى أن الله يدفع بالرياح سحبًا متفرقًا ثم يؤلف بينه ثم يجعله متراكمًا بعضه على بعض فتري المطر يخرج من خلاله فينزل على الأرض^(١).
ويُزجي معناه يسوق، والإجزاء إنما يستعمل في سوق كل ثقل ومدافعتة كالسحاب والإبل^(٢).

وفي الآية استعراض لقدرة الله ﷻ وسلطانه المتمكن في هذا الوجود.
وفي الآية صور ثلاث لمشاهد السحاب: يولد أولًا دخانًا رقيقًا، ثم يدفعه الريح في خفة ويسر، ثم يجتمع هذا السحاب بعضه إلى بعض، فيتكاثف شيئًا فشيئًا، ثم يتدافع هذا السحاب، ويدخل بعضه في بعض، فإذا هو ركام كالجبال. وفي قوله ﷻ: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ﴾ إلفات إلى مولد المطر من هذا السحاب.

وليس يدرك سر هذه اللفظة إلى قطرات الماء وهي تتساقط من السحاب، إلا من عاش في الصحراء وشهد آثار الماء حين ينزل إلى الأرض، ويبعث الحياة والحركة في جمادها ونباتها وحيوانها، إنها عملية خلق وبعث جديدين لهذا الجسد الكبير الهامد^(٣).

التفسير العلمي لآية السحاب

القرآن المبارك كتاب هداية وإرشاد، وليس من مهمته الحديث عن حقائق الوجود العلمية، ومع ذلك لم تخلُ آياته من التعبير عن حقائق كثيرة أثبتتها العلم الحديث، والعلم الحديث يؤكد أنّ السحاب مكهرب، وأنّ الموجب والسالب يتجاذبان، كما أثبت

(١) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي، ١٥/١٦.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٤/١٨٩.

(٣) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٩/١٢٩٦ - ١٢٩٩.

(فرانكلين)^(١) لأول مرة عام ١٧٥٢م، فالتأليف بين السحاب إشارة واضحة، ووصف دقيق للتقريب بين السحاب مختلف الكهربائية وهذا المفهوم الحديث لا يتناقض مع مفهوم المفسر القديم، الذي يرى في التأليف أو التلقيح مجرد ضمّ السحابة إلى سحابة أخرى. وهكذا وجدنا أنّ اختزان المفردة للمعاني الكثيرة يتجلى في عدة مجالات، والقادمي قدّموا أفكارًا جيدة في وقتهم، وعندما تقدمت فنون البلاغة وضعوا هذه السمة تحت عناوينهم المختلفة، وهم وإن اعتمدوا النقل عن أسلافهم، فقد أبدوا تأملات لهم تدلّ على تذوق وتدبّر^(٢).

وكان العلماء يمرون بكلمات آية السحاب ويرونها مجازًا من المجازات البلاغية فحسب، بينما هي حقيقة من أمهات الحقائق الكونية، فقله ﷺ: ﴿ثم يؤلف بينه﴾ هو مفتاح الآية الكريمة، لأنها تدل بوضوح على الحقيقة الكهربائية التي تقوم عليها تلك الظواهر الجوية كلها، فإن التأليف بين السحاب ما هو إلا إشارة واضحة. بل ووصف دقيق للتقريب بين السحاب المختلفة الكهربائية، حتى يتجاذب، ويتفق مع إرادة الله ﷻ أن يخلقه من بين السحاب: من برق، وصواعق، ومن مطر أو برد. فإذا كان السحاب المتجاذب بعضه فوق بعض، نشأ السحاب الركام. فإذا حدث التفريغ داخل السحاب بين بعض تلك الطبقات كما هو الغالب، نزل المطر الناشئ عن ذلك التفريغ من خلال الطبقات الدنيا، وتكبر قطراته أثناء نزولها بما تستلحقه من القطيرات، وهو الودق^(٣).

(١) فرانكلين، بنجامين Franklin, Benjamin (١٧٠٦ - ١٧٩٠م) كاتب وناشر وموظف عام، وعالم ودبلوماسي أمريكي، من أوائل الذين أجروا تجارب على الكهرباء، ينظر: الموسوعة العربية العالمية، دائرة المعارف العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع - الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ١٧ / ٢٧٨.

(٢) ينظر: جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي - دمشق، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص ٢٨٢.

(٣) ينظر: نظرات في القرآن الكريم، محمد الغزالي، دار نهضة مصر - مصر، ط ١، (د ت)، ص ١١٧، ١١٨.

ولا يزال القرآن يُشرح ويُفسر ويُميط اللثام عن نواح كثيرة من أسراره وإعجازه مصداقاً لقوله جل ذكره: ﴿سَزُّوهُمْ عَائِتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١)(٢).

وآية السحاب تشير إلى مسألة دقيقة وهي الألفة، لأن السحاب لا يأتلف صدفةً، بل على قاعدة منتظمة فنية اطلع عليها علماء عصرنا، فقالوا: إنَّ قطع السحاب لا تأتلف إلا بتغاير نوع الكهربائية التي تحملها كل قطعة منه، أما تماثل قواها فيقضي بتدافعها وتشتتها كما يشاهد عند تفرقه وتلاشيه في أيام الصيف وغيره، سواء أكان ثقلاً أو جهاًماً. وقالوا: إنَّ قسماً من أوكسجين الهواء يتحد مع الهيدروجين بواسطة الشرارة الكهربائية الحاصلة من البرق فيتولد الماء، وهذا الاتحاد يسميه الكيميائيون بالألفة الكيميائية وهي سر من أسرار الغيب (٣).

ونرى تشبيه السحاب الذي أزجاه الله ﷻ بالجبال، وهذا لا يبدو للسائر على سطح الأرض، ولا للواقف على آكامها ومرتفعاتها، وما كان ذلك معلوماً عند العرب، ولكن الذي يرتفع فوق السحاب في الطائرات التي تقطع أجواء الفضاء يرى السحاب جبلاً. وإنَّ هذا بلا شك نوع من العلم بالكون فوق ما فيه من دلالة على إعجاز القرآن، إذ أنَّ ذلك الوصف لا يمكن أن يكون من محمد ﷺ، لأنه لم يرتفع حتى يكون فوق السحاب، فلا بُدَّ أن يكون الوصف بعلم الله ﷻ، والكلام كله من عند ﷻ، لا من عند محمد ﷺ. ونرى أوصافاً كثيرة للأرض والسماء لا تكون من الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، أو لا يعلم علوم الكون وما يجري فيه، وما كانت معروفة عند العلماء في عصر نزول

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم، المحقق: فواز أحمد

زمرلي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م، ١/ ٢٠.

(٣) ينظر: بيان المعاني، ابن ملاً حويش، ٦/ ١٤٤.

القرآن، كالعلم بطبقات الأرض والسماء، ذكرها القرآن، والباحثون لا يزالون دائبين في البحث عنه، وعلمهم يُصدَّق بالقرآن^(١).

وجاء في التفاسير المعاصرة في قوله ﷺ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ﴾، "مِنْ فُتُوقِ السَّحَابِ وَمَخَارِجِهِ رَشَاشًا؛ لِأَنَّهُ لَوْ نَزَلَ مُجْتَمِعًا لِأَهْلِكَ مَا سَقَطَ عَلَيْهِ"^(٢).

(١) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، ص ٣٧٠.

(٢) العَدْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، الشَّنْقِيطِيُّ، ١ / ٥٣٢.

المطلب الثالث

إلته الإيمان والعمل الصالح

ورد لفظ الإيمان معطوفاً على العمل الصالح في القرآن الكريم: ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ خمسين موضعاً، والعمل الصالح من لوازم الإيمان ويأتلف معه. واختلف أئمة المسلمين حول العمل الصالح داخل في مُسَمَّى الإيمان أم لا، وتفصيله في كتب العقائد.

اخترت آيتين تكرر فيهما لفظ الإيمان:

الآية الأولى: قوله ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). نزلت فيمن تعاطى شيئاً من الخمر والميسر قبل التحريم، ومعنى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أي: شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار قبل تحريمهما ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَوءَامَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد الإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ الخمر والميسر بعد التحريم ﴿وَوءَامَنُوا﴾ بتحريمهما ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ سائر المحرمات. أو ﴿اتَّقَوْا﴾ الأول عن الشرك والثاني عن المحرمات والثالث عن الشبهات، ﴿وَأَحْسَنُوا﴾ إلى الناس^(٢).

واختلف أهل التفسير في تفسيرها، فمنهم من فسرها: برفع الجُنَاح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها إذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوا ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على

(١) سورة المائدة: الآية ٩٣.

(٢) مدارك التنزيل، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت ٧١٠هـ)،

المحقق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م،

التقوى والإيمان ثم اتقوا وأحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم، أو أحسنوا إلى الناس أي: واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات^(١).

وفي سبب نزول هذه الآية قال أنس رضي الله عنه: كُنْتُ سَاقِي الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْفُضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي: «أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ». قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا، فَحَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَّتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾^(٢).

الآية الثانية: قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾^(٣). بداية الآية تعم المهاجرين والأنصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم، ﴿وَأَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ تخصيص للمُنزَّل عليه مما يجب الإيمان به تعظيمًا له وإشعارًا بأن الإيمان لا يتم دونه، وأنه الأصل فيه، ولذلك أكده بقوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ "اعتراضًا على طريقة الحصر"^(٤). ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، حقيقة البال خاطر الذي في القلب^(٥).

كما في قوله ﷻ: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، أي حالتهم الباطنية، ووقفهم في تحولات أمورهم وفي جريان حياتهم. والفرق بين الحالة والبال: أنَّ الحالة أعمُّ من

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ١/ ٦٧٦.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ)، باب ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، ٦/ ٥٤، (٤٦٢٠).

(٣) سورة محمد: الآية ٢.

(٤) تفسير البيضاوي، البيضاوي، ٥/ ١١٩.

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ، ٢/ ٢٨٠.

التحوّل في الظاهر أو الباطن، والبال يطلق على الحالة الباطنيّة، وإنّ أكثر استعمال البال في الحالة التي يلازمها الضيق^(١).

الإرادة الشرعية والكونية

الإرادة الشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله ﷻ، والإرادة الكونية تكون فيما يحبه وما لا يحبه. فمثلاً الإيمان والعمل الصالح مراد لله شرعاً لا كوناً، لأن من الناس من لم يؤمن ولم يعمل صالحاً، ولو كان مراداً لله كوناً وقدرًا للزم أن يؤمن الناس كلهم ويألفون الأعمال الصالحة^(٢).

الجزاء للذين آمنوا وعملوا الصالحات

قال ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾^(٣). المعنى: وإن الذين صدّقوا بالله ورسوله، وعملوا ما أمرهم به ربهم، فأصلحوا نفوسهم، وأدوا فرائضهم، لنحشرنهم في زمرة الصالحين من الأنبياء والأولياء، لا في زمرة الوالدين المشركين، وإن كانا أقرب الناس إليه في الدنيا، فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب حباً دينياً^(٤).

وفي قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾، هاهنا إضمارٌ، لأنّ قائلاً لو قال: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا جَعَلْتُهُ فِي جُمْلَةِ الصَّالِحِينَ) لَمْ يَكُنْ

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، الشيخ حسن، مؤسسة الطباعة والنشر

وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، ط ١، ١٤١٧هـ، ص ٣٥٨.

(٢) ينظر: شرح العقيدة السفارينية = الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، ابن عثيمين محمد

بن صالح بن محمد (ت ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر - الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م،

ص ١٨٩.

(٣) سورة العنكبوت: الآيتان ٨، ٩.

(٤) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٠/٢٠٢.

فَائِدَةٌ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى لِنُدْخُلَنَّهُمْ فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ^(١). ومن أوجه البلاغة تأتي (في) بمعنى (مع)، أي: مع الصَّالِحِينَ، يعني أهل الجنة^(٢).

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مَرْفُوعٌ لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٣). لَكِنَّهُ لَا يَرْتَفِعُ إِلَّا بِالْكَلِمِ الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ يَصْعَدُ بِنَفْسِهِ، وَالْإِيمَانُ يَرْفَعُ الْعَمَلَ فَالْعَمَلُ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ لَا يَقْبَلُ، وَهَاهُنَا لَطِيفَةٌ، وَهِيَ أَنَّ أَعْمَالَ الْمُكَلَّفِ ثَلَاثَةٌ: عَمَلٌ قَلْبِهِ وَهُوَ فِكْرُهُ وَاعْتِقَادُهُ وَتَصَدِيقُهُ، وَعَمَلٌ لِسَانِهِ وَهُوَ ذِكْرُهُ وَشَهَادَتُهُ، وَعَمَلٌ جَوَارِحِهِ وَهُوَ طَاعَتُهُ وَعِبَادَتُهُ. فَالْعِبَادَةُ الْبَدَنِيَّةُ لَا تَرْتَفِعُ بِنَفْسِهَا وَإِنَّمَا تَرْتَفِعُ بِغَيْرِهَا، وَالْقَوْلُ الصَّادِقُ يَرْتَفِعُ بِنَفْسِهِ^(٤).

روي عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»، وروي عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ إِيْمَانٍ» مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ»^(٥).

تعدد الجزاء للذين آمنوا وعملوا الصالحات

قال ﷺ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾^(٦). أي: يشفعون في إخوان إخوانهم، ولذلك حث جماعة من السلف

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣ / ١٤٩.

(٢) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء البصري ثم الإفريقي (ت ٢٠٠هـ)، المحقق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع - تونس، (د ط)، ١٩٧٩م، ص ٢٢٦.

(٣) سورة فاطر: جزء من الآية ١٠.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٨ / ٣٤.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْإِيْمَانِ)، (بَابُ زِيَادَةِ الْإِيْمَانِ وَتُقْصَانِهِ)، ١ / ١٧، (٤٤).

(٦) سورة النساء: الآية ١٧٣.



على الصحبة والألفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد^(١).

وقال ﷺ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وقال ﷺ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وقال ﷺ: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾^(٤).

وقال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ

الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥). نكر الله في الآية نوعين من أعمال العبد: الإيمان والعمل الصالح، وذكر في مقابلتهما من أفعال الله أمرين: تكفير السيئات وهو في مقابلة الإيمان، والجزاء بالأحسن وهو في مقابلة العمل الصالح^(٦).

قال ﷺ: ﴿لَيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

كَرِيمٌ﴾^(٧). ذكر ﷺ في الذين آمنوا وعملوا الصالحات أمرين: الإيمان، والعمل

الصالح، وذكر لهم أمرين: المغفرة والرزق الكريم، فالمغفرة جزاء الإيمان فكل مؤمن مغفور له لقوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ

بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٨). وقوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا

(١) ينظر: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، المرتضى، ٦ / ١٩٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٧.

(٤) سورة الكهف: الآية ٨٨.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٧.

(٦) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٠ / ١٩٦.

(٧) سورة سبأ: الآية ٤.

(٨) سورة النساء: جزء من الآية ٤٨، ومن الآية ١١٦.

نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿١﴾. والرزق الكريم جزاء العمل الصالح.

وتكرر الجزاء ثلاث مرات للذين آمنوا وعملوا الصالحات في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢).

سنة القرآن اقتران الإيمان بالعمل الصالح

الغالب في القرآن أن يُقرن الإيمان بالعمل الصالح كما في قوله ﷺ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ (٣) (٤).

وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا فَدَعِمَلُ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٥)، "حيث قرن ﷺ الإيمان بالعمل الصالح، ومعنى هذا ان الإيمان بلا عمل لا يُجدي صاحبه شيئاً" (٦).

وكقوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (٧). وذكر الله ﷻ في موضع، التوحيد والإيمان الخالص ولم يحمل عليه الوعد بالأجر واستحقاق الكرامة في دار المقامة إلا بعد أن قيده بإحسان العمل، فقال ﷺ: ﴿بَلَى مَنْ

(١) سورة محمد: الآية ٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٧.

(٣) سورة الروم: الآيات ١٤ - ١٦.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢١ / ١١٧، ١١٨.

(٥) سورة طه: الآية ٧٥.

(٦) التفسير الكاشف، مغنية، (ت ١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م،

٢٣٠ / ٥.

(٧) سورة الكهف: الآية ١٠٧.

أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۗ ﴿١﴾.

وفي مواضع قدم لفظ العمل الصالح على الإيمان كما في قوله ﷺ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (٢)، وهذا في معنى الآيات التي نفى أَمَانِي الْمُسْلِمِينَ كَمَا نَفَى أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وَجَعَلَ أَمْرَ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ مَنُوطًا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مَعًا. وَكَقَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ وَكِيلُونَ﴾ (٣) (٤).

وَإِنَّ الْإِيمَانَ الْخَالِصَ لَا يَكْفِي وَحْدَهُ لِلنَّجَاةِ، بَلْ لَا بَدَّ أَنْ يَقْتَرْنَ بِإِحْسَانِ الْعَمَلِ أَيُّ بَانَ يَتَّبِعُ الْإِيمَانَ سَلُوكًا وَخُلُقًا مَلْمُوسًا فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ. وَأَوَّلُ خَاصِيَّةٍ مِنْ خِصَائِصِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي الْإِسْلَامِ ارْتِبَاطُ الْإِيمَانِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَالْإِسْلَامُ عَقِيدَةٌ وَعَمَلٌ، وَهُوَ مَا أَكَّدَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالرِّبْطِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، سِوَاءِ بَصِيغَةِ الْفَرْدِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جُزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (٥). أَوْ بَصِيغَةِ الْجَمَاعَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٦).

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ١١٢.

(٢) سورة النساء: الآيتان ١٢٣، ١٢٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٤.

(٤) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١ / ٣٥١.

(٥) سورة الكهف: الآية ٨٨.

(٦) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٥.

"وَمِنْ سُنَّةِ الْقُرْآنِ أَنْ يُفْرَنَ الْإِيمَانَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي مَقَامِ الْوَعْدِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ الْحَقِيقِيَّ الْمَقْرُونِ بِالْإِذْعَانِ يَتَّبِعُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ حَتْمًا لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهُ"^(١). قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(٣).

وقوله ﷺ: ﴿يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾: جاءت ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ بالجمع لنتوعها وكثرتها فهي وإن ضبطها ضابط الصلاح مفترقة متنوعة فالإصلاح بين الناس، والمعاملة الحسنة، والوفاء بالعهد، وغير ذلك من مكارم الأخلاق، والبعد عن ضلالها^(٤). وإذا غُطِفَ الإيمان على العمل الصالح، كقوله ﷺ: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾^(٥). انصرف الإيمان إلى الاعتقاد القلبي، وصار الإصلاح بعده يُرادُ به الأعمال^(٦). وفي قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(٧). جملة ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ حالية يراد بها قيد الإيمان بالعمل، بل والعمل الحسن^(٨).

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣ / ٨٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٧.

(٣) سورة الإسراء: جزء من الآية ٩.

(٤) ينظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٨ / ٤٣٤١.

(٥) سورة الأنعام: جزء من الآية ٤٨.

(٦) ينظر: العُدْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنَقِيطِيِّ فِي النَّقْسِيرِ، الشَّنَقِيطِيُّ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت ١٣٩٣هـ)، المحقق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، ط ٢، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ١ / ٢٨٣.

(٧) سورة البقرة: جزء من الآية ١٢٥.

(٨) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ٣ / ٩١١.

وبين الإيمان والعمل الصالح ألفة وثيقة، فإذا قوي أحدهما قوي الآخر، ومن أهمل عمل الصالحات لا يلبث أن يُضمر الإيمان في قلبه ويموت^(١).

وفي تقديم الإيمان على العمل الصالح إشارة إلى انبثاق العمل الصالح من الإيمان، فالإيمان هو الذي يدفع صاحبه إلى الخير ويَزَعُه عن الشر. وفي ربط الإيمان بالعمل الصالح إشارة إلى وجوب تلازمهما واعتبار العمل الصالح عنواناً أو مظهرًا للإيمان، وهذا التلازم والإتلاف بين الإيمان والعمل الصالح يُلاحظ في جُل الآيات القرآنية مما يمكن أن يدل على قصد الإشارة إلى شدة الارتباط واللحمة والتوافق بينهما وتوكيدهما. وإذا لوحظ أن الإيمان شيء داخلي أو ذاتي في أعماق النفس لا يمكن أن يدل على نفسه بنفسه، ولا يمكن أن يدل عليه إلا العمل الصالح، والإيمان بالله ﷻ يجعل صاحبه يقبل على الخير والعمل الصالح وينقبض عن الشر والإثم والسيئات ابتغاء لوجه الله واتقاءً لغضبه واكتساباً لرضائه ورضوانه، دون أن يكون هناك حافز من منفعة عاجلة^(٢).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»^(٣).

وتطبيق قاعدة السببية في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾^(٤)، أي: بسبب إيمانهم يهديهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة، ومفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية وهو الإيمان والعمل الصالح، لكن دل

(١) ينظر: كتاب توحيد الخالق، الزنداني، الشيخ عبد المجيد، مكتبة المثني - بغداد، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٥٤.

(٢) ينظر: التفسير الحديث، دروزة، ١/ ٥٦٨.

(٣) السنة، ابن أبي عاصم، (باب ما يجب أن يكون هوى المرء تبعاً لما جاء به النبي ﷺ)، ١٢/١، (١٥)، الأربعون النووية، النووي، ص ١١٣، (٤١)، (حسنه المؤلف).

(٤) سورة يونس: جزء من الآية ٩.

المنطوق في قوله ﷺ: ﴿بِإِيمَانِهِمْ﴾ يدل على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالنتمة والرديف له^(١).

وَعَلَاقَةُ الْإِيمَانِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَكَوْنُ كُلِّ مِنْهُمَا يَمُدُّ الْآخَرَ وَيَسْتَمِدُّ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْقَهُ هَذَا وَيَتَوَخَّهْ لَمْ يَفْقَهُ فِي دِينِهِ^(٢).

والعمل الصالح إن كان صالحًا بحقٍ يفيد صاحبه في الدنيا، لكن لا يفيد في الآخرة إلا أن يكون صادرًا عن إيمان بالله، لكي يرتبط الإيمان بالعمل الصالح حيث لا يستغني أحدهما عن الآخر^(٣). فمن ضوابط العمل الصالح الإيمان قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾^(٤)، وإن أعمال الكفار يوم القيامة تكون هباءً منثورًا إذا فقد التوحيد قال ﷺ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٥).

هُنَاكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تَقْرَنُ الْإِيمَانَ بِالْعَمَلِ، فَالْإِيمَانُ الْحَقُّ هُوَ الْإِيمَانُ الَّذِي يَصْدُرُ عَنْهُ السُّلُوكُ وَيَنْبَعُ مِنْهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَيَخْرُجُ مِنْهُ الْخُلُقُ الْكَرِيمُ، فَحَسَنُ الْخُلُقِ وَالْإِحْسَانُ وَالْمُودَةُ وَالْأَلْفَةُ وَاجْتِنَابُ الْكِبَائِرِ وَالتَّمَسُّكُ بِالْفَضَائِلِ يَجِبُ أَنْ تَصْدُرَ عَنْ هَذِهِ

(١) ينظر: تفسير البيضاوي، البيضاوي، ٣/ ١٠٦.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١١/ ٤١٦.

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم - مصر، (د ط)، ١٩٩٧م، ١٨/ ١١٤٩٥.

(٤) سورة المائدة: جزء من الآية ٥.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٢٣.

العقيدة^(١). والعقيدة الإسلامية تتعدى مجال القلب إلى العمل، ويُذمُّ المسلم أن يقول خلاف ما يفعل^(٢)، كما جاء في قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣)، وإذا قرِنَ الإيمانُ بالعملِ الصالحِ، من بابِ عطفِ الخاصِ على العامِ. والمرادُ بالإيمانِ التصديقَ بالقلبِ، وبالعَمَلِ عملَ الجوارحِ. فذكرَ الإيمانَ ثمَّ عطفَ عليه أعمالَ الجوارحِ^(٤). كما في قوله ﷺ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٥).

وجاء في سورتين أقسم الله بهما أن الإنسان لا يُنجيه أي شيء إلا الإيمان والعمل الصالح:

(١) ينظر: معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن محمد عبد

المحسن الأنصاري، مجلة الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، السنة الثامنة والعشرون -

١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ، ١ / ٤٤٢.

(٢) ينظر: بناء المجتمع الإسلامي، د. السمالوطي، نبيل، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة

- القاهرة، ط ٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ١٣٦.

(٣) سورة الصف: الآيتان ٢، ٣.

(٤) ينظر: روائع التفسير، ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن السلامي البغدادي

ثم الدمشقي زين الدين (ت ٧٩٥هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة -

السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١ / ١٣٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

أقسم ﷺ: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (١).

وقال ﷺ: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٢). فالاستثناء في سورة التين على مذهبين، المذهب الأول: يَكُونُ الْإِسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلًا مِنْ صَمِيرِ ﴿رَدَدْنَاهُ﴾، فَإِنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ، أَي: رَدَدْنَا الْإِنْسَانَ أَسْفَلَ سَافِلِينَ مِنَ النَّارِ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٣)، وعلى المذهب الثاني: منقطع. أي: ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمي فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله ﷻ بالشيخوخة والهرم، وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم (٤). أما في سورة العصر فجاء الاستثناء متصلاً (٥).

وحكمة الله ﷻ لما قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ضيق الاستثناء وخصصه، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. بينما قال في سورة التين: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ وسع الاستثناء وعممه، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ولم يقل: ﴿وَتَوَاصَوْا﴾؛ فإن معنى التَّوَاصِي هو أمر الغير بالإيمان والعمل الصالح، وهو قدر زائد على مجرد فعله، فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح، فصار في خسر، ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين، فإنَّ الإنسان قد يقوم بما يجب عليه ولا يأمر غيره به، فإنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة

(١) سورة العصر: جميع آياتها.

(٢) سورة التين: الآيات ١-٦.

(٣) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٥ / ٥٦٨.

(٤) ينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري، ٤ / ٧٧٤.

(٥) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، ٤ / ٥٠٩.

زائدة؛ وقد يكون فرضاً على الأعيان، وقد يكون فرضاً على الكفاية، وقد يكون مستحباً^(١).

مَدْحُ الْقُرْآنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

ومن الآيات التي مدحت من آمن وعمل صالحاً ووصفت أعمالهم، وبينت مكانهم في الآخرة قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٢). كذلك نجد القرآن كلما ذكر المؤمنين بمدح أو بوصف جميل أو أجرٍ جليل، شفع الإيمان بالعمل الصالح كما في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيَّةَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^{(٣)(٤)}.

تقديم لفظ العمل الصالح على الإيمان في بعض الآيات

وتقديم العمل الصالح على الإيمان في بعض الآيات، يخضع للقاعدة الأساسية في التقديم والتأخير، وهي أن يُقدَّم الأهم؛ الذي يقتضيه السياق لا الأهم في ذاته، ولذلك قال ﷺ في سياق تخطئة المفخرين بدينهم بالأمانى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾^(٥). بعدما قال في الآية التي قبلها: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلٍ

(١) ينظر: التبيان في أيمان القرآن، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١)، المحقق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٩هـ، ص ١٣٤.

(٢) سورة البينة: الآية ٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦٢.

(٤) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي، سيد محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط ٥، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ١٥/٦.

(٥) سورة النساء: الآية ١٢٤.

الْكِتَابِ ^ط مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١﴾. فَالسِّيَاقُ لِيَبَيِّنَ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْعَمَلِ بِالذِّينِ، لَا بِالِانْتِمَاءِ إِلَيْهِ وَالِي الرَّسُولِ الَّذِي جَاءَ بِهِ وَالْفَخْرُ بِذَلِكَ، فَقَدَّمَ ذِكْرَ الْعَمَلِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَالسِّيَاقُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ هُوَ بَيَانُ أَحْوَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي عَصْرِ نَبِيِّنَا ﷺ فَكَانَ الْمُهِمُّ أَوْلًا بَيَانِ إِيْمَانِ خِيَارِهِمْ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ كَأِيْمَانِهِمْ بِمَا أُنْزِلَ إِلَى أَنْبِيَائِهِمْ مِنْ قَبْلِهِ، ثُمَّ كَوْنُ هَذَا الْإِيْمَانِ إِذْعَانِيًّا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَكَتَفَى مِنْهُ بِأَعْلَى أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ، ثُمَّ حَتَمَ الْكَلَامَ بِوَصْفِهِمْ بِأَوَّلِ صِفَاتِ الْكَمَالِ؛ أَيَّ بِالْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿لَكِنَّ الرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢). يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي آخِرِ الْآيَةِ: الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ: الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (٣).

وقال ﷺ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (٤).

وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (٥).
وقال ﷺ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ وَكِيلُونَ﴾ (٦).

(١) سورة النساء: الآية ١٢٣.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٢.

(٣) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٦ / ٥٤.

(٤) سورة النحل: جزء من الآية ٩٧.

(٥) سورة طه: الآية ١١٢.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٩٤.

وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).

التمييز بين المسلم وغيره

من البديهي أن العمل المرضي عند الله ﷻ هو الذي يشترط لقبوله شرط ضمنى هو اعتناق الإسلام، أي: الإيمان به، ولهذا قرن الله ﷻ العمل الصالح بالإيمان، والمقصود به اعتناق الإسلام بعد أن بعث الله ﷻ محمدًا ﷺ رسولاً إلى العالمين، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢). وعلى هذا إذا قام الشخص بالعمل وفق الشرع الإسلامي من حيث الظاهر، أي: من حيث توفر أشكال العمل الظاهرية المطلوبة في الشرع الإسلامي، وكان قصد صاحبه مرضاة الله، ولكنه لم يؤمن بالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، فإن عمله مردود عليه ولا أجر فيه ولا ثواب (٣).

الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان شرط إجراء الأحكام في الدنيا حتى أن من صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من البيان كان مؤمناً عند الله ﷻ غير مؤمن في أحكام الدنيا، كما أن المنافق إذا وجد منه الإقرار دون التصديق كان مؤمناً في أحكام الدنيا لوجود شرطه وهو الإقرار، كافراً عند الله ﷻ لعدم التصديق (٤).

(١) سورة غافر: جزء من الآية ٤٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٣) ينظر: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٩، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٤٠.

(٤) ينظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام، البزدوي، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (ت ٧٣٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ١/٢٧٤.

ميز الله ﷻ بين أهل الكفر والإيمان بقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ فَإِنَّهُ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ لَهُمْ يَمَّهْدُونَ﴾^(١). أي: فهو بيان لما في قوله ﷻ: ﴿فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ﴾^(٢). وإنما قوبل ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ بـ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ ولم يُقابل بـ ﴿مَنْ آمَنَ﴾، للتبويه بشأن المؤمنين بأنهم أهل الأعمال الصالحة دون الكافرين. فاستغني بذكر العمل الصالح عن ذكر الإيمان لأنه يتضمَّنُهُ، ولتخريض المؤمنين على الأعمال الصالحة لئلا يتكلموا على الإيمان وحده فتفتقروهم النجاة التامة^(٣).

وقوله ﷻ: ﴿أَمْ جَعَلُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤). عبر عن المؤمنين بالفعل، وعن المفسدين بالاسم، إشارة إلى من اتصف بمطلق الإيمان والعمل الصالح، مخالف لما اتصف بأبلغ الفساد، وعبر عن اتصف بمطلق الفساد ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي: من ثبت على فساده، لئلا يدخل فيه من أفسد وتاب، فإنه من قسم مَنْ آمَنَ^(٥).

أنواع الأعمال الصالحة

فصل القرآن الكريم في مواضع كثيرة العمل الصالح فمنه ما يرتبط بالله، ومنه ما يرتبط بالناس، ومنه ما يعود إلى الشخص نفسه. أما ما يرتبط بالله فإنه يؤدي فرائضه في محبة وخشوع، ويصلي ذاكراً جلاله، وعظمته، وإذا أصغى إلى آيات الله سجد لما فيها من عظمة وحكمة قائلاً: ﴿سُبْحَانَ

(١) سورة الروم: الآية ٤٤.

(٢) سورة الروم: الآية ٤٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢١/١١٧، ١١٨.

(٤) سورة ص: الآية ٢٨.

(٥) ينظر: تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي التونسي المالكي

(ت ٨٠٣هـ)، المحقق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م،

رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١﴾، ولا يغيب ذكر الله عنه، مفكرًا في خلق السموات والأرض، يتلو قوله ﷺ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿٢﴾ وغيرها من الآيات.

أما صلته بالناس فصلة رفق وحب وعطف، يفى بالعهد إن عاهد، ويؤدي الأمانة إن أؤتمن، ويربأ بنفسه عن اللغو، فلا يضيع وقته سدى فيه، قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ﴿٣﴾. وقال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ وغيرها من الآيات ﴿٤﴾.

وأما الاعمال الفردية تتجسد في قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥﴾. وقوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ﴿٦﴾ وغيرها من الآيات ﴿٧﴾.

الإيمان والعمل الصالح سبب صلاح الأمة

الأخلاق التي أوجبها الإسلام، مثل: الصدق والأمانة والحياء والعفة والتواضع والشجاعة والسخاء والنشاط والعمل وحسن الخلق وإفشاء السلام وإصلاح ذات البين والألفة والأخوة والزهد، ومن الآيات التي تحت على الأخلاق، قوله ﷺ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٨، سورة المعارج: الآية ٣٢.

(٤) سورة المعارج: الآيتان ٢٤، ٢٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

(٦) سورة الشورى: الآية ٣٧.

(٧) ينظر: من بلاغة القرآن، البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي (ت ١٣٨٤هـ)، (د ط)، نهضه



خَدَاكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمِشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١﴾.

وقوله ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وإعادة مجد الإسلام في البلاد ممكن، بل إن الله وعد العاملين بذلك بتسديدهم
وتثبيتهم حيث قال ﷺ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ
فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ﴾ (٣). لكن ذلك مشروط بالإيمان الصحيح والعمل الصالح، ومن العمل
الصالح الألفة، ونبذ التفرقة والتشتت، والجهاد في سبيل الله بالمال واللسان واليد، فإنه
حين توفّر هذان الشرطان الإيمان والعمل الصالح تكون النتيجة التي وعدها الله ﷺ
محتومة، قال ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَتُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤).

وقال ﷺ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ الْيَلِّ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُسَدِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٥).

(١) سورة لقمان: الآيتان ١٨، ١٩.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

(٣) سورة النور: الآية ٥٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٥) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣، ١١٤.



والتعاون على البرِّ والتقوى، والألفة في الدين مطلوبان، وكان الصحابة رضي الله عنهم يأمرن بالأخوة ويتحاضون على الألفة^(١)، وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ: إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ: إِنْ نَسِيَ لَمْ يَذْكُرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يَعْنِهِ »^(٢).

قال الإمام علي رضي الله عنه موجهاً الأمة على مدى العصور: «إِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا، مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ»^(٣).

ومن دلائل الخيرية والرشاد لهذه الأمة أن يجتمع علماءؤها، لبيان الحق للقادة والإرشاد إليه، لأن اجتماع العلماء والقادة على كلمة الحق بياناً وتحقيقاً، غاية تسعى الشريعة المطهرة لتحقيقها ووسيلة لتحقيق أهدافها وغاياتها. وهو أنموذج عملي يتمثل فيه بناء الإنسان والمجتمع الصالح حيث يتكامل الإيمان والعمل والالتزام وحسن التعامل في حق كل من الفرد والمجتمع على السواء، كما بين ذلك ربنا ﷻ في سورة العصر بقوله: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. وما أوجدنا في هذا العصر الذي أصبح التفكك من أوضح سماته إلى الألفة والوحدة وجمع الشمل^(٤).

والعمل الصالح محبب عند المؤمنين، بسبب الألفة والإنسجام بين الإيمان والعمل الصالح.

(١) ينظر: قوت القلوب، أبو طالب المكي، ٢/ ٣٥٩، ٣٦٠.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، (كتاب السير)، (يُكْرُ وَصَفِ الْوَالِي الَّذِي يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ أَوْ الشَّرَّ)، ١٠/ ٣٤٦، (٤٤٩٣)، (صححه المحقق).

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي رضي الله عنه، ٢/ ٩٦.

(٤) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي - جدة، كلمة د. عبد الله بن صالح العبيد، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، الدورة الحادية عشرة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي - المنامة - دولة البحرين، ١١/ ١١، ١٢.

الفصل الثالث

الآيات الواردة في الألفظة بالمعنى وتفسيرها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الألفاظ الواردة في معنى الالفظة الخاصة

بالمسلمين

المبحث الثاني: الألفاظ الواردة في معنى الالفظة الخاصة

بالناس

المبحث الأول

الألفاظ الواردة في معنى الالفة الخاصة بالمسلمين

المطلب الأول

الآيات الواردة في الاجتماع

الاجتماع ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانية لعمران الأرض، ويحدث الاجتماع بعد الألفة والموافقات والتعاون والتناصر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).

الإجتماع في اللغة: "هو الجَمْعُ والضمُّ، وهو خِلافُ التَّفْرِيقِ، وهو مَصْدَرٌ جمع" ^(٢).

واصطلاحًا: لا يختلف معنى الإجتماع في الشرع عن المعنى الذي يفيد في أصل اللغة، وهو أن يلتقي الناس وينضم بعضهم إلى بعض ولا يتفرقوا، أما الأمر الذي يجتمع حوله المسلمون فهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ^(٣).

وقوام الأمم في بناء مجدها، وإثبات وجودها، وتثبيت دعائم الأمن والاستقرار بها، وتحقيق أهدافها الحاضرة والمستقبلية، هو الائتلاف والاجتماع والتعاون والوفاق، وترك النزاع والتمرق والانقسام والتناحر، فكما سادت هذه الفضائل بين أفراد المجتمع حكمًا ومحكومين ساد الحب والتقدير والثقة المتبادلة، والتضامن والوحدة والألفة والمحبة والتعاطف والتراحم، وإذا فقدت هذه الفضائل والقيم الإسلامية السامية ساد التمزق

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٥١.

(٢) المغرب في ترتيب المعرب، المطرزي، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد أبي المكارم بن علي برهان الدين الخوارزمي (ت ٦١٠هـ)، المحققان: محمود فاخوري، عبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد - حلب، ط ١، ١٩٧٩م، ١ / ١٥٧، (باب الجميم مع الميم).

(٣) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين، ٢ / ٤٢.



والانحلال والاضطراب والشك والقلق والقنوط واليأس في شؤون الأمة، وشل حركتها وحول سعادتها شقاء، وأمنها خوفاً. وأعداء الإسلام تآلفوا على الباطل وتعاونوا على الإثم والعدوان. ولقد اختلف السلف الصالح عليهم السلام، لكن اختلافهم في الرأي لم يكن سبباً لافتراقهم^(١).

جمعت الآيات التي فيها تصريف لفظ (اجتمع) والتي توحى معانيها في غالبها بالوقوف صفًا واحدًا والرد على التحدي كما في معهود الأميين، وهم العرب:

الآية الأولى: قال عليه السلام: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢).

الآية الثانية: قال عليه السلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾^(٣).

الآية الثالثة: قال عليه السلام: ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

الآية الرابعة: قال عليه السلام: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾^(٥).

الآية الخامسة: قال عليه السلام: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾^(٦).

(١) ينظر: رسالة الألفة بين المسلمين، ابن تيمية، أحمد الحراني الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، اعتنى بها:

عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، (د ط)، (د ت)، ص ٦ - ٩.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٣.

(٣) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٥٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٦.

(٥) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٧٣.

(٦) سورة الأنفال: جزء من الآية ٤١.



الآية السادسة: قال ﷺ: ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ

أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾^(١).

الآية السابعة: قال ﷺ: ﴿قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٢).

الآية الثامنة: قال ﷺ: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾^(٣).

الآية التاسعة: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعَلَىٰ﴾^(٤).

الآية العاشرة: قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ

اجْتَمَعُوا لَهُ﴾^(٥).

الآية الحادية عشرة: قال ﷺ: ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لَمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ

هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾^(٦).

الآية الثانية عشرة: قال ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَرَأَ الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا

لَمُدْرِكُونَ﴾^(٧).

الى جانب آيات اخرى كما سيأتي:

وردت خمس آيات تبين أنَّ الأصل الاجتماع على الهدى بلطف الله ومشيبته:

(١) سورة يونس: الآية ٧١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٣) سورة طه: الآية ٦٠.

(٤) سورة طه: الآية ٦٤.

(٥) سورة الحج: جزء من الآية ٧٣.

(٦) سورة الشعراء: الآية ٣٨، ٣٩.

(٧) سورة الشعراء: الآية ٦١.

الآية الأولى: قال ﷺ: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتِطَعَتْ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١)، وكان يكبر على النبي ﷺ كُفر قومه وإعراضهم عما جاء به، أي: شق عليك إعراضهم عن الإيمان، وصحة القرآن، فالمراد بيان حرصه على إسلام قومه^(٢). والجملة مصدرية بـ (لو)، ومقتضاها امتناع جوابها لامتناع الواقع بعدها، فامتناع اجتماعهم على الهدى إذا إنما كان لامتناع المشيئة^(٣).

الآية الثانية: قال ﷺ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٤). يَعْنِي: "أَنَّ مَلَكَهُ لِلتَّوْفِيقِ حُجَّةً بِالْغَةِ عَلَى الْخَلْقِ، فَمَنْ أُعْطِيَهُ فَفَضْلٌ، وَمَنْ مَنَعَهُ فَعَدْلٌ"^(٥).

الآية الثالثة: قال ﷺ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٦).

الآية الرابعة: قال ﷺ: ﴿أَفَأَمْرٌ يُأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٧).

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٥.

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورجائب الفرقان، النيسابوري، ٣/ ٧١.

(٣) ينظر: الإنصاف فيما تضمنه الكشاف، الإسكندري، ٢/ ١٦.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٥) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، محمد الأمين محمد المختار عبد القادر (ت

١٣٩٣هـ)، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، مكتبة الخراز - جدة، ط ١، ١٤١٧هـ، ص ٢٧١.

(٦) سورة يونس: الآية ٩٩.

(٧) سورة الرعد: جزء من الآية ٣١.

الآية الخامسة: قال ﷺ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

الاجتماع ضرورة شرعية

خلق الله الإنسان وجعله مفطوراً على حب الاجتماع، يألف ويؤلف، وتلتقي كلمة الإنسان مع كلمة الأنس في الاشتقاق اللغوي تأكيداً لهذا المعنى، فلفظ الأنس والإنسان والائتناس بينها تقارب في المعنى والاشتقاق، فحب الاجتماع البشري خاصية إنسانية، ونزلت الأديان السماوية لتثبت هذا المعنى النبيل وتعمل على تنميته وشيوعه بين بني البشر.

قال ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢)^(٣).

وقال ﷺ: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(٤).

وقال ﷺ: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(٥). سنة الله في خلقه إذ جعل في الإنسان القوة لبقائه وبقاء نوعه، وجعل فيه القوة لطلب النافع لنفسه^(٦)، فالتدافع هو أحد مظاهر التجمع البشري في كل عصر^(٧).

(١) سورة النحل: الآية ٩.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٣) ينظر: الوحي والإنسان، الجليند، محمد السيد، دار قباء - القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص ٢٠٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

(٥) سورة الحج: جزء من الآية ٤٠.

(٦) ينظر: التحرير والتتوير، ابن عاشور، ٢ / ٥٠٢.

(٧) ينظر: الوحي والإنسان، الجليند، ص ٢٠٤.

وقال ﷺ: ﴿مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَحَرِيًّا﴾ (١).

وطلب الألفة بين الناس من الأجانب والأقارب، وهي من المطالب شرعاً وعرفاً، لاقتضاءها صلاح حال الدنيا والآخرة، لأنّ الإنسان مدني بالطبع، وهو اجتماعه مع بني نوعه، لاقتضائه في تحصيل مآربه إلى معاونتهم ومشاركتهم، إذ لا يمكن للإنسان الواحد القيام بجميع ما يحتاج إليه من الضروريات والحاجيات التي لا بقاء له بدونها، وتلك المعاونة والمشاركة لا تتم إلا بانتلاف واجتماع ومعاشرة، ولا يستقيم ذلك إلا بتحقيق الروابط بينهم، وهي لا تتم إلا بنفي الضغائن والأحقاد والحسد ونحو ذلك مستلزم لتعاون الهمم وتصافي البواطن والاجتماع على الألفة والمحبة وأنس بعضهم، فتستقيم أمورهم بتعاونهم وتناصرهم، ولذلك حثّ الشارع على الألفة والاجتماع. حتى قال العلماء: إنّ سلوك سبيل الله بسائر وجوه الأوامر والنواهي لا يتم إلا بها، ولذلك عظم الله ﷻ المنّة بإيقاع الألفة بين أهل الملة في عصر النبوة، فقال ﷺ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)، وذلك أنهم بالألفة يكونون بمنزلة عبدٍ واحدٍ في طاعة مولاه، ليتأكد باجتماعهم الألفة والاتحاد، وتقع بسببه المحبة والوداد (٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ» (٤). وسبب عدم الانتلاف ضعف الإيمان، وعُسْرُ الأخلاق، وسوء الطباع،

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٣.

(٣) ينظر: رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (ع)، الشيرازي، علي خان المدني، (ت ١١٢٠هـ)، المحقق: السيد محسن الحسيني الأمين، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ط ٤، ١٤١٥هـ، ص ٣٢٧.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٣٧ / ٤٩٢، (٢٢٨٤٠)، (حسنه المحقق).

وَالْأَلْفَةُ سَبَبُ الْإِعْتِصَامِ بِاللَّهِ وَحَبْلِهِ، وَبِهِ يَحْصُلُ الْإِجْتِمَاعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَبِضِدِّهِ يَحْصُلُ التَّفَرُّقَةُ، وَإِنَّمَا تَحْصُلُ الْأَلْفَةُ بِتَوْفِيقِ إِلَهِي^(١).

وَإِنَّ الْأَسَاسَ الْحَقِيقِيَّ لِلْإِجْتِمَاعِ أَنْ يَكُونَ الْأَغْلَبُ مِمَّنْ يَأْلَفُونَ وَيُؤَلَّفُونَ^(٢).
وَالْأَلْفَةُ أَمْرٌ يَقْتَضِي مِنَ الْمُتَصَفِّ بِهَا سَعَةَ الصَّدْرِ وَحَسْنَ الْخَلْقِ مَا يَجْعَلُ النَّاسَ يَحْبُونَهُ، فَتَكُونُ بِذَلِكَ سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَوَحْدَةِ الصَّفِّ، وَتَرَابُطِ الْقُلُوبِ، وَعِنْدئذٍ تَكُونُ بِحَقِّ أَلِيْفًا وَمَأْلُوفًا.

"وَمِنَ التَّآلَفِ تَرْكُ الْمُدَاعَاةِ"^(٣)، وَالْإِعْتِزَارُ عِنْدَ تَوْهَمِ شَيْءٍ فِي النَّفْسِ وَتَرْكُ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَكَثْرَةُ الْمِرَاحِ"^(٤).

الألفاظ المضادة للإجماع منها:

أولاً: الهجر والقطيعة

الإسلام يدعو إلى التواصل والتوادد والتعاطف والتآلف، وينهى عن الهجر، لأنه يؤدي إلى التقاطع والتدابير والتباغض^(٥).

والهجر والقطيعة كبيرة من كبائر الذنوب^(٦).

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري، أبو الحسن علي بن سلطان

محمد نور الدين الهروي (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ٨ / ٣١٢٩، فيض القدير، المناوي، ٦ / ٢٥٣، (١١٦٠٧).

(٢) ينظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٢ / ٨٥٦.

(٣) المُدَاعَاةُ: الْمُحَاجَاةُ، ينظر: شمس العلوم، الحميري، ٤ / ٣١٠٤، (مادة داعاه).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ٦ / ٢٥٣، (١١٦٠٧).

(٥) ينظر: فتح المعين، السقاف، حسن بن علي، مكتبة الإمام النووي - الأردن، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٨٦.

(٦) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر

السعدي الأنصاري شهاب الدين (ت ٩٧٤هـ)، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، (باب: الْكَبِيرَةُ السَّادِسَةُ وَالسَّابِعَةُ وَالثَّامِنَةُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ التَّهَاجُرُ)، ٦٧ / ٦٨.

والدليل قوله ﷺ: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^(١) يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله ﷻ كقطع الرحم وموالة المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة^(٢).

وعن أبي أيوب ؓ عن النبي ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا، وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(٣).

والجفاء ليس من آداب الإسلام، لأن الجفاء يستلزم النفرة والانقطاع عنه، وذلك ضد الألفة والاجتماع المطلوب للشارع^(٤).

عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيَقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»^(٥).

وعن أبي خراش السلميّ ؓ، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً، فَهُوَ كَسَفَكَ دَمِهِ»^(٦).

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٧، سورة الرعد: جزء من الآية ٢٥.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٦٥/١، تفسير أبي السعود، أبو السعود، ٧٦/١.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب البرِّ والصَّلةِ وَالْأَدَابِ)، (باب السَّلَامِ لِلْمَعْرِفَةِ وَغَيْرِ الْمَعْرِفَةِ)، ٢٠ / ٤٦٥، (٦٢٣٧).

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، المحقق: عني بتصحيحه عدد من الأفاضل، مكتب الاعلام الاسلامي - قم، ط ١، ١٩٨٣م، ٣ / ١٤٩.

(٥) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب البرِّ والصَّلةِ وَالْأَدَابِ)، (باب النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ وَالنَّهْجِ)، ٨ / ١١، (٦٧٠٩).

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٢٩ / ٤٥٥، (١٧٩٣٥)، (صححه المحقق).



وروي في الهجرة ترهيب غليظ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ»^(١).

ثانياً: الطائفية

حذر الله ﷻ من الطائفية عند الفتن بقوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

وسيرة الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في كثير من المسائل العملية وبعض المسائل العلمية (الاعتقادية)، وما زال الاختلاف بين من بعدهم من الأئمة واقعاً في الفروع وبعض الأصول، ولكن حافظوا على الألفة والمحبة والتوقير واحترام رأي المخالف ومع التحرز عن التحاسد والتقاطع والبغضاء والغل والحقد والشحناء، ومع الحث على التزام التوحد والتجمع، والابتعاد عن التشتت والتفرق^(٣).

ألفاً: العقيدة في الأديان:

شرع الله ﷻ لعباده على السنة جميع رسله أن يقيموا الدين، ولا يتفرقوا فيه. ولكنهم كانوا يتفرقون في كل أمة، فيزول ما أريد بالدين من معنى الاجتماع والائتلاف، حتى إذا ما شرع الله لهم دين الإسلام الذي هو خاتمة الأديان، شدد فيه التنفير من التنازع والتفرق والاختلاف، قال ﷺ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٤).

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (باب فيمن يهجر أخاه المسلم)، ٧ / ٢٧٤، (٤٩١٥)، (صححه المحقق).

(٢) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٣) ينظر: رسالة الألفة بين المسلمين، ابن تيمية، ص ١٤.

(٤) سورة الشورى: جزء من الآية ١٣.

وأكد الله ﷻ الأمر بالاعتصام والائتلاف. وقال لخاتم النبيين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَأَسْتَمْتُهُمْ فِي شَيْءٍ إِنْ أَمَرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَتَّبِعُ مَا كَانُوا يُفْعَلُونَ﴾ (١). ومع ذلك لم تسلم هذه الأمة من اتباع سنن من قبلها، والاختلاف كما اختلفوا أو أشد (٢).

أسباب الاجتماع.

أولاً: الإخوة في الإيمان

لا يوجد سبب للتحاب والتآلف كإخوة الإيمان، وقد اتفق علماء البشر غابريهم وحاضرهم على أن الألفة بين الناس أعظم رابطة بين البشر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

(٢) خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة، محمد رشيد بن علي رضا وغيره (ت ١٣٥٤هـ)، مجلة المنار، ١٠ / ٢٦٥.

(٣) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٣.

(٤) سورة الأنفال: الآيتان ٦٢، ٦٣.

(٥) سورة المنافقون: جزء من الآية ٨.

وقال ﷺ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١).

ومعنى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ﴾ وإضافة الدين إلى الصحابة ﷺ وهو دين الإسلام تشريف لهم، ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم وترغيب فيه وتثبيت عليه (٢).

نزلت سورة آل عمران والأنفال، قبل سورة النور والمنافقين، وهذا يدل على أن الألفة كانت سبب العزة والتمكين والأمان في الأرض. أما حالنا اليوم من الفرقة والعداوة، فهما سبب ما وصلنا إليه من الضعف والتخلف والتبعية، فعلينا أن نتمسك بالكتاب والسنة لننهض من جديد إخوة متناصرين متحابين.

قال ﷺ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (٣).

وقال ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (٤). تنص الآية على مبدأ عظيم في الإسلام ألا وهو التآخي في الله والتحابب فيه، ويعتبر من الدعائم الرئيسية التي تقوم عليها وحدة المسلمين وائتلافهم واجتماعهم. لذلك نجد أن النبي ﷺ، كان من أول الأعمال العظيمة التي قام بها بعد هجرته إلى المدينة المنورة، هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. وقد كان لهذا التآخي عظيم الأثر في وحدة المجتمع المسلم وفي تماسكه وترابطه.

(١) سورة النور: الآية ٥٥.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، ٦ / ١٩١.

(٣) سورة التوبة: جزء من الآية ٧١.

(٤) سورة الحجرات: جزء من الآية ١٠.

وجاء المدح للأخوة في السنة:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَالْأَشْتَرُ، إِلَى عَلِيٍّ، فَقُلْنَا: هَلْ عَهْدٌ إِلَيْكَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: لَا، إِلَّا مَا فِي كِتَابِي هَذَا، قَالَ: وَهُوَ كِتَابٌ فِي قِرَابِ سَيِّفِهِ، فَإِذَا فِيهِ الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأَ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، أَلَا لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا نُوَّ عَهْدٌ فِي عَهْدِهِ، مَنْ أَحَدَتْ حَدِيثًا أَوْ آوَى مُحَدِّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ^(٢).

عَنْ خَالِدِ الْقَسْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُحِبُّ الْجَنَّةَ؟». قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «أَحِبِّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ»^(٣).

ثانياً: الاجتماع على الميراث

قال ﷺ: ﴿لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٤). توجب الآيتان وغيرهما من الآيات إعطاء كل وارث حقه في مال مورثه من الوالدين والأقربين، بين الذكور والإناث والصغار والكبار، سواء أكان المال المتروك بعد الوفاة للمورث قليلاً أم كثيراً. حفاظاً على تماسك الأسرة، وتقوية للصلوات فيما بين أفرادها، وإبقاء للمحبة والوداد والتعاون والتآلف وامتصاص النقمة والحسد من النفوس البشرية، وأوصى القرآن الكريم عند حضور الاجتماع لقسمة التركات، إعطاء الأقارب غير الوارثين

(١) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الإيمان)، (باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، ١٢ / ١، (١٣).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٢ / ٢٨٦، (٩٩٣)، (صححه المحقق).

(٣) المصدر نفسه، ١ / ١٢٢، (٩٩٣)، (حسنه المحقق).

(٤) سورة النساء: الآيتان ٧، ٨.

واليتامى والمساكين شيئاً من مال التركة ولو قليلاً، ويعتذر إليهم اعتذاراً جميلاً يهدئ النفوس، ويستل الضغائن والأحقاد، ويمنع الحزازات ونشوء العداوات أو استمرارها، والترفع عن البخل والشح^(١).

ثالثاً: الأخلاق

إن الألفة والقول الحسن السديد ثمرة حسن الخلق، وإن الهجر والسباب ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابير. وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته، ومدح الله سبحانه به نبيه ﷺ إذ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)^(٣).

وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٤). في هذه الآية أمر الله ﷻ بتحسين الأدب في مجالسة رسول الله ﷺ، حتى لا يُضَيِّقُوا عليه المجلس، وأمر المسلمين بالتعاطف والتآلف حتى يفسح بعضهم لبعض^(٥).

وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بئسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٦).

والأخلاق سجية في الإنسان بصورة عامة وتخضع للأوامر والنواهي في الإسلام،

(١) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ١/ ٢٨٨.

(٢) سورة القلم: الآية ٤.

(٣) ينظر: قاموس شتائم الألباني، السقاف، حسن بن علي، دار الإمام النووي - الأردن - عمان، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٣.

(٤) سورة المجادلة: جزء من الآية ١١.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ٢٩٦.

(٦) سورة الحجرات: الآيات ٩ - ١١.

قال ﷺ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِحْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *
وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١).
وقال ﷺ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

من مظاهر الوحدة بين المسلمين

أولاً: وحدة العقيدة

العقيدة تحدد مفهوم العلاقة بين الخالق والمخلوق أساسها العبودية والاستسلام
التام لله ﷻ، قال ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ (٣).
وقال ﷺ: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُخْزَنُونَ﴾ (٤).

ومن أهم الأسباب الموجبة لتأليف القلوب هو وحدة العقيدة، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٥). فالإيمان بدين واحد يوحد بين القلوب، ويربط بين المصالح
الدينية والمصائر، والله سبحانه قد جمع قلوب الصحابة ﷺ بالإسلام والإيمان،
وحببه إليهم وزينه في قلوبهم كما في قوله ﷺ: ﴿وَأَعَامُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ طِيعَكُمْ فِي
كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ
وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٦).

(١) سورة لقمان: الآيتان ١٨، ١٩.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٣٤.

(٣) سورة النساء: جزء من الآية ١٢٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ١١٢.

(٥) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٦) سورة الحجرات: الآية ٧.

ثانياً: وحدة العبادات

أمر الله ﷻ الناس جميعاً أن يحققوا العبودية له، قال ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

اختلف المسلمون في تفاصيل العبادات من أوقات الصلاة والصوم ونصاب الزكاة وغيرها، لكن أجمعوا على وحدة القبلة باتجاه الكعبة أثناء الصلاة. والعبادات توقيفية وفيها وحدة الاتباع سواء للإمامة الصغرى أو الكبرى.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٢).
قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما في معنى الآية: "دينكم دين واحد"^(٣).
ونظيرها قوله ﷻ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^{(٤)(٥)}.

وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٦).
عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال سمعتُ رجلاً قرأ آيةً وسمعتُ النبي ﷺ يقرأ خِلافَها فحجثُ به النبي ﷺ فأخبرته فعرفتُ في وجهه الكراهية وقال: «كَلَاكُمَا مُحْسِنٌ وَلَا تَحْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»^(٧).

(١) سورة البقرة: الآية ٢١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب تفسير القرآن)، (تفسير سورة الأنبياء)، ٦ / ٩٦، (٤٧٣٩).

(٤) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٣.

(٥) ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، (كتاب الآداب)، (باب ما ينهى عنه)، ١٠ / ٣٢١٠.

(٦) سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

(٧) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الخُصومات)، (باب ما يُذكر في الإشخاص والخُصومة بين المسلم واليهود)، ٣ / ١٢٠، (٢٤١٠).

جُلُّ الشُعَائِرِ الدِّينِيَّةِ جَاءَتْ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ مِثْلَ: قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(١).

وقوله ﷺ: ﴿وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٢). وهذا الجمع يدل على القوة والوحدة بين أبناء الأمة الواحدة.

ثالثاً: وحدة نظام الحياة

أُمِرْنَا بِالْأُلْفَةِ وَنُهِينَا عَنِ الْفُرْقَةِ، فَإِنَّ الْفُرْقَةَ هَلَكَةٌ وَالْجَمَاعَةَ نَجَاةٌ وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِأَمِيرٍ^(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»^(٤). وَتَشْمَلُ طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ طَاعَةَ أَمْرَائِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَتَشْمَلُ طَاعَةَ أَمْرَاءِ الْجُيُوشِ بَعْدَ وِفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ لِمَسَاوَاتِهِمْ لِأَمْرَائِهِ الْغَائِبِينَ عَنْهُ فِي الْغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا فِي حُكْمِ الْعَيْبَةِ عَنْ شَخْصِهِ. وَأَمَّا النَّهْيُ عَنِ التَّنَازُعِ فَهُوَ يَقْتَضِي الْأَمْرَ بِتَحْصِيلِ أَسْبَابِ ذَلِكَ: بِالتَّفَاهُمِ وَالتَّشَاوُرِ، وَمُرَاجَعَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، حَتَّى يَصْدُرُوا عَنْ رَأْيٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ

(١) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٢) سورة البينة: جزء من الآية ٥.

(٣) ينظر: تفسير القرآن، ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٣١٩هـ)، المحقق:

د. سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١ / ٣١٩،

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤ / ١٥٩.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأحكام)، (باب قول الله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، ٩ / ٦١، (٧١٣٧).

تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ رَجِعُوا إِلَى أَمْرَائِهِمْ^(١) لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ^ص وَلَوْ رُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٢).
ولنأخذ قوله ﷺ في وجوب أداء الأمانة من قبل الحكام إلى الرعية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ^ق إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٣).

وقال ﷺ في ارتباط صلاح الحياة الاجتماعية بنظام العقوبات على الجنايات: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤). وهذه من واجبات الإمام.

ومن مقضيات أداء الأمانة إقامة حدود الله في الأرض، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِقَامَةُ حَدِّ بَارِضٍ خَيْرٌ لِأَهْلِهَا مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(٥).
وعدم إهتمام الإمام بشؤون الرعية، يؤدي إلى الخلل في نظام حياة الأمة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَاَنْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَاَنْتَظِرِ السَّاعَةَ»^(٦).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٠ / ٣١.

(٢) سورة النساء: جزء من الآية ٨٣.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، (كتاب الحدود)، (نكز الإخبار عن فضل إقامة الحدود من الأئمة العُدول)، ١٠ / ٢٤٣، (٤٣٩٧)، (قال المحقق: رجاله ثقات، وقال الألباني: حسن لغيره).

(٦) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الرقاق)، (باب رفع الأمانة)، ٨ / ١٠٤، (٦٤٩٦).

رابعًا: وحدة اللغة

لا يقام كيان للامة الا باتحاد الدين واللغة، وقد وردت إحدى عشرة آية تبين أن القرآن نزل بلغة العرب أي: إشارة إلى بيانه وفصاحته مأخوذاً من كلمة (عرب) أي: أفصح القول وأبان الكلام^(١)، واخترت منها آيتين:

الأولى: قوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

والثانية: قوله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا

وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فِرْقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٣).

خامسًا: وحدة التاريخ

لكل أمة تاريخ تسجله من منطلق عقيدتها وواقع حياتها وتحرص على تنقيته لكل ما يخالف تلك العقيدة. وتميزت الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم بدقة تاريخها المستند على نقل النصوص بالسند العدل الضابط المروي، ومن الوثائق المكتوبة، ومن الآثار. لذلك سميت أمة السند.

وسأكتفي بنقل آيات فيها أخبار من التاريخ منها:

قال ﷺ: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهَلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾^(٤).

وقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ

نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٥).

(١) العين، الفراهيدي، ٢ / ٢١٩، (باب العين والراء والباء).

(٢) سورة يوسف: الآية ٢.

(٣) سورة الشورى: الآية ٧.

(٤) سورة طه: الآية ١٢٨.

(٥) سورة غافر: جزء من الآية ٧٨.



وقال ﷺ: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (١).

وقال ﷺ: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ (٢). أي: تلك المدينة المقلوبة ثابتة الآثار، مقيمة للنظار، فكانها بمرأى العيون لبقاء آثارها، وهذه واحدة من الآيات (٣).

وقال ﷺ: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (٤). أي: ديار هاتين الأمتين لبطريق واضح يمرُّ به السالكون (٥).

وقال ﷺ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَيُوسَى وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ وَنَادَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (٦).

سادساً: وحدة الجهاد في سبيل الله

لا يقوم الجهاد إلا بعد وحدة الصف، قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُورٌ﴾ (٧).

إن الآية تشير الى الجماعة ووحدة الصف، ولكن الواقع يشير خلاف ذلك، فحال المسلمين اليوم يتفرقون تبعاً، فمنهم من يوالون الغرب، ومنهم من يوالون الشرق، ومنهم يتوسط فيميلون لهذا تارة ولذاك أخرى، والمتبوع دائماً لا يشجع الإسلام، بل لا

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤٥.

(٢) سورة الحجر: الآيات ٧٤ - ٧٦.

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، ٢ / ٨٢٠.

(٤) سورة الحجر: الآيتان ٧٨، ٧٩.

(٥) التبيان في إيمان القرآن، ابن قيم الجوزية، ص ٤٥٥.

(٦) سورة النساء: الآية ١٦٣.

(٧) سورة الصف: الآية ٤.

يريد للتابع أن يكون تابعاً للإسلام بإخلاصٍ، إنَّ الفرقة بين المسلمين هَوَّنت أمرهم وجعلتهم حجة على الإسلام، حتى قال الأعداء: لو كان الإسلامُ خيراً، ما كان أهله على هذه الحال من الخلل والاضطراب والبعد عن أسباب القوة، وقد تحكّموا فينا، فإن حاولنا أن نجتمع خذّلونا^(١).

إنَّ القوى المعادية للإسلام وأمته لا تعمل بصورة فردية، أو بقوى متناثرة أو مبعثرة، بل تعمل في صورة جماعات وتكتلات منظمة، حددت غاياتها وعينت طرائقها واختير رجالها وقادتها، ورصدت لها مصادر التمويل الدائمة والطارئة، فلا يجوز أن نقابل هذه القوى المتجمعة بأعمال فردية متفرقة، تعجز أن تنصر صديقاً أو تقهر عدواً، وما دامت الجماعة فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يُحتمها الواقع، فلا بد لهذه الجماعة من رابط قوي يربط بين أفرادها، وهذا الرابط هو الأخوة الصادقة^(٢).

قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣). والمؤمن هو الذي يكون رقيقاً لأخيه المؤمن، غليظاً على عدوه الكافر عند جهاده^(٤).

ولقد وجدنا أنَّ العصبية العربية، ثم الانحياز الإقليمي، ثم إحياء اللغات العامية، كانت من أسباب التفرقة التي أنتجت افتراق المسلمين، وفي بعض الأحيان يكون بأسهم بينهم شديداً، ووالى كثير منهم من لا يود للإسلام وأهله إلا خبالاً^(٥).

(١) ينظر: الوحدة الإسلامية، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، دار الرائد العربي - بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص ٦.

(٢) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ص ٧٩٩.

(٣) سورة الحجرات: جزء من الآية ١٠.

(٤) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ٤ / ٢٣٨٠.

(٥) ينظر: الوحدة الإسلامية، أبو زهرة، ص ٨، ١١.

سابعاً: وحدة الناس

ينظر الإسلام إلى الإنسانية على أنها وحدة، لا فرق فيها بالأجناس أو الألوان، أو الأقاليم، خُلِقُوا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَمِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ، قَالَ ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(١). وإنَّ التعارف هو تثبيت الوحدة الجامعة، وتأليف القلوب المتفرقة، والتعارف يقتضي المساواة والكرامة الإنسانية التي أعطاها الله ﷻ للإنسان بمقتضى كونه إنساناً، كما قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(٢).

وإنَّ التعارف يوجب التعاون في رفع الحق وخفض الباطل، وسيادة الفضيلة بين الإنسان، وأن يدفع الظلم عن كل البشر، وإن القرآن ينص على الوحدة الإنسانية ووحدة الفطرة، وجعل في الفطرة أسباب الاستقامة والانحراف، أما الاختلاف الحاصل فهو في التوجيه، لا من أصل الفطرة، لذلك قال ﷺ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾^(٣)^(٤). وقال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٥). أي: "موحدين على الفطرة أو متفقين على الحق، وذلك في عهد آدم ﷺ"^(٦).

(١) سورة النساء: الآية ١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٢١٣.

(٤) ينظر: الوحدة الإسلامية، أبو زهرة، ص ١٤.

(٥) سورة يونس: الآية ١٩.

(٦) تفسير البيضاوي، البيضاوي، ١٠٨ / ٢.

وهكذا يصرح القرآن بوحدة النفس الإنسانية في منازعتها واتجاهاتها، وإنما التربوية، وبيئات المجتمع، والتوجيهات، هي التي توجد الاختلاف بين المجتمعات^(١). قال ﷺ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٢). وقوله ﷺ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾^(٣). وقال ﷺ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٤). والإسلام لا يعدُّ أهل جيل أمة واحدة، بل يعد الأجيال كلها أمة واحدة، تتحد في معاونة الأنبياء، أو الاستجابة لهم، ولقد ذكر القرآن تلك الوحدة النفسية في الأجيال كلها، فقال ﷺ: ﴿وَإِن هَدَيْتَهُمْ أُمَّتَكُمُ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٥). وقال ﷺ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٦)^(٧). وقال ﷺ: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاوِلُونَ﴾^(٨). ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاوِلُونَ﴾^(٩). أي دينًا واحدًا. ومثله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٩) أي دينًا واحدًا، فقيل: على كفر وقيل: على الإسلام^(٩).

(١) ينظر: الوحدة الإسلامية، أبو زهرة، ص ١٦.

(٢) سورة الشمس: الآيتان ٧، ٨.

(٣) سورة البلد: الآية ١٠.

(٤) سورة الإنسان: الآية ٣.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

(٦) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٧) ينظر: الوحدة الإسلامية، أبو زهرة، ص ٢٣٣.

(٨) سورة المائدة: جزء من الآية ٤٨.

(٩) ينظر: عمدة الحفاظ، السمين الحلبي، ١ / ١٢٠.

فالفطرة عامة لا خاصة، قال ﷺ: ﴿فَأَفْرَجَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)(٢).

ثامناً: وحدة الأمة الإسلامية

الإسلام يَدْعُو إِلَى الْأَلْفَةِ وَالتَّحَابِ وَالتَّرَاحُمِ وَالتَّعَاطُفِ، فَكُلُّ رَأْيٍ أَدَّى إِلَى خِلَافِ ذَلِكَ فَهُوَ مُفْرَقٌ لِلجَمَاعَةِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمٌ أَمْرِي مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأِحْدَى ثَلَاثٍ، النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّيْبُ الزَّانِي وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلجَمَاعَةِ» (٣).

قال الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ياكم والتلون في دين الله، فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل، أي: من يحافظ على نظام الألفة والاجتماع وإن ثقل عليه أداء بعض حقوق الجماعة وشق عليه ما تكلفه به من الحق، فذلك الجدير بالسعادة دون من يسعى للشقاق وهدم نظام الجماعة، ومتى كانت الفرقة، عم الشقاق وأحاطت العداوات" (٤).

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ افْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «أَذْهَبُوا بِنَا نُصَلِّحْ بَيْنَهُمْ» (٥). "وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضْلُ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢) ينظر: الوحدة الإسلامية، أبو زهرة، ص ١٦.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الدِّيَاتِ)، (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسَانَ بِاللِّسَانِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾)، ٥ / ٩، (٦٨٧٨).

(٤) نهج البلاغة، الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (ت ٤٠هـ)، المحقق: الشيخ محمد عبده، ط ١، ١٤١٢هـ، دار الذخائر - قم، ٩٦ / ٢.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الصُّلْحِ)، (بَابُ قَوْلِ الْإِمَامِ لِأَصْحَابِهِ أَذْهَبُوا بِنَا نُصَلِّحْ)، ١٨٧ / ٣، (٢٦٩٣).

النَّاسِ وَجَمَعَ كَلِمَةَ الْقَبِيلَةِ وَحَسَمُ مَادَّةِ الْقَطِيعَةِ وَتَوَجُّهُ الْإِمَامِ بِنَفْسِهِ إِلَى بَعْضِ رَعِيَّتِهِ لِذَلِكَ وَتَقْدِيمُ مِثْلِ ذَلِكَ عَلَى مَصْلَحَةِ الْإِمَامَةِ بِنَفْسِهِ، وَاسْتَنْبِطَ مِنْهُ تَوَجُّهُ الْحَاكِمِ لِسَمَاعِ دَعْوَى بَعْضِ الْخُصُومِ إِذَا رَجَحَ ذَلِكَ عَلَى اسْتِحْضَارِهِمْ^(١).

ومسارعة الرسول ﷺ وهو ولي الأمر بالإصلاح بين المتخاصمين لدرء الفتنة والحفاظ على الجماعة، حتى لا يتوسع الخلاف إلى الجميع.

وَإِصْلَاحُ أَحْوَالِ ذَاتِ الْبَيْنِ لِتَكُونَ أَحْوَالُ الْمُسْلِمِينَ أَحْوَالَ صِحَّةٍ وَأَلْفَةٍ، أَوْ إِصْلَاحُ الْفَسَادِ وَالْفِتْنَةِ الَّتِي بَيْنَ الْقَوْمِ، وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ عُمُومِ الْمَنَافِعِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ مِنَ التَّعَاوُنِ وَالتَّنَاصُرِ وَالْأَلْفَةِ وَالْاجْتِمَاعِ عَلَى الْخَيْرِ حَتَّى أُبَيِّحَ فِيهِ الْكُذْبُ وَلِكَثْرَةِ مَا يَنْدَفِعُ مِنَ الْمَضَرَّةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا^(٢).

ويجب على المؤمن موالاة المؤمنين، والمولاة هي الألفة والاجتماع، أي: إظهار المحبة لهم وعدم ما يوجب المنافرة من حسد وغيره^(٣).

(١) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ٦ / ١٨٠.

(٢) ينظر: فيض القدير، المناوي، ٣ / ١٠٦، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصري الأزهري (ت ١٣٦٧هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٤ / ٤٠٣.

(٣) ينظر: الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد، القيرواني، صالح بن عبد السميع الأبى الأزهري (ت ١٣٣٥هـ)، المكتبة الثقافية - بيروت، ص ٦٧١.

الاجتماع المذموم

لفظ الاجتماع يأتي بالمدح والذم والسياق هو الذي يحدد أحد المعنيين.
 قال ﷺ في محكم كتابه: ﴿تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١). يَعْنِي: تَحَسَّبُ الْيَهُودَ فِي صُورَتِهِمْ الظَّاهِرَةَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى الْأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ، أَمَّا قُلُوبُهُمْ فَشَتَّىٰ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَذْهَبٍ، وَبَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ شَدِيدَةٌ، وَهَذَا تَشْجِيعٌ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى قِتَالِهِمْ^(٢). ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: تَشَتَّتْ قُلُوبُهُمْ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا، حَتَّىٰ يَعْلَمُوا طَرِقَ الْأُلْفَةِ وَأَسْبَابَ الْإِتْفَاقِ^(٣).
 كَمَا أَنَّ فِي الْأُلْفَةِ مَقَامَاتٍ وَمَنَازِلَ كَذَٰلِكَ فِي الْعِدَاءِ وَالْخُصُومَةِ، قَالَ ﷺ مَحْذَرًا مِنَ الْعِدَاوَةِ الْبِغْضَاءِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعِدَاوَةَ وَالْبِغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(٤). الظَّاهِرُ فِيمَنْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ أَنَّهُ يَشْرِبُهَا مَعَ جَمَاعَةٍ وَيَكُونُ غَرَضُهُ مِنْ ذَٰلِكَ الشَّرْبِ أَنْ يَسْتَأْنِسَ بِرِفْقَائِهِ وَيَفْرَحَ بِمُحَادَثَتِهِمْ وَمُكَالَمَتِهِمْ، فَكَانَ غَرَضُهُ مِنْ ذَٰلِكَ الْاجْتِمَاعِ تَأْكِيدَ الْأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ، إِلَّا أَنَّ ذَٰلِكَ فِي الْأَغْلَبِ يَنْقَلِبُ إِلَى الضِّدِّ، لِأَنَّ الْخَمْرَ تُزِيلُ الْعَقْلَ، وَإِذَا زَالَ الْعَقْلُ اسْتَوْلَتِ الشَّهْوَةُ وَالْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ مُدَافَعَةِ الْعَقْلِ، وَعِنْدَ اسْتِيْلَائِهِمَا تَحْصُلُ الْمُنَازَعَةُ بَيْنَ أَوْلِيَاكَ الْأَصْحَابِ، وَتِلْكَ الْمُنَازَعَةُ رَبِّمَا أَدَّتْ إِلَى الضَّرْبِ وَالْقَتْلِ وَالْمُشَافَهَةِ بِالْفُحْشِ، وَذَٰلِكَ يُورِثُ أَشَدَّ الْعِدَاوَةِ وَالْبِغْضَاءِ، فَالشَّيْطَانُ يُسَوِّلُ أَنَّ الْاجْتِمَاعَ عَلَى الشَّرْبِ يُوجِبُ تَأْكِيدَ الْأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَبِالْآخِرَةِ انْقَلَابَ الْأَمْرِ وَحَصَلَتْ نِهَآيَةُ الْعِدَاوَةِ وَالْبِغْضَاءِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ شِدَّةَ الْعِدَاوَةِ وَالْبِغْضَاءِ تُقْضِي إِلَى أَحْوَالٍ مَذْمُومَةٍ مِنَ الْهَرَجِ وَالْمَرْجِ وَالْفِتَنِ، وَكُلُّ ذَٰلِكَ مُضَادٌّ لِمَصَالِحِ الْعَالَمِ^(٥).

(١) سورة الحشر: جزء من الآية ١٤.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩ / ٥١٠.

(٣) ينظر: روح المعاني، الألوسي، ١٤ / ٢٥٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٩١،

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٢ / ٤٢٤.

فالألفة والمودة بين الناس أمرٌ مطلوب للشرع، ولهذا نهى النبي ﷺ عن كل ما يوجب العداوة والبغضاء، مثل البيع على بيع المسلم، والسوم على سوم المسلم، وغير ذلك مما هو معروف لكثير من الناس^(١).

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين، ابن العثيمين، ٢ / ٥٤٤.

المطلب الثاني

الآيات الواردة في الذلّة والمحبة والسكينة

مدح الله ﷻ الذلّة على المؤمنين والمحبة لهم في آية واحدة بقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١). "بدأ بمحبته لأنها الجالبة والموجبة لمحبتهم"^(٢).

تعريف الذلّة

الذِلَّةُ: الذلّ وهو الصّغار^(٣).

الذِلُّ: ما كان بعد تَصَعُّبٍ.

الذُّلُّ: بالضم نقيض العِزِّ، أو الرِّفْقُ والرحمة^(٤).

والذُّلُّ متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود، نحو قوله ﷻ: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥). وغيرها من الآيات^(٦).

والذليل: من لا منعة له ولا قوة^(٧).

أسباب النزول

عَنْ عِيَاضِ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾

(١) سورة المائدة جزء من الآية ٥٤.

(٢) التفسير البسيط، الواحدي، ٧ / ٤٣٠.

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٢ / ١٣٦.

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ١١ / ٢٥٧، (فصل الذال المعجمة).

(٥) سورة المائدة: جزء من الآية ٥٤.

(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١ / ٣٣٠، ٣٣١، (باب ذل).

(٧) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، ٢ / ٤٦، في رحاب التفسير،

عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث - مصر، (د ط)، (د ت)، ص ٦٦٨.

وَيُحِبُّونَهُ ﴿١﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُم قَوْمٌ هَذَا، يَعْنِي: أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ»^(١). لأن قوم الرجل أتباعه المقتدون به، لا أنسابه وأقاربه، ألا ترى أن في التنزيل كل موضع أضيف فيه قوم إلى نبي أريد به أتباعهم الذين آمنوا به، لا أنسابهم، كقوله ﷺ: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٢)^(٣).

القراءات المتواترة

قرأ نافع وابن عامر ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾ بدالين، وقرأ الباقون ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾ بتشديد الدال وفتحها. وَمَنْ أظهر الدالين فَلِسُكُونِ الدال الثانية في موضع الجزم، ومن قرأ ﴿يَرْتَدَّ﴾ بالنصب فلأن المضاعف إذا أدغم في موضع الجزم أعطيَ أَحْف الحركات وهو الفتحة^(٤).

والحُجَّةُ لمن أدغم: أَنَّهُ لُغَةٌ أَهْلِ الْحِجَازِ، لِأَنَّهُمْ يَدْغَمُونَ الْأَفْعَالَ لِثِقَلِهَا كَقَوْلِهِ ﷺ: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾^(٥)، ويظهرون الأسماء لخفتها كقوله: ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾^(٦).
"ليفرقوا بذلك بين الاسم والفعل"^(٧).

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ١٧ / ٣٧١، (١٠١٦)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، البوصيري، أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز الكناني الشافعي (ت ٨٤٠هـ)، المحقق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر - الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٦ / ٢٠٥، (٥٦٨٨)، (قال المؤلف: رُوَاثُهُ ثِقَاتٌ).

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٥٩.

(٣) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، ٧ / ٤٣١، ٤٣٢.

(٤) ينظر: معاني القراءات، الأزهري، ١ / ٣٣٣.

(٥) سورة مريم: جزء من الآية ٨٤.

(٦) سورة المؤمنون: جزء من الآية ١١٢.

(٧) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ص ١٣٢.

تفسير قوله ﷺ: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

لم يقل ﷺ: أذلة للمؤمنين، بل عدي أذلة بعلی وإن كان الأصل باللام، لأنه ضمته معنى الحنو والعطف، كأنه قال: عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع. وهذه الذلة كذلة الولد لوالده في قوله (١) ﷺ: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (٢).

وقيل: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ "بالرحمة واللين" (٣). وقيل: "أي لينين سهلين على إخوانهم من المؤمنين، ولم يرد أنهم ممتهنون عندهم بدليل مقابلته بقوله: ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ أي: يغالبونهم ويعادونهم" (٤).

وقيل معنى ﴿أَذَلَّةٌ﴾ في الآية: التواضع، ولو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لفهم أن ذلتهم لضعف، فلما قال: ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ علم أنها تواضع منهم لهم، ومن الأمثلة في القرآن الكريم قوله ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكٰفِرِينَ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٥). وهذا عكس الأول. لأن فيه استدراكاً من ضعف، أما هذا ففيه استدراك من قسوة، لأنه لو لم يذكر ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ لوقع في بعض النفوس وهم أنهم قساة في التعامل. ولكن لما قال ﷺ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ علم أن مبعث شدتهم هو

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، ٤ / ٢٩٨، الأساس في التفسير، سعيد حوى،

٣ / ١٤٣٠، التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، دار الزمان - المدينة المنورة

- السعودية، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ١ / ٣٤٢.

(٢) سورة الإسراء: جزء من الآية ٢٤.

(٣) تفسير مقاتل، مقاتل، ١ / ٤٨٥.

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الالفاظ، السمين الحلبي، ٢ / ٤٦.

(٥) سورة الفتح: جزء من الآية ٢٩.

عدم موالاتهم لأهل الكفر وبخاصة أن الكفار في عصر نزول القرآن كانوا شديدي القسوة على المؤمنين، فمعاملتهم بالمثل^(١).

وفي التفسير الإشاري أن رحمته إرادته لإنعامه، ومحبته إرادته لإكرامه، والفرق بين المحبة والرحمة على هذا القول أن المحبة إرادة إنعام مخصوص، والرحمة إرادة كل نعمة، فتكون المحبة أخص من الرحمة وفي ذلك بشارة عظيمة للمؤمنين، لأنه يجب أن يعلم أن من كان غير مرتد فإن الله يُحِبُّه، وفيه إشارة دقيقة، فإن من كان مؤمناً يجب أن يكون لله محباً، فإذا لم تكن له محبة فالخطر بكمال إيمانه. وفي الآية دليل على جواز محبة العبد لله وجواز محبة الله للعبد، ومحبة الحق للعبد لا تخرج عن وجوه: إما أن تكون بمعنى الرحمة عليه، أو بمعنى اللطف والإحسان إليه والمدح والثناء عليه^(٢).

ورد لفظ الدل وما اشتق منه في آيات منها:

قال ﷻ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾^(٣).

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾^(٤). "وَالْبَقَرَةُ الذَّلُولُ الَّتِي أَذْلَهَا الْعَمَلُ بِإِثَارَةِ الْأَرْضِ"^(٥).

وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^(٦). "وَصَفُّهُمْ بِالذِّلَّةِ هُوَ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ وَعَدَدِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ"^(٧).

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ص ٤٦٣.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري، ١ / ٤٣١.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٦١.

(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ٧١.

(٥) تفسير السمعاني، السمعاني، ١ / ٩٣.

(٦) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٢٣.

(٧) دفع إيهاض الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، ص ٥٣.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ﴾^(١).
 "وَالذَّلَّةُ: خُرُوجُهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، لِأَنَّ ذُلَّ الْعُرْبَةِ مَثَلٌ مَضْرُوبٌ"^(٢).

وقال ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾^(٣). في ذيل الآية موقف الكفار يوم المحشر، إلا أن هؤلاء عكس الفريق الأول مسودة وجوههم وترهقهم ذلة، ومن الممكن بقرينة الآية السابقة أن تكون جملة ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ المعطوفة بالواو بتقدير: (يرهقهم قتر وذلة)، وبقرينة المقابلة حذفت ﴿قَتَرٌ﴾ لأجل الاختصار^(٤).

أما في قوله ﷻ: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾^(٥). أي: "وجوه أرهقها الذل فأظلمت"^(٦)، فلم يرهقهم قتر، ولكن ارهقهم الذل فقط.
 وقال ﷻ: ﴿فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا﴾^(٧). "أي منقادة غير مستصعبة"^(٨).
 وقال ﷻ: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾^(٩)، والمعنى: "تواضع لهما وكن لوالديك ذليلاً، وكن كالمقهور لهما"^(١٠).

(١) سورة الأعراف: جزء من الآية ١٥٢.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ١٦٢ / ٢.

(٣) سورة يونس: الآية ٢٦، وجزء من الآية ٢٧.

(٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي، ناصر مكارم، ٦ / ٣٤٢.

(٥) سورة القلم: جزء من الآية ٤٣، سورة المعارج: جزء من الآية ٤٤.

(٦) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني، ٢ / ٢٢٨.

(٧) سورة النحل: جزء من الآية ٦٩.

(٨) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، ٢ / ٤٦.

(٩) سورة الإسراء: جزء من الآية ٢٤.

(١٠) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص ٣٣٠، (باب ذل).

وقال ﷺ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وُلِيٌّ مِنَ الَّذِينَ﴾^(١)، لَمْ يُحَافِ أَحَدًا وَلَمْ يَبْتَغِ نَصْرَ أَحَدٍ^(٢)، وكانت من عادات العرب تحالف بعضها بعضًا لتعتز به^(٣).

وقال ﷺ: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآهَ أَهْلَهَا﴾^(٤) وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ^(٥). "وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم"^(٥).

وقال ﷺ: ﴿وَذَلَّلْتَ قُطُوفَهَا تَذْلِيلًا﴾^(٦). أي: سهلت لمتناولها لدنوها بمنزلة الدابة المنقادة. أي: الأمور تجري على إذلالها، أي: مسالكها وطرقها^(٧).

المحبة

من وحي القرآن في المحبة بين الصحابة ﷺ قوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾^(٨).

من وحي السنة في المحبة، عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٩).

وأعلمنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن صفات الأَحَبِّ إليه، عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوْطِنُونَ أَكْنَافًا

(١) سورة الاسراء: جزء من الآية ١١١.

(٢) تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر، ١ / ٤٤٤.

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الالفاظ، السمين الحلبي، ٢ / ٤٧.

(٤) سورة النمل: جزء من الآية ٣٤.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٩ / ٤٥٤.

(٦) سورة الإنسان: جزء من الآية ٢٤.

(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص ٣٣٠، ٣٣١، (باب ذل).

(٨) سورة الحشر: جزء من الآية ٩.

(٩) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْإِيمَانِ)، (بَابُ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)، ١ / ١٢، (١٣).

الَّذِينَ يَأْتُونَ وَيُؤْلَفُونَ وَإِنَّ أُنْعَضَكُمْ إِلَيَّ وَأُبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ التَّرْتَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ^(١) الْمُتَقِيَهُونَ^(٢)»^(٣).

معنى «المُوطَّئُونَ أَكْنَافًا» مِنَ التَّوْطِئَةِ وَهِيَ التَّمْهِيدُ وَالتَّنْذِيلُ، وَالْأَكْنَافُ الْجَوَانِبُ أَرَادَ الَّذِينَ جَوَانِبُهُمْ وَطِيبَةٌ يَتَمَكَّنُ فِيهَا مَنْ يُصَاحِبُهُمْ وَلَا يَتَأَدَّى^(٤). أي: المؤمن المتواضع الذي يجعل نفسه سهلاً مع الناس.

عَنِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُعَلِّمُهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»^(٥)، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: حَدَّثْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فِي اللَّهِ، فَلْيُعَلِّمُهُ، فَإِنَّهُ أَبْقَى فِي الْأَلْفَةِ، وَأَثْبَتُ فِي الْمَوَدَّةِ»^(٦).
ومعنى: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ» فِي الدِّينِ «فَلْيُعَلِّمُهُ» نَدْبًا مُؤَكَّدًا «فَإِنَّهُ» أَي: بِأَنَّهُ يُحِبُّهُ، فَالضَّرُورَةُ يَحْصُلُ الْإِتِّلَافُ وَيَزُولُ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٧).

(١) الْمُتَشَدِّقُونَ: الْمُسْتَهْزِئُ بِالنَّاسِ يَلْوِي شِدْقَهُ عَلَيْهِمْ. فَيُضِ الْقَدِيرُ، الْمَنَاوِي، ٤ / ٢٠٥.

(٢) الْمُتَقِيَهُونَ: الَّذِينَ يَتَوَسَّعُونَ فِي الْكَلَامِ يَتَوَسَّعُ فِيهِ إِظْهَارًا لِفَصَاحَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَاسْتِعْلَاءَ عَلَى غَيْرِهِ، يَنْظُرُ: التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، الْمَنْذَرِي، أَبُو مُحَمَّدٍ زَكِي الدِّينِ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (ت ٦٥٦هـ)، الْمُحَقَّقُ: مُصْطَفَى مُحَمَّدٍ عِمَارَةَ، مَكْتَبَةُ مُصْطَفَى الْبَابِيِّ الْحَلْبِيِّ - مِصْرَ، دَارُ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ - بَيْرُوتَ، ط ٣، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ٣ / ٤١٢.

(٣) مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ، الطَّبْرَانِيُّ، أَبُو الْقَاسِمِ سَلِيمَانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ مَطِيرِ اللَّخْمِيِّ الشَّامِيِّ (ت ٣٦٠هـ)، الْمُحَقَّقُ: أَحْمَدُ شَمْسِ الدِّينِ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ - بَيْرُوتَ، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، (بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ)، ١ / ٣١٤، (٦).

(٤) يَنْظُرُ: مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ شَرْحُ مَشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ، مَلَا عَلِي الْقَارِي، ٧ / ٣٠١٩.

(٥) مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، ابْنِ حَنْبَلٍ، ٢٨ / ٤٠٨، (١٧١٧١)، (صَحْحَهُ الْمُحَقَّقُ).

(٦) صَحِيحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ وَزِيَادَاتِهِ، السِّيُوطِيُّ، ١ / ١١٣، (٢٨٠)، (حَسَنَهُ الْمُحَقَّقُ).

(٧) التَّيْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، الْمَنَاوِيُّ، مُحَمَّدُ الْمَدْعُو بَعْدَ الرَّؤُوفِ بْنِ تَاجِ الْعَارِفِينَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ الْحَدَادِيِّ ثُمَّ الْقَاهِرِيِّ زَيْنِ الدِّينِ (ت ١٠٣١هـ)، مَكْتَبَةُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - الرِّيَاضِ، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١ / ٦٠.



وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ^(١): مَعْنَاهُ الْحَثُّ عَلَى التَّوَدُّدِ وَالتَّأَلُّفِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ اسْتَمَالَ بِذَلِكَ قَلْبَهُ وَاجْتَلَبَ بِهِ وَدَّهُ وَفِيهِ أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُحِبٌّ لَهُ وَوَادٌّ لَهُ قَبْلَ نَصِيحَتِهِ وَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي عَيْبٍ إِنْ أَخْبَرَهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ سَقَطَةٍ إِنْ كَانَتْ مِنْهُ، وَإِذَا لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ مِنْهُ لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَسُوءَ ظَنُّهُ فِيهِ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ قَوْلَهُ وَيُحْمَلُ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى الْعَدَاوَةِ وَالشَّنَّانِ^(٢).

وجاء في الأثر: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: إِذَا أَحْبَبْتَ أَحًا فَلَا تُمَارِهِ، وَلَا تُشَارِهِ^(٣)، وَلَا تَسْأَلْ عَنْهُ، فَعَسَى أَنْ تُوَافِيَ لَهُ عَدُوًّا فَيُخْبِرَكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، فَيُفَرِّقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ^(٤).

(١) الخطابي: الإمام المحدث الرحال، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، سمع أبا سعيد بن الأعرابي بمكة وإسماعيل بن محمد الصفار وطبقته ببغداد، وأبا بكر بن داسة بالبصرة، وأبا العباس الأصم وطبقته بنيسابور، روى عنه الحاكم وأبو حامد الأسفراييني وأبو نصر محمد بن أحمد البلخي الغزنوي وخلق سواهم. أقام مدة بنيسابور يصنف، من تصانيفه: «غريب الحديث»، و«كتاب معالم السنن»، و«كتاب شرح الأسماء الحسنى»، وغير ذلك، توفي الخطابي سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة، ينظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، ٣ / ١٤٩، ١٥٠، الترجمة (٩٥٠).

(٢) ينظر: معالم السنن، الخطابي، ٤ / ١٤٩، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، (كتاب الآداب)، (باب الحب في الله ومن الله)، ١٠ / ٣٢٠٥، تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، العظيم آبادي، أبو عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر شرف الحق الصديقي (ت ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ، ١٤ / ٢١.

(٣) لَا تُشَارِهِ: لَا تَفْعَلْ بِهِ شَرًّا يُحَوِّجُهُ إِلَى أَنْ يَفْعَلَ بِكَ مِثْلَهُ، وَيُرْوَى بِالتَّخْفِيفِ، النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، ابْنُ الْأَثِيرِ، أَبُو السَّعَادَاتِ، مَجْدُ الدِّينِ الْمُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الشَّيْبَانِيِّ الْجَزْرِيِّ (ت ٦٠٦هـ)، الْمُحَقِّقُ: طَاهِرُ أَحْمَدِ الزَّوَايِ، مُحَمَّدُ مُحَمَّدِ الطَّنَاحِيِّ، الْمَكْتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ - بَيْرُوتَ، (د ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٢ / ٤٥٩.

(٤) (أَدَبُ الْمَفْرَدِ، الْبُخَارِيُّ، (بَابُ إِذَا أَحَبَّ رَجُلًا فَلَا يُمَارِهِ وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُ)، ص ١٩١، (٥٤٥)، (صَحْحَهُ الْمُحَقِّقُ).

من اسباب المحبة

أولاً: إفشاء السلام

إِنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبًا لِلْمَحَبَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ سَبَبًا لِكَمَالِ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبُ التَّحَابِ والتَّوَادُدِ وَهُوَ سَبَبُ الْأُلْفَةِ وَالْجَمْعِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسَبِّبِ لِكَمَالِ الدِّينِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ^(١).

"وَيُكْرَهُ إِذَا لَقِيَ الْمُسْلِمَ جَمَاعَةً أَنْ يَخْصَّ بَعْضَهُمْ بِالسَّلَامِ، لِأَنَّ الْقَصْدَ بِمَشْرُوعِيَّةِ السَّلَامِ تَخْصِيلُ الْأُلْفَةِ"^(٢).

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(٣). والسلام في أصله: معناه الأمان، وفي بدء السلام ورده أمان للمسلم، ولمن سلم عليه. فكأن كل واحد منهما يؤمن صاحبه من شره، ويزيل الخوف من قلبه ويؤنسه بهذه التحية، وقد نهى القرآن عن نفي الإيمان عن ألقى السلام إلى المسلمين بقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(٤)^(٥).

وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٦). والمعنى: أذن الله ﷻ للمؤمنين في الأكل من هذه البيوت بأن نكروهم بأدب الدخول المتقدم في قوله ﷻ:

(١) ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، (كتاب الآداب)، (باب السلام)، ١٠ / ٣٠٣٨، مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه، محمد بن علي بن آدم بن موسى، دار المغني - الرياض - السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ، ٣٤٨ / ٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١١ / ١٨.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٦.

(٤) سورة النساء: جزء من الآية ٩٤.

(٥) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء، ٢ / ٨٧٠.

(٦) سورة النور: جزء من الآية ٦١.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١).
لئلاَّ يَجْعَلُوا الْقُرَابَةَ وَالصَّدَاقَةَ وَالْمُخَالَطَةَ مُبِيحَةً لِإِسْقَاطِ الْأَدَابِ فَإِنَّ وَاجِبَ الْمَرْءِ أَنْ
يُلَازِمَ الْأَدَابَ مَعَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ^(٢)، والمراد بـ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾: أهل تلك البيوت التي
يدخلونها، لأنهم بمنزلة أنفسهم في شدة المودة والمحبة والألفة، و﴿تَحِيَّةً﴾ منصوب
بفعل مقدر أي: ينظر:.. أي: فإذا دخلتم أيها المؤمنون والمؤمنات بيوتاً فسلموا على
أهلها الذين هم بمنزلة أنفسكم، وحيوئهم تحية ثابتة من عند الله، مباركة طيبة، أي
مستتعبة لزيادة البركات والخيرات ولزيادة المحبة والمودة^(٣).

أمر سبحانه ﷺ بإشاعة السلام، لأنه تحية المؤمن وشعار الإسلام، وهو طريق
المحبة بين المؤمنين، الذي يربط بين أفراد الأمة الإسلامية^(٤).

ورد حديث يحث على السلام الذي هو طريق المحبة والألفة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا
تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوْلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٥).

ووردت أحاديث تدعو إلى السلام وإطعام الطعام والإخوة في الدين:

عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ ؓ، كَانَ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَفْشُوا السَّلَامَ،
وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٦).

أما الحديث الذي قاله ﷺ يوم دخوله المدينة واقتصر على السلام وإطعام الطعام
والصلاة، ولم يذكر الإخوة والمحبة، لأن التدرج في الأحكام يقتضي ذلك. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ

(١) سورة النور: جزء من الآية ٢٧.

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠٣ / ١٨.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ١٥٧ / ١٠.

(٤) ينظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ٤١١ / ١.

(٥) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الْإِيمَانِ)، (بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ وَأَنَّ مَحَبَّةَ

الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سَبَبٌ لِحُصُولِهَا)، ١ / ٥٣، (٢٠٣).

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ١٠ / ٤٨١، (٦٤٥٠)، (صححه المحقق).

بُنِ سَلَامٍ ﷺ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ قَبْلَهُ، وَقِيلَ: قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثًا، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ، لِأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ، أَنْ قَالَ: «أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَاَنْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(٢).

وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ حُقُوقُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ وَالْمُرَادُ بِالْحَقِّ مَا لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ وَيَكُونُ فِعْلُهُ إِمَّا وَاجِبًا أَوْ مَنْدُوبًا نَدْبًا مُؤَكَّدًا شَبِيهًا بِالْوَاجِبِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ^(٣). «وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِبْتِدَاءَ بِالسَّلَامِ وَالْعِيَادَةَ لِلْمَرِيضِ وَالتَّشْمِيَةَ لِلْعَاطِسِ، لَيْسَ مِنْهُنَّ شَيْءٌ وَاجِبٌ يَنْعَيْنُ وَإِنَّمَا هُوَ حُسْنُ أَدَبٍ وَإِرْشَادٌ فَكَذَلِكَ الدَّعْوَةُ إِلَى الطَّعَامِ»^(٤).

من هذا الحديث تبين أن الحقوق بين أحوال المسلمين التي بيّنها النبي ﷺ إذا قام بها الناس بعضهم مع بعض، حصل بذلك الألفة والمودة وزال ما في القلوب والنفوس من الضغائن والأحقاد.

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت، (د ط)، (د ت)، (كتاب الأَطْعَمَةِ)، (باب إِطْعَامِ الطَّعَامِ)، ٢ / ١٠٨٣، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، (صححه المحقق).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب السَّلَامِ)، (باب مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ رَدُّ السَّلَامِ)، ٣ / ٥٧٧٨.

(٣) ينظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الصنعاني، ٤ / ١٤٨.

(٤) الاستنكار، ابن عبد البر، (كتاب النَّكَاحِ)، (بابُ مَا جَاءَ فِي الْوَلِيمَةِ)، ٥ / ٥٣٨.

ثانياً: الهدية

إنّ تقديم الهدية يزيد من الألفة والمحبة والتقارب بين المُهدي والمُهدى إليه، لما في الهدية من تَأَلَّفِ الْقُلُوبِ، وَالِدَّعَاءِ إِلَى الْمَحَبَّةِ وَالْأُلْفَةِ^(١).
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»^(٢).
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ زِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»^(٣).
حَضَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبُولِ الْهَدِيَّةِ، وَرَغَّبَ عَلَى إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ وَلَوْ نَزَرًا، وَفِيهِ الْحَضُّ عَلَى الْمُواصَلَةِ وَالتَّحَابِّ وَالتَّأَلَّفِ^(٤).

ومن هذا يتضح ما للهدية من أهمية في تأليف القلوب، وتعميق أواصر المحبة، وفيها ترغيب غير المسلمين للإسلام، كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع صفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل أن يُسَلَّمَ؛ حينما أعطاه واديين من الإبل والغنم، فأسلم وحسن إسلامه، بل وسخر كل ما يملك في خدمة الإسلام. قال صفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ"^(٥).

ثالثاً: الشكر

الشُّكْرُ من أجمل وأطيب الصفات التي يجب أن يتصف بها الإنسان، لأنها من مكارم الأخلاق والمجازاة والثناء الجميل على من يقدم الخير والإحسان.

(١) ينظر: الاستنكار، ابن عبد البر، (كِتَابُ الطَّلَاقِ)، (بَابُ مَا جَاءَ فِي الْخِيَارِ)، ٦ / ٧٠.
(٢) الأدب المفرد، البخاري، (بَابُ قَبُولِ الْهَدِيَّةِ)، ١ / ٣٠٦، (٥٩٤)، (صححه المحقق).
(٣) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْهَبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّخْرِيسِ عَلَيْهَا)، (بَابُ الْقَلِيلِ مِنَ الْهَبَةِ)، ٣ / ١٥٣، (٢٥٦٨).
(٤) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ٩ / ٢٤٦.
(٥) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الْفَضَائِلِ)، (بَابُ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ)، ٤ / ١٨٠٦، (٢٣١٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١).
أذن الله ﷻ الشكر للناس لما فيه من تأثير المحبة والألفة^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من استعاذ بالله فأعيدوه ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه»^(٣). فالمكافئة تجلب الوداد وتستمر بها المحبة التي يريدتها الله بين العباد. فإن لم تجدوا ما تكافئوه به من المال فادعوا الله له أن يكافئه عنكم^(٤).

وحتنا النبي ﷺ أن نقدم كلمة الشكر لمن صنع إلينا معروفاً؛ فنقول له كما جاء عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صنع إلي معروفاً فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء»^(٥).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ١٣ / ٣٢٢، (٦٩٣٩)، (صححه المحقق).

(٢) ينظر: فيض القدير، المناوي، ٦ / ٢٢٤.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ١٠ / ٢٦٧، (٥٣٦٥)، (صححه المحقق).

(٤) ينظر: التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، الأمير الصنعاني، أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني (ت ١١٨٢هـ)، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام - الرياض، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ١٠ / ٢٣.

(٥) الأحاديث المختارة، المقدسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الحنبلي (ت ٦٤٣)، المحقق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، ١٤١٠هـ، ٤ / ١١٠، (حسنه المحقق).

رابعًا: الزُّهْدُ

توجد تعاريف كثيرة للزهد واخترت منها التعريف الآتي:

الزُّهْدُ: مَنْ لَمْ يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَهُ، وَلَمْ يَمْنَعْ الْحَلَالُ شُكْرَهُ، وَهَذَا يَعْنِي: الصَّبْرُ عَنِ الْحَرَامِ، وَالشُّكْرُ عَلَى الْحَلَالِ، وَالْإِعْتِرَافُ لِلَّهِ بِهِ، وَاسْتِعْمَالُ النِّعْمَةِ فِي الطَّاعَةِ^(١).
عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُنِّي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدُ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ، يُحِبُّكَ النَّاسُ»^(٢). والحديث يُرَغَّبُ بِالْعِفَافِ وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالْإِكْتِفَاءِ بِالْقَلِيلِ.

خامسًا: زيارة المسلم وعبادته

زيارة المسلم لأخيه المسلم تبعث على الحب والإخاء ولا سيما عند المرض.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ، أَوْ زَارَهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: طُيِّبَتْ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأَتْ فِي الْجَنَّةِ مَنْزِلًا»^(٣).
الحديث يحث على زيارة المرضى وأنه سبب من أسباب دخول الجنة.

سادسًا: وحدة المشاعر

عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٤). أي: تحاببهم فيما بينهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى احد

(١) ينظر: الزهد وصفة الزاهدين، أبو سعيد، أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم (ت ٣٤٠)، المحقق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث - طنطا، ط ١، ١٤٠٨هـ، ص ١٩.

(٢) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (كتاب الزُّهْدِ)، (باب الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا)، ٢/ ١٣٧٣، (٤١٠٢)، (صححه المحقق).

(٣) المصدر نفسه، (باب مَا جَاءَ فِي ثَوَابِ مَنْ عَادَ مَرِيضًا)، ١/ ٤٦٤، (حسنه المحقق).

(٤) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ)، (باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاذُهِمْ)، ٤/ ١٩٩٩، (٢٥٨٦).

أعضاء جسم الانسان، «تَدَاعَى لَهُ» أي: وافقه سائره، أي: باقي الجسد «بِالسَّهْرِ»، أي: عدم النوم «وَالْحُمَى»، أي: بألمه وشدة حرارته^(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا». ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ^(٢).

في كلا الحديتين بيان بأن اجتماع المسلمين له أثر جلي في إضفاء المودة والتراحم والتعاطف والألفة، فيصبحون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضًا.

سابعًا: الأكل عند الأقارب والأصدقاء

جواز الأكل في بيوت الذين تضمنتهم الآية بدون حرج.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَوْلِيَاءِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَوْلِيَاءِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ»^(٣). رخص المولى جل ثناؤه بالأكل من بيت الصديق. وجعلهم في عداد الأقرباء، حتى تدوم الألفة، وتتمكن الصداقة والمودة. وتتقوى روابط الأخوة الدينية بين المسلمين، وذلك من أغراض الشريعة الإسلامية، وأهدافها الإنسانية السامية^(٤).

(١) ينظر: شرح مسند أبي حنيفة، ملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، (حديث الحب)، ص ٥٣٣.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأدب)، (باب تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)، ٨ / ١٢، (٦٠٢٦).

(٣) سورة النور: جزء من الآية ٦١.

(٤) ينظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ١ / ٤١١.

ثامناً: الأختلاط

تتفاوت أرواح واحوال المؤمنين في الإقبال والإدبار على الائتلاف والمخالطة. عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: أَظُنُّهُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَدَاهُمْ»^(١). أي: المؤمن الذي يخالط كل الناس، ليدعوهم إلى الخير والموعظة الحسنة، ويصبر على ما يناله من أذى في سبيل دعوتهم، خير من المؤمن الذي ينعزل عنهم. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا انْتَلَفَ، وَمَا تَنَاطَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»^(٢).

تاسعاً: الصدقات

وردت أحاديث تحت على أنواع الصدقات. وأصل الصدقة ما يُتصدقُ بها من مال الزكاة المفروضة، وتوجد صدقة غير مفروضة وهي صدقة التطوع بالمال وبغير المال.

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ لَكَ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالَةِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصِيرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاقُكَ مِنْ دَلُوكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(٣).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٣٨ / ١٨٨، (٢٣٠٩٨)، (صححه المحقق).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب أحاديث الأنبياء)، (باب الأرواح جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ)، ٤ / ١٣٣، (٣٣٣٦).

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي الدارمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، ترتيب: علاء الدين علي الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ، (كتاب البر والصدقة)، (ذَكَرُ بَيَانَ الصَّدَقَةِ لِلْمَرْءِ بِإِرْشَادِ الصَّالِّ وَهَدَايَةِ غَيْرِ النَّبِيِّ)، (٥٢٩)، (٢٨٧ / ٢)، (صححه المحقق).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ». فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ»، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ: تَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ قَالَ: وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٢).

وهذه اثنتا عشرة صدقة بغير المال. فكل ما ذكر من اسباب المحبة ماهي الا جزء من طريق الألفة ووحدّة صف الأمة.

المحبة والألفة المذمومة

قال صلى الله عليه وسلم: «وَقَالَ إِنَّمَا أُتِّخِذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^(٣)، أي: وقال لهم إبراهيم عليه السلام مؤنبًا ومؤيخًا على سوء صنيعهم بعبادة الأوثان: إنما اجتمعتم على عبادتها في الدنيا للصدقة والألفة التي بين بعضكم وبعض، فأنتم تتحابون على عبادتها، وتتوادون على خدمتها، كما يتفق الناس على مذهب، فيكون ذلك سبب ألفتهم ومودتهم، لا لقيام الدليل عندكم على صحة عبادتها. وقصارى ذلك: إن مودة بعضكم بعضًا هي التي دعتمكم إلى عبادتها، كما يرى الإنسان من يوده يفعل شيئًا، فيفعله مودة له^(٤).

(١) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الرِّكَاتِ)، (بَابُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ)، ١١٥ / ٢، (١٤٤٥).

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْجُمُعَةِ)، (بَابُ فَضْلِ الْإِضْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْعَدْلِ بَيْنَهُمْ)، ١٨٧ / ٣، (٢٧٠٧)، (كِتَابُ الْجُمُعَةِ)، (بَابُ مَنْ أَخَذَ بِالرِّكَابِ وَنَحْوِهِ)، ٥٦ / ٤، (٢٩٨٩).

(٣) سورة العنكبوت: جزء من الآية ٢٥.

(٤) ينظر: تفسير المراغي، المراغي، ١٣٠ / ٢٠.

وقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(١)، في هذه الآية استعارة. لأنه لا فصائل هناك على الحقيقة فتوصف بالتقطع، وإنما المراد: "لقد زال ما كان بينكم من شبكة المودة وعلاقة الألفة، التي تشبه لاستحكامها بالحبال المحصدة، والقرائن المؤكدة"^(٢).

ومن أصدقاء المحبة البغض

قال ﷺ: ﴿لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلْبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾^(٣). أي: من قبل وقعة تبوك، ومعنى الفتنة السعي في تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد الألفة فسلمهم الله منه^(٤).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَجُلْ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»^(٥). «لَا تَبَاغَضُوا» تَهَيَّيْ وَمَعْنَاهُ النَّدْبُ إِلَى رِيَاضَةِ النَّفْسِ عَلَى النَّحَابِ، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالْبِغْضَةَ لَا يَكَادُ الْمَرْءُ يَغْلِبُ فِيهِمَا نَفْسَهُ"^(٦)، لِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾^(٧).

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٤.

(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، ١٣٦ / ٢، ١٣٧.

(٣) سورة التوبة: جزء من الآية ٤٨.

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ٤٧٩ / ٣.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (باب الهجرة) ، ٢٠ / ٢٢٢، (٦٠٧٦).

(٦) الاستنكار، ابن عبد البر، (كتاب حُسن الخلق)، (باب ما جاء في المهاجرة)، ٢٨٩ / ٨.

(٧) سورة التوبة: جزء من الآية ٦٣.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

و"من الألفة والاجتماع، عدم التفرق والانقطاع"^(٢).

السَّكِينَةُ

السكينة: هي الطمأنينة والوقار^(٣).

مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ أَنْزَلَ اللَّهُ السَّكِينَةَ مِنَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَتَأْيِيدَهُم بِالْجُنُودِ.

وردت ثلاث آيات توحى بإنزال السكينة والجنود:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾^(٤). أنزل الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السكينة على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هجرته إلى المدينة، وكان أعزل ليطئن من صناديد قريش، فكان النصر بقدرة الله، وأيده بجنود لم يرها الناس.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعَجَبْتَكُمْ كَثَرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدَبِّرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا

(١) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الإيمان)، (باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، ١٢ / ١، (١٣) ..

(٢) الفتح المبين بشرح الأربيعين، الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الأنصاري شهاب الدين شيخ الإسلام (ت ٩٧٤ هـ)، عني به: أحمد جاسم محمد المحمد وآخرون، دار المنهاج، جدة - السعودية، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨ م، ١ / ٣٢٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٦٧ / ٣.

(٤) سورة التوبة: جزء من الآية ٤٠.

وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾. والنصر للمسلمين لا يأتي بالعدد والعدة فحسب. بل بإنزال السكينة والجنود من عند الله.

وقال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٢). أنزل الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المخلصين يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ يَقِينًا وَتَصَدِيقًا وَعِلْمًا ﴿مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ تَكْرِيرُ الْإِيْمَانِ مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الْمَلَائِكَةُ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ الْمُؤْمِنُونَ يُسَلِّطُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَعْدَائِهِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ "بِمَا صَنَعَ بِكَ مِنَ الْفَتْحِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالْهُدَى وَالنَّصْرَةَ وَإِنزَالَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿حَكِيمًا﴾ فِيمَا صَنَعَ بِكَ" (٣).

ووردت آيتان في إنزال السكينة فقط:

قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٤).

وقال ﷻ: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَرَىٰ أُولَٰئِكَ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ

(١) سورة التوبة: الآيتان ٢٥، ٢٦.

(٢) سورة الفتح: الآية ٤.

(٣) ينظر: تنوير المقباس، ابن عباس، ص ٤٣١.

(٤) سورة الفتح: الآية ١٨.

وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿١﴾.

السكينة بين الزوجين

ذُكِرَتِ السكينة والمودة والرحمة بين الزوجين في قوله ﷺ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (٢)، "يعني: الألفة بين الزوجين" (٣). ومعنى: ﴿لِتَسْكُنُوا﴾ "سكون أنس، وطمانينة، بأن الزوجة من النفس، إذ هي من جنسها وشكلها، فهو أقرب إلى المودة والألفة" (٤). يلاحظ أن كتاب الله أتبع خلق الإنسان بخلق الزوجة، لأن بها يتم الأُنس وينتظم العيش ويزدهر العمران، فهل أحد غير الله يستطيع أن يجعل من الزوج والزوجة، رغم اختلاف طبيعة تكوينهما العضوي والنفسي والعاطفي، شخصية واحدة متكاملة، وهذا المعنى هو الذي يوحي به قوله ﷺ في تأكيد الوحدة والألفة بين الزوج والزوجة: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، على غرار قوله ﷺ في آية أخرى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (٥).

(١) سورة الفتح: جزء من الآية ٢٥، ٢٦.

(٢) سورة الروم: جزء من الآية ٢١.

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، المحقق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية

- دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، ص ٨٤٠.

(٤) تفسير ابن فورك، ابن فورك، ص ٤٢٤.

(٥) سورة الأعراف: جزء من الآية ١٨٩.

وَيَقَعُ لَفْظُ الزَّوْجِ عَلَى الْوَاحِدِ، فَيُقَالُ: هُوَ زَوْجٌ، وَإِنْ كَانَ الذَّكَرُ مَعَ أُنْثَى مِنْ جِنْسِهِ قِيلَ لَهُمَا: زَوْجٌ، وَيُقَالُ لَهُمَا أَيْضًا: زَوْجَانِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ (١)(٢).

ومعنى قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَفُؤُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (٣). أي: جعل من تلك النفس الواحدة التي هي آدم ﷺ، وقوله: ﴿مِنْهَا﴾ "إنما أنث الضمير نظرًا إلى تأنيث النفس، والتأنيث اللفظي قد تجري به أحكام التأنيث"، وقوله: ﴿لَيْسَ كُنَّ إِلَيْهَا﴾ جاء بالضمير مذكرًا ﴿لَيْسَ كُنَّ﴾ هو أي: آدم ﷺ، المُعبر عنه بالنفس الواحدة ﴿إِلَيْهَا﴾ أي: إلى تلك الزوج التي خلقت منه وهي حواء، لأن الرجل يسكن إلى امرأته ويطمئن إليها، وهذا السكون والطمأنينة والألفة التي كانت من الرجل الأول للمرأة الأولى جعله الله سنة كونية قدرية في ذريتهما كما في قوله ﷺ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (٤).

ويوحى قوله ﷺ في التعريف بسر الزوجية، عندما قال ﷺ: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾، و(السكينة) طمأنينة القلب وراحة البال، كما يوحى به قوله ﷺ هنا في تحديد نوع العلاقة العاطفية بين الزوج والزوجة: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، و(المودة) شعور هادئ نبيل، متمسم بالعمق والصدق و(الرحمة) التي تربط بين الزوجين

(١) سورة القيامة: الآية ٣٩.

(٢) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٢ / ١٩٤.

(٣) سورة النساء: جزء من الآية ١.

(٤) ينظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، ٤ / ٤١٤.

بعضهما، وتربط بينهما وبين من له عليهما أولهما عليه حق من الحقوق: مثل حقوق الأبوة وحقوق البنوة^(١).

(١) ينظر: التيسير في أحاديث التفسير، الناصري محمد المكي (ت ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٥/٢٨، ٢٩.

المطلب الثالث

الآيات الواردة في البر والمواخاة وخفض الجناح

أولاً: البرُّ

قَالَ الْمَاورِدِيُّ: "الْبِرُّ، وَهُوَ الْخَامِسُ مِنْ أَسْبَابِ الْأَلْفَةِ فَلِأَنَّهُ يُوصَلُ إِلَى الْقُلُوبِ أَلطَّافًا، وَيُنْبِيهَا مَحَبَّةً وَأَنْعِطَافًا. وَلِذَلِكَ نَدَبَ اللَّهُ ﷻ إِلَى التَّعَاوُنِ بِهِ وَقَرَنَهُ بِالتَّقْوَى لَهُ فَقَالَ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(١)، لِأَنَّ فِي التَّقْوَى رِضَى اللَّهِ ﷻ، وَفِي الْبِرِّ رِضَى النَّاسِ. وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ رِضَى اللَّهِ ﷻ وَرِضَى النَّاسِ فَقَدْ تَمَّتْ سَعَادَتُهُ وَعَمَّتْ نِعْمَتُهُ"^(٢).

وردت آيات عديدة تتكلم عن البر، منها بصيغة المفرد ومنها بصيغة الجمع، وسأسردها بعد تعريف البر، وسأتناول تفسير آية واحدة لكل مجموعة.

الْبِرُّ لُغَةً: "الِاتِّسَاعُ فِي الْإِحْسَانِ وَالزِّيَادَةُ فِيهِ"^(٣)، وَقِيلَ: "الصِّدْقُ وَالطَّاعَةُ"^(٤).

الْبِرُّ فِي الْإِصطِلَاحِ: اسْمٌ جَامِعٌ لِلطَّاعَاتِ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ الْمَطْلُوبِ مِنَ الْعَبْدِ^(٥).

وَالْبِرُّ يَكُونُ بِمَعْنَى: الصِّلَةِ وَاللُّطْفِ وَالْمَبَرَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ وَالطَّاعَةِ، وَالْخَيْرِ، وَالِاتِّسَاعِ فِي الْإِحْسَانِ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ هِيَ مَجَامِعُ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَالْمُرَادُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ هُوَ اسْتِكْمَالُ مَا يَجِبُ شَرْعًا^(٦).

(١) سورة المائدة: جزء من الآية ٢.

(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ١ / ١٨٢.

(٣) تهذيب اللغة، الهروي، ١٥ / ١٣٨، (باب الرء والميم).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، المرسي، ١٠ / ٢٤٠، (باب بر).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٥ / ٢١٣؛ الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، المحقق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني- جدة، (د ط)، (د ت)، ص ١١.

(٦) ينظر: شرح النووي على مسلم، ١٦ / ١١١، البدرُ التمام شرح بلوغ المرام، المغربي، ١٠ / ١٥٨، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ٣٤٨، (فصل الباء).

والبرُّ: ما اطمأنت إليه النفس واطمأن له القلب، لأن حسن الخلق تطمئن إليه النفس والقلب^(١).

والبر: يبسط النَّفس ويشرح الصِّدْر بِحَيْثُ يَجِدُ الْإِنْسَانَ فِي نَفْسِهِ اتِّسَاعًا وَبَسَاطَةً عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَمَّا اتَّسَعَ بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَالْإِحْسَانَ بَسَطَهُ اللَّهُ وَشَرَحَ صَدْرَهُ^(٢).

وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْبِرِّ مِنْ أَنَّهُ التَّوَسُّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ إِذَا أُرِيدَ بِهِ مَا يَشْمَلُ الْأَفْعَالَ النَّفْسِيَّةَ وَالْأَخْلَاقَ الْحَسَنَةَ بِإِعْتِبَارِ مَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْأَعْمَالِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ (الْبِرِّ) الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الْبَحْرِ بِتَّصَوُّرِ سِعَتِهِ، وَالْبِرُّ اسْمٌ لِمَجْمُوعِ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، مِنَ الْإِيمَانِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَابِ وَالْأَعْمَالِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يُعَدُّ خَصْلَةً أَوْ شُعْبَةً مِنَ الْبِرِّ^(٣).

قال ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٤). وهذه الآية جامعة لأساسيات العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق، وجامعة لكل أنواع الخير.

(١) ينظر: التعيين في شرح الأربعين، الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي (ت ٧١٦هـ)، المحقق: أحمد حجاج محمد عثمان، مؤسسة الريان - بيروت، المكتبة المكيّة - مكة، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٢٠٩.

(٢) ينظر: الزهد والورع والعبادة، تقي الدين ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: حماد سلامة، محمد عويضة، مكتبة المنار - الأردن، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص ٦٢.

(٣) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٠٨/٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

قال جعفر الصادق رحمه الله: إِنَّ الْخُلُقَ مَنْحَةٌ يَمْنَحُهَا اللَّهُ خَلْقَهُ، فَمِنْهُ سَجِيَّةٌ، وَمِنْهُ نِيَّةٌ، قُلْتُ: فَأَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ قِيلَ: صَاحِبُ النِّيَّةِ أَفْضَلُ، لِأَنَّ صَاحِبَ السَّجِيَّةِ هُوَ الْمَجْبُولُ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ غَيْرَهُ، وَصَاحِبُ النِّيَّةِ هُوَ الَّذِي يَتَّصِرُ عَلَى الطَّاعَةِ فَيَصْبِرُ، فَهَذَا أَفْضَلُ^(١).

جاء البر في القرآن الكريم بثلاثة معان:

الأول: بمعنى الطاعة وفعل الخيرات، كما في قوله ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٢).

التناجي بين الناس قسمان: تناجٍ محمود وتناجٍ مذموم، فالتناجي المذموم بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ، والمحمود يكون بالبر والتقوى، وجعل البر مقابل الاثم، ودل ذلك على ان البر اسم عام لجميع ما يثاب عليه الإنسان كما أن الإثم اسم عام لجميع الذنوب والسيئات كبيرها وصغيرها.

وقال ﷺ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣). أجمع المفسرون على أن كل طاعة لله تسمى براً^(٤).

الثاني: البر بمعنى صلة الرحم، كما في قوله ﷺ: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُحْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٥).

(١) ينظر: الزهد، الأهوازي، أبو محمد حسين بن سعيد الكوفي (ت في القرن الثالث الهجري)، المحقق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية - قم، (د ط)، ١٣٩٩ هـ، ص ٢٩.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٤.

(٤) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٤٤ / ٧.

(٥) سورة الممتحنة: الآية ٨.

الثالث: البر بمعنى تصديق اليمين كما جاء في قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).
آيات البر:

أولاً: قَالَ ﷺ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (٢).
ثانياً: قَالَ ﷺ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (٣).
ثالثاً: قَالَ ﷺ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ (٤).

رابعاً: قَالَ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ (٥).
خامساً: قَالَ ﷺ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (٦).
سادساً: قَالَ ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (٧).
سابعاً: قَالَ ﷺ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٨).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٤.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ١٧٧.

(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ١٨٩.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٢٤.

(٦) سورة آل عمران: جزء من الآية ٩٢.

(٧) سورة المجادلة: جزء من الآية ٩.

(٨) سورة المائدة: جزء من الآية الثانية.

الْأَمْرُ بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، مِنْ أَرْكَانِ هِدَايَةِ الْمَجْتَمَعِ، لِأَنَّهُ يُوجِبُ عَلَى النَّاسِ إِجَابًا دِينِيًّا أَنْ يُعِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ أَفْرَادًا وَأَقْوَامًا فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَكُلُّ أَعْمَالِ التَّقْوَى الَّتِي يَدْفَعُونَ بِهَا الْمَفَاسِدَ وَالْمَضَارَّ عَنِ أَنْفُسِهِمْ، فَجَمَعَ بِذَلِكَ بَيْنَ التَّحْلِيَةِ وَالتَّخْلِيَةِ، وَلَكِنَّهُ قَدَّمَ التَّحْلِيَةَ بِالْبِرِّ، وَأَكَّدَ هَذَا الْأَمْرَ بِالنَّهْيِ عَنِ ضِدِّهِ؛ وَهُوَ التَّعَاوُنُ عَلَى الْإِثْمِ وَكُلِّ مَا يَعُوقُ عَنِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ، وَعَلَى الْعُدْوَانِ الَّذِي يُغْرِي النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَيَجْعَلُهُمْ مُتَبَاغِضِينَ^(١).

فالتعاون كلمة تحمل الضدين، ويحددها شبه الجملة التي تلي هذه الكلمة.

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(٢). الظاهر حصر البر في حُسن الخُلُقِ وأنها في معنى واحد^(٣).

"وَمَعْنَى حَاكَ فِي صَدْرِكَ أَي تَحَرَّكَ فِيهِ وَتَرَدَّدَ وَلَمْ يَنْشَرْخْ لَهُ الصَّدْرُ وَحَصَلَ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ الشَّكُّ وَخَوْفُ كَوْنِهِ ذَنْبًا"^(٤).

أَوَدَعَ اللَّهُ جَمِيعَ شَرَائِعِهِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْ تَصْحِيحِ الْفِكْرِ وَتَسْيِيدِ النَّظَرِ وَتَأْدِيبِ الْأَهْوَاءِ وَتَحْدِيدِ مَطَامِحِ الشَّهَوَاتِ، وَالذُّخُولِ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ مِنْ بَابِهِ، وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ، وَاسْتِشْعَارِ الْأُخُوَّةِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ، وَالتَّنَاصُحِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَكُلِّهَا مِنْ أُصُولِ الْفَضَائِلِ^(٥).

والمسلم يعمل البر، كأوامر شرعية لا سجية فحسب، كما يفعلها غير المسلمين.

(١) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد علي رضا، ٦ / ١٠٨.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب البرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ)، (بَابُ تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ)، ٤ / ١٩٨٠، (٢٥٥٣).

(٣) البدرُ التمام شرح بلوغ المرام، المَغْرِبِيُّ، ١٠ / ١٥٨.

(٤) شرح النووي على مسلم، (كتاب البرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ)، (بَابُ تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ)، ١٦٠، ١٠٩.

(٥) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٦ / ٢٦٨.

التفسير البياني لقوله ﷺ: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾

في الآية تحتاج إلى تقدير مضاف بعد البر، فيكون: البرُّ بِرٌّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ. أو: ذو البرِّ من آمن. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْكَلَامِ: وَلَكِنَّ الْبَارَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، فَيَكُونُ الْبِرُّ مَصْدَرًا وَضِعَ مَوْضِعَ الْأَسْمِ. والعرب تجعل المصادر صفات. وتجعل أحدهما في مكان الآخر، فالتقدير: وَلَكِنَّ الْبَارَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ^(١)، ويجري ذلك مجرى قوله ﷺ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾^{(٢)(٣)}.

فضل برِّ الوالدين

بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله ﷻ بعد الصلاة، حيث اقترن الإحسان للوالدين بطاعة الله ﷻ في أكثر من آية مما يدل عظيم ثواب البار بوالديه.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ، قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ، قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فَسَكَتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ اسْتَزِدْتُهُ لَزَادَنِي^(٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»^(٥). وفيه الْحَثُّ عَلَى بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَعِظْمُ ثَوَابِهِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ بِرَّهُمَا عِنْدَ كِبَرِهِمَا

(١) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ١ / ٦٥.

(٢) سورة الملك: جزء من الآية ٣٠.

(٣) الأمالي، الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين (ت ٤٣٦هـ)، المحقق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم، ط ١، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، ص ١٤٣.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الجهاد والسير)، (باب فضل الجهاد والسير)، ١٤/٤، ١٥، (٢٧٨٢).

(٥) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب البرِّ والصلَّة والآداب)، (باب رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ)، ٤ / ١٩٧٨، (٢٥٥١).

وَضَعْفِهِمَا بِالْخِدْمَةِ أَوْ النَّقَّةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَمَنْ قَصَرَ فِي ذَلِكَ فَاتَهُ دُخُولُ الْجَنَّةِ وَأَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ^(١).

والإحسان إلى الوالدين إحسانًا كاملًا، بإخلاص وشعور قلبي بالإحترام والتزام وأمرهما بالمعروف، ومعاملتها معاملته كريمة قائمة على المحبة والمودة والبر، لا على الخوف والرّهبة منهما^(٢).

وبر الوالدين بعد موتها بالاستغفار والدعاء لهما وإنفاذ وصيتهما وصلة أرحامهما وإكرام صديقيهما. قال ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾^(٣).

ومن حضارة الإسلام أن البار لوالديه في حياتهما عليه إكمال أبر البر بعد موتها. فمن وصايا الرسول ﷺ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ، إِذَا مَلَ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ، إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: أَلَسْتَ ابْنَ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ، قَالَ: بَلَى، فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ، وَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا، وَالْعِمَامَةَ، قَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ: بَعْضُ أَصْحَابِهِ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبْرَ الْبِرِّ صَلَاةَ الرَّجُلِ أَهْلًا وَدَّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُؤَلِّيَ»، وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ^(٤).

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، (كتاب البرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ)، (باب برِّ الْوَالِدَيْنِ وَأَنْهُمَا أَحَقُّ بِهِ)،

١٠٩ / ١٦.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى، ١ / ٦٢٥.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٤.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب البرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ)، (باب صَلَاةِ أَصْدِقَائِ الْأَبِّ وَالْأُمِّ،

وَتَحْوِهِمَا)، ٤ / ١٩٧٩، (٢٥٥٢).

حرم الله ﷺ قول التأفف بوجه الوالدين بقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرَهُمَا﴾ (١).

وقال ﷺ: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلِدَيْهِ آفٍ لَّكُمَا أَتَعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعِثَّانِ اللَّهَ وَيَلُكَّ ءَامِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢).

لما ذكر ﷺ حال الصالح البار لوالديه، في قوله ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ (٣). ذكر حالة العاق وأنها شر الحالات فقال: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلِدَيْهِ﴾، إِذْ دَعَاؤُهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْإِقْرَارِ بِالْبُعْثِ، فَقَالَ: ﴿آفٍ لَّكُمَا﴾، وَهِيَ كَلِمَةٌ كَرَاهِيَةٌ، ﴿أَتَعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾، مِنْ قَبْرِي حَيًّا ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾، فَلَمْ يُبْعَثْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ﴿وَهُمَا يَسْتَعِثَّانِ اللَّهَ﴾، يَسْتَضْرِحَانِ وَيَسْتَعِثَّانِ اللَّهَ عَلَيْهِ وَيَقُولَانِ لَهُ: ﴿وَيَلُكَّ ءَامِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ ﴿فَيَقُولُ﴾: مَا هَذَا الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ، ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤).

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ الْمُشْرِكِينَ

أمرنا الله ﷺ أَنْ نَقُولَ لِلنَّاسِ حَسَنًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٥). وهذا شامل لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، كما أمرنا بالقسط مع الخلق جميعًا ولم ينهنا عن برِّ غير المسلمين وودهم إذا لم يرتكبوا ما يمنع من ذلك، ولا جرم أَنْ الْوَالِدَيْنِ لَهُمَا خصوصية في كل شأنهما، فقد أمرنا الله ﷺ بالإحسان إليهما حتى لو كانا مشركين، بل لو دعوانا إلى الشرك، فإننا نحسن إليهما دون طاعتهما في معصية الله سبحانه.

(١) سورة الإسراء: جزء من الآية ٢٣.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٧.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٤) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ١٩٦ / ٤.

(٥) سورة البقرة: جزء من الآية ٨٣.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾^(١).
 "عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أتتني أمي رغبة في عهد
 النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ أصلها قال: «نعم». قال ابن عيينة: فأنزل الله ﷻ فيها: ﴿
 لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُجْرِمُوا أَنْ يَدْرِكُوا أَنْ تَبْرؤهُمْ﴾^(٢)^(٣). وهذه الآية
 تحث المسلمين على البر والإقسط لغيرهم الذين يوادونهم ويسالونهم، وتحصر النهي
 في الذين يقاتلون المسلمين ويظاهرون عليهم أعداءهم^(٤).

ثانياً: المؤاخاة

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٥).

معنى المؤاخاة للمفرد والتمثلي والجمع وللمذكر والمؤنث.
 المفرد المذكر: أخ، والتمثلي: أخوان، والجمع: أخوان وإخوان وأخوة وإخوة.
 والمفرد المؤنث: أخت، والتمثلي: أختان، والجمع: أخوات^(٦).
 والإخوة: جمع الأخ وأصله المشارك الآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما
 أو من الرضاع، ويستعار لكل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين^(٧).
 وبالتفصيل الإخوة منها: الطبيعية وهي اشتراك إنسانين في أب أو أم أو فيهما،
 ولها آثار في النكاح والإرث، ومنها إخوة الرضاة، والأخيرة لها آثار في النكاح دون

(١) سورة العنكبوت: جزء من الآية ٨.

(٢) سورة الممتحنة: جزء من الآية ٨.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأدب)، (باب صلة الوالد المشرك)، ٨ / ٤، (٥٩٧٨).

(٤) ينظر: التفسير الحديث، دروزة، ٧ / ١٠٢.

(٥) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٦) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم

الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ١ / ٧٢، (أخ و).

(٧) ينظر: مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، ص ٦٨، (الألف).

الإرث، ومنها إخوة دينية، لها آثار في المجتمع الإسلامي ولا أثر لها في النكاح والإرث^(١).

والبلاغة في قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، من قبيل التشبيه البليغ^(٢). الآية فيها تشبيه الإيمان بالأب في كونه سبباً للحياة^(٣). "تَأْكِيدًا لِلأَمْرِ وَإِشَارَةً إِلَى أَنَّ مَا بَيْنَ الأَخُوَّةِ مِنَ النَّسَبِ، وَالإِسْلَامِ كالأَبِ"^(٤).

قال نَهَارُ بن تَوْسَعَةَ^(٥)، من [الوافر]:

أبي الإسلام لا أب لي سواه..... إذا افتخروا بَقَيْسٍ أو تَمِيمٍ^(٦)

(١) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي، ١٨ / ٣١٥.

(٢) التشبيه البليغ: هو ما ذكر فيه المشبه والمشبه به وحذفت منه الأداة للمبالغة في أن المشبه عين المشبه به مبالغة، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ (شرح الشواهد الكبرى)، العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ)، المحقق: د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام - القاهرة، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ٢ / ٧٤٣.

(٣) ينظر: تفسير مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني (ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب الإسلامية - طهران، (د ط)، ١٩٥٨م، ١٠ / ١٩٧.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٨ / ١٠٦.

(٥) نهار بن توسعة: ابن أبي عينان بن تميم ابن عرفجة بن عمرو بن حنتم بن الحارث بن تميم الله بن ثعلبة بن عكابة ابن صعيب بن علي بن بكر بن وائل التيمي اليشكري، أحد بني تميم اللات بن ثعلبة، شاعر فارس من أهل خراسان كان هجاءً، قدم مرو غازيا فبقي بها وسكنها، خرج نهار بن توسعة في الجيش الذي خرجوا مع الحنيف بن السجف يدفعون على أهل المدينة أيام مروان بن الحكم جببش بن دلجة القيني الذين بعثهم إلى ابن الزبير، ولقوهم بالريذة فخرج رجل من أهل الشام يدعوهم إلى البراز فخرج إليه بن توسعة فقتله، توفي سنة ٨٣هـ، ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ٦٢ / ٣١٤ - ٣١٧، الترجمة (٧٩٣٨).

(٦) كتاب سيبويه، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت، ط ١، (د ت)، ٢ / ٢٨٢، الكامل في اللغة والأدب، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٣ / ١٣٣.

والفرق بين الإخوة والإخوان: أن استعمال الإخوة في ابتداء مراحل الأخوة، ولما تحققت المحبة بينهم وكملت الألفة وخلصت المودة، تُطلق كلمة الإخوان، وكذلك إذا أريد تحقق المحبة وجلب الألفة وإيجاد الإخوة بينهم. وتحقيق موارد استعمال الكلمتين في قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، نزلت في موارد حدوث الاختلاف والبغض بينهم والقتال، فيشار إلى دفعه بالاشتراك في الإيمان^(١).

قال ﷺ: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾^(٢).

وقال ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ﴾^(٣).

الآيتان نزلت في موارد مقتضية للاختلاف وحدث البغض بين الإخوة.

وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ وَالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

"ولا خلاف إن القصاص واقع في العمد فلم يسقط عنه اسم الإيمان بارتكاب هذه الكبيرة، قال في آخر الآية: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ فسمى القاتل أخا المقتول، وقال ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ وهما يخصان المؤمنين دون الكافرين، والكافر لا يكون أخا للمؤمن"^(٥).

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، ١/ ٤٩.

(٢) سورة يوسف: جزء من الآية ٥.

(٣) سورة يوسف: جزء من الآية ٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

(٥) الكشف والبيان، الثعلبي، ٢/ ٥٦.

آيات المؤاخاة

تكررت كلمة الإخوة واشتقاقاتها في القرآن الكريم ستاً وتسعين مرة، لكنها جاءت بمعانٍ مختلفة منها إخوة النسب، والرّضاة، والدين، والإيمان. وألف الله ﷻ بين المسلمين بإخوة الإيمان والإسلام التي هي إحدى نعمه ﷻ. واخترت بعض الآيات:

قال ﷻ في إخوة النسب: ﴿لَأَجْنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءَ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ﴾ (١).

وقال ﷻ في إخوة الرضاة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِمَّنْ أَرْضَعَهُنَّ﴾ (٢).

وقال ﷻ في إخوة الإيمان: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (٣).

وقال ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَتَّبِعُ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا فِي إِخْوَانِكُمْ﴾ (٤).

وقال ﷻ: ﴿فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (٥).

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٦).

(١) سورة الأحزاب: جزء من الآية ٥٥.

(٢) سورة النساء: جزء من الآية ٢٣.

(٣) سورة الحشر: جزء من الآية ١٠.

(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٢٠.

(٥) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٠٣.

(٦) سورة الحجرات: الآية ١٠.

وقال ﷺ في إخوة الدين: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْمُواْءَ آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (١).

وقال ﷺ في دخول إخوة الدين لمن تاب من المشركين: ﴿فَإِنْ تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوْاْ الزَّكَاةَ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفَصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٢).
فالمؤاخاة بالإسلام بين المسلمين موقوفة على فعل الصلاة والزكاة جميعاً، فإن الله ﷻ شرطها في إثبات المؤاخاة، ومن لم يكن أهلاً لوجوب الزكاة عليه، وجب عليه أن يعر بحكمها، فإذا أقر بهذا الحكم دخل في الشرط الذي به تجب الأخوة، قال ابن عباس ﷻ: "حَرَمَتْ هَذِهِ الْآيَةُ دِمَاءَ أَهْلِ الْقَبْلَةِ" (٣).

من وحي النبوة في المؤاخاة

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ فُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، فِي دَارِهِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ" (٤).

وَعَنْ عَاصِمٍ ﷺ قَالَ: "سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: "حَالَفَ فَذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْمُهَاجِرِينَ بَدَلَ فُرَيْشٍ" (٥).

وَقُرِيءَ عَلَى سُفْيَانَ: سَمِعْتُ عَاصِمًا عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِنَا قَالَ سُفْيَانُ: كَأَنَّهُ يَقُولُ: آخَى" (٦).

فكانت المؤاخاة في بداية المجتمع المسلم، بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، حيث بدأت بعد بناء المسجد مباشرةً بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في بيت أنس ﷺ، كما جاء عن عاصم الأحول ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ حَالَفَ

(١) سورة الأحزاب: جزء من الآية ٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١.

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١١ / ٣٦٢، مفاتيح الغيب، الرازي، ١٥ / ٥٣٤.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأدب)، (باب الإخاء والحلف)، ٨ / ٢٢، (٦٠٨٣).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (كتاب الأدب)، (باب الإخاء والحلف)، ١٠ / ٥٠١.

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ١٩ / ١٤٢، (١٢٠٨٩)، (صححه المحقق).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِنَا، فَقِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ». فَقَالَ: خَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِنَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا^(١).

وقد سجّل القرآن الكريم آثار هذه المؤاخاة التي ضربت للحب والإيثار^(٢)، قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٣).

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا، قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»^(٤). وأهم ما يرشد إليه الحديث الواجب على المؤمنين، هو الأخذ على يد الظالم، حتى يمتنع من حدوث ثغرة في المجتمع الإسلامي.

ووردت أحاديث تدعو إلى السلام وإطعام الطعام والإخوة منها: عن ابن عمر رضي الله عنهما، كَانَ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٥).

تضافرت النصوص على مكانة المؤاخاة في المجتمع الإسلامي، فقال ﷺ مُقَرَّرًا علاقة الأخوة بالإيمان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٦)، وذلك دون اعتبار لجنس أو لون أو نسب، فاجتمع وتآخى بذلك سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي مع إخوانهم العرب. كما وصف القرآن الكريم هذه الأخوة بأنها نعمة من الله، قال ﷺ:

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (باب في الحلف)، ٤ / ٥٥٠، (٢٩٢٦)، (صححه المحقق).

(٢) ينظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ١ / ٤١١.

(٣) سورة الحشر: الآية ٩.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب المظالم)، (باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا)، ٣ / ١٢٩، (٢٤٤٥).

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٢ / ١٥٦، (٦٤٥٠)، (صححه المحقق).

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١).

والمؤاخاة من القيم الإنسانية التي أرساها الإسلام، وهي قيمة لم تُوجد في أي مجتمع؛ لا في القديم ولا في الحديث، ومن حق الأخوة أن يشعر المسلم بأن إخوانه ظهير له في السراء والضراء وأن قوته لا تتحرك في الحياة وحدها، بل إن قوى المؤمنين تساندها وتشد أزرها^(٢). كما قيل: "المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه"^(٣).
والمؤاخاة هي من أسباب الألفة، لأنها تكسب إخلاصًا ومصافاةً، وهذا أعلى مراتب الألفة، ولذلك آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، لتزيد ألفتهم، ويقوى تضافرهم وتتناصرهم.

قال ﷺ محذرًا من بعض الأمور التي تعكر صفو الإخوة الإيمانية، وتضعف الرابطة، فعن سالم، عن أبيه (عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال: «المُسلِمُ أخو المُسلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ»^(٤).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) ينظر: شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين، (ت ٩٤ هـ)، المحقق: شرح: حسن السيد علي القبانجي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر - قم، ط ٢، ١٤٠٦ هـ، ص ٦٣١.

(٣) تصحيقات المحدثين، العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد (ت ٣٨٢ هـ)، المحقق: محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة - القاهرة، ط ١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ١١٩٦/٣.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب البرِّ والصِّلَةِ وَالْأَدَابِ)، (بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ)، ٤/ ١٩٩٦، (٢٠٨٠).

بين الله ﷻ ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون فيما بينهم لتقوى الرابطة، وتحقق الأخوة^(١)، فمن ذلك قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

المؤاخاة المذمومة

أخبر ﷻ عن قول المنافقين لإخوانهم: ﴿الْمَرْتَرِ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣).

وعن قول الكافرين لإخوانهم، قال ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرُبَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا تَأْتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾^(٤).

وقال ﷻ محذراً المؤمنين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(٥).

فالناس ثلاثة أصناف: منهم المؤمنون، ومنهم المنافقون، ومنهم الكافرون، والفرقة الأولى من هذه الأصناف بعضهم إخوة لبعض بالمعنى الاصطلاحي، كما جاءت في النصوص.

(١) ينظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، الجربوع، عبد الله بن

عبد الرحمن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - السعودية، ط ١،

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ٢/ ٥٥٥.

(٢) سورة الفتح: جزء من الآية ٢٩.

(٣) سورة الحشر: الآية ١١.

(٤) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٥٦.

(٥) سورة الحجرات: الآية ١٢.

ثالثاً: خَفَضُ الْجَنَاحِ

الجنّاح على خمسة أوجه: الجانب، الجنّاح بعينه، الإثم، اليد، الميل، فوجه منها الجنّاح بمعنى الجانب في ثلاث سور: الحجر، الإسراء، الشعراء^(١).

جاءت ثلاث آيات تحكي عن خَفَضِ الْجَنَاحِ:

قال ﷻ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ

لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وقال ﷻ: ﴿وَأخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا﴾^(٣).

وقال ﷻ: ﴿وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

ان المواطن الثلاثة في القرآن الكريم، قد جاء فيها الحديث القرآني عن خفض الجنّاح بصيغة الأمر والطلب. وذلك دليل على مدى العناية التي يعطيها كتاب الله تبارك ﷻ لهذه الفضيلة^(٥).

(١) ينظر: قاموس القرآن = إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الدامغاني، ابو عبد الله

الحسين بن محمد (ت ٤٧٨هـ)، المحقق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين - بيروت،

ط ٣، ١٩٨٠م، ص ١٠٩.

(٢) سورة الحجر: الآية ٨٨.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٤.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

(٥) ينظر: موسوعة اخلاق القرآن، الشرباصي، أحمد عبده (ت ١٤٠٠هـ)، دار الرائد العربي -

بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٣ / ٣٠.

ففي الآيتين الأولى والثالثة، أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بخفض الجناح لمن تبعه، وَلِيُنْ كَلِمَةٍ وَتَرَكَ الْإِغْلَاطَ لَهُمْ فِي الْقَوْلِ، وَذَلِكَ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ الْأَلْفَةِ^(١). وهو أمرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ.

تعريف خَفَضَ الجناح لغةً: لين الكنف، والكظم عند الغضب^(٢).

تعريف المصطلح المركب خفض الجناح، عرفه غالب المفسرين: لين الجانب ورفيق بهم^(٣).

وَالْجَنَاحَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ: "جُنْبَاهُ، وَالْجَنَاحَانِ: النَّاحِيَتَانِ"^(٤).

الآية الأولى: قال ﷻ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْتَهُمْ^١ زُجَّجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ

وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (كتاب الأدب) (باب المداواة مع الناس)، ١٠ / ٥٢٨.

(٢) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، ص ١٨٧، (خفض الجناح)، لسان العرب، ابن منظور، ١٢ / ٥٨٢، (فصل النون).

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص ٥٩٧.

(٤) جامع البيان، الطبري، ١٤ / ١٢٦.

بلاغة الآية:

قال ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيها استعارة مكنية^(١)، شبه خفض الجانب بخفض الجناح، بجامع العطف والرقعة والحنو في الانسان والطيور، وأستعير اسم المشبه به للمشبه^(٢).

المعنى العام للآية

غالب المفسرين يفسرون هذه الآية بإختصار ويتوسعون في تفسير الجزء الأول من الآية، والآية التي تسبقها وسأنقل أقوال بعض المفسرين فيها:

القول الأول: يَقُولُ ﷺ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِكَ وَاتَّبَعَتْكُمْ كَلَامَكُمْ، وَقَرَّبَهُمْ مِنْكَ، وَلَا تَجْفُ بِهَمَّ، وَلَا تَغْلُظْ عَلَيْهِمْ، يَا مُرَّةُ ﷺ بِالرَّفْقِ بِالْمُؤْمِنِينَ^(٣).

القول الثاني: "التعبير عن اللين والمودة والعطف بخفض الجناح تعبير تصويري، يمثل لطف الرعاية وحسن المعاملة ورقة الجانب في صورة محسوسة على طريقة القرآن الفنية في التعبير"^(٤).

القول الثالث: تشير الآية إلى الإحتفاء بشأن المؤمنين، ورفع منزلتهم، وأن على النبي ﷺ أن يلقاهم حفيًا بهم، مكرمًا لهم، متجاوزًا عن هزاتهم^(٥).

القول الرابع: "إن هذا النص السامي تصغير لما عند المشركين، وتعظيم لمن آمن، كقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا

(١) الإستعارة المكنية: وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه. ينظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية - بيروت، (د ط)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٢م، ص ١٧١.

(٢) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٤ / ٦٧.

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٤ / ١٢٦.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤ / ٢١٥٤.

(٥) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ٧ / ٢٦٢.

عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾^(٢).

القول الخامس: أَلنَّ جَانِبَكَ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أَمَرَ اللَّهُ ﷺ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَلْقِ وَخَيْرِهِمْ، بِأَنْ يَتَوَاضَعَ وَيَلِينُ جَانِبَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَيِّ مُؤْمِنٍ وَإِنْ سَمَا وَعَلَا فَهُوَ دُونَ الرَّسُولِ ﷺ رَتَبَةً^(٣).

القول السادس: "تَنْبِيهِ مِنَ اللَّهِ ﷻ لِرَسُولِهِ ﷺ عَلَى مَوَاصِلَةِ الْإِحْسَانِ فِي مَعَامَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ، تَأْلِيفًا لِقُلُوبِهِمْ، وَتَرْكِيضًا لِلإِيمَانِ فِي نَفْسِهِمْ"^(٤).

الآية الثانية: قَالَ ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾.

بلاغته الآية

العرب إذا وصفت انسانًا بالسهولة وترك الإباء قالوا: هو خافض الجناح، قال ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، فإضافة الجناح إلى الذل كإضافة الجود إلى حاتم على نفس المعنى^(٥).

ومعلوم أنَّ الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلًا في التواضع ولين الجانب، ومنه قول الشاعر المجهول: من البحر [المتقارب]

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٢.

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٨ / ٤١١٢.

(٣) ينظر: أوضح التفاسير، محمد الخطيب، محمد عبد اللطيف (ت ١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية-مصر، ط ٦، ١٩٦٤م، ١ / ٣١٨.

(٤) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، ٣ / ٢٩٨.

(٥) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين، مبرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، المحقق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، مكتبة آية الله المرعشي العامة - قم، ط ٤، ١٤٠٦هـ، ٣ / ٦٢.

وَأَنْتَ الشَّهِيرُ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ فَلَا تَكُ فِي رَفْعِهِ أَجْدَلًا^(١)(٢).
 وقوله ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ أي: تواضع، وتذلل لهما من رحمتك
 عليهما، وهذا أبلغ في الأمر بالتواضع من قوله ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ
 لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)(٤).

"وَأَخْفِضْ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيُّ، الَّذِي هُوَ ضِدُّ الرَّفْعِ؛ لِأَنَّ مُرِيدَ الْبَطْشِ
 يَرْفَعُ جَنَاحِيهِ، وَمَظْهَرُ الذُّلِّ وَالتَّوَاضُعِ يَخْفِضُ جَنَاحِيهِ، فَالْأَمْرُ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ لِلْوَالِدَيْنِ
 كِنَايَةٌ عَنِ لِينِ الْجَانِبِ لَهُمَا، وَالتَّوَاضُعِ لَهُمَا؛ كَمَا قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ
 أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وَإِطْلَاقُ الْعَرَبِ خَفْضَ الْجَنَاحِ كِنَايَةً عَنِ التَّوَاضُعِ وَلِينِ
 الْجَانِبِ أُسْلُوبٌ مَعْرُوفٌ"^(٥).

المعنى العام للآية

تواضع لهما وكن لوالديك ذليلاً، وكن كالمقهور لهما^(٦). إنَّ سبب الذلِّ لهما، الرأفة
 والرحمة، لئلا يُقدَّر الذلُّ على أنه الهوان والضراعة، وهذا من الأغراض الشريفة،

(١) الأجدل: هو الصقر. شَبَّهَ بِطَائِرٍ يَرِيقُ لِأَفْرَاحِهِ وَيَخْفِضُ إِلَيْهَا جَنَاحَهُ رَحْمَةً لَهَا، فَاسْتَعَارَ
 خَفْضَ الْجَنَاحِ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ، وَرَشَحَهُ بِقَوْلِهِ: (فَلَا تَكُ فِي رَفْعِهِ أَجْدَلًا) أَي: شَبَّيْهَا بِالصَّقْرِ
 فِي الْقَسْوَةِ وَالْجَفْوَةِ. أَوْ فِي التَّكْبَرِ وَالتَّرْفَعِ، وَيَجُوزُ أَنْ خَفْضَ الْجَنَاحِ: كِنَايَةٌ عَمَّا يَلْزَمُهُ مِنَ
 الرِّقَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَاللِّينِ، وَ(رَفْعِهِ): كِنَايَةٌ عَنِ الْقَسْوَةِ وَالْجَفْوَةِ، وَبَيْنَ الْخَفْضِ وَالرَّفْعِ طَبَاقٌ التَّضَادِ،
 الْعَيْنُ، الْفَرَاهِيدِيُّ، ٦ / ٧٩، بَابِ (الْجِيمِ وَالِدَالِ وَاللَّامِ).

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ٣ / ٣٤١، لم أقف على البيت في كتب الأدب.

(٣) سورة الحجر: الآية ٨٨.

(٤) دَرْجُ الدُّرِّ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ، الْجَرَجَانِيُّ، أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ
 الْفَارَسِيُّ الْأَصْلُ (ت ٤٧١هـ)، الْمُحَقَّقُ: مُحَمَّدٌ أَدِيبٌ شُكُورٌ أَمْرِي، دَارُ الْفِكْرِ - عَمَانَ - الْأُرْدُنِ،
 ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ٢ / ٢١٠.

(٥) أضواء البيان، الشنقيطي، ٦ / ١٠١.

(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (باب ذل)، ١ / ٣٣٠.

والأسرار اللطيفة^(١).

وأمرنا ﷺ بخفض الجناح لوالدينا في جميع الأحوال وخاصة عند الكبر، إذ تشتد حاجتهما إلى الرعاية في ذلك الوقت، قال ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾. أي: "وَكُنْ لَهُمَا ذَلِيلًا رَحْمَةً مِنْكَ بِهِمَا تُطِيعُهُمَا فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مَعْصِيَةً، وَلَا تُخَالِفُهُمَا فِيمَا أَحَبَّ"^(٢).
وأمرنا بالإحسان إليهما وقرن ذلك بميثاقه، إشارةً بعلو مقامهما، ولفناً للأنظار إلى عظيم حقهما وفضلهما.

قال ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٣).

وأمرنا الله ﷻ بالإحسان إليهما مقترناً بعبادته وعدم الإشراك به.

قال الله ﷻ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٤).
وقال ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنْتَلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٥).

وللأمهات درجة، لما تحملته من أعباء الحمل والولادة والرضاع والرعاية.

قال الله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَدَّهُ فِي حَمْلِهِ وَأَنَّهُ لَكُلِّ شَاكِرٍ عَلِيمٍ﴾^(٦).

(١) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، ص ٢٠٠.

(٢) جامع البيان، الطبري، ١٤ / ٥٥٠.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٨٣.

(٤) سورة النساء: جزء من الآية ٣٦.

(٥) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٥١.

(٦) سورة لقمان: جزء من الآية ١٤.

وقال ﷺ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَلُّهُ وَتَلْهُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْزِي وُلْدًا وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ» (٢)، وهو مجمع عليه في حق الأب والأم، لأن الأم مثله بطريق أولى، وفيه دلالة على غزارة فضل الوالدين (٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثم من؟ قال: «أُمُّكَ»، قال: ثم من؟ قال: «ثُمَّ أَبُوكَ» (٤).

الآية الثالثة: قوله ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

النكته البلاغية في قوله ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾، "استعارة فيها تشبيه، فشبّه الحاني العطوف على من معه من المؤمنين بالطائر الذي يخفض جناحه ويحوط به فراخه، حتى ينضجوا ويستغنوا عن كلاءته، وحمایته" (٥).

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب العتق)، (باب فضل عتق الوالد)، ٢ / ١١٤٨، (١٥١٠).

(٣) ينظر: بين الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، أبو المظفر، عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، (ت ٥٦٠هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن - السعودية، ١٤١٧هـ، ٨ / ١١٢، فيض القدير، المناوي، ٦ / ٤٤٥، البدر التمام شرح بلوغ المرام، المغربي، ١٠ / ١١٧.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأدب)، (باب من أحق الناس بحسن الصحبة)، ٨ / ٢، (٥٩٧١).

(٥) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ١٠ / ٥٤١٧.

وجاء قوله ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ ابْتِدَارًا لِكِرَامَةِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ الْأَمْرِ بِالتَّبَرُّؤِ مِنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١)، وَبَعْدَ الْأَمْرِ بِالإِنذَارِ الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْ وَقَعِ أَلِيمٍ فِي النُّفُوسِ^(٢) ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣).

المعنى العام للآية: أَلنَّ جَانِبَكَ لَهُمْ وَقَارِبَهُمْ فِي الصَّحْبَةِ، وَاسْحَبْ تَجَاوَزَهُمْ عَلَى مَا بَدَرَ مِنْهُمْ مِنَ التَّقْصِيرِ، وَاحْتَمَلْ مِنْهُمْ سُوءَ الْأَحْوَالِ، وَعَاشِرْهُمْ بِجَمِيلِ الْأَخْلَاقِ، وَتَحَمَّلْ عَنْهُمْ كُلَّهُمْ، وَارْحَمَهُمْ كُلَّهُمْ، فَإِنْ مَرَضُوا فَعَدَّهُمْ، وَإِنْ حَرَمَوْكَ فَأَعْطَهُمْ، وَإِنْ ظَلَمُوا فَتَجَاوَزْ عَنْهُمْ، وَإِنْ قَصَرُوا فِي حَقِّكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ^(٤).

"وَبَالِغٌ فِي التَّوَاضُعِ وَالخُضُوعِ قَوْلًا وَفِعْلًا لَهُمْ بَرًّا بِهِمْ وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ، وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ ضُمَّهُمْ إِلَى نَفْسِكَ كَمَا يَفْعَلُ الطَّيْرُ إِذَا ضَمَّ فَرخَهُ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَخْفِضُ جَنَاحَهُ"^(٥).

وَنَهَى اللَّهُ ﷺ نَبِيَّهُ عَنِ التَّكْبَرِ بَعْدَ التَّوَاضُعِ. وَأَمْرُهُ بِالإِنذَارِ قَوْمَهُ فَإِنْ اتَّبَعُوهُ وَأَطَاعُوهُ، خَفِضَ لَهُمْ جَنَاحَ الذَّلِّ، وَإِنْ عَصَوْهُ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ، يَتَبَرَّأُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ^(٦).

"كَأَنَّهُ قِيلَ: وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لَهُمْ لِأَجْلِ إِيمَانِهِمْ، وَجَبْرِ لِخَاطِرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَرَابَتِهِ. وَلِذَلِكَ لَمَّا نَادَى فِي دُعَائِهِ صَفِيَّةً قَالَتْ: «عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ» وَلَمَّا نَادَى فَاطِمَةَ

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٩ / ٢٠٢.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري، ٣ / ٢٠.

(٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين، مبرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي الراوندي

(ت ٥٧٣هـ)، المحقق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، مكتبة آية الله المرعشي العامة - قم،

ط ٤، ١٤٠٦هـ، ٣ / ٦٢.

(٦) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ٣ / ٣٤١.

قَالَ: «بُنْتُ رَسُولِ اللَّهِ» تَأْنِيْسًا لَهُمَا، فَهَذَا مِنْ حَفْضِ الْجَنَاحِ، وَلَمْ يُقَلِّ مِثْلَ ذَلِكَ لِلْعَبَّاسِ لِأَنَّهُ كَانَ يَوْمِيذٍ مُشْرِكًا^(١).

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢). «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِّبِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(٣). وقد خوطب أفضل الأنبياء والمرسلين بقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالتواضع وخفض الجناح لا يدل على أفضلية المتواضع له^(٤).

النكته البلاغية في آيتي خفض الجناح للمؤمنين

قال صلى الله عليه وسلم في سورة الحجر: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم يقل سبحانه: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. كما جاءت في سورة الشعراء.

النكته الأولى: في هذا العدول إلى هذا الأسلوب، إخراج المؤمن الغير المتابع؛ لأن كل متابع مؤمن، وليس كل مؤمن متابعًا، ولئلا يغتر المؤمن بدعوى الإيمان وهو بمعزل عن حقيقته التي لا تحصل إلا بالمتابعة^(٥).

والنكته الثانية: لما تقدم في آية الحجر خطابه عليه الصلاة والسلام، بالتأنيس والتسليية عن عرض، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، فلم

(١) التحرير والتنوير، ١٩ / ٢٠٣.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الْإِيمَانِ)، (بَابُ فِي قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾)، ١ / ١٩٢، (٢٠٦).

(٤) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم - بيروت، ط ٤، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٢٩١.

(٥) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، الهري، ٢٠ / ٣٤٢.

يحتج هنا إلى زيادة. ولما تقدم في آية الشعراء قوله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، والإنذار يستصحب التخويف والاستعلاء على من يخاطب به، أتبع ذلك ﷺ تطفلاً وإنعاماً على من آمن من عشيرته وغيره بقوله ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليكون النص في تعميم المؤمنين مطلقاً من العشيرة وغيرهم، ولو قيل هنا ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لما كان نصاً في التعميم، بل كان يحتمل أن يراد به خصوص المؤمنين من عشيرته ﷺ فحسب (١).

النكتة الثالثة: قال ﷺ في سورة الشعراء بزيادة ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾، لأنه قال قبله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، "فلو لم يذكر هذه الزيادة لكان الظاهر أن اللام للعهد فصار الأمر بخفض الجناح مختصاً بالأقربين من عشيرته فزيد ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ ليعلم أنّ هذا التشريف شاملٌ لجميع متبعيه من الأمة" (٢).

(١) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل

الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت ٧٠٨هـ)، المحقق: عبد الغني

محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية- بيروت، (د ط)، (د ت)، ٢ / ٢٩٢.

(٢) غرائب القرآن وרגائب الفرقان، النيسابوري، ٤ / ٢٣٤.

المبحث الثاني

الألفاظ الواردة في معنى الألفة الخاصة بالناس

المطلب الاول

الآيات الواردة في الرأفة والرحمة

أولاً: الرأفة

ذَكَرَ اللهُ ﷻ اسمه (الرءوف) منفردًا في آيتين:

قال ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١).

وقال ﷻ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٢).

الآيتان تشير أن الله سبحانه رءوفٌ بجميع الناس.

ورد لفظ (رأفة) مصدر رأف في آيتين.

قال ﷻ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾^(٣).

وقال ﷻ: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾^(٤).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ٣٠.

(٣) سورة النور: جزء من الآية ٢.

(٤) سورة الحديد: جزء من الآية ٢٧.

ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ اسْمِينَ مَقْتَرْنَةً مِنْ أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى (الرءوف الرحيم) فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مِنْهَا:

قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).
 وَقَالَ ﷻ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).
 وَقَالَ ﷻ: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

وَقَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ١٤٣.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٧.

(٣) سورة النحل: الآيات ٥ - ٧.

(٤) سورة النحل: الآية ٤٧.

(٥) سورة الحج: الآية ٦٥.

(٦) سورة النور: الآية ٢٠.

وقال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).

وقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

ثانياً: الرحمة

يقال في المُبالغة: رَحِيمٌ على وزن فعيل وَجَمَعُهُ رُحَمَاءُ^(٣).

وفي التفضيل: أرحم على وزن أفعال، والرحمة من الله: الإحسان للعباد، وتطلق الرحمة أيضا على ما يكون سبباً في رحمة الله من كتاب أو رسول^(٤).

وصف الله ﷻ نفسه بـ: (الرَّحِيم) منفرداً في ثلاث آيات:

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٥).

وقال ﷻ: ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٦).

وقال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكَ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٧).

(١) سورة الحديد: الآية ٩.

(٢) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٣) ينظر: المصباح المنير، الفيومي، ١/ ٢٢٣، (ر ح م).

(٤) ينظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الجمل، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح

أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، ط ١، ٢٠٠٨م، ٢/ ١٨٢.

(٥) سورة النساء: جزء من الآية ٢٩.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٦٦.

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٤٣.



ذَكَرَ اللهُ ﷻ اسْمَهُ (الرَّحِيم) مَقْرُونًا بِاسْمِهِ (الْغُفُور) فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مِنْهَا:

قَالَ ﷻ: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۖ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(١).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٢).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٣).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهُ يَجِدِ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٤).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٥).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٦).

وَقَالَ ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾^(٧).

(١) سورة النساء: جزء من الآية ٩٥، والآية ٩٦.

(٢) سورة النساء: جزء من الآية ١٠٠.

(٣) سورة النساء: الآية ١٠٦.

(٤) سورة النساء: الآية ١١٠.

(٥) سورة النساء: الآية ١٢٩.

(٦) سورة النساء: الآية ١٥٢.

(٧) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

وقال ﷻ: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١).

وقال ﷻ: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢).

وقال ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ آدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ (٣) وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٣).

وقال ﷻ: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٤).

وقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٥).

ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ اسْمَهُ (الرَّحِيم) مَقْرُونًا بِاسْمِهِ (التَّوَّاب) فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مِنْهَا:

قَالَ ﷻ: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٦).

وَقَالَ ﷻ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٧).

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٤.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٧٣.

(٥) سورة الفتح: الآية ١٤.

(٦) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٧) سورة البقرة: جزء من الآية ٥٤.

وقال ﷻ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

وقال ﷻ: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٢).

وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٣).

وقال ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبْنَا وَكَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤).

ذَكَرَ اللهُ ﷻ صفتين من صفاته مقترنتين (أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) في أربع آيات:

قال ﷻ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَآتَى مَسْنَى الضُّرِّ وَانْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٥).

وقال ﷻ: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦).

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٠.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦.

(٣) سورة النساء: جزء من الآية ٢٩.

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٥) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٢.

(٦) سورة يوسف: الآية ٦٤.

وقال ﷻ: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾^(١).

وقال ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَادْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾^(٢).

ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ اسْمَهُ (الرَّحْمَنُ) مُنْفَرِدًا فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مِنْهَا:

قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذِ اتَّعَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾^(٣).

وقال ﷻ: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾^(٤).

وقال ﷻ: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾^(٥).

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾^(٦).

وقال ﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ

مُعْرِضُونَ ﴾^(٧).

وقال ﷻ: ﴿ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾^(٨).

وقال ﷻ: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

سَلَامًا ﴾^(٩).

(١) سورة يوسف: الآية ٩٢.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٣.

(٣) سورة مريم: جزء من الآية ٥٨.

(٤) سورة مريم: الآية ٨٥.

(٥) سورة مريم: الآية ٩٣.

(٦) سورة مريم: الآية ٩٦.

(٧) سورة الأنبياء: الآية ٤٢.

(٨) سورة الأنبياء: الآية ١١٢.

(٩) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (١).

وقال ﷻ: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ (٢).

وقال ﷻ: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (٣).

وقال ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (٤).

وقال ﷻ: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ * أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (٥).

وقال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٦).

ذَكَرَ ﷻ اسمين مقترنين من أسمائه الحسنی (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في خمس آيات:

قال ﷻ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٧).

وقال ﷻ: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٨).

(١) سورة يس: الآية ١١.

(٢) سورة يس: الآية ٢٣.

(٣) سورة ق: الآية ٣٣.

(٤) سورة الرحمن: الآيتان ١، ٢.

(٥) سورة الملك: الآية ١٩، ٢٠.

(٦) سورة الملك: الآية ٢٩.

(٧) سورة الفاتحة: الآية ٣.

(٨) سورة البقرة: الآية ١٦٣.

وقال ﷺ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١).

وقال ﷺ: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢).

وقال ﷺ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

إِنَّ ﴿الرَّحْمَنَ﴾ دال على صفة ذاتية، و﴿الرَّحِيمُ﴾ دال على صفة فعلية، ف﴿الرَّحْمَنُ﴾ دال على الصفة القائمة به سبحانه، و﴿الرَّحِيمُ﴾ دال على تعلقها بالمخلوقين، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، ولم يجيء قط (رحمن بهم)، قال ﷺ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٤)، وقال ﷺ: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥)، فَعُلِمَ أَنَّ (رحمن) هو الموصوف بالرحمة، و﴿رَّحِيمٌ﴾ هو الراحم برحمته^(٦).

وقالوا: ﴿الرَّحْمَنَ﴾ فيه من المبالغة ما ليس في ﴿الرَّحِيمِ﴾، لذلك قالوا: رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، على قاعدة: الزيادة في المبنى يزيد في المعنى^(٧).
وقيل: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَهُمَا بِمَعْنَى^(٨).

(١) سورة النمل: الآية ٣٠.

(٢) سورة فصلت: الآية ٢.

(٣) سورة الحشر: الآية ٢٢.

(٤) سورة الاحزاب: جزء من الآية ٤٣.

(٥) سورة التوبة: جزء من الآية ١١٧.

(٦) ينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، أبي بكر محمد بن بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، المحقق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٦هـ، ١ / ٢٨.

(٧) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ١ / ٤٩.

(٨) ينظر: العين، الفراهيدي، ٣ / ٢٢٤، (باب الحاء والراء والميم)، الصحاح، الجوهري الفارابي، ٥ / ١٩٢٩، (رحم).

ثالثاً: من صفات الرسول ﷺ (الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ، وَالرَّحِمَةُ)

قال ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).

وقال ﷺ: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا

مِنْكُمْ﴾^(٢).

وقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

التعريف اللغوي والاصطلاحي للرافة والرحمة

أولاً: تعريف الرافة لغةً: الرافة أرق من الرحمة، فهي أخص، يقال: راف به يرأف

رافة ورافة^(٤).

ثانياً: الرافة في الاصطلاح: "وَهِيَ دَفْعُ الْمَكْرُوهِ وَإِزَالَةُ الضَّرَرِ"^(٥).

ثالثاً: تعريف الرَّحْمَةُ لغةً: "الرِّقَّةُ وَالتَّعَطُّفُ"^(٦).

رابعاً: الرَّحْمَةُ في الاصطلاح: "الرَّحْمَةُ رِقَّةٌ تَقْتَضِي الْإِحْسَانَ إِلَى الْمَرْحُومِ"^(٧).

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٢) سورة التوبة: جزء من الآية ٦١.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٤) ينظر: عمدة الحفاظ، السمين الحلبي، ٥٥ / ٢.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي، ٩٣ / ٤.

(٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، ١٩٢٩ / ٥، (باب رحم).

(٧) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٣٤٧، (باب رحم).

القراءات المتواترة

أولاً: اختلفوا في: (رؤوف) حيث وقع، فقرأ البصريان والكوفيون سوى حفص بقصر الهمزة من غير واو، (رؤف) على وزن (فعل)، وقرأ الباقر بواو بعد الهمزة، (رؤوف) على وزن (فعلول)^(١).

ثانياً: قرأ ابن كثير وحده (رأفة) في سورة النور مفتوحة الهمزة، وفي سورة الحديد (رأفة) ساكنة، وقرأ الباقر رأفة ساكنة الهمزة في السورتين^(٢).

معاني الرأفة

إن جميع الآيات التي ذكرت فيها (الرأفة) عقائدية تتعلق بأسماء الله ﷻ الحسنى، وصفات الرسول ﷺ، إلا آية واحدة، قوله ﷺ: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾^(٣)، استنبط منها المفسرون والفقهاء أحكاماً عملية، فقالوا: لا تأخذكم الرقة في عدم تنفيذ العقوبة عليهما، لأنها طاعة لله فيما أمركم به من إقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به^(٤).

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين (ت ٨٣٣هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠هـ)، دار الكتاب العلمية- بيروت، (د ط)، ١٣٩٩هـ، ٢ / ٢٢٣، المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر، أبو حفص عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري (ت ٩٣٨هـ)، المحقق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ١ / ٦٨.

(٢) ينظر: معاني القراءات، الأزهرى، ٢ / ٢٠١.

(٣) سورة النور: الآية ٢.

(٤) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٧ / ١٣٩.

والرأفة تكون دفع المكروه، والرحمة إيصال المحبوب، أي: لا تحملنكم الشفقة عليهما على ترك الحد، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني: فِي دِينِ اللَّهِ، أي: في حكم الله^(١). وهذا التفسير على طريقة التقديم والتأخير.

وَعُطِفَ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ لِلتَّكْثِيرِ بِأَنَّ الرَّأْفَةَ بِهِمَا فِي تَعْطِيلِ الْحَدِّ أَوْ نَقْصِهِ نَسِيَانًا لِلْيَوْمِ الْآخِرِ فَإِنَّ تِلْكَ الرَّأْفَةَ تَفْضِي بِهِمَا إِلَى أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُمَا الْعِقَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ رَأْفَةٌ صَارَتْ كَرَأْفَةِ تَرْكِ الدَّوَاءِ لِلْمَرِيضِ، فَإِنَّ الْحُدُودَ جَوَابِرٌ عَلَى مَا تُؤْذِنُ بِهِ أَدِلَّةُ الشَّرِيعَةِ وَزَوَاجِرٌ لِلْمُجْتَمَعِ^(٢).

والنكتة البلاغية في قوله ﷺ: ﴿تَأْخِذْكُمْ﴾ بدأ الفعل بالتاء لتأنيث لفظ الرأفة^(٣).

وَالرَّأْفَةُ: مُبَالَغَةٌ فِي رَحْمَةٍ خَاصَّةٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَأْخِذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾^(٤). أَي لَا تَرَأْفُوا بِهِمَا فَتَرْفَعُوا الْجِدَّ عَنْهُمَا، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَصَلَبُوا فِي دِينِ اللَّهِ وَلَا يَأْخِذَهُمُ اللَّيْنُ فِي اسْتِيفَاءِ حُدُودِهِ فَيَعْطَلُوا الْحُدُودَ أَوْ يَخْفُوا الضَّرْبَ ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أَي: فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَوْ حُكْمِهِ، وَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ مِنْ بَابِ التَّهْيِجِ وَالْهَابِ الْغَضَبِ لِلَّهِ وَلِدِينِهِ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ مُضْمَرٌ أَي: (فَاجْلِدُوا وَلَا تُعْطَلُوا الْحُدُودَ)، ﴿وَلَيْشَهَدَ عَذَابَهُمَا﴾ وَلِيحْضُرَ مَوْضِعَ حُدُودِهِمَا، وَتَسْمِيَتُهُ عَذَابًا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ عَقُوبَةٌ، وَ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: فِرْقَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ حَلْقَةً لِيَعْتَبَرُوا وَيَنْزَجِرُوا، وَأَقْلَهُ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ وَهِيَ صِفَةٌ غَالِبَةٌ كَانَهَا الْجَمَاعَةُ الْحَافَةَ حَوْلَ شَيْءٍ^(٥).

وَلَيْسَ الْمُنْهَى عَنْهُ الرَّأْفَةُ الطَّبِيعِيَّةُ عَلَى تَرْكِ الْحَدِّ، وَإِنَّمَا هِيَ الرَّأْفَةُ الَّتِي تَحْمِلُ الْحَاكِمَ عَلَى تَرْكِ الْحَدِّ، أَوْ عَدَمَ إِقَامَتِهِ عَلَى وَجْهِهِ، لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ أَنَّ الْحَدَّ إِذَا رَفَعَ إِلَى السُّلْطَانِ فَقَدْ وَجِبَتْ إِقَامَتُهُ، وَحُرِّمَ الْعَفْوُ عَنِ الْمَدْعَى عَلَيْهِ إِذَا ثَبَتَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، أَمَا إِذَا

(١) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، ٢/ ٤٩٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨/ ١٥١.

(٣) ينظر: حقائق الروح والريحان، الهري، ١٩/ ٢١٣.

(٤) سورة النور: جزء من الآية ٢.

(٥) ينظر: مدارك التنزيل، النسفي، ٢/ ٤٨٧.

لم يصل إلى السلطان فالعفو والستر أفضل، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ «تَعَاَفُوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدِّ فَقَدْ وَجِبَ»^(١). "وقد دل النهي عن الرأفة في الحدود، أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله، ولا يأخذهم اللين في استيفاء حدوده؛ فيعطلوا الحدود"^(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «حَدُّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمَطَّرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»^(٣).

ومقصد الشريعة من إقامة الحدود على الذي يتعدى على حدود الله للحفاظ على الالفة والوحدة للمجتمع الاسلامي.

معاني الرحمة

الرَّحْمَةُ عَلَى قِسْمَيْنِ: امْتِنَانِيَّةٌ وَمَكْتُوبَةٌ، فالامتنانية هي الرَّحْمَةُ الْمُفِيضَةُ لِلنِّعَمِ السَّابِقَةِ عَلَى الْعَمَلِ، وَهِيَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأما المَكْتُوبَةُ فَهِيَ الْمَوْعُودَةُ لِلْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ فِي قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ رَحِمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤)، وَفِي قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(٥)^(٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ»^(٧). والشجنة: عروق الشجر المشتبكة، والمراد به

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (باب العفو عن الحدود ما لم يبلغ السلطان)، ٢٣٢ / ٤، (٤٣٧٨)، (صححه المحقق).

(٢) الأساس في التفسير، سعيد حوى، ٢ / ٣٦٩٩.

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (كتاب الحدود)، (باب إقامة الحدود)، ٧ / ٨٤٨، (٢٥٣٨)، (حسنه الألباني).

(٤) سورة الأعراف: جزء من الآية ٥٦.

(٥) سورة الأعراف: جزء من الآية ١٥٦.

(٦) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ١٦ / ٢٧٤، (رحم).

(٧) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأدب)، (باب من وصل وصله الله)، ٨ / ٦، (٥٩٨٨).

هنا: قرابة مشتبكة كالعروق المتداخلة والأغصان المتشابكة وهي مأخوذة من الرحمن أي: من لفظه، والمعنى: الرحم أثر من آثار رحمته مشتبكة بها فقاطعها قاطع نفسه من رحمة الله^(١).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَبِيًّا فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبُ تَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ «لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا»^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحِمُونَ، وَبِهَا تَعَطَّفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣). يعني: كلُّ شفقةٍ ورحمةٍ تصلُّ من بني آدم إلى آدمي، ومن الحيوان إلى آخر من جنسه، أو من غير جنسه كلُّ ذلك نتيجة تلك الرحمة الواحدة التي أنزلها بين خلقه^(٤).

وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا

(١) ينظر: منحة الباري، السنيكي، أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي زين الدين (ت ٩٢٦هـ)، المحقق: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد- الرياض، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ١٦٢ / ٩، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي الباز، الدار السعودية- جدة، ط ٨، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، ص ٣٩.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأدب)، (باب رَحْمَةِ الْوَالِدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ)، ٨ / ٨، (٥٩٩٩).

(٣) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب التَّوْبَةِ)، (بابٌ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ)، ٢١٠٨ / ٤، (٢٧٥٢).

(٤) ينظر: شرح مصابيح السنة، البغوي، ابن الملك محمد بن عَزِّ الدِّينِ عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدِّينِ بنِ فَرِشْتَا الحنفي (ت ٨٥٤هـ)، المحقق: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية - الكويت، ط ١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ١٥٥ / ٣.

فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»^(١).

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» فَأَعَادَتْ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَفْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعُّعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍْ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ، كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ»^(٢)^(٣). والقعقعة: حكاية صوت الشيء اليابس إذا حرك، والشَّنُّ، القربة الخلقة اليابسة^(٤).

الفرق بين الرأفة والرحمة

الرأفة حيث قُرِنَتْ مع الرحمة في الآيات قُدِّمَتْ عليها^(٥).
والرأفة: هي السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ الضَّرِّ، وَالرَّحْمَةُ: السَّعْيُ فِي إِصْلَالِ الْمُنْفَعَةِ^(٦).

(١) صحيح مسلم، مسلم، (كتاب التَّوْبَةِ)، (بَابُ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ)، ٤/ ٢١٠٩، (٢٧٥٣).

(٢) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٢.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب التوحيد)، (بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»)، ٩/ ١٣٣، (٧٤٤٨).

(٤) ينظر: كوثر المَعَانِي الدَّرَارِي فِي كَشْفِ خَبَايَا صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، الشنقيطي، مُحَمَّدُ الْخَضِرُ بْنُ سَيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَكْنِيِّ (ت ١٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ١١/ ٣٨٦.

(٥) ينظر: حَاشِيَةُ الشَّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر- بيروت، ٦/ ٣٥٤.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٦/ ١٦٣، التفسير الوسيط، الزحيلي، ص ٩٢٦.

والرأفة أبلغ من الرحمة ولهذا نجد في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، تقديمًا وتأخيرًا، أراد أن التوكيد يكون في الأبلغ في المعنى، والرأفة أقوى من الرحمة في الكيفية، لأنها عبارة عن إيصال النعم صافية عن الألم. والرحمة إيصال النعم مطلقًا، وقد يكون مع الكراهة والألم للمصلحة كقطع العضو المجنوم^(١).

والرَّحْمَةُ اسْمٌ جَامِعٌ يَدْخُلُ فِيهِ الرَّأْفَةُ وَيَدْخُلُ فِيهِ الْإِفْضَالُ وَالْإِنْعَامُ، وَقَدْ سَمَى اللَّهُ ﷻ الْغَيْثَ رَحْمَةً قَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(٢)، لِأَنَّهُ إِفْضَالٌ مِنَ اللَّهِ وَإِنْعَامٌ. فَذَكَرَ اللَّهُ ﷻ الرَّأْفَةَ أَوَّلًا فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣) بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُضِيعُ أَعْمَالَهُمْ وَيُخَفِّفُ الْمِحْنَ عَنْهُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّحْمَةَ ثَانِيًا لِتَكُونَ أَعَمَّ وَأَشْمَلَ، وَلَا تَخْتَصُّ رَحْمَتُهُ بِذَلِكَ النَّوعِ بَلْ هُوَ رَحِيمٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ دَافِعٌ لِلْمَضَارِّ الَّتِي هِيَ الرَّأْفَةُ وَجَالِبٌ لِلْمَنَافِعِ مَعًا^(٤).

وعفا الله ﷻ عن المؤمنين ورأف بهم ورحمهم بقوله: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥)، فالرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو، ويجوز كون الأول عبارة عن إزالة الضرر والثاني عن إيصال المنفعة وأن يكون أحدهما للسوابق والآخر للوآحق^(٦).

وقيل: معنى الرأفة: الرحمة، فعلى هذا يكون جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ عَلَى سَبِيلِ التَّكْيِيدِ. وَحَسُنَ ذَلِكَ اخْتِلَافَ اللَّفْظَيْنِ^(٧)، كما في قوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ

(١) ينظر: الفروق اللغوية، العسكري، ص ٢٤٦، (الفرق بين الرأفة والرحمة).

(٢) سورة الأعراف: جزء من الآية ٥٧.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ١٤٣.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٩٣ / ٤، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ١ / ١٢٠،

حدائق الروح والريحان، الهري، ٣ / ١٤.

(٥) سورة التوبة: جزء من الآية ١١٧.

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٤ / ١٠٩.

(٧) ينظر: عمدة الحفاظ: السمين الحلبي، ٢ / ٥٥.

وَرَحْمَةً ﴿١﴾، ومعنى الصَّلَوَاتِ هَاهُنَا الرَّحْمَةُ بَعْدَ الرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ مِنَ اللَّهِ: الرَّحْمَةَ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ: الْاسْتِغْفَارَ، وَمِنَ النَّاسِ: الدُّعَاءَ ﴿٢﴾ وَمِمَّا يَدْفَعُ تَوَهُمَ التَّكْرَارِ فِي عَطْفِ الْمُتْرَادِفِينَ، نَحْوُ: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾. وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقَدَ أَنَّ مَجْمُوعَ الْمُتْرَادِفِينَ يُحْصِلُ مَعْنَى لَا يُوْجَدُ عِنْدَ انْفِرَادِ أَحَدِهِمَا، فَإِنَّ التَّزْكِيْبَ يُحْدِثُ مَعْنَى زَائِدًا وَإِذَا كَانَتْ كَثْرَةُ الْحُرُوفِ تُفِيدُ زِيَادَةَ الْمَعْنَى فَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْأَلْفَاظِ ﴿٣﴾. ومعنى الآية: "عليهم مَغْفِرَةٌ. وَصَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ: غُفْرَانُهُ لِعِبَادِهِ" ﴿٤﴾. ويؤيد هذا المعنى ما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى» ﴿٥﴾. "والصلاة في هذا الموضع معناه: الدعاء والتبرك وهو تأويل قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ صل إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٦﴾" ﴿٧﴾.

وقيل: الرأفة: أشد من الرحمة. ومن صفات الله تعالى: الرؤوف وهو الرحيم لعباده بألطافه. والرحمة أكثر من الرأفة، والرأفة أخص من الرحمة وأرق، ولا تكاد تقع في الكراهة ﴿٨﴾.

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ١٥٧.

(٢) ينظر: تفسير السمعاني: السمعاني، ١/ ١٥٧.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٤٧٧.

(٤) جامع البيان، الطبري، ٢/ ٧٠٢.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الدعوات)، (بَابُ صَلَاةِ الْإِمَامِ وَدُعَائِهِ لِصَاحِبِ الصَّدَقَةِ)، ٢/ ١٢٩، (١٤٩٧).

(٦) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٧) معالم التنزيل، البغوي، ٢/ ٣٨٥.

(٨) ينظر: رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، ص ٣٨٠، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، ٤/ ٦.

وأوصاف الله ﷻ تحمل على الكمال، فالرأفة والرحمة عند البشر انعصار القلب لمكروه ثم طريانه ببعث على إغاثة المبتلى بذلك المكروه، فَوَصِفْنَا بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ، أما في وصفه ﷻ فللتمام والكمال الذي هو إغاثة المبتلى، فيوصفُ الله ﷻ به على هذا المعنى الأخير الذي هو الغاية، وعلى هذا يجري القول في صفات الله جميعاً^(١).

والرأفة والرحمة يحبهما الله ما لم تكن مَضِيعَةً لِدِينِ اللَّهِ، فالرأفة والرحمة مأمور بهما بخلاف الرأفة في حد من حدود الله. والشيطان يريد من الإنسان الإسراف في أمره كلها، فإنه إن رآه مائلاً إلى الرحمة، زَيْنَ لَهُ الرَّحْمَةَ حَتَّى لَا يَبْغِضَ مَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَلَا يَغَارَ، وَإِنْ رَأَاهُ مَائِلاً إِلَى الشَّدَةِ، زَيْنَ لَهُ الشَّدَةَ، فَيَزِيدُ فِي الذَّمِّ وَالْبَغْضِ وَالْعِقَابِ عَلَى مَا يَحِبُّهُ. وَيَتْرِكُ مِنَ اللَّيْنِ وَالصَّلَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ مَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ. فَالْأَوَّلُ مُذْنَبٌ وَالثَّانِي مُسْرِفٌ^(٢).

تفسير قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) أَي: إِنَّ اللَّهَ لَكَثِيرُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بَلِيغُهُمَا، حَيْثُ أُنزِلَ كُتُبُهُ وَبَعَثَ رُسُلَهُ لِهِدَايَةِ عِبَادِهِ، بَعْدَ نَصْبِ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ، فَلَا رَأْفَةَ وَلَا رَحْمَةً أَبْلَغَ مِنْ هَذِهِ. وَهِيَ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ، أَسْبَابُ الْمَعَاشِ، وَأَمْسَكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ فَتُهْلِكُهُمْ تَفْضُلاً مِنْهُ عَلَى عِبَادِهِ وَإِنْعَامًا عَلَيْهِمْ. ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ نِعْمَةً أُخْرَى فَقَالَ: وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ جَمَادًا ثُمَّ يُمِيتُكُمْ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَعْمَارِكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ عِنْدَ الْبَعْثِ^(٤).

وفي قوله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٥)، ذَكَرَ وَصَفَ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ فِي الْآيَةِ، لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ إِنْقَاذُهُ إِيَّاهُمْ مِنْ سُوءِ مَحَبَّةٍ أَنْ تَشِيْعَ

(١) ينظر: باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، بيان الحق، أبو القاسم، محمود بن أبي

الحسن علي بن الحسين النيسابوري الغزنوي (ت بعد ٥٥٣هـ)، المحقق: سعاد بنت صالح بن

سعيد بابقي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ١٤.

(٢) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٧ / ٢١٢.

(٣) سورة الحديد: جزء من الآية ٩.

(٤) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٣ / ٥٥١، ٥ / ٢٠١.

(٥) سورة النور: الآية ٢٠.

الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا، كما جاء في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١). تلك المَحَبَّةُ الَّتِي انطَوَتْ عَلَيْهَا صَمَائِرُ الْمُنَافِقِينَ، كَانَ انْقِادُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ التَّخَلُّقِ بِهَا رَأْفَةً بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَرَحْمَةً لَهُمْ بِثَوَابِ الْمَتَابِ (٢).

وَالرَّأْفَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي حَقِّ مَنْ وَقَعَ فِي بَلَاءٍ، وَالرَّحْمَةُ تُشْمَلُ الْإِحْسَانَ وَزِيَادَةَ الْإِحْسَانَ، وَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٣)؛ أَنَّهُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ فَلَا يُضِيعُ عَمَلٌ عَامِلٍ مِنْهُمْ، بَلْ لِيَجْزِيَهُمْ عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ. وَإِذَا كَانَ أَثَرُ الرَّأْفَةِ دَفَعَ الْبَلَاءَ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ الرَّحْمَةِ بَعْدَهَا إِيْمَاءً إِلَى أَنَّهُ لَا يَكْتَفِي ﷺ بِدَفْعِ الْبَلَاءِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْفَتِهِ، بَلْ يُعَامِلُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ وَالْإِحْسَانِ الشَّامِلِ وَيَرِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ (٤).

الفرق بين رأفة الله ﷻ ورحمته، وبين رأفة نبينا محمد ﷺ ورحمته.

أخبرنا ﷺ عن نبينا ﷺ، فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وأخبرنا ﷺ عن نفسه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، فهي رأفة ورحمة مشتركة. نجد نكتة دقيقة ولطيفة: وهي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَانَ مَخْلُوقًا كَانَتْ رَأْفَتُهُ وَرَحْمَتُهُ مَقْدَرَةً، فَصَارَتْ مَخْصُوصَةً بِالْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ بَشَرٌ، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمَّا كَانَ خَالِقًا كَانَتْ رَأْفَتُهُ وَرَحْمَتُهُ مَكْتُوبَةً، فَكَانَتْ عَامَةً لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٥)، وَقَالَ ﷺ: ﴿كُتِبَ عَلَيَّ نَفْسِي الرَّحْمَةَ﴾ (٦).

(١) سورة النور: الآية ١٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨ / ١٨٦.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ١٤٣، سورة الحج: جزء من الآية ٦٥.

(٤) ينظر: تفسير المنار: محمد رشيد رضا، ٢ / ١١.

(٥) سورة الأعراف: جزء من الآية ١٥٦.

(٦) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٢.

وهناك نكتة أخرى: وهي أَنَّ رَحْمَتَهُ ﷺ عامة للعالمين بقوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، وخاصة بالمؤمنين، قال ﷺ: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾^(٢). وأما رحمته المضمومة الى الرأفة فخاصة بالمؤمنين فحسب^(٣).

وفي تفسير قوله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤). أي: شريفُ النَّسَبِ ترجعون معه إلى نفسٍ واحدةٍ وإنه من أهلِ نَسَبِكُمْ ولسانكم، ومن جنسكم لتقع الإلفة بينكم وبينه، فإن الجنس إلى الجنس يميل وحينئذ يسهل عليكم الاقتباس من أنواره. وأقرب إلى الألفة وأسرع إلى فهم الحجة وأبعد عن اللجاجة^(٥). و"هو شديد الرأفة والرحمة بالمؤمنين، فكل ما يدعو إليه من العمل بشرائع الله فهو دليل على ثبوت هذه الصفات له، وكل شاق منها كالجهاد فهو منجاة مما هو أشق منه"^(٦).

ومعنى: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: "شديد الرأفة والشفقة بالمطيعين وكثير الرحمة والإصلاح بالمذنبين"^(٧).

"ومن مقاماته ﷺ مع المؤمنين الرأفة العظيمة، والرحمة لهم، والمحبة التامة، والقيام معهم في كل أمورهم، وأنه لهم أرحم وأرف من آبائهم وأمهاتهم، وأحنى عليهم من كل أحد"^(٨).

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) سورة التوبة: جزء من الآية ٦١.

(٣) ينظر: رغائب القرآن، النيسابوري، ٣/ ٥٥٣، روح البيان، الخلوئي، ٣/ ٤١١.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٥) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ٣/ ٤٠٧، روح المعاني، الألوسي، ٦/ ٥٣.

(٦) تفسير المراغي، المراغي، ١١/ ٥٥.

(٧) حدائق الروح والرياحين، الهري، ١٢/ ١١١.

(٨) تيسير اللطيف المنان، السعدي، ص ٢٩٦.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ»^(١).
 وَالْجِنْسِيَّةَ مِثْلَةَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَلِذَلِكَ بُعِثَ الرَّسُولُ ﷺ الْمَبْعُوثُ إِلَيْنَا مِنْ جِنْسِنَا
 لِيَكُونَ لَهُ رَأْفَةٌ وَرَحْمَةٌ بِنَا^(٢).

قال الحسين بن الفضل^(٣): لم يجمع الله لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه
 إِلَّا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

الرأفة والرحمة في قلوب اتباع سيدنا عيسى عليه السلام

أخبرنا ﷺ أن جعل في قلوب النصارى الرأفة والرحمة بقوله: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى
 آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ^ط وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ
 رَأْفَةً وَرَحْمَةً^ع وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٢ / ٢٥٠، (٧٣٦٢)، (صححه المحقق).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢ / ٧٠٩.

(٣) الحسين بن الفضل: أبو علي بن عمير بن القاسم بن كيسان البجلي الكوفي نزيل نيسابور،
 العلامة، المفسر، اللغوي، المحدث، إمام عصره في معاني القرآن، وكان يعلم الناس العلم،
 ويفتي في داره إلى أن تُوِّفِّي سنة اثنتين وثمانين ومائتين، ساق له الحاكم من الأحاديث في
 الغرائب والأفراد بضعة عشر حديثاً، وله أشياء نفيسة من التفسير. ينظر: تاريخ الإسلام
 ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن
 قايماز (ت ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت،
 ط ١، ٢٠٠٣م، ٦/٧٤٢، (٢٢٩)، لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ٣ / ٢٠١، (٢٥٩٣)،
 سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٣ / ٤١٤، ٤١٥، (٢٠٢).

(٤) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، ٥ / ١٤٩، أقوال الحسين بن الفضل في التفسير
 (ت ٢٨٢هـ)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه، إعداد الطالبة: نادية
 بنت إبراهيم النفيسة، إشراف: د. حجاج عربي رمضان، العام الجامعي ١٤٢٦هـ، ص ١٧.

رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١﴾. أي: جعل الله ﷻ في قلوب الذين اتبعوا عيسى عليه السلام رافة ورحمة أمرهم بها أو أن الله ﷻ وفقهم لذلك لمودة المسلمين بخلاف اليهود، كما أخبرنا ﷻ بقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ ذَٰلِكَ بَأْسٌ مِنْهُم قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢﴾﴾ (٣).

وقوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ "يعني: الحواريين وأتباعهم" ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ فكان يؤاد بعضهم بعضاً. وقيل: إشارة إلى أنهم أمروا في الإنجيل بالصُّلح وتترك إيذاء الناس والآن الله قلوبهم لذلك، بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه" (٤)، "المراد من الرافة: دفع الشر، ومن الرحمة: جلب الخير، وبذا يكون بينهم مودة" (٥).

"وعطف الرحمة على الرافة من عطف العام على الخاص لاستيعاب أنواعه بعد أن اهتّم ببعضها" (٦). وذيل الآية: ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾، أي: آتينا الأجر لأهل الرافة والرحمة، الذين اتبعوا عيسى عليه السلام، أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ (٧).

(١) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٣) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ٢٤٧/٩، غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرمانى، ١١٩٠/٢.

(٤) الجامع لأحام القرآن، القرطبي، ٢٦٢/١٧.

(٥) حدائق الروح والريحان، الهري، ٥١٥/٢٨.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤٢١/٢٧.

(٧) ينظر: مدارك التنزيل، النسفي، ٤٤٣/٣.

"وَأَتْبَاعُ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَارُوا عَلَى نَهْجِهِ وَشَرِيعَتِهِ وَاتَّصَفُوا بِمَا يَأْتِي:
 (١) الرَّأْفَةُ بَيْنَ بَعْضِهِمْ وَبَعْضٍ، فَيُدْفَعُونَ الشَّرَّ مَا اسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا،
 وَيُصْلِحُونَ مَا فَسَدَ مِنْ أُمُورِهِمْ.
 (٢) الرَّحْمَةُ فَيَجْلِبُ بَعْضُهُمَ الْخَيْرَ لِبَعْضٍ"^(١).
 "وَصَيَّرَ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، لِأَنَّ تَعَالِيمَ الْإِنْجِيلِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ
 عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرْتُهُمْ بِالتَّحَلُّقِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ فَعَمِلُوا بِهَا، أَوْ أَنَّ ارْتِيَاضَهُمْ بِسِيرَةِ عِيسَى
 عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْسَخَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَكُلَّ ذَلِكَ مِنْ جَعَلَ اللَّهُ ﷻ، لِأَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِهِ وَيَسَّرَهُ عَلَيْهِمْ"^(٢).
 ﴿رَأْفَةٌ وَرَحْمَةٌ وَرَهْبَانِيَّةٌ﴾ مفعولات^(٣) جَعَلْنَا، وقوله: ﴿أَبْتَدَعُوهَا﴾ صفة
 لـ (رهبانية) وخصها بأنها ابتدعت، لأن الرأفة والرحمة في القلب أمر غريزي لا تكلف
 للإنسان فيهما، وأما الرهبانية فهي أفعال بدن مع شيء في القلب ففيها موضع
 للتكسب، والرأفة والرحمة من الله ﷻ والرهبانية هم ابتدعوها والمراد بالرأفة والرحمة
 حب بعضهم بعضاً وتوادهم والمراد بالرهبانية رفض النساء واتخاذ الصوامع^(٤).
 "وَالرَّهْبَانِيَّةُ ابْتَدَعَهَا قَوْمٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ ابْتَدَعُوا بِذَلِكَ وَأَرَادُوا
 رِضْوَانَ اللَّهِ، فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا"^(٥).

(١) تفسير المراغي، المراغي، ٢٧ / ١٨٥.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧ / ٤٢١.

(٣) أي: مفعول به.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥ / ٢٧٠، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن

علان، ٢ / ٤٠٩، السراج المنير، الشربيني، ٤ / ٢١٥.

(٥) جامع البيان، الطبري، ٢٢ / ٤٢٧.

المطلب الثاني

الآيات الواردة في العشرة

قال ﷺ: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ^ط وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ اتِّمُّوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١).

مناسبة الآية

لَمَّا نَهَى عَنِ الْعَضْلِ تَسْبُبًا إِلَى إِذْهَابِ بَعْضِ مَا أُعْطِيَتْهُ الْمَرْأَةُ أَتْبَعَهُ التَّصْرِيحَ بِالنَّهْيِ عَنِ اخْتِزَاعِ شَيْءٍ مِنْهُ فِي غَيْرِ الْحَالَةِ الَّتِي أُذِنَ فِيهَا فِي الْمَضَارَّةِ وَهِيَ الْفَاحِشَةُ، قَالَ ﷺ: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ (٢). أي: إن لم تعضل المرأة بل ﴿أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾، أي: تتكهنونها ﴿مَكَانَ زَوْجٍ﴾ أي: فارقتموها أو لم تفارقوها، لم يكن من قبلنا ما يبيح الضرار (٣).

(١) سورة النساء: الآية ١٩.

(٢) سورة النساء: جزء من الآية ٢٠.

(٣) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، ٥/ ٢٢٦.

التعريف اللغوي للمفردات

- (الكَرْه) في اللغة: المكروه، إذا لم يرده فهُوَ كَارِهٌ^(١).
 (الْكَرْه) بِفَتْحِ (الكاف) الْإِكْرَاهُ وَبِالضَّمِّ الْمَشَقَّةُ، فَمَا أُكْرِهَ عَلَيْهِ فَهُوَ كَرْهٌ بِالْفَتْحِ، وَمَا كَانَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ فَهُوَ كُرْهٌ بِالضَّمِّ^(٢).
 ﴿كَرْهًا﴾: "بفتح الكاف وضمها، وهو مصدر كَرِهَ الشَّيْءَ: أَبْغَضَهُ"^(٣).
 عَضَلٌ: عَضَلْتُ الْمَرْأَةَ عَضَلًا: مَنَعَهَا التَّزْوِيجَ، أَوْ طَوَّلْتُ عَلَيْهَا الْعِدَّةَ^(٤).
 ﴿مُبَيِّنَةٌ﴾: من قرأها ﴿مُبَيِّنَةٌ﴾ فالمعنى: ظاهرة.
 وَمَنْ قَرَأَ ﴿مُبَيِّنَةٌ﴾ فمعناها: مكشوفة مُظْهِرَةٌ^(٥).
 (الْمُعَاشِرَةُ): الْمُخَالَطَةُ وَالْمُصَاحَبَةُ، وَالْمُعَاشِرَةُ: الْمَفَاعَلَةُ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بَيْنَ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا^(٦).

- (١) ينظر: العين: الفراهيدي، ٣ / ٣٧٦، (باب الهاء والكاف والراء)؛ الكليات، الكفوي، ١ / ٧٦٩، (فصل الكاف).
 (٢) ينظر: كتاب فيه لغات القرآن، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت ٢٠٧هـ)، المحقق: جابر بن عبد الله السريع، الشبكة العالمية، (د ط)، ١٤٣٥هـ، ١ / ٣٥، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ٢ / ٥٣٢، (ك ر ه).
 (٣) المطلع على ألفاظ المقنع، البعلي، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل شمس الدين (ت ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط، ياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع-الرياض، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ١ / ٣٣٠.
 (٤) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، ١ / ٤٥٣، (باب قولهم: جاء فلان بمُعْضِلَةٍ)، المصباح المنير، الفيومي، ٢ / ٤١٥، (ع ض ل).
 (٥) ينظر: حجة القراءات، ابن زنجلة، ١ / ١٩٦.
 (٦) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، ٧ / ٤٥٦١، مفاتيح الغيب، الرازي، ٦ / ٤٨٣، دراسات لإسلوب القرآن، عُضَيْمَةٌ، ٤ / ٤٥٣، (أحس).

وَالْعِشْرَةُ: الْمُخَالَطَةُ وَالْمُمَارَجَةُ^(١). "وَالْعَشِيرُ: الْمُخَالِطُ"^(٢).
وَالْعِشْرَةُ اضْطِرَاحًا: هِيَ مَا يَكُونُ بَيْنَ الرَّوَجَيْنِ مِنَ الْأَلْفَةِ وَالْإِنْضِمَامِ^(٣).

الصرف:

﴿مُبَيَّنَةٌ﴾: مؤنث مبين، اسم على صيغة فاعل من بين الرباعي، وزنه مُفَعِّل، بمعنى تبيين، ومن قرئ على صيغة المفعول، من أبان بمعنى تبيين، أي بيّنة القبح من النشوز^(٤).

أسباب النزول

يتضح معنى الآية عند معرفة سبب نزولها.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا
النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ آتِيْتُمُوهُنَّ﴾ "كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ
أَوْلِيَائُهُ أَحَقَّ بِامْرَأَتِهِ إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا وَإِنْ شَاءُوا زَوَّجُوهَا وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يُزَوَّجُوهَا
فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ"^(٥).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩٧ / ٥.

(٢) النَّظْمُ الْمُسْتَعْدَبُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ أَلْفَاظِ الْمَهْدَبِ، ابن بطال، ١٥٢ / ٢، (بَابِ عِشْرَةِ النِّسَاءِ وَالْقَسْمِ).

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١١٩ / ٣٠، (العِشْرَةُ بِالْمَعْرُوفِ).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١٥٨ / ٢، الجدول في إعراب القرآن الكريم، الصافي، ٤٧٢ / ٤.

(٥) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ابن عباس، ٦٧ / ١، صحيح البخاري، البخاري، (بَابِ ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾)، ٤٤ / ٦، (٤٥٧٩).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في نفس الآية: "وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته، فيعضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها، فأحكّم الله عن ذلك ونهى عن ذلك^(١).
وعن محمد بن أبي أمامة، عن أبيه رضي الله عنه، قال: "لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراه ابنه أن يزوج امرأته من بعده، فكان ذلك لهم في الجاهلية، فأنزل الله سبحانه: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾^(٢).

البلاغة في الآية:

- ١- قوله سبحانه: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: (لا) في قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ لتأكيد النفي، يعني: لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن، أي: ولا تمنعهن من التزوج، أو: ولا أن تضيقوا عليهن^(٣).
- ٢- قوله سبحانه: ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ عبر بالذهاب به لا بالأخذ ولا بالإذهاب؛ للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمّنه لأمرين كل منهما محظور شنيع، (الأخذ والإذهاب) منهن؛ لأنه عبارة عن الذهاب مستصحبا به^(٤).

(١) سنن أبي داود، أبو داود، (باب قوله سبحانه: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾)، ٣/ ٤٣٢، (٢٠٩٠)، (حسنه المحقق).
(٢) السنن الكبرى، النسائي، (قوله سبحانه: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾)، ١٠/ ٦١، (١١٠٢٩)، (حسنه المحقق)، الصحيح المسند من أسباب النزول، الوادعي، أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط ٤، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص ٧٥، (حسنه المؤلف).

(٣) ينظر: غريب القرآن، السجستاني، ص ١٣٥؛ الكشاف، الزمخشري، ١/ ٤٩٣؛ تفسير أنوار التنزيل، البيضاوي، ٢/ ٦٦؛ التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين، ص ١٣١.
(٤) ينظر: تفسير أبي السعود، أبو السعود، ٢/ ١٥٨.

القراءات المتواترة

أولاً: اختلفوا في فتح الكاف وضمها في قوله ﷺ: ﴿كَرَهَا﴾ وذلك في أربعة مواضع: في النساء والتوبة والأحقاف في موضعين.
 فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿كَرَهَا﴾ بفتح الكاف فيهن كلهن.
 وقرأ حمزة والكسائي: ﴿كُرَهَا﴾ بضم الكاف فيهن كلهن.
 وقرأ عاصم وابن عامر: ﴿كَرَهَا﴾ بفتح الكاف في النساء والتوبة وقرأ في الأحقاف مضمومتين^(١).
 ثانياً: قرأ ابن كثير، وأبو بكر^(٢) عن عاصم: ﴿مُبَيَّنَةً﴾ في كل القرآن بفتح الياء.

(١) ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ١ / ٢٢٩.

(٢) أبو بكر: مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهُدَيْرِ، فُرَشِيٌّ، تَيْمِيٌّ، مَدَنِيٌّ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَابْنَ الزُّبَيْرِ، وَعَمَّهُ رَيْبَعَةَ، سَمِعَ مِنْهُ الثَّوْرِيُّ، وَشُعْبَةَ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، كُنِيَّتُهُ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ: كُنِيَّتُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الْفُرَشِيُّ، وَكَانَ مُحَمَّدُ سَيِّدَ الْقُرَاءِ، مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةَ يَنْظُرُ: التَّارِيخُ الْكَبِيرُ، الْبَخَارِيُّ، ١ / ٢١٩، التَّرْجُمَةُ (٦٩١)، الثَّقَاتُ، ابْنُ حَبَانَ، ٥ / ٣٥٠، التَّرْجُمَةُ (٥١٦٣).

وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب^(١) وابن عامر، وحفص عن عاصم، والمفضل^(٢) عن عاصم، وحمزة والكسائي:
﴿مُبَيَّنَةٌ﴾ بكسر الياء^(٣).

التفسير والبيان:

كانت المرأة قبل الإسلام مهضومة الحق، فقرر لها الله ﷻ حقوقاً في شؤون الزواج، ونهى عن الإعتداء عليها، ومن حقوقها في هذه الآية:

الحق الأول: تحريم إرث ذات النساء

ليست المرأة متاعاً يورث، فلا تورث زوجة المتوفى، ولا يحل لكم أيها المؤمنون تقليد أهل الجاهلية، فترثون المرأة كما ترثون الأموال والأمتعة، وتتصرفون فيها كما

(١) يعقوب: بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق، من أهل بيت العلم بالقرآن، العربية، وكلام العرب، والرواية الكثيرة للحروف، والفقهاء. وكان أقرأ القراء، وأخذ عنه عامة حروف القرآن، مُسنِّداً وغير مسند، من قراءة الحرميين والعراقيين والشام وغيرهم، وكان أعلم من غيره بالحروف، والاختلاف في القرآن وتعليقه ومذاهبه، ومذاهب النحو في القرآن، وأروى الناس لحروف القرآن وحديث الفقهاء، وليعقوب كتاب سماه "الجامع"، جمع فيه عامة اختلاف وجوه القرآن، ونسب كل حرف إلى من قرأ به. وتوفي سنة خمس ومئتين، ينظر: طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، ص ٥٤، الترجمة (١٨).

(٢) المفضل بن محمد الضبي الكوفي المقرئ، أبو محمد، كان من جلة أصحاب عاصم بن بهدلة، قرأ عليه، وتصدر للإقراء، وحدث عن سماك بن حرب، وأبي إسحاق وعاصم وغيرهم، وكان علامة إخبارياً موثقاً، وقد شذ عن عاصم بأحرف، أخذ عنه تلاوة الكسائي. وأبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس، وجيلة بن مالك البصري، وغيرهم، وروى عنه أبو الحسن المدائني، توفي سنة ثمان وستين ومائة، ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٧٩، الترجمة (١٠).

(٣) ينظر: معاني القراءات، الأزهرى، ١/ ٢٩٦، ٢٩٧.

تشاؤون، وأصل الفعل ابتداءً كان في الجاهلية وامتد حتى مجيء الإسلام، ويؤيده النداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١).

وان كلمة (ورث) تدل على أن واحداً قد توفي وله وارث، والمقصود في قوله ﷺ: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾: إن الوارث يرث من مورثه الإمام اللاتي تركهن، ولكن عندما تتصرف كلمة ﴿النِّسَاءَ﴾ تكون لأشرف مواقعها أي للحرائر، لأن الأخريات تعتبر الواحدة منهن ملك يمين، وقوله سبحانه: ﴿كَرِهًا﴾، حيث كان أهل المدينة في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا مات رجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه فيلقي ثوبه على تلك المرأة، فصار أحق بها من نفسها ومن غيره، فإن شاء أن يتزوجها تزوجها بغير صداق، إلا بالصداق الأول الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها، ولم يعطها منه شيئاً، وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج فطوّل عليها وضارها، لتفتدي نفسها بما ورتت من الميت، أو تموت هي فيرثها، وإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ولي زوجها ثوبه فهي أحق بنفسها، فأعلم الله ﷻ أن ذلك حرام^(٢).

الحق الثاني: تحريم عضل النساء

نهانا الله ﷻ عن عضل النساء في آيات، باستثناء أن يأتيين بفاحشة. قال ﷻ في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣).

(١) ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، المزيني، خالد بن سليمان، دار ابن الجوزي - الدمام، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ١ / ٣٧٥.
 (٢) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، ٣/٢٧٥، الخواطر، الشعراوي، محمد متولي (ت ١٤١٨ هـ)، مطابع أخبار اليوم - مصر، (د ط)، ١٩٩٧ م، ٤ / ٢٠٧٨.
 (٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٣٢.

وقال ﷺ في سورة النساء: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾.

والعضل للمرأة من رواسب الجاهلية وعاداتها البغيضة، وقد بقي أثره في الناس، حتى في الإسلام، لكن عولج بالنهاي المقتضي للتحريم، والعضل في هاتين الآيتين مختلف، وإن كانت نتيجته واحدة.

فالعضل المذكور في آية البقرة، المراد به: منع المرأة من الرجوع إلى زوجها بعد انتهاء عدتها، وهي رغبة فيه^(١).

والعضل المذكور في آية النساء المراد به: الإضرار بالمرأة في عيشتها، وقهرها من أجل أن تتنازل بحقها أو ببعضه من الصداق أو أي حق سواه.

قال ابن عباس ؓ: لَا تحبسوهن من التزويج، وَلَا تَقْهَرُوهُنَّ ﴿لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ مِمَّا أَعْطَاهُنَّ آبَاؤُكُمْ^(٢).

ونقل الطبري وابن كثير^(٣) عن ابن عباس قوله: "الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ امْرَأَةٌ وَهُوَ كَارَةٌ لِيُصْحَبَتِهَا، وَلَهَا عَلَيْهِ مَهْرٌ فَيُضْرَهُ لِتَقْتَدِي"^(٤).

"رفض الإسلام إذا أراد الرجل الفراق أن يساوم امرأته لتتنزل عن المهر الذي أخذته مهما كان الذي ساقه كبيراً. لقد صار مهرها ملكاً خاصاً بها ولو كان قنطاراً"^(٥).

(١) ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الزهراني، ص ١٦٠.

(٢) ينظر: تنوير المقباس، ابن عباس، ص ٦٧.

(٣) ابن كثير: عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الشافعي بقية المتأخرين، سمع كثيراً وأسمع وألف التفسير والتاريخ وقطعة كبيرة في الأحكام، وله الطبقات أيضاً، كانت وفاته سنة أربع وسبعين وسبعمئة بدمشق. ينظر: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ابن الملقن، ص ٤٢٨، الترجمة (١٦٦٩).

(٤) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٩ / ٢٧٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢ / ٢٤١.

(٥) نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي، ١ / ٤٤.

الحق الثالث: المعاشرة بالمعروف

يا أيها المؤمنون عاشروا نساءكم بالمعروف وخالطوهن بما تألفه الطباع السليمة ولا ينكره الشرع ولا العرف.

وفي قوله ﷺ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أقوال للعلماء منها:

القول الأول: "خَالَفُوا أَيُّهَا الرِّجَالُ نِسَاءَكُمْ، وَصَاحِبُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، يَعْنِي بِمَا أَمَرْتُمْ بِهِ مِنَ الْمَصَاحِبَةِ، وَذَلِكَ إِمْسَاكُهُنَّ بِأَدَاءِ حُقُوقِهِنَّ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِهِنَّ عَلَيْكُمْ إِيَّاهُنَّ" (١).

القول الثاني: أَمَرَ اللَّهُ ﷻ الأزواج إذا عَقَدُوا عَلَى النِّسَاءِ أَنْ يَكُونَ أَدْمَةً مَا بَيْنَهُمْ وَصُحْبَتُهُمْ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، فَإِنَّهُ أَهْدَأُ لِلنَّفْسِ وَأَقْرُّ لِلْعَيْنِ وَأَهْنَأُ لِلْعَيْشِ، وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى الزَّوْجِ، وَلَا يَلْزِمُهُ ذَلِكَ فِي الْقَضَاءِ إِلَّا أَنْ يَجْرِيَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ عَلَى سُوءِ عَادَتِهِمْ فَيَشْتَرِطُونَهُ وَيَرْبِطُونَهُ بِبَيِّنٍ (٢).

القول الثالث: "إِنَّمَا اللَّازِمُ الْعَدْلُ فِي الْمَبِيتِ وَالنَّفَقَةَ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ اللَّازِمَةِ" (٣).

القول الرابع: عليكم أن تحسنوا معاشرة نساءكم فتخالطوهن بما تألفه طباعهن ولا يستنكره الشرع ولا العرف، وفي كلمة (المعاشرة) معنى المشاركة والمساواة أي عاشروهن بالمعروف وليعاشرنكم كذلك، فيجب أن يكون كل من الزوجين مدعاة لسرور الآخر وسبب هناءته وسعادته في معيشته ومنزله (٤)، قال ﷺ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (٥).

(١) جامع البيان، الطبري، ٦ / ٥٣٧.

(٢) ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ١ / ٤٦٨.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ١٣ / ١٣٨.

(٤) ينظر: تفسير المراغي، المراغي، ٤ / ٢١٤.

(٥) سورة الروم: الآية ٢١.



تكرير لفظ التعامل بالمعروف

تكررت كلمة (المعروف) في جانب الأسرة بمعناها السامي في أعلى عبارة، وأعلى بيان يعجز اللغويين وأصحاب المعاجم عن أن يحيطوا بعبارة تفسره، ولا يقوم بتفسيره الحقيقي إلا تطبيقه العملي، ولا جدال في أن هذا التكرار يترك أثراً تربوياً وأخلاقياً يتحلى به مطبق القرآن عملاً وسلوكاً عن غيره من العباد^(١).

قال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ^ط وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَدْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ اتِّتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا

وقال ﷺ: ﴿وَأْتِمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾^(٢).

وقال ﷺ: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾^(٣).

وقال ﷺ: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٤).

وقال ﷺ: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾^(٥).

وقال ﷺ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^(٦).

(١) ينظر: آثار تعليم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع (الأثر التربوي والأخلاقي)، د. محمد حسن

سبتان، جامعة الملك خالد، (د ط)، ١٤٢٧ هـ، ص ١٦.

(٢) سورة الطلاق: جزء من الآية ٦.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٢٩.

(٤) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٣١.

(٥) سورة الطلاق: جزء من الآية ٢.

(٦) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٢٨.

﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: للزوجات من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن. والتطبيق العملي لهذه الآية، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "إني أحب أن أتزيّن للمرأة كما أحب أن تتزيّن لي المرأة لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١)، وما أحب أن أستتظف^(٢) جميع حقي عليها لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^(٣)، "أي: زينة من غير ما تم" ^(٤).

وعنه أيضًا: "إحسان الصُّحْبَةِ والمعاشرَة"^(٥).

وكل الآيات التي مرت تمثل درة في آيات الأحكام التي نظمت حياة الأسرة بأن تكون بالمعروف. والمعروف في إمساك الزوجة المراد به: الصحبة الطيبة، وحسن العشرة، والنصفة فيما للزوجة على زوجها، والمعروف في المفارقة: أداء المهر والتمتع والوفاء بالشروط والحقوق الواجبة عليه. فقد نهى الله تعالى الرجال عن ظلم نساءهم وإيذائهن، وأوجب عليهم معاشرتهن بالمعروف.

تفسير القرآن بالقرآن والسنة معًا للآية

من الألفاظ القرآنية التي تعزز الألفة والمودة والعشرة، قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أمر الله تعالى بحسن المعاشرَة. وَالْخِطَابُ لِلْجَمِيعِ، إِذْ لِكُلِّ أَحَدٍ عِشْرَةٌ، رَوْجًا كَانَ أَوْ وَلِيًّا، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْأَمْرِ فِي الْأَغْلَبِ الْأَزْوَاجُ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ تعالى:

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٢٨.

(٢) استتظفت الشيء: إذا أخذه كله. ينظر: الميسر في شرح السنة، التوربشتي، ٤/ ١١٤٥.

(٣) المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط

١، ٤٠٩م، ٤/ ١٩٦، (١٩٢٦٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣/ ١٢٣.

(٥) تنوير المقباس، ابن عباس، ص ٣١.

﴿فَامْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾^(١). وَذَلِكَ تَوْفِيئُهُ حَقَّهَا مِنَ الْمَهْرِ وَالنَّقَقَةِ، وَأَلَّا يَعْبَسَ فِي وَجْهَهَا بِغَيْرِ ذَنْبٍ، وَأَنْ يَكُونَ مُنْطَلِقًا فِي الْقَوْلِ لَا فِظًا وَلَا غَلِيظًا وَلَا مُظْهِرًا مِيلًا إِلَى غَيْرِهَا^(٢). وَطَيَّبُوا أَقْوَالَكُمْ لَهْنًا، وَحَسَّنُوا أَفْعَالَكُمْ وَهَيِّئَاتِكُمْ بِحَسَبِ قُدْرَتِكُمْ، كَمَا تُحِبُّ ذَلِكَ مِنْهَا، فَأَفْعَلْ أَنْتَ بِهَا مِثْلَهُ، كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿وَلَهْنٌ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣).

ومن الآيات المناسبة قوله ﷺ: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَامْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ^(٤) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٥).

وقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٦).
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(٧).

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٢٩.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩٧ / ٥.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٢٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

(٥) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٣١.

(٦) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، (كتاب النكاح)، (نكر استخباب الإفتداء

بالمصطفى ﷺ للمزء في الإحسان إلى عياله إذ كان خيرهم خيرهم لهن)، ٩ / ٤٨٤،

(٤١٧٧)، (قال المحقق: صحيح لغيره).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢ / ٢٤٢.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ»^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»^(٢).

العشرة بين الزوجين

"إِنَّ الحَيَاةَ الزَّوْجِيَّةَ القَائِمَةَ عَلَى أُسَاسٍ مِنَ التَّقْوَى لِلَّهِ ﷻ وَمِرَاعَاةٍ مَا يَجِبُ مِنَ الحَقُوقِ وَحَسَنِ العِشْرَةِ بَيْنَ الزَّوْجِيْنَ، هِيَ حَيَاةُ السَّعَادَةِ وَالْمُودَةِ، حَيَاةُ الرَّحْمَةِ وَالْأَلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ"^(٣).

"وينبغي للرجل إذا أراد النكاح أن يتعلم ما تحتاج إليه المرأة من حسن العشرة والقيام بما لها عليه وجميل المداراة ولطف المفاوضة، ويعلمها حسن قيامها بما يجب له عليها ويعرفها ما أوجب الله له عليها من ذلك، ولم تملك المرأة شيئاً من أمرك، لأن الله ﷻ قد ملك إياها فلا تقلب بهواك حكمة الله ﷻ، فينقلب الأمر عليك فكأنك قد أظعت الشيطان ووافقته في قوله"^(٤)، كما أخبر عنه ﷻ: ﴿وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾^(٥).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٦ / ٩٩، (٢٤٧٢١)، (حسنه المحقق).

(٢) سنن النسائي، النسائي، (أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ)، ٢٧ / ٤٨، (٣٢٣١)، (حسنه المحقق).

(٣) النشوز بين الزوجين، عايد بن عبد الله الحربي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٨، السنة ٣٧، ١٤٢٥هـ، ١ / ١٤.

(٤) قوت القلوب، المكي، أبو طالب، ٢ / ٤٢٠.

(٥) سورة النساء: جزء من الآية ١١٩.

من معاني قوله ﷺ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

مَعْنَى ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: الْوَاجِبُ، وَهُوَ أَمْرٌ لِلْأَزْوَاجِ بِعِشْرَةِ نِسَائِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ. وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنْ يُوفِيَهَا حَقَّهَا مِنَ الْمَهْرِ وَالنَّقْفَةِ وَالْقَسَمِ وَتَرَكَ أَذَاهَا^(١). والمقصود بالعشرة حسن صحبة النساء بعد الزواج وتوفير مناخ السعادة والهدوء والاستقرار وهناءة العيش، لكل من الزوجين، وهذا واجب ديانة على الزوج، ولا يلزمه في القضاء. وتأثير الواجب ديانة بما يذكر بمراقبة الله وخشيته والعرض عليه في الحساب أوقع في نفس المؤمن من حسابان حساب القضاء^(٢).

وَالْعِشْرَةُ تَفِيدُ جُمْلَةً مِنَ الْأَفْعَالِ لَا فِعْلًا وَاحِدًا، أَلَا تَرَى أَنْ مِنْ رَأْيِنَا يَعَامَلُ غَيْرَهُ بِعَمَلٍ وَاحِدٍ جَمِيلٍ لَا يَقَالُ: هُوَ حَسَنُ الْعِشْرَةِ، وَإِذَا أَفَادَ الْعِشْرَةَ جُمْلَةً مِنَ الْأَفْعَالِ وَجِبَ تَكَرُّرُ الْأَفْعَالِ لِتَصِيبِ فَائِدَةِ الْأَمْرِ^(٣).

فَالرَّجُلُ إِذَا قَالَ لِغَيْرِهِ: أَكْرَمُ فَلَانًا أَوْ أَحْسَنُ عَشْرَتِهِ، عَقَلَ مِنْهُ التَّكَرُّرَ، وَاسْمُ الْعِشْرَةِ يُفِيدُ جُمْلَةً مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَمْرَ بِحَسَنِ الْعِشْرَةِ أَمْرٌ بِجُمْلَةٍ مِنَ الْأَفْعَالِ وَلَيْسَ اسْمُ الْعِشْرَةِ يَتَنَاءَلُ فِعْلًا وَاحِدًا حَتَّى إِذَا اسْتُفِيدَ مِنْ قَوْلِنَا أَحْسَنَ عَشْرَةَ فَلَانَ أَفْعَالٌ كَثِيرَةٌ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ قَدْ دَلَّ عَلَى تَكَرُّرِ فَائِدَتِهِ^(٤).

وَأَمْرُ اللَّهِ ﷻ الْأَزْوَاجَ بِالْعِشْرَةِ الْحَسَنَةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْعِشْرَةُ هِيَ الْمَخَالَطَةُ وَالْمَمَازَجَةُ بِحَيْثُ تَلْتَقِي النَّفْسَانِ، وَمِنْ طَبِيعَتِهَا أَنْ تَكُونَ فِي أَلْفَةٍ لَا فِي نَفْرَةٍ، وَقَدْ أَطْلَقَتِ الْعِشْرَةَ عَلَى الْمَعَامَلَةِ^(٥).

(١) ينظر: أحكام القرآن، الجصاص، ١/ ٢٠٠، ٢/ ١٣٨.

(٢) ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ٤/ ٣٠٥.

(٣) ينظر: التمهيد في أصول الفقه، الكلوداني، أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الحنبلي (ت ٥١٠هـ)، المحقق: مفيد محمد أبو عمشة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى - السعودية، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ١/ ١٩٥.

(٤) ينظر: المعتمد في أصول الفقه، البصري، أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب (ت ٤٣٦هـ)، المحقق: خليل الميس، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣هـ، ١/ ٩٩.

(٥) ينظر: زهرة التفاسير، أبوزهرة، ١/ ١٦٢١.

والمعاشرة: مفاعلة من العشرة وهي المخالطة والممازجة والمصاحبة. أي: وصاحبوهن وعاملوهن بالمعروف، أي بما حض عليه الشرع وارتضاه العقل من الأفعال الحميدة والأقوال الحسنة^(١).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: «تَعَالِي حَتَّى أُسَابِقَكَ» فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالِي حَتَّى أُسَابِقَكَ» فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقْتَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بِنْتُكَ»^(٢).

والأسرة في القرآن، تتلخص في أن الزواج علاقة باقية وصحبة دائمة ممتدة عبر أيام الحياة وبعد الممات في دار الخلود، ولذلك سمي الزوجة صاحبة، قال ﷺ: ﴿وَصَحْبَتُهُ وَبَنِيهِ﴾^(٣).

و"الإسلام يعيد تنظيم العلاقات الاجتماعية في محيط الأسرة ويعتبر الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى ويوليها من عنايته ما يليق بالمحضن الذي تنشأ فيه الأجيال"^(٤). فقد دعمها القرآن بوصاياها الحكيمة منها:

أولاً: أمر الأزواج بالعدل وحسن المودة، والعشرة الطيبة التي تقرب القلوب، ولا تنفرها.

قال ﷺ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٥).

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣٣/٢، التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ١/ ٨٩٦.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ٦/ ٢٦٤، (٢٦٣٢٠)، (صححه المحقق).

(٣) سورة عبس: الآية ٣٦.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٨٢٤.

(٥) سورة النساء: جزء من الآية ١٩.



وقال ﷺ: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾^(١).

ثانياً: أمر ﷺ كلا الزوجين أن يعمل على إصلاح الآخر، إن بدا منه اعوجاج^(٢)، قال ﷺ: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣).

لما كان الإيلاء من الزوج، وهجرها في المضاجع مدة طويلة من الزمن، لا يقصد منه إلا الإساءة إلى الزوجة والإضرار بها، بحيث تصبح المرأة معلقة، ليست بذات زوج ولا مطلقة، وكان هذا مما يتنافى مع وجوب المعاشرة بالمعروف ولا يتفق مع تعاليم الإسلام الرشيدة، لذلك فقد أمر الباري ﷻ بإمهال هذا الزوج مدة من الزمن أقصاها أربعة شهور، فإن عاد إلى رشده فكفر عن يمينه، وأحسن معاملة زوجته فعاشرها بالمعروف، ودفع عنها الإساءة والظلم فهي زوجته، وإلا فقد طلقت منه بذلك الإصرار، وهذا من محاسن الشريعة الغراء، حيث دفعت عن كاهل المرأة الظلم ودعت إلى البر والإحسان بها^(٤).

فقد وضع الإسلام العلاقات الاجتماعية على أسس ثلاثة: عبادة الله وحده لا شريك له والخوف منه سبحانه، وتوثيق العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة والمجتمع بدءاً من الجار وانتهاءً بابن السبيل، والسخاء في الإنفاق والبذل في المعروف ومقاومة الشح والرياء والبخل، لأنه رذيلة وتدنيس للمروءة والكرامة. وبين الله سبحانه هذه

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٣١.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥ / ٢٨٢٤، المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، ١ / ٣١٨.

(٣) سورة النساء: الآيات ١٢٨، ١٢٩.

(٤) ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ص ١٣٧.

الأسس في قوله ﷺ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا * الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاءَ آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ (١)(٢).

المماثلة بين الزوجين

"تفاصيل المماثلة، تُؤخذ من تفاصيل أحكام الشريعة، ومزجها إلى نفي الإضرار، وإلى حفظ مقاصد الشريعة من الأمة، وقد أومأ إليها قوله ﷺ: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: لهنَّ حقُّ متلبِّسًا بالمعروف، غير المنكر، من مقتضى الفطرة، والآداب، والمصالح، ونفي الإضرار، ومتابعة الشرع" (٣). وتتخلص المماثلة بما يأتي:

أولاً: المماثلة في الرعاية

الإسلام وزع واجبات الحياة الزوجية بين الزوج والزوجة توزيعاً عادلاً يتفق مع الفطرة من غير ظلم للمرأة، ولا إرهاق ولا إذلال لها، فجعلها قوامة على البيت تديره وتدبره، وتربي ثمرة الزواج، وعلى الرجل الإنفاق، قال ﷺ: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكُنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتِمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ فَسَرِّضْهُ لَهَا وَآخَرَىٰ * لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ

(١) سورة النساء: الآيات ٣٦ - ٣٩.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ١ / ٣١٨.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢ / ٣٩٩.

مَنْ سَعَتَهُ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿١﴾ (٢).

وَوَجَبَ عَلَى الزَّوْجَةِ أَنْ تُقِمَّ بَيْتَ زَوْجِهَا، وَأَنْ تُجَهِّزَ طَعَامَهُ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْرُسَ الْبَيْتَ، كَمَا لَا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِنْفَاقُ عَلَى امْرَأَتِهِ، أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الزَّوْجَةِ الْإِنْفَاقُ عَلَى زَوْجِهَا. وَكَمَا لَا تَنْزَوِّجُ عَلَيْهِ بَرُوجٍ فِي مُدَّةِ عِصْمَتِهِ، يَجِبُ عَلَيْهِ هُوَ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجَةٍ أُخْرَى حَتَّى لَا تُحِسَّ بِهِضِيمَةً، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ فَإِذَا تَأْتَتِ الْمَمَاتِلَةُ الْكَامِلَةُ فَتُشْرَعُ، فَعَلَيْهِمَا بِحَسَنِ الْمَعَاشِرَةِ بَيْنَهُمَا (٣).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَلَا كُتُّكُمْ رَاعٍ وَكُتُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَإِلِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالزَّوْجَةُ رَاعِيَّةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (٤).

ثَانِيًا: الْمَمَاتِلَةُ فِي التَّشَاوُرِ فِي الرِّضَاعِ

التعامل بين الأزواج من المعاشرة بالمعروف، وتربية الأطفال والعناية بشؤونهم بطريق التشاور والتراضي بين الوالدين، فكَمَا تَحْضُنُ وِلْدَهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكْفِيَهَا مُؤْنَةَ الْإِزْتِرَاقِ كَيْ لَا تُهْمَلَ وِلْدَهُ، وَأَنْ يَتَعَهَّدَهُ بِتَعْلِيمِهِ وَتَأْدِيبِهِ.

قال صلى الله عليه وسلم: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا أَوْسَعَهَا لَا تَضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ»

(١) سورة الطلاق: الآية ٦، ٧.

(٢) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، ١ / ٣١٨، ٣١٩.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢ / ٣٩٩.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأحكام)، (باب قول الله صلى الله عليه وسلم: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»)، ٩ / ٦٢، (٧١٣٨).

بَوْلِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلَ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ فِصَالًا عَنِ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾.

دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْفِطَامَ فِي أَقَلِّ مِنْ حَوْلَيْنِ لَا يَجُوزُ إِلَّا عِنْدَ رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأُمَّ قَدْ تَمَلَّتْ مِنَ الرِّضَاعِ فَتَحَاوَلُ الْفِطَامَ وَالْأَبُ أَيْضًا قَدْ يَمَلُّ مِنْ إِعْطَاءِ الْأُجْرَةِ عَلَى الْإِضْطِاعِ، فَقَدْ يُحَاوَلُ الْفِطَامَ دَفْعًا لِذَلِكَ، فَجُعِلَ الْحَوْلَانِ مِيقَاتًا لِهَما يَرْجِعَانِ إِلَيْهِ عِنْدَ الْاِخْتِلافِ رَأْفَةً وَرَحْمَةً بِالْوَالِدِ فَلَا يَتَضَرَّرُ بِالْفِصَالِ، فَيَكُونُ اتِّفَاقُهُمَا بِالتَّشَاوُرِ مَاضِيًا بَيْنَهُمَا لِعَدَمِ الضَّرَرِ فِيهِ. وَعِنْدَ ذَلِكَ ائْتَمَرُوا^(٢) بِالمُشَاوَرَةِ. كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَأْتَمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾^(٣) أَي: لِيَنْفِقَ الْوَالِدُ وَالْوَالِدَةُ عَلَى مَا هُوَ الْأَنْفَعُ لِلصَّبِيِّ، فَلَا تَمْتَنِعِ الْوَالِدَةُ مِنَ الْإِضْطِاعِ، وَلَا يَمْتَنِعِ الْأَبُ مِنْ إِعْطَاءِ الْأُجْرَةِ، وَبَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ حُكْمَ الْأُمِّ وَأَنَّهَا أَحَقُّ بِالرِّضَاعِ، لَكِنْ يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنِ الْأُمِّ إِلَى غَيْرِهَا^(٤).

ثالثًا: حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ وَحَقُّ الزَّوْجَةِ عَلَى الزَّوْجِ

كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُعْدُونَ الرَّجُلَ مَوْلَى لِلْمَرْأَةِ فَهِيَ وَوَلِيَّتُهُ، وَكَانُوا لَا يَرَوْنَ لَهَا حَقًّا فِي مُطَالَبَةِ بِمِيرَاثٍ وَلَا بِمُشَارَكَةٍ فِي اخْتِيَارِ مَصِيرِهَا، وَلَا بِطَلَبِ مَالِهَا مِنْهُمْ، وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ ﷻ إِلَى بَعْضِ أَحْوَالِهِمْ هَذِهِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَمَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

(٢) ائْتَمَرُوا: "تَشَاوَرُوا"، يَنْظُرُ: مَعْجَمُ دِيوانِ الْاَدبِ، الْفَارَابِيِّ، ٤/ ٢٣٣، (بَابُ الْاِفْتِعَالِ).

(٣) سورة الطلاق: الآية ٦.

(٤) يَنْظُرُ: الْمَنْهَاجُ فِي شَعْبِ الْإِيمَانِ، الْخَلِيمِي، الْجَرْجَانِي، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَلِيمِ الْبَخَارِيِّ (ت ٤٠٣ هـ)، الْمَحْقُوقُ: حَلْمِي مُحَمَّدُ فُودَةَ، دَارُ الْفِكْرِ - لُبْنَانِ، ط ١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، (بَابُ فِي تَعْدِيدِ نَعْمِ اللَّهِ ﷻ وَمَا يَجِبُ مِنْ شُكْرِهَا)، ٢/ ٥٣١، النَّقْسِيرُ الْبَسِيطُ، الْوَاحِدِي، ٤/ ٢٤٥، تَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ، السَّمْعَانِيُّ، ٥/ ٤٦٦، مَفَاتِحُ الْغَيْبِ، الرَّازِي، ٤٦٤/٦.

النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴿١﴾، فَحَدَّدَ اللَّهُ ﷻ لِمُعَامَلَاتِ النِّسَاءِ حُدُودًا، وَشَرَعَ لَهُنَّ أَحْكَامًا فَصَلَّتْهَا الشَّرِيعَةُ، وَمِنْ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ فِي التَّنْبِيهِ إِلَى هَذَا عَطْفُ الْمُؤْمِنَاتِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ ذِكْرِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ أَوْ الْفَضَائِلِ، وَعَطْفُ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ ﴿٢﴾.

ففي قوله ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ ﴿٣﴾ أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ عَلَى صَاحِبِهِ حَقًّا وَأَنَّ الزَّوْجَ مُخْتَصٌّ بِحَقِّ لَهُ عَلَيْهَا لَيْسَ لَهَا عَلَيْهِ مِثْلُهُ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ وَمِمَّا بَيَّنَّهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ حَقِّ الزَّوْجَةِ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾.

قال ﷻ: ﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿٤﴾، أَي: حَقَّ الصَّحْبَةِ وَالْمَمَازِجَةِ وَالْمَعَاشِرَةِ أَوْ مَا أَوْثَقَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي شَأْنِهِنَّ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾ أَوْ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ» ﴿٥﴾. وَيَسْتَشْهَدُ بِمَا وَرَدَ عَنِ أَبِي رَزِينٍ فِي الْحَدِيثِ الْمُرْسَلِ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾ ﴿٦﴾. فَأَيُّ النَّائِلَتُهُ؟

(١) سورة النِّسَاءِ: جزء من الآية ١٢٧.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢/ ٤٠٠.

(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٢٨.

(٤) سورة النساء: جزء من الآية ٢١.

(٥) سنن أبي داود، أبو داود، (باب صِفَةِ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ)، ٢/ ١٢٢، (١٩٠٧)، (صححه

المحقق).

(٦) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٩.



فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَامْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ» هِيَ الثَّلَاثَةُ»^(١).

كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا نَكَحَ قَالَ: «أَنْكَحْتُكَ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ» فَامْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ»^(٢).

وَقَوْلُهُ ﷻ: «وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا»^(٣)، اسْتَفْهَامٌ تَعْجِيبِيٌّ بَعْدَ الْإِنْكَارِ، أَيْ لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ تَطْمَعُوا فِي أَخْذِ عَوَضٍ عَنِ الْفِرَاقِ بَعْدَ مُعَاشَرَةِ امْتِرَاجٍ وَعَهْدٍ مَتِينٍ. وَالْإِفْضَاءُ الْوُصُولُ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْفَضَاءِ، وَالْمِيثَاقُ الْغَلِيظُ: عُقْدَةُ النِّكَاحِ عَلَى نِيَّةِ إِخْلَاصِ النِّيَّةِ وَدَوَامِ الْأَلْفَةِ، وَالْمَعْنَى أَنْكُمْ كُنْتُمْ عَلَى حَالِ مَوَدَّةٍ وَمُوَالَاةٍ، فَهِيَ فِي الْمَعْنَى كَالْمِيثَاقِ عَلَى حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ^(٤).

وَقَوْلُهُ ﷻ: «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْنَ بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»^(٥) إِذَا كَانَ خِطَابًا لِلزَّوْجِ فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ حَقِّهَا إِذَا لَمْ يَمِلْ إِلَيْهَا أَنْ لَا يَعْضُلَهَا عَنْ غَيْرِهِ بِتَرْكِ طَلَاقِهَا، فَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ حُقُوقِ الزَّوْجَةِ عَلَى الزَّوْجِ وَقَدْ انْتَضَمَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ إِثْبَاتَهَا لَهَا.

وَمِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ، قَالَ ﷻ: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ»^(٦) فِي قَوْلِهِ ﷻ: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ

(١) المصنف، عبد الرزاق، ٦ / ٣٣٧، (١١٠٩١)، بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، القطان، ٢ / ٣١٦، (٣٠٩)، (صححه المؤلف).

(٢) كتاب الأم، الشافعي، ٦ / ١٠٦.

(٣) سورة النساء: الآيتان ٢٠، ٢١.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤ / ٢٩٠.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٣٢.

(٦) سورة النساء: جزء من الآية ٣٤.

عَلَى النِّسَاءِ ﴿۱﴾ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يُعَوِّمُونَ بِالذَّبِّ عَنْهُنَّ، كَمَا تُقَوِّمُ الْحُكَّامُ وَالْأَمْرَاءُ بِالذَّبِّ عَنِ الرِّعِيَةِ، وَهَمُ أَيْضًا: يَقَوْمُونَ بِمَا يَحْتَجْنَ إِلَيْهِ مِنَ النَّفَقَةِ، وَالْكَسْوَةِ، وَالْمَسْكَنِ. وَجَاءَ بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهِ: قَوَّامُونَ لِيُدَلَّ: عَلَى أَصَالَتِهِمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، أَي: إِنَّمَا اسْتَحَقُّوا هَذِهِ الْمَزِيَّةَ لِتَفْضِيلِ اللَّهِ لِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ، بِمَا فَضَّلَهُمْ بِهِ مِنْ كَوْنِ فِيهِمْ: الْخُلَفَاءُ، وَالسَّلَاطِينُ، وَالْحُكَّامُ، وَالْأَمْرَاءُ، وَالْعَزَاةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ. وَأَفَادَ لُزُومَهَا طَاعَتَهُ، لِأَنَّ وَصْفَهُ بِالْقِيَامِ عَلَيْهَا يُقْتَضِي ذَلِكَ^(١).

وَمِمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾^(٢)، هَذَا تَفْصِيلٌ لِحَالِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ قَسَمَانِ: قَسَمُ صَالِحَاتٍ مَطِيعَاتٍ، وَقَسَمُ عَاصِيَاتٍ مَتَمَرِدَاتٍ، فَالنِّسَاءُ الصَّالِحَاتُ مَطِيعَاتٌ لِلَّهِ وَأَزْوَاجُهُنَّ، قَانِمَاتٌ بِمَا عَلَيْهِنَّ مِنْ حَقُوقٍ، يَحْفَظْنَ أَنْفُسَهُنَّ عَنِ الْفَاحِشَةِ وَأَمْوَالِ أَزْوَاجَهُنَّ عَنِ التَّبْذِيرِ كَمَا أَنَّهُنَّ حَافِظَاتٌ لِّمَا يَجْرِي بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ أَزْوَاجَهُنَّ مِمَّا يَجِبُ كِتْمَهُ وَيَجْمَلُ سِتْرَهُ. ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ فَقِيلَ فِيهِ حَفِظُ مَائِهِ فِي رَحِمِهَا وَلَا تَحْتَالُ فِي إِسْقَاطِهِ وَيَحْتَمِلُ حِفْظُ فِرَاشِهَا عَلَيْهِ وَيَحْتَمِلُ حَافِظَاتٌ لِّمَا فِي بُيُوتِهِنَّ مِنْ مَالِ أَزْوَاجِهِنَّ وَلِأَنْفُسِهِنَّ وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ جَمِيعَ ذَلِكَ لِإِحْتِمَالِ اللَّفْظِ لَهُ^(٣).

(١) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ١ / ٥٣١.

(٢) سورة النساء: جزء من الآية ٣٤.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ١ / ٣٧١، أحكام القرآن، الجصاص، ٢ / ٦٨، نيل المرام من

تفسير آيات الأحكام، القنوجي، ١ / ١٦٧، صفوة التفاسير، الصابوني، ١ / ٢٥١.

المعاشرة بين الناس

المعاشرة هو اسم يتكون معه المخالطة، وتوجد فيه المؤانسة، وهو يحكم بالمزاورة والمبايئة والمؤاكلة وهذا جملة العشرة، فالمعاشرة مأخوذة من العشير، وهو الخليط المقارب، وقال الله ﷻ في تسمية المعاشر: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾^(١).
و"العرب في تسليمهم وترحيبهم يقولون: مرحباً وأهلاً وسهلاً أي: لك عندنا مرحب، وهو السعة في القلب والمكان، ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة منا، وسهلاً أي: لك عندنا سهولة، ذلك يسهل علينا ولا يشدد، فهو سهولة اللقاء وسهولته من الأخلاق في الالتقاء"^(٢).

المعاشرة تحتاج إلى الصبر والأخذ بالمنهج القرآني. لأنه يحمل النفس عند معاشرته الناس على ما تكره، وتحمل الأذى في الله، ودفع الشر بالخير، ودفع الجهالة بالحكمة والموعظة الحسنة، ودفع العداة بالتي هي أحسن. كل ذلك شديد على النفس؛ لأنها جبلت على محبة ذاتها، والانتقام لها، ويؤيده قوله ﷻ: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣).

فترويض النفس على الصبر، وتعليمها كيف تكبح جماحها، حتى لا ترد الجهل بالجهل، والشر بالشر؛ فتزيغ عن الصراط المستقيم فيفرح الشيطان^(٤)، قال ﷻ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾^(٥).

(١) سورة الحج: جزء من الآية ١٣.

(٢) قوت القلوب، لمكي، ٢ / ٣٥٨.

(٣) سورة فصلت: الآية ٣٥.

(٤) بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار آيات الطريق، فريد الأنصاري المغربي

(ت ١٤٣٠هـ)، دار السلام - القاهرة، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ١ / ١٤١.

(٥) سورة الاسراء: الآية ٥٣.

وهُنَالِكَ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى مَعَاشِرَةِ النَّاسِ بِالْحَسَنِ، كَمَا فِي الْعَفْوِ عَنِ الْقِصَاصِ، قَالَ ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ^ط الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّئْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

وَفِي الْوَصِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ، قَالَ ﷺ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (٢).
وَفِي أَكْلِ الْوَصِيَّةِ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ، قَالَ ﷺ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (٣).

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٤).

وَهَذِهِ الْآيَاتُ قِيَّدَتْ بِالْمَعْرُوفِ. وَالْمَعْرُوفُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مُعْتَبَرٌ فِي هَذِهِ الْأَحْكَامِ الْمُهَمَّةِ، وَأَنَّ الْمَعْرُوفَ فِيهَا هُوَ الْمَعْهُودُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَعَامَلَاتِ وَالْعَادَاتِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ بِإِخْتِلَافِ الشُّعُوبِ وَالْبِلَادِ وَالْأَوْقَاتِ، فَتَحْدِيدُهُ وَتَعْيِينُهُ بِاجْتِهَادِ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ بِدُونِ مُرَاعَاةِ عُرْفِ النَّاسِ هُوَ مُخَالِفٌ لِنَصِّ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْعُرْفِ (٥).

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ١٧٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

(٣) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٥٢، سورة الإسراء: جزء من الآية ٣٤.

(٤) سورة النساء: الآية ٨.

(٥) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٩ / ٤٤٧.

المطلب الثالث

الآيات الواردة في اللين

وَرَدَتْ خمس آيات تتكلم عن اللين، أربع منها تتعلق بأفعال العباد، وواحدة في سورة سبأ تتعلق بالإعتقاد.

قال ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١).

وقال ﷺ: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٢).

وقال ﷺ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٣).

وقال ﷺ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْهَا قَائِمَةً عَلَى أَرْسُلِهَا﴾ (٤).

وقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ

الْحَدِيدُ﴾ (٥). ﴿وَالنَّارُ﴾ "جعلناه صالحًا، لأن يُطرق ويُرقق" (٦). وهذه الآية خبرية.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) سورة طه: الآية ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة الزمر: جزء من الآية ٢٣.

(٤) سورة الحشر، جزء من الآية ٥.

(٥) سورة سبأ: الآية ١٠.

(٦) معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الجمل، ٤ / ٢٠٨.

التعريف اللغوي للين في الآيات الخمس

تعريف (لَانَ) لغةً: "لَانَ يَلِينُ لِينًا وَلِيَانًا"^(١).

(الَلِينُ) ومشتقاته: اللين ضد الخشونة، وشيءٌ لَيِّنٌ، وَلَيِّنٌ مَخْفَفٌ منه، والجمع أَلْيَاءٌ. وَلَيِّنْتُ الشيءَ وَأَلَيَّنْتُهُ، أي: صَيَّرْتَهُ لَيِّنًا. ويقال أيضًا: أَلَنْتُهُ وَأَلَيَّنْتُهُ، على النقصان والتمام. والليانُ بالكسر: المَلَايِنَةُ والمَلَاظِفَةُ. واستلانهُ: عَدَّهُ لَيِّنًا. وتَلَيَّنَ: تَمَلَّقَ^(٢).

(الَلِينُ) اللَّيَانَةُ بالفتح لغة فيه. لَانَ يَلِينُ وتَلَيَّنَ فهو لَيِّنٌ. أو المَخْفَفَةُ في المدح خاصة، والجمع لَيِّنُونَ وَأَلْيَاءٌ قال: "قولهم فلان هين لين إذا كان سهلًا منقادًا وليس من الهوان، وَرَجُلٌ هَيِّنٌ لَيِّنٌ؛ وَهَيِّنٌ لَيِّنٌ لغتان"^(٣).

وَشَيْءٌ لَيِّنٌ، بَيْنَ اللَّيْنِ، وَاللِّيَانِ، بِفَتْحِ اللَّامِ. فَأَمَّا اللَّيَانُ، بِكَسْرِ اللَّامِ، فمصدر المَلَايِنَةُ لا يَنْتُ فَلَانًا مَلَايِنَةً وَلِيَانًا. وَاللَّيْنَةُ: النَّخْلَةُ، وَالْجَمْعُ لَيِّنٌ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لَّيْنَةٍ﴾. "وَجَمْعُ لَيْنَةٍ لَيَانٌ"^(٤).

(الَلِينُ) اصطلاحًا: لم تذكر كتب المصطلحات اللين مصطلحًا، وقد اكتفى اللغويون والمفسرون بذكر المعنى الاستعمالي أو المعنى المراد، وقد ذكر الفيروزآبادي اللين بحسب ما يتعلق به، إمّا لين في الأجساد كلين الشمع والحديد وغيرهما، وإمّا لين في المعاني، ككين الطبع ولين القول^(٥).

(١) العين، الفراهيدي، ٣٣٣ / ٨، (باب اللام والفاء).

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٢١٩٨ / ٦، (لين).

(٣) جمهرة الأمثال، العسكري، أبو هلال، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الفكر - بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م، ٦٥ / ١.

(٤) جمهرة اللغة، الأزدي، ٩٨٩ / ٢، (لني).

(٥) ينظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ٤٧٢ / ٤.

معنى اللين عند المضمرين وفيها أقوال منها:

القول الأول: "وَمَعْنَى لَيْنِ الْقَلْبِ: رِقَّتُهُ وَطَمَأْنِينُهُ وَسُكُونُهُ"^(١).

القول الثاني: القول الرقيق الذي يتقبله الغير بقبول حسن^(٢).

القول الثالث: لأن الشيء يلينه: جعله ليناً خالياً من الصلابة، واللينه أصل عينها

واو، لأنها من اللون، وقلبت ياءً لسكونها وكسر ما قبلها^(٣).

وقيل: هي العجوة وقيل: هي أغصان الشجر^(٤). وقيل: الدَّقْلُ من النخل، واللُّونَةُ لغة

فيها، وقيل: هي الناعمة من النخل^(٥).

ورد تعريف (لَانَ) اصطلاحاً في كتب المتأخرين: "سهل وذهبت صلابته، فهو

لَيْنٌ ويقال: لَانَ الرجلُ: انقاد لهم وعاملهم بالرفق"^(٦).

و(اللينُ): يستعمل في الأجسام، ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال:

فلان لَيْنٌ، وفلان خشن، وكل واحد منهما يمدح به طوراً، ويُذم به طوراً بحسب

اختلاف المواقع^(٧).

و(اللين) في المعاملة: "الرفق والتلطف فيها"^(٨).

و(اللينُ): فِعْلُ الشَّيْءِ اللَّيِّنِ لِأَنَّ الشَّيْءَ يَلِينُ لِينًا وَلَيَانًا وَتَلَيَّنَ، وَشَيْءٌ لَيِّنٌ وَلَيِّنٌ

مخفف منه والجمع أَلْيَانٌ، وفي الحديث: عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقُعْقَاعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٥ / ٢٥٠.

(٢) ينظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الجمل، ٤ / ٢٠٨.

(٣) ينظر: إملاء ما من به الرحمن، العكبري، ٢ / ٢٥٨.

(٤) ينظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الجمل، ٤ / ٢٠٩، (ل ي ن).

(٥) ينظر: بصائر نوي التمييز، الفيروزآبادي، ٤ / ٤٧٢.

(٦) معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الجمل، ٤ / ٢٠٨.

(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص ٧٥٢.

(٨) تفسير المراغي، المراغي، ٤ / ١١١.

ﷺ: «إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ضَنْضِي هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ لَيْتِنَا رَطْبًا»^(١). أي سهلًا على ألسنتهم^(٢).

قال العرندس^(٣) الكلابي، من [البسيط]:
هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيسار دُوو يسر ... أزياب مكرمة أبناء أيسار^(٤).

التعريف اللغوي لبعض مفردات الآيات

(الفظ): "الخشن، الشرس الأخلاق، الجافي في المعاشرة في القول والفعل".

﴿لَا نَفْضُؤًا﴾: انفضّ القوم تفرقوا^(٥)، كما في قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾^(٦).

(الغليظ): القاسي الذي لا يتأثر قلبه بشيء^(٧).

(١) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الزَّكَاةِ)، (بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ)، ٧٤٣ / ٢، (١٠٦٤)،
والحديث رواه أحمد في مسنده متصلًا، عن عُمَارَةَ بِنْتِ الْقَعْقَاعِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، عَنْ أَبِي
سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ﷺ، ٤٧ / ١٧، (١١٠٠٨) (صححه المحقق).

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد، ٣٤٧ / ١٨، ٣٥١.

(٣) العرندس: الكلابي، وقيل هو أبو العرندس من بني أبي بكر بن كلاب. قال يمدح بني عمرو
الغنويين في الحماسة. وأنشدها أبو عبيدة فقال: هذا والله محال كلابي يمدح غنويًا، ولم تقف
الباحثة على ترجمته إلا على هذا القدر، معجم الشعراء، الإمام المرزباني، أبو عبيد الله محمد
بن عمران (ت ٣٨٤هـ)، المحقق: د. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢،
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ٣٠٦ / ١، (باب ذكر من اسمه العرندس).

(٤) ينظر: الحيوان، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي (ت ٢٥٥هـ)،
دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ، ٣٠٠ / ٢، الحماسة المغربية، الجزاوي، أبو
العباس أحمد بن عبد السلام التادلي (ت ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، دار الفكر
المعاصر - بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ٢٩٩ / ١.

(٥) تفسير المراغي، المراغي، ١١١ / ٤.

(٦) سورة الجمعة: جزء من الآية ١١.

(٧) تفسير المراغي، المراغي، ١١١ / ٤.

(المشاورة): البحث وزيادة النظر في عواقب الأمور، وحصول البركة، وقد أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بمشاورة ذوي الأحلام والنهي، ومدح المؤمنين بالمشاورة، قال ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، ولا خلاف في استحبابها في حق الرعية^(١).

(الأمر): "سياسة الأمة في الحرب والسلام والخوف إلى نحو ذلك من المصالح الدنيوية"^(٢).

(التوكل): "عقد القلب على إمضاء الأمر"^(٣).

(الخشوع): قَرِيبٌ مِنَ الْخُضُوعِ إِلَّا أَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْبَدَنِ وَالْخُشُوعَ فِي الْبَدَنِ وَالصَّوْتِ^(٤).

﴿يَخْشَوْنَ﴾: "خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون على علم بما يخشى منه، ولذلك

خص بها العلماء"^(٥)، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعُلَمَاءُ﴾^(٦).

﴿طَغَى﴾: "عصى وتكبر"^(٧).

﴿أَحْسَنَ﴾: الأحسن على إرادة التفضيل والمبالغة، وبناءً أفعل في التعجب^(٨).

(١) ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، ابن نور الدين، ٢/ ٢٠٧.

(٢) تفسير المراغي، المراغي، ٤/ ١١١.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص ٥٦٥، (مادة عزم).

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/ ٣٠٠، (مادة خشع).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ)، المحقق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر - دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ، ص ٣١٤، (فصل الشين).

(٦) سورة فاطر: جزء من الآية ٢٨.

(٧) كتاب الكليات، الكفوي، ص ٥٨٧، (فصل الطاء).

(٨) ينظر: المخصص، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ١/ ٢٣٣.

- (المثاني): "جمع مائة مؤنث مثنى" (١).
- ﴿مَثَانِي﴾: "الآيات تتلى وتكرر" (٢).
- ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾: المعنى الأول: كُرِّرَ فِيهِ النَّوَابِ وَالْعِقَابِ (٣).
- والمعنى الثاني: "يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَلَا يَخْتَلِفُ" (٤).
- والمعنى الثالث: مجازه مجاز آيات من القرآن يشبه بعضها بعضًا (٥).
- ﴿تَقَشَّرُ﴾: (قشعر) رُبَاعِيَّةٌ أَي: يَنْقَبِضُ الْجِلْدُ مِنْ فِزَعٍ (٦).
- وَ(الْإِقْشَعْرَارُ): "تَغَيَّرَ فِي جِلْدِ الْإِنْسَانِ عِنْدَ الْوَجَلِ وَالْخَوْفِ" (٧). ترق وتهدأ جلودهم وقلوبهم إلى كلام الله (٨).
- البلاغة في قوله ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن تَأْتُوا بَدَلًا لَّيَكْفُرْنَا بِهِ وَإِن تُؤَدُّوا عَلَيْهِمْ ذِيقَاتِمْ ذُلًّا لَّا تَنصُرُوهُمْ وَلَا يُنصِرُكُمُ اللَّهُ أَتَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾
- ﴿فِيمَا﴾ (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت مما سبق لك، أنهم يستحقون الملامة والتعنيف ولا يستحقون اللين والسهولة،
-
- (١) معجم علوم القرآن، الجرمي، إبراهيم محمد، دار القلم - دمشق، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ص ٢٤٣.
- (٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ١/ ١٠٢، (باب التاء).
- (٣) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ١٥/ ١٠٠، (باب التاء والنون)، لسان العرب، ابن منظور، ١٤/ ١١٩، (باب التاء المثلثة).
- (٤) تفسير مقاتل، مقاتل، ٣/ ٦٧٥.
- (٥) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ص ٣٥٤.
- (٦) ينظر: كتاب الأفعال، ابن القطّاع، ٣/ ٧١، (باب الخماسي والسداسي)، المجموع المغيبي في غريب القرآن والحديث، الأصبهاني، أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد المدني (ت ٥٨١ هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، دار المدني - السعودية، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ٢/ ٧١١، (قشعر).
- (٧) تفسير البغوي، البغوي، ٧/ ١١٥.
- (٨) ينظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الجمل، ٤/ ٢٠٨.

فسبب لينك لهم رحمة من الله ﷻ^(١).

وَالْبَاءُ لِسَبِيَّةٍ، أَي: لِنْتِ مَعَ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِذْ كَانَ لِيْنُهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِيْنًا لَا تَفْرِيطَ مَعَهُ لَشَيْءٍ مِنْ مَصَالِحِهِمْ، وَلَا مُجَارَاةَ لَهُمْ فِي التَّسَاهُلِ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَلِذَلِكَ كَانَ حَقِيقًا بِاسْمِ الرَّحْمَةِ.

وَتَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ مُفِيدٌ لِلْحَضْرِ الْإِضَافِيِّ، أَي: بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَا يَغْيِرُ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، وَهَذَا الْقَصْرُ مُفِيدٌ التَّعْرِيصِ^(٢) "بِأَنَّ أَحْوَالَهُمْ كَانَتْ مُسْتَوْجِبَةً الْغَلْطِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ الْآنَ خُلِقَ رَسُولُهُ رَحْمَةً بِهِمْ، لِحِكْمَةِ عِلْمِهَا اللَّهُ فِي سِيَاسَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ"^(٣).

والمعنى: فبرحمة من الله، و(ما) قد جرد عنها معنى النفي ودخلت للتأكيد وليست بزائدة على الإطلاق لا معنى لها، وأطلق عليها سيويوه اسم الزيادة من حيث زال عملها، وهذه بمنزلة قوله ﷻ: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾^(٤). و(ما) بإجماع النحويين ههنا صلة لا تمنع الباء من عملها فيما عملت^(٥).

الحديث الوارد في (اللين) بالمعنى

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ الْعَرَبِيَّ بْنَ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُوَدَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى النَّيِّضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ

(١) ينظر: حقائق الروح والريحان، الهرري، ٥ / ٢٤٧.

(٢) التعريض في الكلام: "ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح". التعريفات، الجرجاني، ١ / ٦٢، (باب التاء).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤ / ١٤٤.

(٤) سورة النساء: جزء من الآية ١٥٥، سورة المائدة جزء من الآية ١٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١ / ٤٨٢.

سُنَّتِي وَسُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَصُوا عَلَيَّهَا بِالنَّوَاجِدِ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا انْقَادَ» (١).

تفسير اللين بالحديث والآثار

إنَّ التوازن في شخصية المسلم ليجمع الشدة واللين، ومن الحكمة مراعاة كل ظرف بما يناسبه، والتعامل مع كل حالة بما تقتضيه؛ من الأخذ بقوة أو الرفق واللين، غير أنه يبقى أن الأصل في التعامل الاجتماعي اللين والرفقة، ما لم يعم ما يقتضي خلاف ذلك، أما حين تنضب ينابيع العاطفة، فلا بد من تطهير القلب من عوامل القسوة، لتنعكس صورة اللين على المعاملة والسلوك، وشخصية الداعية تقتضي القدرة على التعامل مع الناس باللين، وقد تعجبت السيدة عائشة رضي الله عنها من موقف رسول الله ﷺ حين استأذن رجل بالدخول عليه، فَنَعَتَهُ بقوله: «فَلَيْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ (٢)(٣).

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: «اؤْذِنُوا لَهُ فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ مَا قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ فَقَالَ: «أَيُّ عَائِشَةَ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءً فُحْشِهِ» (٤).

هَذَا الرَّجُلُ هُوَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ حِينَئِذٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ حَالَهُ لِيَعْرِفَهُ النَّاسُ وَلَا يَغْتَرَّ بِهِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ، وَكَانَ مِنْهُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَهُ مَا دَلَّ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِهِ وَارْتِدَادِهِ مَعَ الْمُرْتَدِينَ وَجِئَ بِهِ أَسِيرًا

(١) سنن بن ماجه، ابن ماجه، (بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ)، ١ / ٢٩، (٤٣)، (صححه المحقق).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، (كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ)، (بَابُ مُدَارَاةِ مَنْ يُنْقَى فُحْشُهُ)، ٣ / ١٤٤، (٢٥٩١).

(٣) ينظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، الخزندار، ص ٤٦٣.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، (كِتَابُ الْأَدَبِ)، (بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ اغْتِيَابِ أَهْلِ الْفُسَادِ وَالرِّيْبِ)، ٨ / ١٧، (٦٠٥٤).

إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَوَصَفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ بِأَنَّهُ بَسَّ أَحُو الْعَشِيرَةِ مِنْ أَعْلَامِ النَّبُوَّةِ، لِأَنَّهُ ظَهَرَ كَمَا وَصَفَ وَإِنَّمَا أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ تَأْلُفًا لَهُ وَلِأَمْتَالِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَدَارَاةٌ مَنْ يُتَّقَى فُحْشَهُ وَجَوَازُ غِيْبَةِ الْفَاسِقِ الْمُغْلِبِ فَسَقَهُ وَمَنْ يَحْتَاجُ النَّاسَ إِلَى التَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَلَمْ يَمْدَحْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَنْكَرُ أَنَّهُ أَتَى عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ وَلَا فِي قَفَاهُ إِنَّمَا تَأْلَفَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مَعَ لَيْنِ الْكَلَامِ وَأَمَّا بَسُّ بَنِ الْعَشِيرَةِ أَوْ رَجُلِ الْعَشِيرَةِ فَالْمُرَادُ بِالْعَشِيرَةِ قَبِيلَتُهُ أَيُّ بَسُّ هَذَا الرَّجُلِ مِنْهَا^(١).

فالمسلم لينال باللين ما لا يناله بالغلظة والشدة. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تُحْرَمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ هَيْنٍ لَيْنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ»^(٢).

عَنْ زِيَادِ بْنِ مَخْرَاقٍ قَالَ: حَدَّثَنِي طَيْسَلَةُ بْنُ مَيَّاسٍ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّجْدَاتِ، فَأَصَبْتُ دُنُوبًا لَا أَرَاهَا إِلَّا مِنَ الْكِبَائِرِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عُمَرَ قَالَ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: كَذَا وَكَذَا قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ مِنَ الْكِبَائِرِ، هُنَّ تَسْعُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ نَسَمَةٍ، وَالْفِرَارُ مِنَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَأَكْلُ الرَّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالْحَادُّ فِي الْمَسْجِدِ، وَالَّذِي يَسْتَسْخِرُ، وَبُكَاءُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْعُقُوقِ. قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ: أَتَفْرُقُ النَّارَ، وَتُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، قَالَ: أَحْيِي وَالِدَكَ؟ قُلْتُ: عِنْدِي أُمِّي، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَوْ أَلْنْتُ لَهَا الْكَلَامَ، وَأَطَعَمْتُهَا الطَّعَامَ، لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ»^(٣).

(١) شرح النووي على مسلم، النووي، (كتاب البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ)، (باب مداراة من يتقى فحشه)، ١٤٤ / ١٦.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، (باب تحريم النار على كل قريب هين لين)، ٣٨٦ / ٩، (٢٦٧٦)، (حسنه المؤلف)، صحيح بن حبان، ابن حبان، (ذَكَرُ الْبَيَانُ بِأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا كَانَ هَيْنًا لَيْنًا قَرِيبًا سَهْلًا، قَدْ يُرْجَى لَهُ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ بِهَا)، ٢ / ٢١٥، (٤٦٩)، (قال المحقق: صحيح لغيره).

(٣) (الأدب المفرد، البخاري، (باب لَيْنِ الْكَلَامِ لَوَالِدِيهِ)، ١ / ١٧، (٨)، (صححه المحقق).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرْقُ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ»^(١).

وصفهم باللين والرقّة والضعف فمعناه أنّها ذات خشية واستكانة سريعة الاستجابة والتأثر بقوارع التذكير سالمة من الغلظ والشدة والقسوة التي وصف بها قلوب الآخرين^(٢).

وَعَنْ أَبِي شَجْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ وَحَادُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ وَسُدُّوا الْخَلَلَ وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ وَلَا تَدْرُوا فُرْجَاتِ لِلشَّيْطَانِ وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "مَعْنَى وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ: إِذَا جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الصَّفِّ فَذَهَبَ يَدْخُلُ فِيهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُلِينَ لَهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الصَّفِّ"^(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: "خياركم أليّنكم مناكب في الصلاة"^(٤).
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُزْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا»، فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامًا»^(٥).
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَلِمَةُ اللَّيِّنَةُ صَدَقَةٌ»^(٦).

(١) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الايمان)، (باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ)، ١٧٣ / ٥، (٤٣٨٨).

(٢) شرح النووي على مسلم، (كتاب الايمان)، (باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ)، ٣٣ / ٢.

(٣) سنن أبي داود، أبو داود، (باب تسوية الصفوف)، ٨ / ٢، (٦٦٦)، (صححه المحقق).

(٤) غريب الحديث، القاسم بن سلام، ٧٦ / ٤.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، ١٧٣ / ٢، (٦٦١٥)، (قال المحقق: حسن لغيره وهذا اسناد ضعيف).

(٦) المصدر نفسه، ٣١٢ / ٢، (٨٠٩٦)، (صححه المحقق).

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ قَالَ: "كَتَبَهُ"^(١).

وفي تفسير نفس الآية قال الحسن البصري: أَعْذَرَا إِلَيْهِ، قَوْلًا لَهُ: إِنَّ لَكَ رَبًّا وَلَكَ مَعَادًا، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ جَنَّةً وَنَارًا^(٢).

وَقَالَتْ جَدَّةُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ لِسُفْيَانَ، مِنْ الرَّجَزِ:

"بُنَيَّ إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ الْمَفْرَشُ اللَّيِّنُ وَالطَّعِيمُ وَمَنْطِقٌ إِذَا نَطَقَتْ لَيِّنٌ"^(٣).
وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَقُولُ مِنَ الرَّجَزِ:

بُنَيَّ إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ * * * وَجَهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيِّنٌ^(٤).

فوظيفة المسلم مع إخوانه، أن يكون هينًا لينًا بالقول وبالفعل، لأنَّ هذا مما يوجب المودة والألفة بين الناس، وهذه الألفة والمودة أمرٌ مطلوب للشرع، ولهذا نهى عليه الصلاة والسلام عن كل ما يوجب العداوة والبغضاء^(٥).

أقوال بعض المفسرين في قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ﴾:

القول الأول: يجب أن يكون الإنسان رحيماً على خلق الله، وقد أمر الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عباده أن يعامل بعضهم بعضاً بالرحمة واللين، والقول اللين يكون أقر وأثبت في القلوب، وأنجع وأقرب إلى الإجابة والقبول من القول الخشن، وخاصة في الملوك والرؤساء؛ إذ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم، ٧ / ٢٤٢٣، (١٣٤٤٢).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم، ٧ / ٢٤٢٤، (١٣٤٤٤)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥ / ٢٩٥.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ١٥ / ٢٦٦، (باب اللام والنون)، المعجم المفصل في شواهد العربية، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ١٢ / ٢٥٨.

(٤) ينظر: مكارم الأخلاق، الخرائطي، ص ٦٤، (١٤٨)، المجالسة وجواهر العلم، الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان المالكي (ت ٣٣٣ هـ)، المحقق: مشهور، أبو عبيدة بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم - بيروت، (د ط)، ١٤١٩ هـ، ٤ / ٣٣١، (ضعفه المحقق)، محاضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني، ص ٣٢٠.

(٥) ينظر: شرح رياض الصالحين، محمد العثيمين (ت ١٤٢١ هـ)، ٢ / ٥٤٤.

طباعهم لا تحتل ذلك، بل أكثر صولتهم على من دونهم، إنما يكون عند استقبالهم بالخلاف وبما يكرهون، فأمر ﷺ رسوله موسى وهارون أن يقولوا له قولاً ليناً، ويلطفا معاملته؛ ليكون أقرب وأثبت في قلبه؛ ولذلك قال ﷺ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (١). وأمر الله ﷺ رسله باللين من المعاملة، والرحمة على خلقه، وجعله سبب تأليف القلوب وجمعها، وجعل الخشن من القول والفظ سبب الفرقة بقوله ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ (٢).

القول الثاني: أنه ﷺ لما رفق بمن تولى يوم أحد ولم يعنفهم، بين ﷺ أنه فعل ذلك بتوفيق الله ﷻ إياه، فلأن لهم وعاملهم بالحسنى بسبب الرحمة التي أنزلها الله على قلبه، وخصه بها، إذ أمده بأداب القرآن العالية وحكمه السامية، حتى هانت عليه المصائب، وعلمه ما لها من المنافع وحسن العواقب، وقد مدح الله نبيه بحسن الخلق في مواضع من كتابه فقال ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣) وقال ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤)(٥).

القول الثالث: على تقدير: فَبِرَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لِنْتَ لَهُمْ، فَتَكُونُ الرَّحْمَةُ أَمْنًا بِهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. أي: دَمِثْتَ أَخْلَاقَكَ وَلَانَ جَانِبَكَ لَهُمْ بَعْدَ مَا خَالَفُوا أَمْرَكَ وَعَصَوْكَ، وَذَلِكَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ. وَقِيلَ: مُتَعَلِّقُ الرَّحْمَةِ الْمُخَاطَبُ ﷺ، أَي بِرَحْمَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ جَعَلَكَ لِيَنَّ الْجَانِبِ مُوطَأً الْأَكْنَافِ، فَرَحِمْتَهُمْ وَلِنْتَ لَهُمْ، وَلَمْ تُؤَاخِذْهُمْ بِالْعِصْيَانِ وَالْفِرَارِ وَإِفْرَادِكَ لِلْأَعْدَاءِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ امْتِنَانًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقُ

(١) سورة طه: الآية ٤٤.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي، الماتريدي، ٢/ ٥١٥، ٧/ ٢٨٢.

(٣) سورة القلم: الآية ٣.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٥) ينظر: تفسير المراغي، المراغي، ٤/ ١١٢، ١١٣.

الرَّحْمَةَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، بِأَنْ جَعَلَهُ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ، وَبَعَثَهُ بِتَمِيمِ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ
لِلْمُؤْمِنِينَ، بِأَنْ لِيَنَّهُ لَهُمْ^(١).

أقسام اللين

ينقسم اللين بحسب ما يضاف إليه:

١- لين القول، ويعني: التلطف في الحديث مع الناس وأكثر ما يكون ذلك مرغوباً في مجال الدعوة إلى الله ﷻ، ولين القول قد يجاذب النفوس الجامحة عن الحق، ويخطو بها الخطوة الأولى إلى التدبر في الحجة^(٢).

٢- لين القلب، ويعني: رقة القلب وخشيته من الله ﷻ، وأكثر ما يكون ذلك عند سماع القرآن، وهذا من الاعتقاد. ولين القلب أثناء الدعوة لعرض بضاعة الإسلام للراغبين بأسلوب شيق وهادئ، ومخاطبة العقول، وهذا يحتاج إلى مهارة في الإلقاء، وانفتاح صدر أمام المسترشد والراغب في البحث^(٣).

٣- لين المعاملة، ويعني: الرفق في معاملة المقصرين والتماس العذر لهم وعدم تعنيفهم كما حدث من النبي ﷺ يوم أحد، حيث لم يعنف المقصرين، فمعاملة الجاهلين من أفراد الناس، سواء أكانوا مسلمين أم غيرهم، أدب مشروع مؤكد وحكم دائم محكم، وهو في معاملات الأفراد^(٤).

(١) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٣/ ١٠٣.

(٢) ينظر: موسوعة الأعمال الكاملة، الإمام محمد الخضر حسين (ت ١٣٧٧هـ)، جمعها: المحامي

علي الرضا الحسيني، دار النوادر - سوريا، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ٢/ ١٢٠.

(٣) ينظر: شمولية الدعوة، د. محمد بن سعد الشويعر، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الدعوة الإسلامية ومنهجها القرآني -

السعودية، من ذو القعدة إلى صفر لسنة ١٤٢١هـ - ١٤٢٢هـ، العدد: ٦٢، ص ٢٥١.

(٤) ينظر: تفسير ابن باديس، ابن باديس عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت ١٣٥٩هـ)، المحقق:

أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص ١٩٦.

يَتَّضِحُ من أقسام اللَّيْنِ، إِنَّ بين الرَّفْقِ واللَّيْنِ عموماً وخصوصاً يَتَّقَنانِ في مجال المعاملة، ويفرد اللَّيْنُ بمجالي اللسان والقلب، ومن ثمَّ يكون اللَّيْنُ أعمَّ من الرَّفْقِ^(١).
 "اشتمل القرآن الكريم بقسميه المكي والمدني على الشدة والعنف، لأنَّ ضرورة التربية الرشيدة في إصلاح الأفراد والشعوب وسياسة الأمم والدول تقضي أن يمزج المصلح في قانون هدايته بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والشدة واللَّيْنُ"^(٢).
 واللين في الأصل مقابل الخشونة. وكلاهما مدركان بالحس أي: حاسة اللمس. وحقيقته في الأجسام، ثم يستعمل في الخلق وغيره من المعاني مجازاً. ويقال: فلانٌ لين الجانب وفلانٌ خشنه، وكل منهما يمدح به تارةً ويذم به أخرى وذلك بحسب المقامات، ألا ترى ما جاء من ذلك شعراً، قول فُرَيْطُ بنِ أُنَيْفٍ^(٣) أحد بني العنبر، من [البسيط]:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبْلِي ... بَنُو الشَّقِيقَةِ مِنْ دُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا
 إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشْنٌ ... عِنْدَ الحَفِيزَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَانَا^(٤)

(١) ينظر: نضرة النعيم، عدد من المختصين، ٨ / ٣٢٩٦.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١ / ١٤٦.

(٣) ابن أنيف: فُرَيْطُ العنبري التميمي، شاعر مخضرم، في حياته غموض. انفرد معمر بن المثنى برواية خبر عنه، خلاصته أن بعض بني شيبان أغاروا عليه، وأخذوا ثلاثين بعيراً له، وخذله قومه، فاستجد ببني مازن، فنهبوا من بني شيبان مئة بغير ودفعوها إليه. ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة، ٤ / ٢٥، (٥٦٥٦)، الأعلام، الزركلي، ٥ / ١٩٥.

(٤) عيون الأخبار، الدينوري، ١ / ٢٨٥، تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات، شرح شواهد الكشف، محب الدين الأفندي (١٠١٦هـ)، (د ط)، (د ت)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - القاهرة، ص ٣٤١، علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية - بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ١٨٣.

المداراة من أخلاق المؤمنين

إِنَّ الْمُدَارَاةَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ حَفْضُ الْجَنَاحِ لِلنَّاسِ وَلِيُنِ الْكَلِمَةَ وَتَرْكُ الْإِغْلَاطِ لَهُمْ فِي الْقَوْلِ وَذَلِكَ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ الْأَلْفَةِ، وَسَلِّ السَّخِيمَةَ^(١) (٢). وفي الدعاء المأثور عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو: رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاعْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي»^(٣).

وَظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُدَارَاةَ هِيَ الْمُدَاهَنَةُ فَعَطَطَ، لِأَنَّ الْمُدَارَاةَ مُنْدُوبٌ إِلَيْهَا وَالْمُدَاهَنَةُ مُحَرَّمَةٌ، وَالْفَرْقُ أَنَّ الْمُدَاهَنَةَ مِنَ الدَّهَانِ وَهُوَ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَى الشَّيْءِ وَيَسْتَرِ بَاطِنَهُ، "وفسرهما العلماء: بَأَنَّهَا مُعَاشِرَةُ الْفَاسِقِ وَإِظْهَارُ الرِّضَا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ عَلَيْهِ، وَالْمُدَارَاةُ هِيَ الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ فِي التَّعْلِيمِ وَبِالْفَاسِقِ فِي النَّهْيِ عَنْ فِعْلِهِ وَتَرْكُ الْإِغْلَاطِ عَلَيْهِ حَيْثُ لَا يَظْهَرُ مَا هُوَ فِيهِ وَالْإِنْكَارُ عَلَيْهِ بِلُطْفِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا احْتِيَجَ إِلَى تَأْلَفِهِ"^(٤).

عَنْ سَمْرَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّكَ إِنْ تَرَدَّ إِقَامَةَ الضِّلْعِ تَكْسِرَهَا، فَدَارَهَا تَعِشْ بِهَا»^(٥).

(١) السُّخَامُ: الشَّيْءُ اللَّيِّنُ، وَالسَّخِيمَةُ: الْمَوْجِدَةُ فِي النَّفْسِ وَالسَّخْمُ: مَصْدَرُهُ. وَقَدْ سَخِمْتُ بِصَدْرِهِ، أَي: أَغْضَبْتَهُ، وَسَلَّتُ سَخِيمَتَهُ بِقَوْلِ طَيْبٍ، وَجَمَعَهَا: سَخَائِمٌ. الْعَيْنُ، الْفَرَاهِيدِيُّ، ٤ / ٢٠٥، (س خ م).

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٩ / ٣٠٥.

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (كِتَابُ الدُّعَاءِ)، (بَابُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)، ٥ / ٧، (٣٨٣٠)، (صححه المحقق)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ)، المحقق: عبد القادر الأرنبوط، الملاح-دمشق، ط ١، ١٣٩٠هـ، ٤ / ٣٣٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، (كِتَابُ الْأَدَبِ)، (بَابُ الْمُدَارَاةِ مَعَ النَّاسِ)، ١٠ / ٥١٨.

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، (كِتَابُ النِّكَاحِ)، (ذَكَرَ الْأَمْرَ بِالْمُدَارَاةِ لِلرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ إِذْ لَا حِيلَةَ لَهُ فِيهَا إِلَّا إِيَّاهَا)، ٩ / ٤٨٥، (٤١٧٨)، (صححه المحقق).

قال البخاري بالتعليق، عَنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: "إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَنَلْعَنُهُمْ" (١).

قال أبو حاتم: وَالْمُدَارَاةُ الَّتِي تَكُونُ صَدَقَةً لِلْمُدَارِي هِيَ تَخَلُّقُ الْإِنْسَانِ الْأَشْيَاءَ الْمُسْتَحْسَنَةَ، مَعَ مَنْ يُدْفَعُ إِلَى عِشْرَتِهِ، مَا لَمْ يَشْبُهْهَا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَالْمُدَاهَنَةَ: هِيَ اسْتِعْمَالُ الْمَرْءِ الْخِصَالِ الَّتِي تُسْتَحْسَنُ مِنْهُ فِي الْعِشْرَةِ وَقَدْ يَشُوبُهَا مَا يَكْرَهُ اللَّهُ عز وجل (٢).
من أعمال الإنسان الضرورية معاشرة الناس من الأقارب والأباعد، فمن ذلك المعروف والمواساة والتحبب إليهم بالسر والقول الحسن (٣).

"إِنَّ طَلَبَ الْحَيَاةِ الْحَسَنَةِ فِي الدُّنْيَا يَكُونُ بِالْأَخْذِ بِأَسْبَابِهَا الْمُجْرِبَةِ فِي الْكَسْبِ وَالنِّظَامِ فِي الْمَعِيشَةِ، وَحُسْنِ مُعَاشَرَةِ النَّاسِ بِآدَابِ الشَّرِيعَةِ وَالْعُرْفِ، وَقَصْدِ الْخَيْرِ فِي الْأَعْمَالِ كُلِّهَا، وَتَوَقِّي الشُّرُورِ كُلِّهَا" (٤).

إِنَّ وَضْعَ اللَّيْنِ فِي مَوْضِعِهِ، وَالشَّدَّةَ فِي مَوْضِعِهَا مِنْ أَسَالِيبِ الدَّعْوَةِ كَمَا هُوَ فِي قَوْلِهِ رضي الله عنه: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرُبُونِ﴾ (٥)، وصدور الآية للين والعجز فيها للشدة (٦).

والدعوة تكون بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال رضي الله عنه: ﴿ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٧)، وقال رضي الله عنه: ﴿لَعَلَّهُ

(١) صحيح البخاري، البخاري، (كتاب الأدب)، (باب المداراة مع الناس)، ٣١ / ٨، (٤١٧٨).
(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، (كتاب البر والإحسان)، (ذكر كناية الله الصديقة للمداري أهل زمانه من غير ارتكاب ما يكره الله جل وعلا فيها)، ٢٨ / ٢١٦، (٤٧١)، (صححه المحقق).

(٣) ينظر: تفسير الراغب الاصفهاني، ١ / ٣٧٦.

(٤) تفسير المنار، رشيد رضا، ٢ / ١٩١.

(٥) سورة يوسف: الآيتان ٥٩، ٦٠.

(٦) ينظر: تفسير محاسن التأويل، القاسمي، ٦ / ٢٤٤.

(٧) سورة الزمر: جزء من الآية ٢٣.

يَتَذَكَّرُ ﴿ أَي لَعَلَّهُ يَرْجِعُ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالْهَلَاكَةِ، ﴿ أَوْ يَحْشَى ﴾ أَي: يُوجِدُ طَاعَةَ مَنْ حَشِيَ رَبَّهُ كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴾ (١) فَالْتَذَكُّرُ الرَّجُوعُ عَنِ الْمَحْذُورِ وَالْحَشْيَةُ تَحْصِيلُ الطَّاعَةِ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴾ لَا تَقُلْ أَنْتَ يَا مُوسَى وَأَخُوكَ هَارُونَ أَهْلِكُهُ قَبْلَ أَنْ أَعْذِرَ إِلَيْهِ (٢).

(١) سورة طه: جزء من الآية ٤٤.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥ / ٢٩٥.



الخاتمة

الخاتمة

تتضمن أهم نتائج البحث والتوصيات

بعد أن تم بعون الله تعالى البحث في الألفة، علينا أن نحدد حصيلة هذا البحث الذي قضيت في إنضاجه مدة طويلة، ولا شك أن كلَّ مُجِدِّ يُسَرُّ بِأَثَرِ جُهِدِهِ، فهذه جملةٌ من نتائج البحث:

- ١- الألفة تُعدُّ الركنُ الأساس في إرساء أخلاق الأفراد والجماعات والأمم.
- ٢- الألفة ضرورة في لَمِّ شمل الروابط بين الناس.
- ٣- الألفة سجية إنسانية، يحتاجها المسلم وغير المسلم.
- ٤- الصلح عامل يحقق نبذ الخصومات وإحلال الألفة في رحم هذه الأمة.
- ٥- الألفة من المعاني السامية ظاهراً وباطناً في أعمال القلوب والمعاملات.
- ٦- الألفة من الأخلاق الحميدة، وحكمها الوجوب.
- ٧- الألفة من ثمرات الود.
- ٨- الألفة ظاهرة تحتل الصدارة في بناء أواصر وحدة الأمة.
- ٩- إكتسبت الألفة غالباً الثناء الوصفي في القرآن الكريم.
- ١٠- الألفة من أهم الوشائج الإجتماعية ما بين الراعي والرعية.
- ١١- الألفة نتيجة تسبقها أسباب.
- ١٢- الألفة سبب من أسباب الخيرية في هذه الأمة.
- ١٣- أعظم أسباب الألفة في الأمة السعي الحثيث بدعوة الرعية إلى الإنسجام.
- ١٤- للألفة أطناب وجذور تمتد ثناياها بالقوة والأمان والتمكين.
- ١٥- يظهر أثر الألفة في العقيدة والعبادات والمعاملات.
- ١٦- الألفة بين الصحابة ﷺ قدر إلهي.
- ١٧- حماية البيت الحرام وقريش قدر إلهي، بسبب إفتهم.
- ١٨- السعادة بالألفة لا بالمال.

التوصيات

توصي الباحثة إلى:

- ١- التوسعة في دراسة معاني الألفاظ ذات الصلة بالألفة والألفاظ المضادة لها.
- ٢- الإهتمام بدراسة تطبيقية للألفة في جميع مراحل التدريس.
- ٣- وجوب تهذيب الغرائز السلبية من أثره وحقد وحسد وغيرها.
- ٤- ترويض النفس على الألفة بالمجاهدة.
- ٥- وجوب الإلتفاف إلى نبذ الخلافات، لتثبيت الأخوة التي يندب إليها القرآن الكريم.



الفهارس

الفهارس

فهرست الآيات

الآيات		
الفاتحة		
الصفحة	رقمها	جزء من الآية
٣٤١	٣	الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
البقرة		
٢٧٣	٢١	يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا
٢٤٥	٢٥	وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
٢٦٦	٢٧	وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ
٣٧٦	٢٩	أَطْلَقَ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلَكَ
٣٣٨	٣٧	فَتَلَقَى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ
٢٧٤	٤٣	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا
٣١١، ٣١٠	٤٤	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
٣٣٨	٥٤	فَتَابَ عَلَيْكُمْ
٢٨٨	٦١	وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
٢٥١	٦٢	إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
٢٨٨	٧١	إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ
٣١٥، ٣٢٩، ٣٥	٨٣	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
٩٣	٨٤	وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ
١١٨	٩٦	وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ
٥٣	١٠٢	فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا
١٢١	١٠٥	مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
١٢١، ٤٠	١٠٩	وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

٢٧٢ ، ٢٤٥	١١٢	بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ
٢٤٦ ، ٢١٧	١٢٥	وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
٢١٦	١٢٦	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
٣٧	١٢٩	الطَّلَقُ مَرَّتَانِ
٥٤	١٣٧	فَإِنِّءَآمَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَآمَنْتُمْ بِهِءَ
٣٥٢ ، ٣٤٩ ، ٣٣٥	١٤٣	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ
٣٥٠	١٥٧	أَوْلَآئِكَ عَلَيْهِمُ صَلَوَاتٌ
٣٣٩	١٦٠	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا
٣٤١	١٦٣	وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ
٥٤	١٧٦	وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا
٣٠٩ ، ٢٤٩ ، ١٩٦ ، ٣١١	١٧٧	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ
٢١٨ ، ٤٠ ، ٣٦ ، ٣٨٠ ، ٢٧٥	١٧٨	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَآمَنُوا
٣٨٠	١٨٠	كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا
٣١١	١٨٩	وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ
٧٨	١٩٧	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ
٥٨	٢٠٤	وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِءَ
٣٣٤	٢٠٧	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي
٦٠	٢١٢	زِينًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ
٢٧٩ ، ١٩٤	٢١٣	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً
١٠٢	٢١٥	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ
٣١٩ ، ١١٠	٢٢٠	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ
٣١١	٢٢٤	وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً

٣٦٨، ٣٦٧، ٣٦٦ ٣٧٦	٢٢٨	وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ
٣٦٨، ٣٦٦	٢٢٩	فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ
٣٦٨، ٣٦٣، ٦٦ ٣٧٢	٢٣١	وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
٣٧٧، ٣٦٣	٢٣٢	فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
٣٧٥	٢٣٣	وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ
٤١	٢٣٧	وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
١٨٢	٢٤٥	مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ
٢٦٣، ٢٥٩	٢٥١	وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
١٩٠	٢٥٦	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ
١٨٢	٢٦١	مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
٢٤٦، ٢٤٤	٢٧٧	إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

آل عمران

٩٥	١٩	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
٣٣٤	٣٠	وَيُحَذِرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ
١٢١	٦٩	وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ
٢٥٣	٨٥	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
٣١١	٩٢	لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ
٢١٧	٩٧	وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا
١٢٦	١٠٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
١٢٩	١٠١	وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ

٧١، ٧٠، ٥٨، ٥٣، ٩، ١٢٩، ١٢٦، ٩٧، ٩٢، ٢٦٨، ٢٦٠، ١٥٠، ١٢٥، ٣٢٢، ٣١٩، ٢٧٣	١٠٣	وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
١٢٧، ٩٢، ٧٠، ٥٣، ١٣، ١٧٢، ١٣٥	١٠٥	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا
٢٥٦	١١٠	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
٩٠	١١٢	ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
٢٥٦	١١٤-١١٣	لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ
١٢٣	١١٨	يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٢٨٨	١٢٣	وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ
٢٧٢، ٢٥٥، ٤١	١٣٤	وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ
٦٢	١٥٢	وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ
٢٦٠	١٥٥	إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ
٣٢٣	١٥٦	يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٣٨١، ٤٥، ٤١	١٥٩	فِيمَا رَحِمَةٌ مِّنْ اللَّهِ
٢٦٠	١٦٦	وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى
٢٦٠	١٧٣	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ
٢٥٥	١٩١	رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

النساء

٣٠٦، ٢٧٩، ١٩٤	١	يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ
٢٧٠، ١٨٧	٧	لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
٣٨٠، ٢٧٠	٨	وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ
١٨٧	١٢	وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ
٣٣٩	١٦	وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا

٣٧١ ، ٣٥٧ ، ٦٢	١٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٣٧٧ ، ٣٥٧	٢٠	وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ
٣٧٧ ، ٣٧٦	٢١	وَأَخَذَنَ مِنْكُمْ
١٠٩	٢٢	وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ
١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ٣١٩	٢٣	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ
٤٣٩ ، ٣٣٦	٢٩	وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
٥١	٣٣	وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ
٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٨٤	٣٤	وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاجِعِ
٨٤ ، ٥٤ ، ٤٤	٣٥	وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ
٣٥ ، ٤٦ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٣٢٩ ، ٣٧٣	٣٦	وَأَعْبُدُوا اللَّهَ
٢٤٣	٤٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ
٢٧٥	٥٨	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
١٧٠ ، ٩٤ ، ٦٢	٥٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
١٩٢	٦٥	فَلَا وَرِيكَ لَا يُؤْمِنُونَ
١٢٢	٧٢ - ٧٣	وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْغِضَنَّ
٢٧٥	٨٣	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ
٥٧	٨٥	وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً
٢٩٦	٨٦	وَإِذَا حُيِّبْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
١٢٣	٨٩	وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ
٢٩٣	٩٤	وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ
٣٣٧	٩٥ - ٩٦	وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ
٣٣٧	١٠٠	وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ

١٢١	١٠٢	وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
٣٣٧	١٠٦	وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ
٣٣٧	١١٠	وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا
٧٣ ، ١٣	١١٤	لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ جُؤُنُهُمْ
٥٥	١١٥	وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ
٢٤٣	١١٦	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ
٣٦٩	١١٩	وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ
٧٥	١٢٠	إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ
٢٥٢ ، ٢٤٥	١٢٣	لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
٢٥١ ، ٢٤٥	١٢٤	وَمَنْ يَعْمَلْ
٢٧٢	١٢٥	وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
٣٧٦	١٢٧	وَمَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ
٣٧٢ ، ٦٣	١٢٨	وَإِنَّ أُمَّرَأَةً حَافَتَ مِنْ بَعْلِهَا
٣٧٢ ، ٣٣٧	١٢٩	وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا
١١٦	١٣٥	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٤١	١٤٨	لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ
٢٣٧	١٥٢	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
٣٨٧	١٥٥	فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ
٢٥٢	١٦٢	لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ
٢٧٧	١٦٣	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا
٢٤٢	١٧٣	فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

المائدة		
١٩٦	١	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
١٩٥، ٨٥، ٦٨، ٣٢ ٣١١، ٣٠٨	٢	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ
٨٦	٥	وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
٦٦	٨	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٢٤٣	١٠ - ٩	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
٣٨٧، ١٩٣، ٤١	١٣	فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ
٥٩	١٤	وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ
٤٠	٤٥	وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ
٢٨٠، ٩٢	٤٨	وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ
٢٨٥	٥٤	فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ
٥٩	٦٤	وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ
٣٥٥، ١١٨، ٨٥	٨٢	لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ
٨٥	٨٢ - ٨٥	وَإِذَا سَمِعُوا
٢٨٣، ٥٩	٩١	إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ
٢٣٩	٩٣	لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا
الانعام		
٣٥٢، ٣٤٨، ٣٣٩	١٢	وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ
٢٦٢	٣٥	وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ
٢٣٥، ٢٢٦	٤٨	فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
٣٢٧	٥٢	وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
٢٢١	٦٦	وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ
٣٠٢	٩٤	وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ

٢٦٢	١٤٩	قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ
٣٢٩	١٥١	قُلْ تَعَالَوْا أَنتُمْ مَا حَرَّمَ
٣٨٠	١٥٢	وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ
٥٣	١٥٣	وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
١٤٨، ٩٤، ٥٣، ٢٦٨	١٥٩	الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا
الأعراف		
٩	٢٩	أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
٣٤٦	٥٦	إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
٢٤٩، ٢٣٠	٥٧	وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ
١٠	٦٥، ٥٩، ٨٥، ٧٣	أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
٢٨٩	١٥٢	وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ
٣٥٢، ٣٤٦	١٥٦	وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
٢٨٦	١٥٩	وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ
٣٠٥	١٨٩	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ
٤٢، ٣٦	١٩٩	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
٦٩	٢٠٠	وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
الأنفال		
١٦٤، ٤٤، ١٣، ١٩٦	١	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا
٥٤	١٣	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
٤٩	٢٦	وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ
٢٦٠، ١٨٤	٤١	وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ
٦٣	٤٣	وَلَوْ أَرَادَكُمْ كَثِيرًا
١٣٤، ٦٣، ١١	٤٦	وَلَا تَنْزِعُوا فَتَفْشَلُوا

١٩٦، ١٤٧		
٧٥	٦٠	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ
٢٦٨، ١٥٠، ٩	٦٢	وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ
١٥٠، ١١٨، ٧١، ٩ ٢٦٨، ٢٦٤	٦٣	وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
١٥١	٦٤	يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ
٥١، ٤٩	٧٢	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا
التوبة		
٣٢٠	١١	فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
٣٠٤	٢٦-٢٥	لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
١٨٢	٣٥-٣٤	وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
٣٠٣، ٤٦	٤٠	إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ
٣٠٢	٤٨	لَقَدْ آتَيْنَا الْفِتْنَةَ
١٧٩، ١٧٥، ٦١	٥٩ - ٥٨	وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ
١٨٤، ١٧٥، ٧٨، ٩	٦٠	إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ
٣٥٣، ٣٤٣	٦١	وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ
٣٠٢	٦٣	لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ
٢٦٩، ٥٠	٧١	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
٦١	٧٩	الَّذِينَ يَلْمِزُونَ
٣٥٠، ٧٨	١٠٣	خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً
١٦٦، ٦٦، ٥٣	١٠٧	وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا
٣٤٩، ٣٤٢، ٣٣٥	١١٧	لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ
٣٥٣، ٣٤٣، ٩٩ ٣٩٢	١٢٨	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

يونس		
٢٤٧	٩	إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
٢٧٩	١٩	وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً
٢٨٩	٢٦	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ
٢٨٩	٢٧	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ
٤٧	٤٥	وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا
٢٦١	٧١	فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ
٢٦٢ ، ٦٢	٩٩	أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ
هود		
١٠	٥٠ ، ٦١ ، ٨٤	أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
٥٥	٨٩	وَيَقْوَمَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي
يوسف		
٢٧٦	٢	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
٣١٨	٥	لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ
٣١٨	٧	لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ
٤٧	٣٩	يَصْلِحِجِي السِّجْنِ ءَأَرْبَابُ
٣٣٩	٥٩ - ٦٠	وَلَمَّا جَهَّزَهُم
٣٤٠	٦٤	قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ
٣٤٣	٩٢	قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ
٦٨	١٠٠	وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ
الرعد		
٢٣٠ ، ٢٢٧	١٢ - ١٣	هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ
٢٦٦	٢٥	وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ
٢٦٢	٣١	أَفَلَمْ يَأْنِسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا

إبراهيم		
٢٧٧	٤٥	وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ
الحجر		
٤٢	٨٥	وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
٢٧٧	٧٦-٧٤	فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا
٢٧٧	٧٩-٧٨	وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ
٣٢٨ ، ٣٢٤	٨٨	وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ
النحل		
٣٣٥	٧-٥	وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ
٢٦٣	٩	وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ
٣٣٥	٤٧	أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ
٢٨٩	٦٩	فَاسْأَلِكِ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا
١٠٨	٧٢	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
٣٥	٩٠	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
٢٥٢ ، ٢٤٣	٩٧	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ
الاسراء		
٣٥	٧	إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ
٢٤٢٦	٩	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي
٣١٥ ، ١١٦	٢٣	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
٣١٤ ، ٢٨٩ ، ٢٨٧ ، ٣٢٤	٢٤	وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ
٣٨٠ ، ١٩٦	٣٤	وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ
٦٤	٤١	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ
٦٤	٤٦	وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ
٣٧٩ ، ٦٩ ، ٣٥	٥٣	وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ

٣٣٦	٦٦	رَبُّكُمْ الَّذِي يُرِيكُمْ
٢٧٩	٧٠	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ
٢٦١	٨٨	قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
٢٥٥	١٠٨	سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ
٢٩٢	١١١	وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَرِيٌّ مِنَ الذُّلِّ
الكهف		
٦١	٢١	إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ
٤٧	٣٤	فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
٤٧	٣٧	قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
٤٦	٧٦	قَالَ إِنْ سَأَلْتِكِ عَنْ شَيْءٍ
٢٤٥ ، ٢٤٣	٨٨	وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
٣٣	٩٥	قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي
٢٤٤	١٠٧	إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
مريم		
٣٤٠	٥٨	وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ^٤
٢٨٦	٨٤	إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَدَا
٣٤٠	٨٥	يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ
٣٤٠	٩٣	إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
١١٨	٩٦	إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
٣٤٠	٩٦	إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
٥٨	٩٧	فَاتِّمَّا يَسِّرْنَاهُ يَلْسَانًا

طه		
١٤٩	٩٤-٩٢	قَالَ يَلَهُرُونَ مَا مَنَعَكَ
٣٨١	٤٣	أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ
٣٩٧، ٣٩٢، ٣٨١	٤٤	لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ
٨٣	٥٠	قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
٢٦١	٦٠	فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ
٦٣	٦٢	فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ
٢٦١	٦٤	فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوًّا صَفًّا
٢٤٤	٧٥	فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٢٥٢	١١٢	وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
٢٧٦	١٢٨	أَقَلَّمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا
الأنبياء		
١٠٦	٣٠	وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ
٣٤٠	٤٢	قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ
٣٤٠	٨٣	قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي
٢٨٠، ٢٧٣، ١١	٩٢	إِنِّي هَدَيْتُهُ أُمَّتِكُمْ
٢٥٢	٩٤	فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
٣٥٣، ٣٤٣	١٠٧	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
٣٤٠	١١٢	قُلْ رَبِّ أَحْكُم
الحج		
٣٧٩	١٣	لَيْسَ الْمَوْلَىٰ
٥٧	١٩	هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا
٢١٢	٢٥	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
٢٦٣	٤٠	وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ

٥٥	٥٣	وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ
٣٥٢، ٣٣٥	٦٥	إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ
٦٣	٦٧	لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا
٢٦١	٧٣	إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
١٣٤	٧٨	وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ
المؤمنون		
١٠	٣٢-٢٣	اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
٢٨٠، ١١	٥٢-٥١	يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
٣٦	٩٦	أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
٢٥٥	٨	وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
٢٧٣، ١١	٥٢	وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ وَّاحِدَةً
٢٨٦	١١٢	عَدَدَ سِنِينَ
النور		
٣٤٥، ٣٤٤، ٣٣٤	٢	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا
٩٣	١٢	لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
٣٥٢	١٩	إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ
٣٥١، ٣٣٥	٢٠	وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
١٩٦، ٤٢، ١٣	٢٢	وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ
٢٩٤	٢٧	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٢٢٢	٤٢-٤١	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّحُ
٢٣٤، ٢٢٢، ٩	٤٣	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ
٢٢٢	٤٤	يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
٢٢٣	٤٥	وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ
٢٦٩، ٢٥٦	٥٥	وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

٢٩٩ ، ٢٩٣ ، ٣٧	٦١	فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا
الفرقان		
٣٣	٤	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
٢٢١	٣٠	قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ
٢٣٠	٥٠-٤٨	وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ
١٠٦	٥٤	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
١١٩	٥٧	قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ
٦٤	٦٠	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا
٣٤٠	٦٣	وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ
٢٤٨	٢٣	وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
٣٤١	٧٠	إِلَّا مِنْ تَابٍ وَءَامِنٍ
الشعراء		
٢٦١	٣٩-٣٨	فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ
٢٦١	٦١	فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ
١٢٣	٨٠	وَإِذَا مَرِضْتُ
٨٨	٨٩-٨٨	يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ
٣٩	-١٠٠ ١٠١	فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ
٣٣٢ ، ٣٣١ ، ٢٢١	٢١٤	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
٣٢٤ ، ٢٥٦	٢١٥	وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ
٣٣١	٢١٦	فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ
النمل		
٣٤٢	٣٠	إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ
٢٩٠	٣٤	قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً

القصص		
٣٢	١٥	فَأَسْتَغْثُهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ
٢١٨	٥٧	وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهَدَىٰ
العنكبوت		
٢٤٣	٧	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
٢٤١	٨	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
٣١٦، ٢٤١	٩	وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ
٣٠١، ١٢٣	٢٥	وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ
٣٧	٤٦	وَلَا تُجَدُّ لُؤْلُؤُا أَهْلِ الْكِتَابِ
٢١٨	٦٧	أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا
٣٦	٦٩	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا
الروم		
٢٤٤	١٦-١٤	فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
١١٧، ١٠٥، ٨٤، ٣٦٥، ٣٠٥	٢١	وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ
٢٨١، ٩٥، ٢	٣٠	فَأَقْرَهُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
٩٥، ٥٣	٣٢	الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا
٢٥٤	٤٣	فَأَقْرَهُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ
٢٥٤	٤٤	مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ
لقمان		
٣٢٩	١٤	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
٣١٦، ٤٧	١٥	وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ
٢٧٢، ٢٥٦	١٩-١٨	وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ

الاحزاب		
١٠٢، ٩٦	٤	مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ
٣٢٠، ١٠٣، ٩٦ ٣٣٨	٥	أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ
٦٤	١٩-١٨	قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ
٣٣٨	٢٤	لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ
٣٤٢، ٣٣٦	٤٣	هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ
٣١٩	٥٥	لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ
٣٣٨	٥٩	يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ
٣٣٨	٧٣	لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
سبأ		
٢٤٣	٤	لِيَجْزِيََ الَّذِينَ ءَامَنُوا
٣٨١	١٠	وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
٦٤	١٩-١٨	فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَفَنَّهُمْ
١١٩	٤٧	قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ
فاطر		
٢٥٩	٩	وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ
٢٤٢	١٠	إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
٣٨٥	٢٨	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
٦٥	٤٢	وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
يس		
٣٤١	١١	إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ
٣٤١	٢٣	ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً
ص		
٥٥	٢	بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ
٥٨	٢٢-٢١	وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِرِ

٢٥٤	٢٨	أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
الزمر		
٣٩٦، ٣٨١	٢٣	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ
غافر		
٢٥٣	٤٠	وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا
٢٧٦	٧٨	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا
فصلت		
٣٤٢	٢	تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
٣٦	٣٤	أَدْفَعُ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
٣٧٨	٣٥	وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ
٦٩	٣٦	وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
٥٥	٥٢	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ
٢٣٧	٥٣	سَأْرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ
الشورى		
٢٧٦	٧	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا
١٠، ٥٤، ٩٢، ١٤٧، ٢٦٨	١٣	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ
٩٥، ٥٤	١٤	وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
١١٩، ١١٨	٢٣	قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
٢٥٥	٣٧	وَالَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كِبَإٍ
٤٥	٣٨	وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ
٤٢	٣٩	وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ

الزخرف		
٢٦٤	٣٢	نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ
٢٢١	٤٤	وَأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ
٢٢١	٥٧	وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ
٥٨	٥٨	وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ
٤٣	٨٩	فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ
الأحقاف		
٣٣٠ ، ٣١٥ ، ٣٥	١٥	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا
٣١٥	١٧	وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدَيْهِ
مجد		
٢٤٤ ، ٢٤٠	٢	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
٦٥	٢٩	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
٥٥	٣٢	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
٦٦	٣٦-٣٧	إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ
الفتح		
٣٠٤	٤	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ
٣٣٨	١٤	وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
١٦٨	١٨	لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
٣٠٤	١٨	لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
٣٠٥	٢٥-٢٦	لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
٣٢٣ ، ٣٨٧ ، ١٦٨	٢٩	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
الحجرات		
٢٧٣ ، ١٦٤	٧	وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ
٢٦٧ ، ١٠٤ ، ٤٤ ٢٧٢	٩	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
١٠٣ ، ٤٤ ، ١٢ ٢٧٨ ، ٢٧٢ ، ٢٦٩	١٠	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

٣١٩، ٣١٦		
٢٧٢، ٩٣، ٦٠، ٥٠	١١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٣٣٩، ٣٢٣، ٦٢	١٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا
١٩٠، ١٠٦، ٤٨ ٢٦٣، ١٩٥	١٣	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ
ق		
٣٤١	٣٣	مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ
النجم		
٤٦	٢	مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى
القمر		
٢٢٦	٢٠	أَعْمَارُ نَحْلِ مُنْقَعِرٍ
٤٧	٢٩	فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ
الرحمن		
٣٤١	٢-١	الرَّحْمَنُ
الحديد		
٣٥١، ٣٣٦	٩	هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَيَّ عَبْدِي
٣٥٥، ٣٣٤	٢٧	وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
المجادلة		
٣١١، ٣١٠	٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٢٧١	١١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
١٢٢	٢٢	لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
الحشر		
٥٤	٤	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
٣٨١	٥	مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيْنَةٍ
١٨٤، ١٨٣	٧	وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ
١٤٦، ٦٤، ٤٨ ٢٩٠، ١٨١، ١٥٨	٩	وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

٣٢١		
١٨٤، ٦٥ ٣١٩، ٣٣٦	١٠	رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
٣٢٣	١١	الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا
٢٨٣	١٤	تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ
٣٤٢	٢٢	هُوَ اللَّهُ الَّذِي
المتحنة		
١٢١، ١١٣	١	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٥٩	٤	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
١٢٠، ٦٠	٧	عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
٣١٦، ٣١٠، ١١٤	٨	لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
١١٤	٩	إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ
الصف		
٢٤٩	٣-٢	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٢٧٧، ٧٢	٤	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ
الجمعة		
٣٨٤	١١	وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً
المنافقون		
٢٦٩	٨	وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
التغابن		
٤٣	١٤	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
٦٤	١٦	وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
الطلاق		
٣٦٦	٢	فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
٣٧٥، ٣٧٤، ٣٦٦	٦	وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ
٣٧٤	٧	أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ

الملك		
٣٤١	٢٠-١٩	أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
٦٥	٢١	أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ
٣٤١	٢٩	قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ
٣١٣	٣٠	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ
القلم		
٣٩٢	٣	وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ
٢٧١	٤	وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ
١٢٣	٩	وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيَدَّهِنُونَ
٦١، ٥٦	١١	هَمَّا زِ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ
٢٨٩	٤٣	خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهْفُهُمْ ذَلَّةٌ
الحاقة		
٢٢٧	٧	أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ
المعارج		
٤٧	١٢-١١	يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْزُمِ
٢٥٥	٢٥-٢٤	وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
٢٥٥	٣٢	وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
٢٨٩	٤٤	خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهْفُهُمْ ذَلَّةٌ
القيامة		
١٠٨	٣٧	أَلَمْ يَكْ نُطْفَئَةً مِّن مَّنِي يُمْنِي
٣٠٦، ١٠٨، ١٠٧	٣٩	فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ
الإنسان		
٢٨٠	٣	إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ
١٨٢	٩-٨	وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ
٢٩٠	٢٤	وَذُلَّتْ قَطُوفُهَا تَذَلِيلًا

النازعات		
٤٨	٣٩-٣٧	فَأَمَّا مَنْ طَغَى
عبس		
٤٧	٣٦-٣٤	يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ
٣٧١	٣٦	وَصَحْبَتِهِءَ وَبَنِيهِ
التكوير		
٤٦	٢٢	وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ
البلد		
٢٨٠	١٠	وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ
الشمس		
٢٨٠	٨-٧	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا
التين		
٢٥٠	٦-١	وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ
البينة		
٥٤	٤	وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
٢٧٤	٥	وَمَا أُمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ
٢٥١	٧	إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
العصر		
٢٥٠	جميع آياتها	وَالْعَصْرِ
الهمزة		
٥٩	١	وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ
قريش		
٢٠	١	لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ
١٩٨	٢-١	لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ

فهرست الأحاديث

صفحة	الراوي	طرف الحديث
٣٨٨	عائشة رضي الله عنها أخبرته	أُذُنُوا لَهُ فَبَيَّسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ
١٠٢	عائشة رضي الله عنها	أُذِنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمَّكَ
٣٨٩	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ
٢٧٠	خالد القسري	أَتَحِبُّ الْجَنَّةَ؟
٥٥	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	أَتَذُرُونَ مَا الْغَيْبَةُ
٣٤٧	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ
٣٧٦	جابر بن عبد الله <small>رضي الله عنه</small>	اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ
٢٩١	المقدام بن معدى كرب <small>رضي الله عنه</small>	إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمَهُ
٢٥٧	عائشة رضي الله عنها	إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا
٢٧٥	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَاِنْتَظِرِ السَّاعَةَ
٢٩٨	أبو هريرة، <small>رضي الله عنه</small>	إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ
٢٨٢	سهل بن سعد <small>رضي الله عنه</small>	أَذْهَبُوا بِنَا نَصْلِحُ
٣٤٨	أسامة بن زيد <small>رضي الله عنه</small>	ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا
٣٠٠، ١٧١	عائشة رضي الله عنها	الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ
٢٩٨	سهل بن سعد الساعدي <small>رضي الله عنه</small>	ارْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُجَبِّكَ اللَّهُ
١٩٢	عروة بن الزبير <small>رضي الله عنه</small>	اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ ارْسِلِ
٢٩٥	عبد الله بن سلام <small>رضي الله عنه</small>	أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا
٣٢١، ٢٩٤	ابن عمر <small>رضي الله عنه</small>	أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا
٢٩٤	ابن عمر <small>رضي الله عنه</small>	أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ
٢٧٥	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	إِقَامَةُ حَدِّ بَارِضٍ خَيْرٌ لِأَهْلِهَا
٣٩٠	أبو شجرة <small>رضي الله عنه</small>	أَقِيمُوا الصُّفُوفَ وَحَادُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ
٣٨٩	عبد الله بن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَخْرُمُ عَلَى النَّارِ
٩٦	جابر بن عبد الله <small>رضي الله عنه</small>	أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ
٣٧٤	عبد الله بن عمر <small>رضي الله عنه</small>	أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ

١٩٣	صَفْوَانُ بْنُ سَلِيمٍ	أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا
٨٠	عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ أَبَا
٣٦٩	أَبُو هُرَيْرَةَ	الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ
١٢	عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	إِنَّ أَبْعَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْحَصِيمُ
٩٤	ابْنُ عَبَّاسٍ	إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا
٢٩٠	جَابِرٍ	إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا
٣٤٦	أَبُو هُرَيْرَةَ	إِنَّ الرَّحِمَ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
١٠١	عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	إِنَّ الرِّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ
١٨٦	عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ	إِنَّ شَيْئًا أُعْطِيَتْكُمْ مِنْهَا
٣٤٧	سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
١٢٤	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ	إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ
١٣٤	أَبُو هُرَيْرَةَ	إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَرَضِيَ لَكُمْ ثَلَاثًا
١٤١، ٧٢	أَبُو هُرَيْرَةَ	إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا
١٩٠	هَشَامُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ حِرَامٍ	إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ فِي الدُّنْيَا
٣٩٥	سَمْرَةَ	إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ
٣٩٠	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو	إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْفَةَ يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا
١٦٠	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ	إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ
٣٤٧	أَبُو هُرَيْرَةَ	إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً
٣١٤	ابْنُ عُمَرَ	إِنَّ مِنْ أَتْرَابِ النَّبِيِّ صَلَّى الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ
٣٦٩	عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا
٨٣	أَبِي بَنِي كَعْبٍ	إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً
١٣٧	أَبُو هُرَيْرَةَ	إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْلَفُ
٣٢١	أَنْسِ	انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا
٣٥٤	أَبُو هُرَيْرَةَ	إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ
٣٨٤	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ	إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ضَنْضِي هَذَا قَوْمٌ
٨٧	أَنْسِ	إِنِّي أُعْطِي فُرَيْشًا أَتَأَلَّفُهُمْ
١٣٥	زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ	إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ
٥٦	أَبُو هُرَيْرَةَ	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ

١١	عُبَادَةُ بْنِ الصَّامِتِ ؓ	بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ
٣١٢	النُّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ ؓ	النَّبِيُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ
٣٠٠، ٧٩	أَبُو ذَرٍّ ؓ	تَبَسُّمَكَ فِي وَجْهِ أَحِيكَ صَدَقَةٌ لَكَ
١٢٤	النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ؓ	تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ
١٠٣	زَيْنَبُ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ	تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ خُلِيكُنَّ
٣٤٦	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ؓ	تَعَاوُوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فَمَا بَلَّغَنِي مِنْ حَدِّ
٣٧١	عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	تَعَالَى حَتَّى أَسَابِكَ
٢٦٦، ١٩٥	أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ	تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ
٨١	عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ ؓ	تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ
٢٩٦	أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ	تَهَادُوا تَحَابُوا
٣٤٦	أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ	حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ
٢٩٥	أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ	حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ
١٨٤	عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ؓ	حُذْهُ فَنَمَوْلُهُ وَتَصَدَّقْ بِهِ
١٧٣	عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا	خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الدِّينِ
٣٦٨	عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ
٣٩٥	ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ	رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي
٣١٣	أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ	رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ
٧٧	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا	صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلٌ
٣١٣	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ	الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا
٣٠١	أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ؓ	عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ
٣٧٧	أَبِي رَزِينٍ	﴿فِي مَسَاكٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسِنٍ﴾ هِيَ النَّالِثَةُ
٣١٦	أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَصْلَهَا قَالَ: «نَعَمْ»
٢١٢	أُمُّ هَانِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	فَضَّلَ اللَّهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِلَالَ
٣٨٧، ١٣٨	الْعُرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ ؓ	قَدْ تَرَكَتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ
٣٠١، ١٨٥	أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ	كُلُّ سَلَامَى مِنَ النَّاسِ
٢٧٤	ابْنِ مَسْعُودٍ ؓ	كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ وَلَا تَخْتَلِفُوا
٣٩٠	أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ	الكلمة اللينة صدقة
٣٤٨	أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ؓ	كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولٌ

٩١	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ	لَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا تَحَاسَدُوا
٥٦	أبو هريرة ﷺ	لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا
١٧١	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ	لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابِرُوا
١٠٠	ابن عَبَّاسٍ ﷺ	لَا تَحِلُّ لِي يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ
٢٩٤	أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ	لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا
١٨٩	ابن عَبَّاسٍ ﷺ	لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ
٢٢٠	ابن عَبَّاسٍ ﷺ	لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادَ وَنِيَّةً
٣٣٠	أبو هريرة ﷺ	لَا يَجْزِي وُلْدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ
٢٨١	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ	لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ
٢٦٦، ٢٦٧، ٣٠١	أَبُو أَيُّوبَ ﷺ، أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ	لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ
٢٩٧	أبو هريرة ﷺ	لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ
٢٩٠، ٢٧٠، ٣٠٣	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ
٢٤٧	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ﷺ	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا
١٩٧	عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ
١٩٣، ٨٦	أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ	اللَّهُمَّ اهْدِنَا دِينَنَا وَارْتِ بِهَمَّ
٣٥٠	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ	اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ
٢٩٦	أبو هريرة ﷺ	لَوْ أَهْدَيْتِ الْيَاقُوتَ أَوْ كُرَاعًا لَقَبِلْتُ
٨٧	جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ ﷺ	لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي
٧٤	أُمُّ كَلْبُومِ بِنْتُ عُبَيْدَةَ ﷺ	لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُضِلُّحُ بَيْنَ النَّاسِ
٨٠	ابنُ عَمْرٍو ﷺ	مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ
١٨٣	أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ	مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا
٧١	النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ
٣٢٢	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ	الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ
٣٣٠	أبو هريرة ﷺ	مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟
٣٤	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ	مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ
١٢٤	أبو هريرة ﷺ	مَنْ أَشَدَّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي
٢٧٤	أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ	مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ

١٤٦	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا
٢٩٧	أسامة بن زيد <small>رضي الله عنه</small>	مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ
١٦٥	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَلَهُ مِنَ النَّقْلِ كَذَا
١٩٣	عبد الله بن عمرو <small>رضي الله عنه</small>	مَنْ قَتَلَ مَعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ
١٨٨	جبرير بن عبد الله <small>رضي الله عنه</small>	مَنْ لَا يَرْحُمُ لَا يَرْحُمُ
١٨٨، ٣٣	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا
٢٦٧، ١٩٥	أبو خراش السلمي <small>رضي الله عنه</small>	مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً
٣٠٠، ١٧٢	ابن عمر <small>رضي الله عنه</small>	الْمُؤْمِنِ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصِيرُ
٢٩٩، ٣٣	أبو موسى <small>رضي الله عنه</small>	الْمُؤْمِنِ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا
٢٦٤، ١٣٦	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	الْمُؤْمِنِ مَأْلَفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ
٢٨٦	عياض الأشعري <small>رضي الله عنه</small>	هُمُ قَوْمٌ هَذَا، يَعْنِي: أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ
١٧١	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ
٧١	الحارث الأشعري <small>رضي الله عنه</small>	وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِحَمْسِ اللَّهِ أَمْرَنِي بِهِنَّ
١٨٣	جابر بن عبد الله <small>رضي الله عنه</small>	وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ
١٩٢	أبو سعيد <small>رضي الله عنه</small>	وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ
٣١٣	عبد الله بن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ
٣٦٩	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ
١٥٨، ١١٧	عبد الله بن زيد بن عاصم <small>رضي الله عنه</small>	يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أُجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ
٣٣٢	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ
٢٤٢	انس بن مالك <small>رضي الله عنه</small>	يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

فهرست الآثار

الصفحة	الراوي	طرف الأثر
٣٩٦	أَبُو الدَّرْدَاءِ <small>رضي الله عنه</small>	إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ
١١٠	أَبُو هُرَيْرَةَ <small>رضي الله عنه</small>	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ <small>صلى الله عليه وسلم</small> نَهَى أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا
٢٦٧	ابْنِ عَبَّاسٍ <small>رضي الله عنه</small>	إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ
٣٤	عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ <small>رضي الله عنه</small>	إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ <small>صلى الله عليه وسلم</small>
١٦٦	عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ <small>رضي الله عنه</small>	اجْتَمَعَ رَأْيِي وَرَأْيُ عُمَرَ عِنَقِ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ
٢٩٢	مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ <small>رضي الله عنه</small>	إِذَا أَحْبَبْتَ أَحًا فَلَا تُمَارِهِ وَلَا تُسَارِهِ
٣٧٧	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ <small>رضي الله عنه</small>	أَنْكَحْتُكَ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ <small>صلى الله عليه وسلم</small>
٤٢	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ <small>رضي الله عنه</small>	أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ <small>صلى الله عليه وسلم</small> أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ
٢٨١	الإمام علي <small>رضي الله عنه</small>	إِيَّاكُمْ وَالتَّلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ
٤٦	عبادة بن الوليد	بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ <small>صلى الله عليه وسلم</small>
٨٢	سفيان بن عيينة	البشاشة مَصِيدَةُ المودة
١١٤	الإمام علي <small>رضي الله عنه</small>	بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ <small>صلى الله عليه وسلم</small> أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ
٣٢٠	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ <small>رضي الله عنه</small>	حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ <small>صلى الله عليه وسلم</small> بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ
٣٢١، ٣٢٠	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ <small>رضي الله عنه</small>	حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ <small>صلى الله عليه وسلم</small> بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
١٠٩	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	حَرَمٌ مِنَ النَّسَبِ سَبْعٌ، وَمِنَ الصَّهْرِ سَبْعٌ
٣٩٠	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو <small>رضي الله عنه</small>	خِيَارِكُمْ أَلَايِنِكُمْ مَنَاقِبَ فِي الصَّلَاةِ
٢٧٣	ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>	دِينُكُمْ دِينٌ وَاحِدٌ

٤٩	عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ	رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ
٣٤	عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ	عَلَيْكَ يَا خَوَانَ الصِّدْقِ فَعِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ
٢٥٧	الإمام علي ﷺ	فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكَرَّهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ
٢٣١	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ	فَرَفَعَ يَدَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
٧٤	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ	كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَلَاقَوْا
٢٣٠	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
٢٤٠	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ	كُنْتُ سَاقِي الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ
٣٨٩	طَيْسَلَةُ بْنُ مَيَّاسٍ	كُنْتُ مَعَ النَّجْدَاتِ، فَأَصَبْتُ ذُنُوبًا
١٧١	مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ	لَا أَحْسَبُ التَّدَابِرَ إِلَّا الْإِعْرَاضَ عَنِ أَخِيكَ
٣٦٤	ابن عباس ﷺ	لَا تَحْبِسُوهُمْ مِنَ التَّرْوِيجِ، وَلَا تَفْهَرُوهُمْ
١١٩	سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ	لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَلَهُ فِيهِ قَرَابَةٌ
٣٦٠	أَبُو أَمَامَةَ بْنِ سَهْلِ ﷺ	لَمَّا تُوفِّي أَبُو قَيْسٍ بْنِ الْأَسْلَتِ أَرَادَ ابْنُهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَتَهُ
١٦٩	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ	لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ الْمَدِينَةَ
١٦٩	أَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ﷺ	مَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنْ دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا
١١٩	الإمام جعفر الصادق	مَوَدَّةُ يَوْمِ صَلَاةٍ وَمَوَدَّةُ شَهْرِ قَرَابَةِ
	عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ	نَزَلَتْ فِي الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ ﷻ
١٦٠	ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ	النِّعَمُ تُكْفَرُ، وَالرَّحْمُ تُقَطَّعُ، وَلَمْ نَرِ مِثْلَ تَقَارِبِ الْقُلُوبِ
١٨٩	أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ	نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ
١٨٤	عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ	هَذِهِ اسْتَوْعَبَتِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً
١٦٠	ابن عباس ﷺ	وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا قَارَبَ بَيْنَ الْقُلُوبِ لَمْ يُرْخِزْهَا

٤٢	أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ	وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا
٢٩٦	صفوان بن أمية ﷺ	وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي
٣٠٠	ابن عباس ﷺ	وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته
٣٩٦	ابن حبان أبو حاتم	والمُدَارَاةُ الَّتِي تَكُونُ صَدَقَةً لِلْمُدَارِي
١٣٩	ابن عباس ﷺ	يا حنفي الجماعة الجماعة!!

فهرست الاعلام

الكنية	صفحة
ابن الحصار	١٨١
ابن المبارك	١٤٨
ابن أنيف	٣٩٢
ابن تيمية	١٤٥
ابن عامر	٢٠٤
ابن عبد البر	١٣٥
ابن عبد ربه	٨٣
ابن عيينة	٢١٥
ابن فليح	٢٠٥
ابن كثير	٢٠٥
ابن كثير - أبو الفداء	٣٦٤
ابن مسعود	١٤٠
أبو بكر المقرئ	٣٦١
أبو جعفر المقرئ	٢٠٥
أبو زيد	١٥
أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي	٢٧
أبو سعيد الخدري <small>رضي الله عنه</small>	١٦٩
أبو طالب المكي	٨٩
أبو عبيدة	٢٣٢
أبو عمرو	٢٠٦
الأزهري	١٧
الأصفهاني	١١٠

١٩	الأصمعي
٢٢٩	الأعشى المقرئ
٢٣٢	الأعشى الشاعر
٢٢٨	امرؤ القيس
٢٦	البركتي
١٣٢	البيضاوي
١٤٢	البيهقي
٢٦	التهانوي
١٢٠	جعفر الصادق
٣٨	الحسن البصري
٣٥٤	الحسين بن الفضل
٢٠٦	حفص المقرئ
٢٠٦	حمزة المقرئ
٢٩٢	الخطابي
١٨	الخليل بن أحمد الفراهيدي
٢٥	ذو النون المصري
١٤٤	الراغب الأصفهاني
١١١	الزجاج
١٣٣	الزمخشري
٢٣٣	زيد الخيل
٨٢	سفيان بن عيينة
١٣٩	سماك الحنفي
٢١٠	سبيويه
٢٤	السيد الشريف الجرجاني
٢٤	السُّيوطي

١٣١	الشريف الرضي
١٣١	الطبري
١٣٦	الطبيبي
٢٠٧	عاصم المقرئ
١٦٦	عبدة السلماني
١٣٨	العرباض بن سارية السلمي
٣٨٤	العرنديس
١٥٠	عطاء بن أبي مسلم الخراساني
١٣٢	العييني
٢٨	الغزالي
٢٣٦	فرانكلين بنجامين
٢٠٩	الفيروزآبادي
٢٥	القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري
٢٢٩	قألون المقرئ
١٤٠	قَتَادَة
١١٣	القرافي
٢٠٦	الكسائي المقرئ والنحوي
٥٧	الكلبي
٩٠	المأوردي
٥٢	المتنبي
٢١٤	مجاهد
٣٦٢	المفضل المقرئ
٢١٤	مَكْحُول
٢٥	المناوي
٣١٧	نَهَارُ بن تَوْسِعَة

٢١٠	الواحي
٢٢٩	ورش المقرئ
٢٠٥	نأفح المقرئ
٣٦٢	يعقوب المقرئ

فهرست الأشعار

١٤٨	البسيط	إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبْلُ اللَّهِ	ابْنُ الْمُبَارَكِ
٢٣٢	الطويل	أَلَمْ تَعْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا	الأعشى
٢٣٤	البسيط	كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا	الأعشى
٢٢٩	الطويل	قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبِ	امرؤ القيس
٨٤	الوافر	تَجَافَى النَوْمُ بَعْدَكَ عَنْ جُفُونِي	بن عبد ربّه
٣٩٢	الرّجز	بُنِيَ إِنْ الْبِرِّ شَيْءٌ هَيِّنٌ	جَدَّةُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ
٢٣٤	الوافر	ضَرَبْنَ بَعْمَرَةَ فَخَرَجْنَ مِنْهَا	زَيْدُ الْخَيْلِ
٢١٧	الوافر	كُلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعْفُوا	شاعر مجهول
٣٢٩	المتقارب	وَأَنْتَ الشَّهِيرُ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ	شاعر مجهول
٣٩٢	الرّجز	بُنِيَ إِنْ الْبِرِّ شَيْءٌ هَيِّنٌ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ
٣٨٥	البسيط	هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارَ دَوُو يَسِر	العرنيس
٣٩٥	البسيط	لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ	قُرَيْطُ بْنُ أُنَيْفٍ
٥٣	الكامل	وَنَذِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ	المتنبي
٣١٨	الوافر	أَبِي الْإِسْلَامِ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ	نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. آثار تعليم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع (الأثر التربوي والأخلاقي)، د. محمد حسن سبتان، أستاذ مساعد بقسم القرآن الكريم وعلومه كلية الشريعة- جامعة الملك خالد، (د ط)، ١٤٢٧هـ.
٢. آثار الافتراق على الأمة الإسلامية، د. عثمان علي حسن، كلية الشريعة - جامعة قطر، (د ط)، (د ت).
٣. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، البوصيري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايمار بن عثمان الكناني الشافعي (ت ٨٤٠هـ)، المحقق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر- الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٤. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، (د ط)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٥. إتحاف ذوي المروة والإنافة بما جاء في الصدقة والضيافة، ابن حجر الهيتمي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٩٧٤هـ)، المحقق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، (د ط)، (د ت).
٦. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني (ت ١١١٧هـ)، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - بيروت، (د ط)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٧. الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط ١، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٨. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٩. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري (ت ٧٠٢هـ)، المحققان: مصطفى شيخ مصطفى، مدثر سندس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٠. أحكام القرآن، ابن العربي، أبو بكر القاضي محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، خرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١١. أحكام القرآن، الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د ط)، ١٤٠٥هـ.
١٢. أحكام القرآن، الجهضمي، القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي (ت ٢٨٢هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، دار ابن حزم - بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٣. أحكام القرآن، الكيا الهراسي، عماد الدين، أبو الحسن علي بن محمد بن الشافعي الطبري، (ت ٥٠٤هـ)، المحققان: موسى محمد علي، عزة عبد عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
١٤. اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير من أول سورة المائدة، إلى آخر سورة الإسراء، وزارة التعليم العالي، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه، إعداد: محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند.

١٥. الإخوان، ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (ت ٢٨١هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
١٦. أدب الدنيا والدين، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة - بيروت، (د ط)، ١٩٨٦م.
١٧. أدب الطلب ومنتهى الأدب، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، المحقق: عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٨. الأدب المفرد، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ)، المحقق: سمير بن أمين الزهيري، تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٩. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القتيبي المصري (ت ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية - مصر، ط ٧، ١٣٢٣هـ.
٢٠. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د ط)، (د ت).
٢١. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
٢٢. الأساس في التفسير، سعيد حوى، محمد ديب بن محمود النعيمي (ت ١٤٠٩هـ)، دار السلام - القاهرة، ط ٦، ١٤٢٤هـ.
٢٣. الاستذكار، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣هـ)، المحققان: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.

٢٤. الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - السعودية، ط ١، ١٤٢٥هـ.
٢٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد الجزري عز الدين (ت ٦٣٠هـ)، المحقق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي - القاهرة، (د ط)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٦. أسرار البيان في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، محاضرات في قناة الشارقة.
٢٧. أسرار التكرار في القرآن، الكرمانلي، تاج القراء، أبو القاسم محمود بن حمزة ابن نصر (ت نحو ٥٠٥هـ)، المحقق: عبد القادر احمد عطا، دار الاعتصام - القاهرة، ط ٢، ١٣٩٦هـ.
٢٨. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الصلابي، علي محمد محمد، مكتبة الصحابة - الشارقة - الإمارات، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٩. أصل الشيعة وأصولها، كاشف الغطاء، محمد حسين (ت ١٣٧٣هـ)، المحقق: علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي (ع) - قم، ط ١، ١٤١٥هـ.
٣٠. أصل الشيعة وأصولها، اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق، الدار السلفية - الكويت، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣١. الأصولان في علوم القرآن، د. القيعي، محمد عبد المنعم، كلية أصول الدين - القاهرة، ط ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٣٢. أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٩، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت ١٣٩٣هـ)، المحقق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، (د ط)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٤. أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٩، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٥. الاعتصام، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠ هـ)، المحقق: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، وآخرون، دار ابن الجوزي - السعودية، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٣٦. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، بنت الشاطي، عائشة محمد علي عبد الرحمن (ت ١٤١٩ هـ)، دار المعارف - القاهرة، ط ٣، ١٩٧١ م.
٣٧. إعراب القرآن الكريم، الدعاس، أحمد عبيد وآخرون، دار المنير - اللاذقية، دار الفارابي - دمشق، ط ١، ١٤٢٥ هـ.
٣٨. إعراب القرآن المنسوب للزجاج، الباقولي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي نور الدين جامع العلوم الأصفهاني (ت نحو ٥٤٣ هـ)، المحقق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة، دارالكتب اللبنانية - بيروت، ط ٤ - ١٤٢٠ هـ.
٣٩. إعراب القرآن، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨ هـ)، المحقق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب - بيروت، (د ط)، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
٤٠. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى - مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
٤١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة، شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد الزُّرْعِي الدمشقيّ (ت ٧٥١ هـ)، المحقق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
٤٢. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، القرطبي شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري

- الخرجي (ت ٦٧١هـ)، المحقق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي - القاهرة، (د ط)، ١٣٩٨هـ.
٤٣. الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
٤٤. الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هُبَيْرَة، أبو المظفر عون الدين يحيى بن محمد الذهلي الشيباني (ت ٥٦٠هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن - السعودية، (د ط)، ١٤١٧هـ.
٤٥. أقوال أبي علي الحسين بن الفضل البلجي الكوفي في التفسير (ت ٢٨٢هـ)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه، إعداد الطالبة: نادية بنت إبراهيم النفيسة، إشراف: د. حجاج عربي رمضان، العام الجامعي ١٤٢٦هـ.
٤٦. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغطاي، أبو عبد الله علاء الدين بن قليج بن عبد الله البكري المصري الحنفي (ت ٧٦٢هـ)، المحققان: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة- القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٤٧. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء المنصورة، ط ١، ٢٠٠١م.
٤٨. الإلحاد والظلم في المسجد الحرام بين الإرادة والتنفيذ، د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
٤٩. أمالي ابن الشجري، ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، (ت ٥٤٢هـ)، المحقق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م.

٥٠. الأمالي، الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين (ت ٤٣٦هـ)، المحقق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم، ط ١، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م.
٥١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي، ناصر مكارم، دار إحياء التراث العربي - مصر، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٢م.
٥٢. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٣. الإنتصار لأصحاب الحديث، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي (ت ٤٨٩هـ)، المحقق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار - المدينة المنورة، ط ١، ١٩٩٦م.
٥٤. الإنصاف فيما تضمنه الكشاف، الإسكندري، أحمد بن محمد المالكي (ت ٦٨٣هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، (د ط)، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
٥٥. الانفعالات الإنسانية وضبطها بتعلم القرآن الكريم، الرويلي، عبد الله بن عواد، رئيس قسم التوجيه والإرشاد بالإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة الحدود الشمالية، مقدمة للملتقى الثالث للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم - المملكة العربية السعودية، (د ط)، (د ت).
٥٦. الآيات الكونية دراسة عقديّة، رسالة: مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، إعداد: عبد المجيد بن محمد الوعلان، إشراف: د. عبد الكريم بن محمد الحميدي، للعام الجامعي ١٤٣٢هـ، ١٤٣٣هـ.
٥٧. أيسر التفاسير، الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ٥، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٨. باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن، الغزنوي، أبو القاسم محمود بن أبي الحسن علي بن الحسين النيسابوري (ت بعد ٥٥٣هـ)، المحقق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، (د ط)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٥٩. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجزي الفاسي (ت ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٦٠. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، أبي بكر محمد بن بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، المحقق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٦هـ.
٦١. البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة - اليمن، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٦٢. البدرُ التمام شرح بلوغ المرام، المغربي، الحسين بن محمد بن سعيد (ت ١١١٩هـ)، المحقق: علي بن عبد الله الزين، دار هجر - القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٦٣. البرهان في تناسب سور القرآن، الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت ٧٠٨هـ)، المحقق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٦٤. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٦٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين (ت ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى

- للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، (د ط)، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
٦٦. بلاغات النساء، ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠ هـ)، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول - القاهرة، (د ط)، ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م.
٦٧. بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إِبصار آيات الطريق، فريد الأنصاري المغربي (ت ١٤٣٠ هـ)، دار السلام - القاهرة ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٦٨. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروزآبادي، مجد الدين، أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ)، دار سعد الدين - سوريا، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٦٩. بناء المجتمع الإسلامي، د. نبيل السمالوطي، دار الشروق - القاهرة، ط ٣، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٧٠. بيان المعاني، عبد القادر بن ملاً حويش، محمود آل غازي العاني (ت ١٣٩٨ هـ)، مطبعة الترقى - دمشق، ط ١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.
٧١. البيوع المحرمة والمنهي عنها، عبد الناصر بن خضر ميلاد، دار الهدى النبوي - مصر، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٧٢. تاج العروس، مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ)، المحقق: علي شيري، دار الفكر - بيروت، (د ط)، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٧٣. تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس زين الدين المعري الكندي (ت ٧٤٩ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٧٤. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م)، المحقق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٧٥. التاريخ الأوسط، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب ، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط ١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٧٦. تاريخ بغداد وذيوله، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، ١٤١٧هـ.
٧٧. تاريخ القرآن الكريم، الكردي، محمد طاهر عبد القادر المكي الشافعي الخطاط (ت ١٤٠٠هـ)، مصطفى محمد يغمور - مكة، ط ١، ١٣٦٥هـ.
٧٨. التاريخ الكبير، البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، المحقق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر - بيروت، (د ط)، (د ت).
٧٩. تاريخ دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر - بيروت، (د ط)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٨٠. تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت ٤٠٣هـ)، المحقق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٨١. تاريخ نزول القرآن، محمد رأفت سعيد، دار الوفاء - المنصورة - مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٨٢. التبيان في إعراب القرآن، العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، (د ط)، (د ت).
٨٣. التبيان في إيمان القرآن، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)، المحقق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٩هـ.

٨٤. التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي - قم، ط ١، ١٤٠٩هـ.
٨٥. التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، (د ط)، ١٩٨٤م.
٨٦. تحفة الإخوان بما جاء في الموالات والمعاداة والحب والبغض والهجران، التويجري، حمود عبد الله حمود عبد الرحمن (ت ١٤١٣هـ)، مؤسسة النور - الرياض، ط ١، (د ت).
٨٧. تحفة الباري، السنيكي، أبو يحيى زين الدين زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي (ت ٩٢٦هـ)، المحقق: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٨٨. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي حسن، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، ط ١، ١٤١٧هـ.
٨٩. تذكرة الحفاظ، الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٩٠. التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، أبو المعالي بهاء الدين محمد الحسن محمد علي البغدادي (ت ٥٦٢هـ)، المحقق: احسان عباس، بكر عباس، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٩١. التربية القرآنية وأثرها على الفرد والمجتمع، د. محب الدين بن عبد السبحان واعظ، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، (د ط)، ١٤٢٧هـ.
٩٢. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلابي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.

٩٣. التصاريف لتفسير القرآن مما اشتمت على أسمائه وتصرفت معانيه، القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء البصري ثم الإفريقي (ت ٢٠٠هـ)، المحقق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع - تونس، (د ط)، ١٩٧٩م.
٩٤. تصحيفات المحدثين، العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد (ت ٣٨٢هـ)، المحقق: محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة - القاهرة، ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٩٥. التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٩٦. التضمن النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، دار الزمان - المدينة المنورة - السعودية، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٩٧. التعريفات، الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت ٨١٦هـ)، المحقق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية - لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ.
٩٨. تعليق لطيف على آخر حديث في رياض الصالحين، القاسمي، قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر الشهير الدمشقي (ت ١٢٨٤هـ)، المحقق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٩٩. التعيين في شرح الأربعين، الصرصري، أبو الربيع نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي (ت ٧١٦هـ)، المحقق: أحمد حاج محمد عثمان، مؤسسة الريان - بيروت، المكتبة المكيّة - مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٠٠. تفسير آيات الأحكام، السائيس، محمد علي، المكتبة العصرية - القاهرة، (د ط)، ٢٠٠٢م.
١٠١. تفسير ابن باديس، ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت ١٣٥٩هـ)، المحقق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٠٢. تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي التونسي المالكي (ت ٨٠٣هـ)، المحقق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.

١٠٣. تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون آخر سورة السجدة، ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن الأنصاري الأصبهاني (ت ٤٠٦هـ)، المحقق: علال عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى - السعودية، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٠٤. تفسير الإمام الشافعي، الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، المحقق: د. أحمد بن مصطفى القران، دار التدمرية - السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٠٥. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٠٦. التفسير البسيط، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، المحقق: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود - السعودية، ط ١، ١٤٣٠هـ.

١٠٧. تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١ - ١٤١٨هـ.

١٠٨. تفسير التستري، التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع (ت ٢٨٣هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.

١٠٩. تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ)، المحقق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١١٠. التفسير الحديث، مرتب حسب ترتيب النزول، دروزة محمد عزت (ت ١٩٨٤م)، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، (د ط)، ١٣٨٣هـ.
١١١. تفسير الخطيب المكي، السيد عبد الحميد، دار الفكر الإسلامي - دمشق، ط ٢، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
١١٢. تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا - مصر، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١١٣. تفسير السلمي = حقائق التفسير، السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي (ت ٤١٢هـ)، المحقق: سيد عمران، دار الكتب العلمية - بيروت، (د ط)، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١١٤. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم - مصر، (د ط)، ١٩٩٧م.
١١٥. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١١٦. تفسير القرآن العظيم «جزء عم»، العاصمي، عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم للنشر - السعودية، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١١٧. تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: هشام البدراني، ط ١، ٢٠٠٨م.
١١٨. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.
١١٩. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة - مصر، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢٠. تفسير القرآن، ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٣١٩هـ)، المحقق: د. سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٢١. تفسير القرآن، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٢٢. التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، عبد الكريم يونس (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
١٢٣. تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد أبي بكر فرح الأنصاري الخزرجي (ت ٦٧١هـ)، المحقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٢٤. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.
١٢٥. تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، (ت ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٢٦. تفسير الماوردي = النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
١٢٧. تفسير المراغي، المراغي، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ط ١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١٢٨. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط)، ١٩٩٠م.
١٢٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ.
١٣٠. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، أحمد بن عبد الله الزهراني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - السعودية، الأعداد ٨٥ - ١٠٠، (د ط)، ١٤١٣هـ.
١٣١. تفسير الميزان، الطباطبائي، سيد محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط ٥، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.
١٣٢. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت، ط ١٠، ١٤١٣هـ.
١٣٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة، ط ١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
١٣٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، محمد سيد، دار نهضة مصر - القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.
١٣٥. التفسير الوسيط، الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، دار الفكر - دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٣٦. التفسير الوسيط، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، المحقق: لجنة علمية من الجامعة الإمام محمد بن سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠هـ.
١٣٧. تفسير بحر العلوم، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، المحقق: د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت، (د ط)، (د ت).

١٣٨. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٣٩. تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر، أبو الحجاج التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤ هـ)، المحقق: د. محمد عبد السلام، دار الفكر الإسلامي الحديثة - مصر، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
١٤٠. تفسير مجمع البيان، الطبرسي، أبو علي بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق: الميرزا أبي الحسن الشعراني، المكتبة الإسلامية - طهران، ط ٥، ١٣٩٥ هـ.
١٤١. تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠ هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط ١ - ١٤٢٣ هـ.
١٤٢. تفسير مقتنيات الدرر، علي الحائري الطهراني (ت ١٣٥٣ هـ)، دار الكتب الإسلامية - طهران، (د ط)، ١٩٥٨ م.
١٤٣. التفسير من سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور، أبو عثمان بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت ٢٢٧ هـ)، المحقق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي - الرياض، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
١٤٤. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام، أبو ثعلبة التيمي البصري الإفريقي القيرواني (ت ٢٠٠ هـ)، المحقق: د. هند شلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
١٤٥. تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسن بن موسى البغدادي (ت ٤٠٦ هـ)، المحقق: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ط ١، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
١٤٦. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٨٩ م.

١٤٧. التمهيد في أصول الفقه، الكَلْوَدَانِي، أَبُو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الحنبلي (ت ٥١٠هـ)، المحقق: مفيد محمد أبو عمشة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى- السعودية، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
١٤٨. التمهيد لما في الموطأ، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، المحققان: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، (د ط)، ١٣٨٧هـ.
١٤٩. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس رضي الله عنه (ت ٦٨هـ)، جمعه: الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان، (د ط)، (د ت).
١٥٠. التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، الصنعاني، أبو إبراهيم عز الدين محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني (ت ١١٨٢هـ)، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام- الرياض، ط ١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
١٥١. تهذيب الأسماء واللغات، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، المحقق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، (د ط)، ١٩٩٦م.
١٥٢. تهذيب اللغة، الهروي أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
١٥٣. تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، شرف الحق، أبو عبد الرحمن محمد أشرف أمير علي حيدر آبادي (ت ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ.

١٥٤. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملتن سراج الدين، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر - دمشق، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٥٥. التوقيف على مهمات التعاريف، المَنَاوِي، أبو عبد الله محمد عبد الرؤوف تاج العارفين علي بن زين العابدين الحدادي المَنَاوِي القاهري زين الدين (ت ١٠٣١هـ)، المحقق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر - دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ.
١٥٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن ناصر عبد الله (ت ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٥٧. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، السعدي، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد (ت ١٣٧٦هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٥٨. التيسير بشرح الجامع الصغير، المَنَاوِي، زين الدين، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين علي زين العابدين الحدادي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٥٩. التيسير في أحاديث التفسير، الناصري محمد المكي (ت ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٦٠. الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، صالح بن عبد السميع الأبى الأزهري (ت ١٣٣٥هـ)، المكتبة الثقافية - بيروت، (د ط)، (د ت).
١٦١. جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، محمد عبد الرحمن بن محمد عبد الله الحسني الحسيني الشافعي (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٦٢. الجَامِعُ لأحكامِ الصَّلَاةِ وَصِفَةِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين نوح بن نجاتي آدم الأشقودري، تخريج: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، الكتاب العالمي- بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٦٣. الجامع للتفسير، ابن رجب الحنبلي = روائع التفسير، الإمام زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن السَّلَامِي البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة - السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٦٤. الأعياد وأثرها على المسلمين، السحيمي، سليمان بن سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط ٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٦٥. جامع لطائف التفسير، القماش، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحميد، إمام وخطيب مسجد المرجوم يوسف بورسلي - رأس الخيمة، (د ط)، (د ت).
١٦٦. الجدول في إعراب القرآن، الصافي، محمود بن عبد الرحيم (ت ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد- دمشق، مؤسسة الإيمان- بيروت، ط ٤، ١٤١٨هـ.
١٦٧. جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، أبو الحسن علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي (ت ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٦٨. جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي- دمشق، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٦٩. جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، السوسي، محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر الردواني المغربي المالكي (ت ١٠٩٤هـ)، المحقق أبو علي سليمان بن دريع، مكتبة ابن كثير- الكويت، دار ابن حزم - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٧٠. جمهرة الأمثال، العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحققان: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الفكر - بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م.
١٧١. جمهرة اللغة، الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
١٧٢. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
١٧٣. حَاشِيَةُ الشَّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضَاوِيِّ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر - بيروت، (د ط)، (د ت).
١٧٤. حجة القراءات، ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (ت حوالي ٤٠٣هـ)، المحقق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٧٥. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، (ت ٣٧٠هـ)، المحقق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، (د ط)، ١٤٠١هـ.
١٧٦. الحجة في بيان المحجة، الأصبهاني، أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي (ت ٥٣٥هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراجعية - الرياض - السعودية، (د ط)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٧٧. الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ٣٧٧هـ)، المحققان: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني، المحققان: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٧٨. حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت ١٣٠٧هـ)،

- المحققان: د مصطفى الخن، محي الدين مستو، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٧٩. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
١٨٠. حكم إخراج زكاة الفطر قيمة (نقدًا)، د. محمود بن إبراهيم الخطيب، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، السنة السادسة والثلاثون العدد ١٢٤ - ١٤٢٤هـ.
١٨١. الحماسة المغربية، الجزاوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام التادلي (ت ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
١٨٢. الحوار الإسلامي بين الدواعي والمعوقات، إعداد: محمد بن شاکر الشريف . خباب بن مروان الحمد، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي.
١٨٣. الحيوان، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي (ت ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.
١٨٤. خاتم النبيين ﷺ، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، (د ط)، ١٤٢٥هـ.
١٨٥. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني عبد العظيم إبراهيم محمد (ت ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة - مصر، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٨٦. الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة - ماليزيا، ط ١ - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م،
١٨٧. الدر المنثور، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت، (د ط)، ١٩٩٣م.
١٨٨. دراسات لإسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عزيمة (ت ١٤٠٤هـ)، المحقق: محمود محمد شاکر، دار الحديث - القاهرة، (د ط)، (د ت).

١٨٩. درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الأصبهاني (ت ٤٢٠هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٩٠. دَرْجُ الدُّرِّ فِي تَفْسِيرِ الآيِ وَالسُّورِ، الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل (ت ٤٧١هـ)، المحقق: وليد بن أحمد بن صالح الحُسَيْن، إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة- بريطانيا، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٩١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد- الهند، ط ٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

١٩٢. دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، المطيري، عبد المحسن بن زين بن متعب، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٩٣. الدعوة الإسلامية ومنهجها القرآني، د. محمد بن سعد الشويعر، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٩٤. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت ١٣٩٣هـ)، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، مكتبة الخراز - جدة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٩٥. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ)، المحقق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة- بيروت، ط ٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٩٦. دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار، شحاتة محمد

- صقر، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي - الإسكندرية، (د ط)، (د ت).
١٩٧. ديوان المتنبّي، العكبري، أبو البقاء (ت ٦١٦هـ)، المحقق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة - بيروت، (د ط)، (د ت).
١٩٨. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر - بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٩٩. ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت ٥٤٥م)، المحقق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، ط ٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٠٠. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري (ت ٤١هـ)، المحقق: حمدو طماس، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٠١. ذخيرة العقبى في شرح المجتبى = شرح سنن النسائي، الولوي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي، دار المعراج الدولية للنشر - الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٠٢. رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت ١٢٥٢هـ)، دار الفكر - بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٠٣. رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.



٢٠٤. الرسالة التبوكية، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، المحقق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني- جدة، (د ط)، (د ت).
٢٠٥. رَكائزُ الإيمان، محمد قطب إبراهيم، المحقق: علي بن نايف الشحود، بهانج - دار المعمور - ماليزيا، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٠٦. روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الصابوني، محمد علي، مكتبة الغزالي - دمشق؛ مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، ط ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٢٠٧. روح البيان، الخلوتي، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت، (د ط)، (د ت).
٢٠٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغادي، (ت ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٢٠٩. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، المجلسي، محمد تقي (ت ١٠٧٠هـ)، المحقق: السيد حسين الموسوي الكرمانى والشيخ علي پناه الإشتهاردي، المطبعة العلمية - قم، (د ط)، (د ت).
٢١٠. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (ع)، الشيرازي علي خان المدني (ت ١١٢٠هـ)، المحقق: السيد محسن الحسيني الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ط ٤، ١٤١٥هـ.
٢١١. زاد المسير في علم التفسير، الجوزي، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢١٢. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، مكتبة المنار الإسلامية - الكويت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢١٣. الزاهر في معاني كلمات الناس، ابن الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت ٣٢٨هـ)، المحقق: د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٢١٤. زبدة البيان في أحكام القرآن، المقدس الأربيلي، أحمد بن محمد (ت ٩٩٣هـ)، المحقق: محمد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية - طهران، ط ١، ١٩٩٧م.
٢١٥. الزهد، الأهوازي، أبو محمد حسين بن سعيد الكوفي (ت ق ٣هـ)، المحقق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية - قم، (د ط)، ١٣٩٩هـ.
٢١٦. الزهد والورع والعبادة، ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، المحققان: حماد سلامة، محمد عويضة، مكتبة المنار - الأردن، ط ١، ١٤٠٧هـ.
٢١٧. زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، (ت ٤٥٣هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة المحتسب - عمان، ط ٤، ١٩٧٢م.
٢١٨. زهرة التفاسير، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، (د ط)، (د ت).
٢١٩. الزواج في ظل الإسلام عايد بن عبد الله الحربي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٨، السنة ٣٧، ١٤٢٥هـ.
٢٢٠. السبعة في القراءات، ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط ٢، ١٤٠٠هـ.
٢٢١. سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٤، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٢٢٢. سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، الجنيدي، عبد الله بن شاكر، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، السنة الرابعة والثلاثون العدد (١١٤)، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢هـ.
٢٢٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف- الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٢٤. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة، كاتب جلي، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت ١٠٦٧هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة إرسিকা- إستانبول، (د ط)، ٢٠١٠م.
٢٢٥. سنن ابن ماجه، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر- بيروت، (د ط)، (د ت).
٢٢٦. سنن أبي داود، السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية- بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٢٧. سنن الترمذي، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٢٢٨. سنن الدارمي، الدارمي، أبو محمد عبد الله عبد الرحمن الفضل بهرام عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥هـ)، المحقق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني- السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.
٢٢٩. السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة- حيدر آباد- الهند، ط ١، ١٣٤٤هـ.

٢٣٠. سنن النسائي الكبرى، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٣١. سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور، أبو عثمان شعبة الخراساني الجوزجاني (ت ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.
٢٣٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٣٣. السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ٦، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٣٤. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، المحقق: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
٢٣٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري (ت ١٠٨٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٣٦. شرح الإمام بأحاديث الأحكام، ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري (ت ٧٠٢هـ)، المحقق: محمد خلوف العبد الله، دار النوادر - سوريا، ط ٢ - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٣٧. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصري الأزهري (ت ١١٢٢هـ)، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.



٢٣٨. شرح السنة، البغوي، أبو محمد الحسين مسعود محمد الفراء الشافعي محيي السنة (ت ٥١٠هـ)، المحققان: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٣٩. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح = الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - الرياض ط ١-١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٤٠. شرح العقيدة السفارينية = الدرر المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، ط ١، ١٩٨٨م.
٢٤١. شرح ديوات الحماسة، الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١هـ)، المحقق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٤٢. شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين (ع)، (ت ٩٤هـ)، المحقق: شرح: حسن السيد علي القبانجي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر - قم، ط ٢، ١٤٠٦هـ.
٢٤٣. شرح رياض الصالحين، ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر - الرياض، (د ط)، ١٤٢٦هـ.
٢٤٤. شرح زاد المستنقع، الشنقيطي، محمد بن محمد المختار، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية - الرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٤٥. شرح سنن أبي داود = معالم السنن، الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية - حلب، ط ١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٢٤٦. شرح صحيح البخارى، ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٤٩هـ)، المحقق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٤٧. شرح مختصر الطحاوي، الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عصمت الله عنايت الله محمد وآخرون، دار البشائر الإسلامية - بيروت، دار السراج - المدينة المنورة، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٤٨. شرح مسائل الجاهلية، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٥م.
٢٤٩. شرح مشكل الآثار، الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٤٩٤م.
٢٥٠. شرح مصابيح السنة، البغوي، ابن الملك، محمد عز الدين عبد اللطيف عبد العزيز أمين الدين فرشتا الحنفي (ت ٨٥٤هـ)، المحقق: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية - الكويت، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٢٥١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (ت ٦٥٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - إيران، (د. ت).
٢٥٢. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، عني بتصحيحه: عدد من الأفاضل، مكتب الاعلام الاسلامي - قم، ط ١، ١٣٦٢.
٢٥٣. شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحوراني الشافعي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
٢٥٤. شعب الإيمان، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد العلي عبد الحميد

- حامد، خرج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٥٥. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، نشوان بن سعيد اليمني (ت ٥٧٣ هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٥٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٢٥٧. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التيمي الدارمي البُستي (ت ٣٥٤ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٢٥٨. صحيحُ ابن خُرَيْمَةَ، ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١ هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٥٩. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة - بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٢٦٠. صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين نوح نجاتي آدم الأشقودري (ت ١٤٢٠ هـ)، المكتب الإسلامي - دمشق، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
٢٦١. صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د ط)، (د ت).

٢٦٢. الصحيح المسند من أسباب النزول، الوادعي، أبو عبد الرحمن مفضل بن هادي بن مفضل بن قائدة الهمداني مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط ٤، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
٢٦٣. صفوة التفسير، الصابوني، محمد علي، دار الصابوني- القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٦٤. الصلاة وصف مفصل للصلاة بمقدماتها مقرونة بالدليل من الكتاب والسنة، د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، مدار الوطن للنشر- الرياض، ط ١٠، ١٤٢٥هـ.
٢٦٥. الصواعق المحرقة، بن حجر الهيتمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام (ت ٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٦٦. صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، إشراف: د.حاتم محمد منصور مزروعة، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية - ماليزيا، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٢٦٧. ضرورة الاهتمام بالسنن النبوية، أبو عبد الرحمن عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم (ت ١٤٢٥هـ)، دار المنار للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ.
٢٦٨. طبقات الحفاظ، السيوطي، جلال الدين، أبو بكر عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ.
٢٦٩. طبقات الشافعية، ابن قاضي شعبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.

٢٧٠. الطبقات الكبرى، ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٧١. طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الأندلسي الإشبيلي (ت ٣٧٩هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر، ط ٢، (د ت).
٢٧٢. طبقات خليفة بن خياط، ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ)، المحقق: د سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٧٣. العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الحنفي (ت ٦٥٠هـ)، المحقق: محمد حسن آل ياسين، المجمع العلمي العراقي - بغداد، ط ١، ١٩٧٨م.
٢٧٤. العَدْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، الشَّنْقِيطِيُّ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت ١٣٩٣هـ)، المحقق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط ٢، ١٤٢٦هـ.
٢٧٥. العشرة بين الزوجين، عايد بن عبد الله الحربي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٨، السنة ٣٧، ١٤٢٥هـ، ١ / ١٤.
٢٧٦. العقد الفريد، ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.
٢٧٧. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ابن الملقن، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد سراج الدين الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ)، المحقق: أيمن نصر الأزهري، سيد مهني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٧٨. علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية - بيروت ، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٧٩. عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الالفاظ، السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ات ٧٥٦هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، (ط ١)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٨٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بدر الدين الغيتابي الحنفي (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د ط)، ١٣٩٩هـ.
٢٨١. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، أبو عبد الله، عز الدين محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي (ت ٨٤٠هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط ٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٨٢. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
٢٨٣. غريب الحديث، أبو إسحاق، إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ)، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٢٨٤. غريب الحديث، القاسم، أبو عبيد بن سلام الهروي، (ت ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي - بيروت، (د ط)، ١٣٩٦هـ.
٢٨٥. غريب القرآن، الدينوري، أبو محمد بن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية- مصر، (د ط)، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢٨٦. غريب القرآن = بنزهة القلوب، السجستاني، أبو بكر محمد بن عَزِير العُزَيْرِي (ت ٣٣٠هـ)، المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - سوريا، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٨٧. الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت ٥٣٨هـ)، المحققان: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، ط ٢، (د ت).

٢٨٨. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٨٩. فتح الباب في الكنى والألقاب، ابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدى (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر - الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٩٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، (د ط)، ١٣٧٩هـ.

٢٩١. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، الساعاتي، محمد البنا أحمد بن عبد الرحمن بن (ت ١٣٧٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، (د ت).

٢٩٢. فتح الرحمن في تفسير القرآن، العلمي، مجير الدين بن محمد المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٧هـ)، المحقق: نور الدين طالب، دار النوادر - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٩٣. فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليميني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير - دمشق، دار الكلم الطيب - بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.

٢٩٤. الفتح المبين بشرح الأربعين، الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الأنصاري شهاب الدين شيخ الإسلام (ت ٩٧٤هـ)، المحقق:

- أحمد جاسم محمد المحمد وآخرون، دار المنهاج، جدة - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
٢٩٥. فتح المعين، السقاف حسن بن علي، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، مكتبة الإمام النووي - الأردن، (د ط)، (د ت).
٢٩٦. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق - القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٩٧. الفروق = أنوار البروق في أنواع الفروق، القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (ت ٦٨٤هـ)، المحقق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (د ط)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٩٨. فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي (ت ٢٩٤هـ)، المحقق: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق - سورية، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٩٩. الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، وهبة بن مصطفى، دار الفكر - دمشق، ط ٤، (د ت).
٣٠٠. الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (ت ١٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٠١. فهم القرآن ومعانيه، المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد (ت ٢٤٣هـ)، المحقق: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر - بيروت، ط ٢، ١٣٩٨هـ.
٣٠٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ.
٣٠٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المتأوي، محمد عبد الرؤوف علي زين العابدين الحدادي القاهري زين الدين (ت ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط ١ - ١٣٥٦م.

٣٠٤. قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الدامغاني، الحسين بن محمد، المحقق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٣، ١٩٨٠م.
٣٠٥. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣٠٦. قاموس شتائم، السقاف، حسن بن علي، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار الإمام النووي - بيروت، (د ط)، (د ت).
٣٠٧. القرآن وعلوم الأرض، محمد سميح عافية، الزهراء للإعلام العربي - القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤هـ.
٣٠٨. القرآن ونقض مطاعن الرهبان، الخالدي، د صلاح عبد الفتاح، دار القلم - دمشق، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٣٠٩. القواعد الحسان لتفسير القرآن، آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد (ت ١٣٧٦هـ)، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣١٠. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، المحقق: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣١١. الكامل في اللغة والأدب، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣١٢. كتاب الأفعال، ابن القطّاع، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم الصقلي (ت ٥١٥هـ)، عالم الكتب، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣١٣. كتاب الألفاظ، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، المحقق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
٣١٤. كتاب العين، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال - مصر، (د ط)، (د ت).
٣١٥. كتاب الكليات، الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (د. ط)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣١٦. كتاب توحيد الخالق، الزندانى عبد المجيد، مكتبة المثنى - بغداد، ط ١٩٩٠م.
٣١٧. الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء (ت ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣١٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣ - ١٤٠٧هـ.
٣١٩. كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، السفاريني شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، المحقق: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر - سوريا، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٣٢٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض، (د ط)، (د ت).
٣٢١. كَشَفُ الْمَنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْمَصَابِيحِ، الْمُتَاوِي، محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي القاهري، الشافعي، صدر الدين، أبو المعالي (ت ٨٠٣هـ)،

- المحقق: د. مُحَمَّدُ إِسْحَاقُ مُحَمَّدُ إِبْرَاهِيمَ، الدار العربية للموسوعات - بيروت، ط ١، هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٢٢. كلمة د. عبد الله بن صالح العبيد، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، الدورة الحادية عشرة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي بالمنامة - دولة البحرين، مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي - جدة.
٣٢٣. كمال الدين الإسلامي، د. عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط ١، هـ ١٤١٨.
٣٢٤. كنز الدقائق، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت ٧١٠هـ)، المحقق: أ. د. سائد بكداش، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط ١، هـ ١٤٣٢ - ٢٠١١ م.
٣٢٥. كنز الفوائد، الكراجكي، محمد بن علي بن عثمان الطرابلسي (٤٤٩هـ)، ناشر - بيروت، (د ط)، ١٩٨٥ م.
٣٢٦. كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، الشنقيطي، محمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني (ت ١٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، هـ ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
٣٢٧. الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، الإسنوي، أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعي جمال الدين (ت ٧٧٢هـ)، المحقق: د. محمد حسن عواد، دار عمار - عمان - الأردن، ط ١، هـ ١٤٠٥.
٣٢٨. كيف يكون قلبك دائماً مع الله؟ جمال ماضي، دار الأندلس - مصر، ط ١، هـ ١٤٣٢ - ٢٠١١ م.
٣٢٩. اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، البرماوي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت ٨٣١هـ)، المحقق: لجنة من المحققين، دار النوادر - سوريا، ط ١، هـ ١٤٣٣ - ٢٠١٢ م.

٣٣٠. لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي (ت ٧٤١هـ)، المحقق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٣٣١. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٨٨٠هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٣٢. لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٣٣٣. لسان الميزان، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط ٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.
٣٣٤. لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط ٣، (د.ت).
٣٣٥. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحسن السلامي البغدادي الدمشقي (ت ٧٩٥هـ)، دار ابن حزم - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٣٣٦. اللغات في القرآن، ابن حسنون، أبو أحمد عبد الله بن الحسين السامري (ت ٣٨٦هـ)، المحقق: صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة - القاهرة، ط ١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
٣٣٧. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم - بيروت، ط ٤، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٣٨. مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص، محمد عباس الباز، دار الكلمة - القاهرة، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٣٣٩. المبسوط في القراءات العشر، النيسابوري، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، (د ط)، ١٩٨١م.
٣٤٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٧هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، (د ط)، ١٩٩٥م.
٣٤١. مجاز القرآن، التيمي، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، المحقق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي - مصر، ط ٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٣٤٢. المجتبي من مشكل إعراب القرآن، الخراط، أبو بلال أحمد بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، (د ط)، ١٤٢٦هـ.
٣٤٣. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ابن حبان، أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، ط ١، ١٣٩٦هـ.
٣٤٤. مجلة الأستاذ، جريدة علمية تهذيبية فكاھية صدرت في ٢٤ أغسطس عام ١٨٩٢م على يد عبد الله النديم (ت ١٣١٤هـ)، دار كتبخانة للنشر والتوزيع - مصر، ط ١ - ١٩٨٥م.
٣٤٥. مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات باشا (ت ١٣٨٨هـ)،
٣٤٦. اللائحة الثالثة: من لوائح إصلاح التعليم والتربية الدينية، مقالة الإمام محمد عبده، مجلة المنار، محمد رشيد بن علي رضا ومجموعة من المؤلفين (ت ١٣٥٤هـ)، رقم المجلة (١٠).
٣٤٧. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الكجراتي، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفُتّي (ت ٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ط ٣، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٣٤٨. مجمع البحرين، اليازجي، ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط، نصراني الديانة (ت ١٢٨٧هـ)، المطبعة الأدبية - بيروت، ط ٤، ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م.
٣٤٩. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية، (د. ط)، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٣٥٠. المجموع المغيـث في غربي القرآن والحديث، الأصبهاني، أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد المديني (ت ٥٨١هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، دار المدني - السعودية، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٥١. محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين محمد سعيد قاسم الحلاق (ت ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
٣٥٢. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
٣٥٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، (ت ٥٤٦هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، (د ط)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٣٥٤. المحكم في نقط المصاحف، الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت ٤٤٤هـ)، المحقق: د. عزة حسن، دار الفكر - دمشق، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
٣٥٥. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٥٦. المحلى بالآثار، ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ)، المحقق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، (د ط)، (د ت).
٣٥٧. المحيط في اللغة، الصّاحب بن عبّاد، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني (ت ٣٨٥هـ) مؤسسة عالم الكتب - بيروت، (د ط)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٣٥٨. المختصر في أحكام السفر، فهد بن يحيى العماري، دار ابن الجوزي - السعودية، ط ١، ١٤٢٩هـ.
٣٥٩. المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل علي محمود محمد عمر شاهنشاه أيوب (ت ٧٣٢هـ)، المطبعة الحسينية - مصر، ط ١، (د ت).
٣٦٠. المخصص، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٣٦١. مخطوطة الجمل = معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل، حسين عبد الفتاح أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط ١، ٢٠٠٨م.
٣٦٢. المداراة وأثرها في العلاقات العامة بين الناس، د محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، السنة الرابعة والثلاثون العدد (١١٤) ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٣٦٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت ٧١٠هـ)، المحقق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٦٤. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، دار القلم - دمشق، دار الشاميه - بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٦٥. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣٦٦. المذكر والمؤنث، الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن قروة بن قطن بن دعامة (ت ٣٢٨ هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، وزارة الأوقاف- لجنة إحياء التراث- مصر، (د ط)، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٣٦٧. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ)، المحقق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣٦٨. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري، أبو الحسن علي بن (سلطان محمد) نور الدين الهروي (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر- بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٣٦٩. المسالك في شرح مؤطاً مالك، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، المحققان: محمد بن الحسين السليمانى، عائشة بنت الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى- بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٣٧٠. المستدرك على الصحيحين، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين- مصر، (د ط)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣٧١. المستطرف في كل فن مستظرف، الألبشيهي، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٠هـ)، المحقق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية- بيروت، (د ط)، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٣٧٢. مسند أبي داود، الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود البصري (ت ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٧٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله محمد هلال أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٧٤. مسند الحميدي، الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي المكي (ت ٢١٩هـ)، المحقق: حسن سليم أسد الداراني، دار السقا، دمشق - سوريا، (ط ١)، ١٩٩٦م.
٣٧٥. مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم القضاعي المصري (ت ٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٣٧٦. مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه، محمد بن علي بن آدم بن موسى، دار المغني - الرياض - السعودية، ط ١ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣٧٧. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، الدارمي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي أبو حاتم البُستي (ت ٣٥٤هـ)، المحقق: مرزوق علي ابراهيم، دار الوفاء - المنصورة - مصر، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٣٧٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، (د ط)، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٣٧٩. المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٠٩م.

٣٨٠. المصنف، عبد الرزاق، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي - الهند، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
٣٨١. المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان (ت ١٢٨٥هـ)، دار الهداية - مصر، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٣٨٢. المطلع على ألفاظ المقنع، البعلي، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل شمس الدين (ت ٧٠٩هـ)، المحققان: محمود الأرنؤوط، ياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع - الرياض، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣٨٣. معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري، مجلة الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، السنة الثامنة والعشرون - ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ.
٣٨٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي محيي السنة (ت ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
٣٨٥. معاني القراءات، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود - السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٣٨٦. معاني القرآن، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط ١، (د ت).
٣٨٧. معاني القرآن، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، (د ط)، ١٤٠٩هـ.

٣٨٨. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٨٩. المعتمد في أصول الفقه، البصري، أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب (ت ٤٣٦هـ)، المحقق: خليل الميس، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣هـ.
٣٩٠. المعجزة الكبرى للقرآن، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، (د ط)، (د ت).
٣٩١. المعجم الأوسط، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، (د ط)، (د ت).
٣٩٢. معجم الشعراء، المرزباني، الإمام أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ)، المحقق: د. ف. كرنكو، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٣٩٣. معجم الفروق اللغوية، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ط ١، ١٤١٢هـ.
٣٩٤. المعجم الكبير، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي - مصر، ط ٢، ١٩٨٣م.
٣٩٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب - السعودية، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٩٦. المعجم المفصل في شواهد العربية، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٣٩٧. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة - إستنبول، ط ٢، ١٩٨٩م.

٣٩٨. معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم - دمشق، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٩٩. المعين على تفهم الأربعين، ابن الملقن، سراج الدين، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤ هـ)، المحقق: الدكتور دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع - حولي - الكويت، ط ١ - ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
٤٠٠. مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، العيني، بدر الدين، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينتابي الحنفي (ت ٨٥٥ هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
٤٠١. المغرب في ترتيب المغرب، الخوارزمي، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المُطَرِّزِي (ت ٦١٠ هـ)، المحقق: محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد - حلب، ط ١، ١٩٧٩ م.
٤٠٢. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام أبو محمد، جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، (ت ٧٦١ هـ)، المحققان: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط ٦، ١٩٨٥ م.
٤٠٣. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت ٩٧٧ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
٤٠٤. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
٤٠٥. المفاتيح في شرح المصابيح، المُظْهِري، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَيْدَانِي الكوفي الضَّرِيرُ الشَّيرَازِيُّ الحَنْفِيُّ (ت ٧٢٧ هـ)، المحقق: لجنة

- مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر - دمشق، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٤٠٦. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
٤٠٧. المفصل في أحكام العقيدة، د. حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، مطبعة القدس - فلسطين، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٤٠٨. مقارنة بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن الكريم، مصطفى أحمد الزرقا، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، (د ط)، (د ت).
٤٠٩. مقاييس اللغة ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٤١٠. مكارم الأخلاق للطبراني (مطبوع مع مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا)، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠هـ)، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٤١١. مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري (ت ٣٢٧هـ)، المحقق: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية - القاهرة، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٤١٢. المجالسة وجواهر العلم، الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان المالكي (ت ٣٣٣هـ)، المحقق: مشهور، أبو عبيدة بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم - بيروت، (د ط)، ١٤١٩هـ.
٤١٣. المكاسب المحرمة، الأراكي، محمد علي (ت ١٤١٥هـ)، مؤسسة في طريق الحق - قم، ط ١، ١٤١٣هـ.

٤١٤. الملل والنحل، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ)،
المحقق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، (د ط)، ١٤٠٤هـ.
٤١٥. من بلاغة القرآن، البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي (ت ١٣٨٤هـ)، نهضه
مصر - القاهرة، (د ط)، ٢٠٠٥م.
٤١٦. من كلام الحافظ الإمام أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، اعتنى
بها: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، (د ط)، (د
ت).
٤١٧. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ)،
المحقق: فواز أحمد زملي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ،
١٩٩٥م.
٤١٨. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي
بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،
دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٤١٩. منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد
المختار بن عبد القادر الجكني (ت ١٣٩٣هـ)، المحقق: الشيخ بكر بن عبد الله
أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة، (د ط)، (د ت).
٤٢٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين، ميرزا حبيب الله الهاشمي
الخوانساري الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، المحقق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، مكتبة
آية الله المرعشي العامة - قم، ط ٤، ١٤٠٦هـ.
٤٢١. المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد
بن حليم البخاري الجرجاني (ت ٤٠٣هـ)، المحقق: حلمي محمد فودة، دار
الفكر - دمشق، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٢٢. مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام، السيد عبد الأعلى السبزواري، (ت
١٤١٤هـ)، مؤسسة المنار - قم، ط ٤، ١٤١٦هـ.

٤٢٣. المَهْدَبُ فِي عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ الْمُقَارِنِ، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٤٢٤. المواقف، الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، دار الجيل - بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
٤٢٥. موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، ربيع الأول ١٤٣٣هـ، ١/٧٥.
٤٢٦. مَوْسُوعَةُ الْأَخْلَاقِ، الخرازن، خالد بن جمعة بن عثمان، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع - الكويت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٤٢٧. موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق = (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، ياسر عبد الرحمن، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة - القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٤٢٨. موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، محمد الخضر حسين (ت ١٣٧٧هـ)، جمعها: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر - سوريا، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٤٢٩. موسوعة البحوث والمقالات العلمية، علي بن نايف الشحود، (د ط)، (د ت).
٤٣٠. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر - المدينة النبوية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٤٣١. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ط ٢، ١٤٠٤هـ - ١٤٢٧هـ.
٤٣٢. الموسوعة القرآنية، الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (ت ١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب - القاهرة، (د ط)، ١٤٠٥هـ.
٤٣٣. الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

٤٣٤. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٤٣٥. الموسوعة في صحيح السيرة النبوية، دراسة موثقة لما جاء عنها في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والروايات التاريخية المعتمدة علمياً مرتبة على أعوام عمر النبي ﷺ (العهد المكي)، الفالوذة، أبو إبراهيم، محمد إلياس عبد الرحمن، مطابع الصفا - مكة، ط ١، ١٤٢٣هـ.
٤٣٦. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع - القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب، ط ١، (د ت).
٤٣٧. الموقف الشرعي من أعداء الأمن، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية.
٤٣٨. نثر النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني، جمعه ورتبه: أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل، دار ابن عباس- مصر، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٤٣٩. نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط ١، (د ت).
٤٤٠. نزهة الألباب في الألقاب، العسقلاني ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٤٤١. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين (ت ٨٣٣هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠هـ)، دار الكتاب العلمية- بيروت، (د ط)، ١٣٩٩هـ.
٤٤٢. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين، إشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع - جدة، ط ٤، (د ت).

٤٤٣. نظرات في القرآن الكريم، محمد الغزالي، دار نهضة مصر - مصر، ط ١، (د. ت).
٤٤٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، أبو بكر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي (ت ٨٨٥هـ)، المحقق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، (د ط)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٤٤٥. النَّظْمُ الْمُسْتَعْدَبُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ أَلْفَاظِ الْمَهْدَبِ، ابن بطل، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطل الركبي (ت ٦٣٣هـ)، المحقق: د. مصطفى عبد الحفيظ سالم، المكتبة التجارية - مكة المكرمة، (د ط)، ١٩٩١م.
٤٤٦. نفل قول الشافعي في مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية، (د ط)، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٤٤٧. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، الكرّجي، أحمد محمد بن علي بن محمد القصاب (ت نحو ٣٦٠هـ)، المحقق: علي بن غازي التويجري وآخرون، دار القيم - دار ابن عفان - السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٤٤٨. النكت في القرآن الكريم = في معاني القرآن الكريم وإعرابه، القيرواني، أبو الحسن علي بن فضال بن علي بن غالب المَجَاشِعِي (ت ٤٧٩هـ)، المحقق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٤٤٩. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٤٥٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ)، المحققان: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، (د ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٥١. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع) (ت ٤٠هـ)، المحقق: الشيخ محمد عبده، دار الذخائر - قم، ط ١، ١٤١٢هـ.
٤٥٢. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع) (ت ٤٠هـ)، المحقق: د. صبحي صالح، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٤٥٣. نيل الأوطار، الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٠هـ)، المحقق: عصام الدين الصبابي، دار الحديث - مصر، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٤٥٤. نَيْلُ الْمَآرِبِ بِشَرْحِ دَلِيلِ الطَّالِبِ، الشَّيْبَانِي عبد القادر بن عمر بن عبد القادر ابن عمر بن أبي تغلب بن سالم التغلبي (ت ١١٣٥هـ)، المحققان: د. محمد سليمان عبد الله الأشقر، مكتبة الفلاح - الكويت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٤٥٥. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت ١٣٠٧هـ)، المحقق: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - بيروت، (د ط)، ٢٠٠٣م.
٤٥٦. هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، الخزندار، أبو أسامة محمود محمد (ت ١٤٢٢هـ)، دار طيبة - الرياض، ط ٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٤٥٧. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤٥٨. الوافي بالوفيات، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤٥٩. الوافي، الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت ١٠٩١هـ)، المحقق: ضياء الدين الحسيني الأصفهاني، مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (ع) - أصفهان، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٤٦٠. الوجوه والنظائر، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٤٦١. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨)، المحقق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، (د ط)، ١٤١٥هـ.
٤٦٢. الوحدة الإسلامية، أبو زهرة محمد، دار الرائد العربي - بيروت، (د ط)، ١٩٨٢م.
٤٦٣. الوحي والإنسان قراءة معرفية، الجليلند محمد السيد، دار قباء للطباعة - القاهرة، (د ط)، (د ت).
٤٦٤. الوساطة بين المتبني وخصومه، الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي (ت ٣٩٢هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة، (د ط)، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
٤٦٥. وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٤٦٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الثقافة - لبنان، (د ط)، ١٩٩٤م.
٤٦٧. الينابيع الفقهية، علي أصغر مرواريد، دار التراث - بيروت، الدار الإسلامية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٤٦٨. اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت

١٠٣١هـ)، المحقق: المرتضي الزين أحمد، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١،

١٩٩٩م